A. 1387

A·1387

عدد ممتاز

ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦

العربي

وجهاً لوجه مع :

محمّد حسنين هيكل

نتيجة مسابقة القصة القصيرة

هدية بالألوان : المعادن والأحجار الكريمة

نيبال

سقف العالم ومجمع المعابد والأساطير

فكرة عظيمة اخرى.

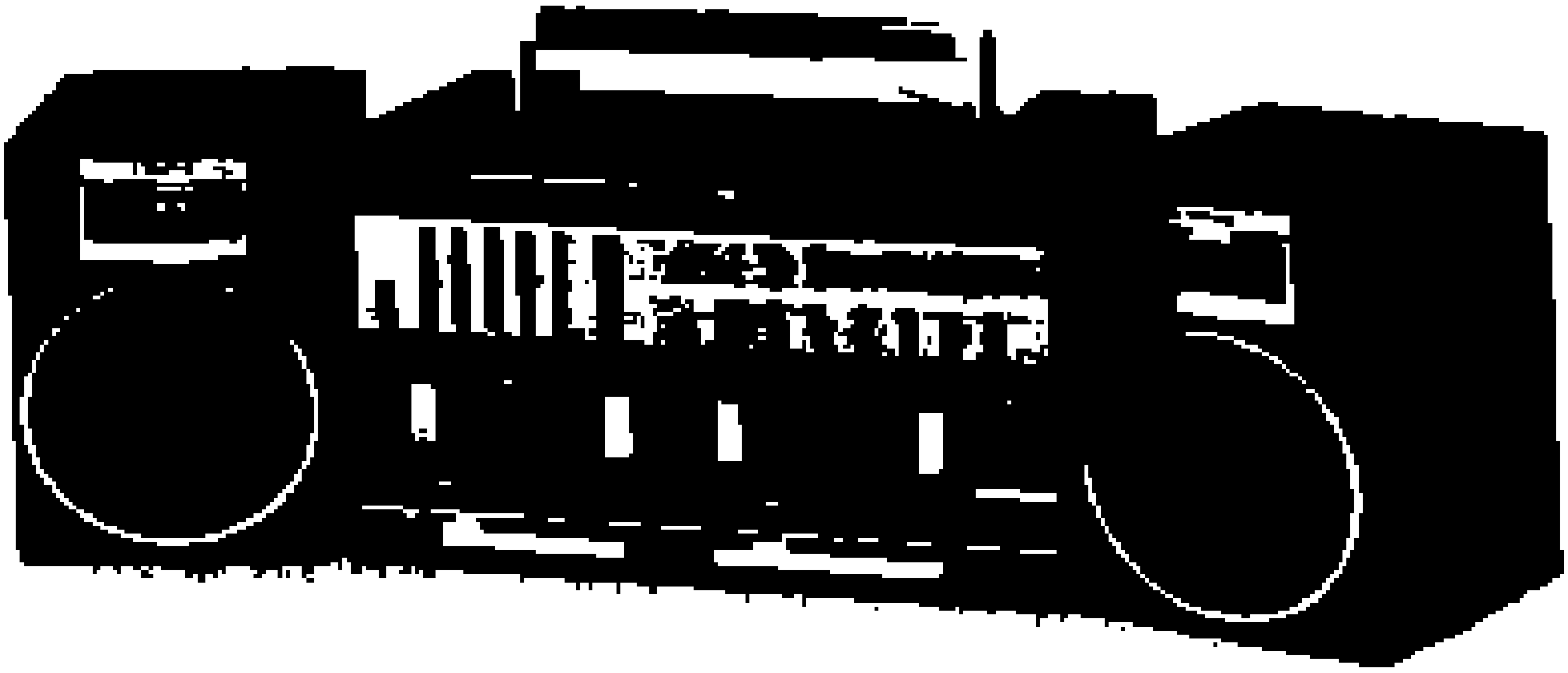

فيشر

FISHER

العدد ٣٢٦ السنة التاسعة والعشرون يناير ١٩٨٦

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
بدولة الكويت

٢٠٠٤/٢/٩
١٠٩

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No.: 326 Jan. 1986 P. O. Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic
Magazine in Colour Published by:
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تليفون ٢٤٣٣٩٢٤ - ٢٤٣٨٤١٤ - ٢٤٢٧١٤١
برقياً "العربي" الكويت - تلكس: [illegible]
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام ص. ب ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام علماً بأن
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك.

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسا	تونس ٥٠٠ مليم	الإمارات ٥ دراهم
العراق ٤٥٠ فلسا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٤٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	بريطانيا [illegible]
مصر ٢٥٠ مليما	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ٦ فرنكات
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	أمريكا دولاران

١٥ يناير

موعدك مع كتاب العربي

هل من مصادفة أن يأتي كتاب العاشر من سلسلة كتب العربي صفحة لتجربة الكويت الإنسانية والحضارية وهي تحتفل بمرور ربع قرن على استقلالها الحديث؟

ليس بالضرورة أن يكون ذلك مصادفة بحتة، فالكويت منذ ذلك الزمن - أي زمن الاستقلال - أخذت على عاتقها أن تقدم - بحساب لا يعرف الحدود - نموذجية سعى الإنسان الكويتي العربي على هذه القطعة العربية من الأرض، تجربة ثقافية وتنموية معا.

وحصيلة نتائج هذا التفاعل والتقدم هو إصدارنا هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ العربي، كي يطلع على عمق هذه التجربة وأصالتها.

عزيزي القارئ

في مطلع هذا العام الذي نرجو - نحن أسرة العربي - أن يكون عاما مختلفا عن الأعوام القليلة الماضية التي سبقته، من حيث توحيد كلمة العرب والمسلمين، وتماسك صفوفهم ضد أعدائهم. في هذا العدد نقدم لك حلقتين: الأول هو أسماء جديدة أسهمت العربي في إضافتها إلى ملف الثقافة العربية المتجددة، منها: مصعب محمد نوري الصمصام، وفاروق حسان السيد وفاضل محمد مشالي، نذكر فقط ثلاثة أسماء من عدد كبير من الأسماء التي شاركت في مسابقة القصة العربية القصيرة وفازت. ونحن إذ نقدم القصة الفائزة الأولى في هذا العدد فإننا بذلك نضيف جهدا ونفتح بابا ونرسم اتجاها صحيحا لإثراء الإبداع العربي المعاصر. وسوف نقوم بتقديم القصص القصيرة الفائزة تباعا في أعدادنا القادمة إن شاء الله.

وهذا العام لم نقتصر في إسهامنا الثقافي على استحداث مسابقة القصة، فقد بلغ مشروعنا في إصدار مجلة للفتيان والفتيات العرب مرحلة الاكتمال والنضوج بعد أن بذلت له أسرة العربي جهدا أسعدها جميعا أن تقدمه لهذا المشروع الجليل. لقد جاءت الأصداء إيجابية على عدد الصفر (رقم واحد) وعندما طبعنا عدد الصفر (رقم اثنين) في منتصف نوفمبر بعد أن أخذنا بمعظم الملاحظات الجادة على التجربة الأولى، كانت الأصداء على عدد الصفر الثاني رائعة في استجاباتها، فريدة في تميزها.

لذلك فإننا نزف لأبنائنا وبناتنا خبر الإصدار الجديد الذي سيطالع عيونهم وقلوبهم حينما يوزع مع بداية فبراير من هذا العام. وهو بذلك يحقق إسهاما آخر في مسيرة الثقافة العربية الجادة، يصدر من الكويت - التي احتضنت كثيرا من مشاريع الثقافة العربية - في وقت تحتفل هذه الأرض وشعبها بالعيد الخامس والعشرين لاستقلالها، سائرة أمة طموحة إلى غد أفضل يجمعها في عقد منتظم مع شقيقاتها من الأقطار العربية، حتى تتوحد أمتنا العربية بأنبل معاني العزة والمعرفة لصالح الإنسان العربي في كل مكان.

ومنه التوفيق والسداد

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر: أخطار الحرب وفرص السلام في العام الجديد ...
- د. محمد الرميحي ٨

■ مؤتمر دولي .. للمسيحيين الصهاينة أيضا! - يوسف الحسن ١٧

■ أوراق مطوية: المستشار مؤمن
- د. عبد الوهاب عوض ٢١

■ حلم زليل (قصيدة)
- يوسف عبد العزيز ٢٨

■ تلوث البيئة .. تلوث خطر جديد.
- د. أسامة الخولي ٣٠

■ المصفيات الكلوية.
- د. غسان حتاحت ٩٠

■ هدية العربي: الأحجار الكريمة ٦٣

■ قياس الشخصية بين الفلسفة والعلم؟.
- د. كاظم ولي آغا ٧٤

■ الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر.
- د. عبد العزيز كامل ٧٦

■ العرب .. والبترول .. والصين.
- أحمد رأفت بهجت ٨١

■ العلم والتعليم في الأرض المحتلة.
- توفيق أبو بكر ٨٧

■ نتيجة مسابقة القصة القصيرة ... ٩٣

● تيمور (قصة) - سحاب محمد نوري ٩٤

■ نظرات ابن خلدون.
- د. حسن فتح الباب ١٠٠

● الثروة السمكية وقانون البحار.
- علي عبد الأمير ١٠٨

● علم الفلك والحضارة الإسلامية.
- د. عفيف بهنسي ١١٦

● أسلحة الفضاء - رؤوف وصفي ١٢٤

● لحظات من الزمن العربي
- د. محمد المنسي قنديل ١٣٢

لقطة من نيبال .. سقف العالم ومجمع المعابد والأساطير .. ان ابتسامتها تحكي قصة شعب. طالع الاستطلاع ص ٣٦.

■ رسالة المغرب الثقافية
- علاء الدين حسن ١٤٨

■ فرح أخير (قصة) - سهيل أيوب ١٥٩

● رسالتي! (قصيدة) - جهاد السالم ١٨١

■ من مذكرات طبيب نفسي
- د. عبد الرؤوف ثابت ٢٠٩

■ لم يختطفون الأحباء؟
- عبد القادر عقيل ٢١٦

استطلاعات ومقابلات

■ نيبال .. سقف العالم ومجمع المعابد والأساطير - سليمان مظهر ... ٣٦

■ وجهاً لوجه: محمد حسنين هيكل.
- محمود المراغي ٦٤

■ صيدا بعد عام على التحرير.
- سليمان الشيخ ١٦٨

■ من السعودية: القافلة التي كشفت سر المسير - صلاح حزين ١٨٨

المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تطلب للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

أبواب العربي

- ■ عزيزي القارئ ٥
- ■ قاموس العربي ٩٨
- ■ أديب في قصص [illegible]
  - حسين أحمد أمين ١٠٦
- ■ مسرحية العربي ١٢٣
- ■ حكايات شرق وغرب ١٣٩
- ■ الجديد في الطب والعلم
  - د. أحمد يوسف زعبلاوي ١٤٢
- ■ مخترعون ومكتشفون ١٤٤
- ■ ملامح البشرية في سلالة قبيلة ١٤٦

● منتدى العربي

- ■ الكتابة فن وتكتب أبي القوت وتحطمه .
  - د. لبيب نصور ١٥٣
- ■ قسطنطين الإفريقي .
  - د. صفاء خلوصي ١٥٦

● جمال العربية .

- ■ سلسلة لغة : أفعل التفاضل من المعرب .
  - محمد خليفة التونسي ٢١٢
- ■ صفحة شعر . رثاء الأندلس ٢١٤

● من مكتبة العربي :

- ■ كتاب الشهر . مفاهيم الغرب .
  - بطرس قنطيلي ٢١٨
- ■ من المكتبة العربية . المكتبات في مصر .
  - عبد الرحمن أبو عوف ٢٢٥
- ■ مكتبة العربي . إشارات ٢٢٩
- ■ حوار القراء ٢٣١
- ■ مسابقة العربي الثقافية ٢٣٤
- ■ حل مسابقة العدد (٣٢٣) ٢٣٦
- ■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٣٨

البيت العربي

- ■ التدخين مجرد تسلي !
  - د. إبراهيم أبو طاحون ١٩٤
- ■ البدانة صحة أم مرض ؟
  - د. سامي محمود علي ١٩٧
- ■ همس .. همس ٢٠١
- ■ من الحياة : يحتضن قلبه بحب القلب والنفس !
  - نجيب نصيف ٢٠٢
- ■ طبيب الأسرة . الصيدلية المنزلية .. محتوياتها وتنظيمها ورعايتها
  - د. عبد الكريم أبو شريب ٢٠٥
- ■ مساحة ود . صداقة الفتاة .
  - محمود عبد الوهاب ٢٠٨

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

وفرص السلام في العام الجديد

أكثر القضايا الساخنة بعد الحرب الثانية لم تحل ولابد وأنها ستحل على مستوى القمة.

واشنطن: التدخل السوفيتي في العالم الثالث سبب التوتر.

لينين: الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، وسقوط النموذج الرأسمالي يبدأ بخلاص المستعمرات.

هذا العام هو العام الدولي للسلام، تلك الكلمة المحببة للقلوب البشرية جمعاء، فقد أصبح السلام والأمن أمنية غالية يعيش العالم - كل العالم - على أملها وانتظارها.

ولعل الاجتماع الذي عقد في نهاية شهر نوفمبر الماضي بين زعيمي أكبر دولتين في العالم اليوم: رونالد ريجان وميخائيل جورباتشوف، لعل ذلك اللقاء هو علامة متفائلة لمحاولة إحلال السلام على الأرض، وطمأنة البشرية أنها لن تصحو فجأة في صباح أحد الأيام القريبة، لتصطدم بأن العالم الذي نعيش فيه قد أصبح - أو كاد - هباء منثورا.

ولكن قصة السلام قصة طويلة ، والوصول إليه في كل بقاع العالم محاولة شبه مستحيلة ، وهي أقرب في استحالتها – في تقديري – إلى إمكان أن يقفز الإنسان من على ظله .

لا أدري لماذا شعرت – أنا وربما ملايين غيري – ونحن نتابع التمهيد للقاء الزعيمين العظيمين ، ثم وقائع لقائهما ، ومن بعد ذلك التحليلات الكثيرة التي انهمرت في الصحافة العالمية تفسر وتبرر ما وصلا إليه وما تعثرا فيه من قضايا العالم . . . .

لا أدري لماذا شعرت وأنا أتابع كل ذلك ، أن الزعيمين – في محاولتهما لحل مشكلات العالم – كانا في الحقيقة يحاولان القفز من على ظلهما .

ولكن لنبدأ القصة من البداية .

□ القصة تبدأ هنا أيضاً بسؤال منطقي : –

هل يشعر العالم حقيقة بالخطر الماثل أمامه ، وهو خطر جامح يتهدده بالفناء من بكرة أبيه نتيجة هذا المخزون الهائل من السلاح النووي ، أم أن العالم يعيش في صراعاته الجانبية دون الالتفات بشكل جدي لذلك الخطر وكأنه غير قائم ، هذا الخطر مرتهن في وقت ما بحسابات بضعة رجال هنا أو هناك ، قابعين في أحصن المخابئ الموغلة في التحصين إلى أمتار كثيرة تحت الأرض ، وفي حساباتهم واستنتاجاتهم بما يمكن الخيار بين استمرار الحياة والحضارة على كوكبنا ، أو شلها على أقل تقدير شللاً قد لا تشفى منه .

والسؤال الأكثر تحديداً ودقة : هل يشعر القادة الكبار ومستشاروهم ، خاصة قادة الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، بأن هذا الخطر المحدق بالإنسانية قائم ومؤكد الوقوع أم أن المصالح الآنية والقومية الضيقة نسبياً هي التي سوف يكون لها الكلمة العليا ، كما كان لها دائماً الكلمة العليا في تاريخ البشرية الحزين والمليء بالمآسي ؟

لقد كانت قمة جنيف في نهاية نوفمبر الماضي هي القمة الثانية عشرة في سلسلة لقاءات الزعماء الغربيين ، وقد أسهمت في بعض منها قوتان أخريان بجانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي هما بريطانيا وفرنسا ، ومع مرور الزمن وتضاؤل فعالية القوتين الأخريين على المستوى الدولي ، أصبحت القمة تعني على الأرجح لقاء زعيم الولايات المتحدة مع زعيم الاتحاد السوفيتي فقط لا غير .

إحدى عشرة قمة خلت منذ أن توقف التحالف بين الاشتراكية والرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية ، وأصبح حلفاء الأمس أعداء اليوم يبحثون عن طرق مقبولة لكلا المعسكرين لتثبيت السلام بينهما ، أو على الأقل لعدم التورط في حرب شاملة ، وإن تسربت بين فترة وأخرى حروب محدودة هنا وهناك سرعان ما أصبحا طرفاً مباشراً فيها أو غير مباشر .

□ تلك القمم الإحدى عشرة – وبعدها القمة الأخيرة – لم تكن كلها إيجابية كما لم يكن طريق التفاهم فيها سهلاً سلسلاً ، بل أفرز بعضها نتائج سلبية أدخلت العالم في عرف عالم . ولكن كل تلك القمم – منذ الأولى والثانية ثم الأخيرة – كانت لقاءات جرت تحت مناخ المجابهة بين الشرق والغرب . كان اللقاء الأول في يوليو ١٩٤٥ في بوتسدام

وكان الغرض هو تقسيم المانيا بعد الحرب ، وكان اللقاء الآخر بعد عشر سنوات في يوليو ١٩٥٥ في جنيف والذي حضرته القوى الأربع : بريطانيا وفرنسا بجانب الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، وراقبا تفاعل العالم هذا التفاؤل الذي انعكس على الاعلام والرأي العام العالمي في المؤتمر وسمي هذا التفاؤل « بروح جنيف » حيث بدا للعالم وقتها أن القوى الكبرى عقدتا على فترة استرخاء ، خاصة بعد تعادل ميزان القوى ووقوف الاتحاد السوفييتي موقف الند للولايات المتحدة ، فقد سقطت الحصانة الاستراتيجية للولايات المتحدة بعد أن طور الاتحاد السوفييتي قوته النووية . هذا التفاؤل ما لبث أن تلاشى ، فدخل العالم في أزمة سميت باسمها « قضية برلين » عقد من أجلها ثلاث قمم في سبتمبر ١٩٥٩ في « كامب ديفيد » بين أيزنهاور وخروتشوف ، ثم في مايو ١٩٦٠ في باريس ثم في يونيو ١٩٦١ في فيينا .

وبعد مشكلة برلين انتظر العالم ست سنوات تقريباً ليشهد قمة أخرى هذه المرة بسبب قضية الشرق الأوسط والشمال أزمته ونتائج « حرب الأيام الستة » بين العرب واسرائيل وهي القمة التي عقدت في يونيو ١٩٦٧ بين جونسون وكوسيجين في جلاسبورو ـ نيوجيرسي في الولايات المتحدة . وبعد ست سنوات أخرى انطلقت القمة الخامسة هذه المرة في موسكو بين نيكسون وبريجنيف في مايو ١٩٧٢ وكان من نتائجها الاتفاق على المعاهدة الأولى للحد من الأسلحة النووية . وأعقب ذلك في السنة التي تليها في يونيو ١٩٧٣ لقاء نيكسون وبريجنيف في واشنطن وهي القمة التي وضعت فيها معاهدة الاتفاق النووي . وفي يونيو ويوليو ١٩٧٤ تم اللقاء بين نيكسون وبريجنيف أيضاً في موسكو ويالطا وكانت المحادثات تدور حول الحد من الأسلحة النووية ، وفي نفس العام في نوفمبر عقدت قمة أخرى في فلاديفوستك في الاتحاد السوفييتي ، وبعد خروج نيكسون من الحكم في الولايات المتحدة ، وكانت بين جيرالد فورد وبريجنيف . ثم جاءت القمة الحادية عشرة بين جيمي كارتر وبريجنيف في فيينا في يونيو ١٩٧٩ . وأخيراً قمة « جنيف الثانية » في جنيف بين ريجان وجورباتشيف في نوفمبر الماضي .

☐ لم يتابع العالم قمة من قمم اجتماع الزعماء الكبار كما تابعها في اجتماعات جنيف الأخيرة ، والتي أعادت الى الذهن ذكرى روح جنيف المتفائلة قبل ثلاثين سنة على وجه التقريب (قمة يوليو ١٩٥٥) .

لقد كانت هذه القمة ـ كما كانت قمة جنيف الأولى ـ قد عقدت دون وجود أزمة ملحة يراد حلها بشكل سريع ، بل كانت لاستطلاع آفاق سلام تمتد بعد قطيعة طويلة ، وفي أجوائه توازن دولي .

لقد استمر اللقاء بين الجانبين في مفاوضات طويلة الى ما يقارب الخمس عشرة ساعة ، كان من بينها ستة اجتماعات خاصة لم يرافق الزعيمين فيها غير المترجمين المختصين ، ويبلغ مجموع ساعاتها خمس ساعات . أي أن ثلث وقت الاجتماع قد قضاه الزعيمان يتحدثان الى بعضهما بعضاً دون جدول أعمال مسبق .

سبق هذا الاجتماع في جنيف حملات اعلامية متبادلة أحيط فيها ميخائيل جورباتشيف بهالة الرجل القوي ذي الفهم المتميز الذي استطاع أن يشق طريقه الى

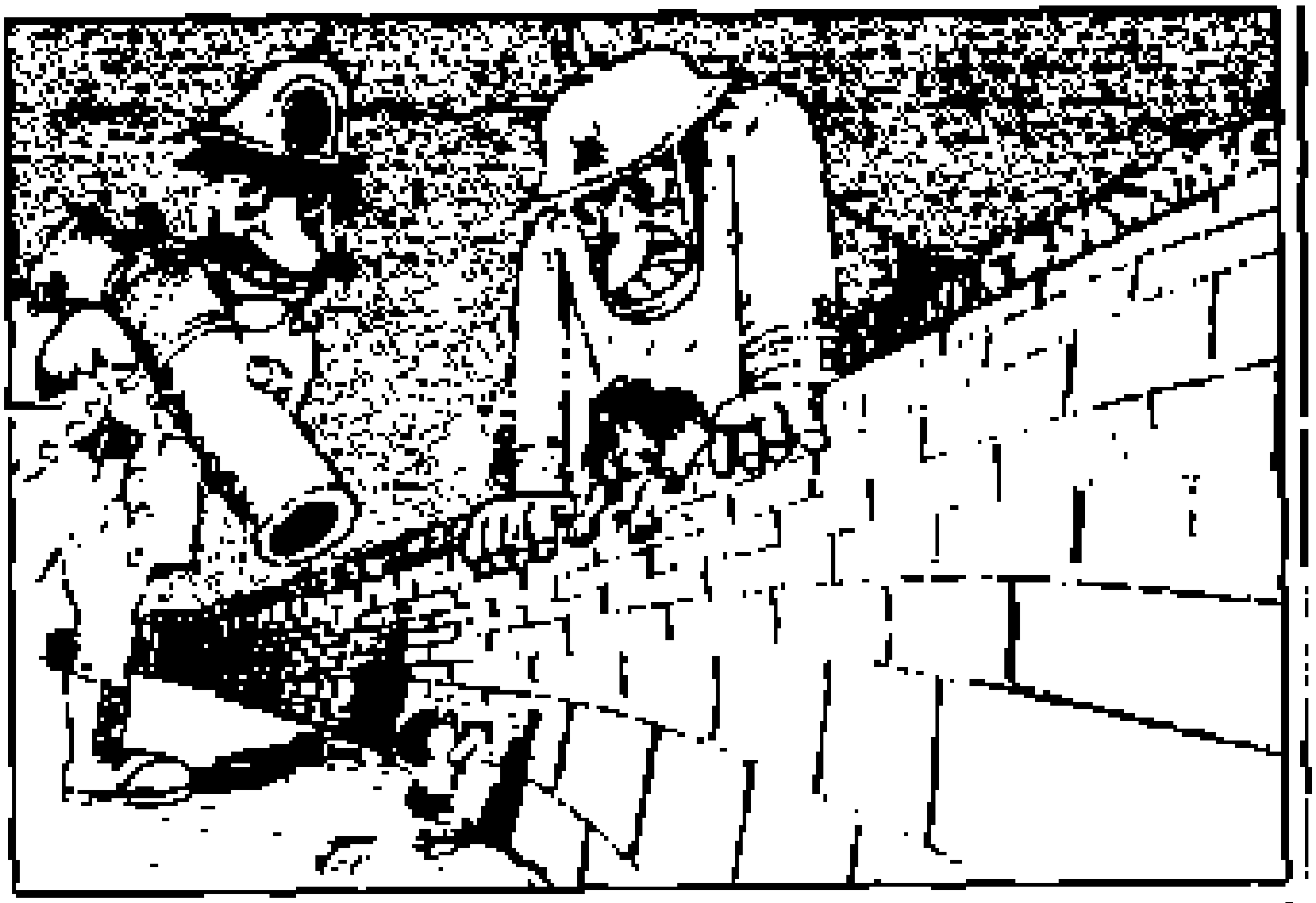

قمة السلطة في بلاده ، في وجه مزاحمة حادة وفي سن متقدمة نسبياً ، يتمتع بغير مسبوق ـ مستنداً إلى فهم واسع لمشكلات العالم ، نسبه عبر مجلة للصحافة الأمريكية التي لم تخف إعجابها الشديد بطريقته في معالجة مشكلات بلاده الاقتصادية والسياسية ، مشيدة بمرونته وصدق نواياه . كما أن رونالد ريجان نفسه ـ الذي كان البعض يتخوف من أن غريمه سوف يسيطر عليه وهو يعزف عن مستشاريه وبرغم تقدمه في السن ، وانصراف اهتمامه إلى تصفح القضايا الشاملة دون تفاصيلها ، استطاع أن يشن حملة إعلامية صادقة مظهراً التشدد في كل القضايا المحتمل طرحها للنقاش .

وبعد يومين من المناقشات والاجتماعات أسفر الاتفاق بينهما ـ في حدود ضيقة ـ عن اتفاقية مكتوبة للتبادل الثقافي وتصريح للصحافة قالا فيه : إننا أصبحنا على درجة من الفهم المتبادل أكثر مما كنا في السابق !

ولكن هذا ما ظهر على السطح أما ما ترسب في الأعماق فقد ظهرت منه مؤشرات قليلة سوف يتلاحق ظهورها على مر الأيام ، فإن لم يكن أحد يستطيع أن يقفز على ظله ، فلا بد إذن من التعايش مع هذا الظل والقفز على ظل الآخرين !!

الرجلان فقط ريجان وجورباتشوف ومعهما مترجمان مؤقتان .. هؤلاء الأربعة فقط يعرفون على وجه الدقة كيف سارت الأمور وما على الجميع ـ الرئيس وبعلين ـ إلا ترقب النتائج التي تظهر شيئاً فشيئاً ، وكل ما نعرفه الآن ليس سوى تلك التفاصيل الظاهرة لما سوف يكشفه التاريخ في وقت لاحق عن قمة مسألة النار في جنيف .

□ ثلاث قضايا رئيسية دار حولها النقاش ، وربما صار فيها اتفاق لما وضعت بين أيدي الخبراء في أوقات لاحقة ، تلك القضايا في خطوطها العريضة هي : سباق التسلح وخاصة تسليح الفضاء الخارجي (المبادرة الدفاعية الاستراتيجية) أو ما يسمى

شعبيا « بحرب النجوم » . ثم موضوع حقوق الانسان . وأخيراً الصراعات في العالم الثالث - التي يقف كل من الطرفين حيالها إما مؤيداً وإما معارضاً . .

ومن الملفت للنظر أن القضية الأولى (سباق التسلح) والقضية الثانية (حقوق الانسان) هما القضيتان الأسهل معالجة رغم كل الضجة الاعلامية والتهويل حولها .

فالقضية الأولى « سباق التسلح » خاضعة لحقيقة عرفها الطرفان منذ مدة طويلة وعلى وجه التحديد منذ الصيف ١٩٤٩ ، عندما فجر الاتحاد السوفييتي أول قنبلة نووية ، وامتلك بذلك التوازن الاستراتيجي . عندما أصبحت القضية قضية كم أكثر منها قضية كيف ، فقد حكمت العلاقة بين القوتين حقيقة أن لا الاتحاد السوفييتي ولا الولايات المتحدة يستطيع أي منها مهاجمة الآخر دون أن يواجه الباقي بالعنوان القاتل مؤثرا ، كما أن أيا منها لا يملك القدرة على توجيه الضربة الأولى وأن يأمن دمار الضربة المضادة .

تلك الحقيقة هي التي جعلت لقاء القوتين ممكنا وأصبحت محاولة الوصول الى اتفاق بهذا الشأن هي الشغل الشاغل لكليهما .

فالمبادرة الدفاعية الاستراتيجية الامريكية أو « حرب النجوم » وفكرتها هي الوصول الى قدرة تحطيم أية قوة صاروخية هجومية وهي في الفضاء قبل وصولها الى هدفها ، وبالتالي ابعاد تأثيرها عن أهدافها الأرضية ، هي بمثابة مظلة فضائية لحماية الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من البلايين من الدولارات التي سوف تنفق على هذا البرنامج شبه الخيالي فان الاتحاد السوفييتي الذي يتخوف في الأساس من الدخول من جديد في سباق تسلح باهظ التكاليف ، قد قدم اقتراحه الذي درس في القمة الأخيرة ، وهو انه في مقابل وقف مبادرة الدفاع الاستراتيجية (برنامج حرب النجوم) يجري خفض خمسين بالمائة من المخزون النووي الاستراتيجي . وفي حقيقة الأمر فان الموضوع المعروض هو تخفيض امكانية تدمير العالم عشرين مرة الى عشر مرات فقط !

أي أن القدرة على التدمير ستبقى كبيرة . والمطلوب فقط هو الاكتفاء بما أهدر حتى الآن من ميزانية القوتين وتوجيه الجهود للاتفاق .

سياسة الولايات المتحدة لهم رأي آخر ، فهم أولا مقتنعون بنجاح برنامج « حرب النجوم » ، وهم فوق ذلك يعتقدون أن تمكين الاتحاد السوفييتي من النمو الاقتصادي وتحويل مبالغ أكبر من ميزانيات السلاح الى الميزانية الانتاجية ، يجعل له قدرة تنافسية أكبر !

أما القضية الثانية (قضية حقوق الانسان) فهي في حقيقة الأمر تعني وضع اليهود السوفييت وتمكينهم من الهجرة الى الغرب أو الى اسرائيل . تقول لنا التقارير إن رونالد ريجان قد ذكر ذلك لميخائيل جورباتشوف في أحد لقاءاتها المنفردة ، ورد عليه الأخير بأن حقوق الانسان في أمريكا مازالت بحاجة الى عناية أكبر .

وهكذا انتهت القضية الى أن تصير مجرد استعراض تغذي به أجهزة الاعلام لا أكثر .

ولكن بيت القصيد انما هو في القضية الثالثة وهي حروب العالم الثالث ونزاعاته والتي ليست بعيدة عنا نحن العرب .

□ حتى نعرف كيف ستسير الأمور في اطار النزاعات في العالم الثالث ، لا بد أن نعرف كيف سارت الأمور في النزاعات السابقة .

فأزمة برلين مثلا ، التي عقد حولها ثلاثة اجتماعات قمة ، وكانت تقف قوسين أو أدنى من التفجير ، حلت عن طريق ترك الشرق يسود برلين الشرقية مع ترك برلين الغربية مفتوحة على ألمانيا الغربية ثم يأتي قول برانت وبادرته السياسية « الاتجاه الى الشرق » (أوست بوليتيك) في السبعينات وبداية السبعينات ، لتخمد الجذوة من بعد ذلك وتتحول بؤر الصراع الى أماكن أخرى . وهذا السيناريو يجري من الاختلاف ، ينطبق على مناطق صراع سابقة مثل كوريا ، وفيتنام ، وانجولا ، وكمبوديا

في معظم هذه المناطق الساخنة السابقة والتي كان يبدو لأول وهلة أن مشكلاتها غير قابلة للحل ، حلت بشكل أو بآخر من خلال استخدام العناصر النشطة المحلية عن طريق السياسة أو عن طريق السلاح .

ولكن الحقيقة الأخرى الباقية للعيان هي أن الخلاف بين القطبين يظهر أكثر ما يكون بروزا في مناطق العالم التي تسمى بالعالم الثالث ، هذه الدول وشعوبها دفعت عددا من الضحايا في حروبها المحلية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، يعتقد المراقبون أنه يفوق عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية .

ففي الأربعين سنة الماضية بين ١٩٤٥ والعام الذي ودعناه قبل أيام شهد العالم حوالي مائة وعشرين حربا محدودة معظمها فيما بين الدول النامية أو على أرضها ، وحتى اذا كانت الأرقام الدقيقة غير متوفرة فالتقديرات تتحدث عن عشرات الملايين من الضحايا في مناطق مختلفة من العالم . هذه الحروب والنزاعات أشعلتها أو شجعتها بلاد مثل الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل ، أو كانت حروبا اهلية أو مقاومة شعبية كانت نتيجة لتدخل دولة كبيرة مثل الاتحاد السوفيتي كما في افغانستان اليوم . هذه الحروب بمجملها استخدمت فيها جميع المعدات الحديثة للحرب ، ومن جرائها سقط ملايين القتلى والجرحى - وحتى السلاح النووي فقد هدد باستخدامه تكتيكيا من قبل كل من اسرائيل وجنوب افريقيا في وقت من الأوقات .

والمشكلة أن الأطراف المتداخلة في هذا النزاع تبرر هذا التدخل تبريرا أيديولوجيا وهو في حقيقته تسابق على اكتساب المواقع في العالم الثالث .

□ تتعالى الاتهامات بالتدخل في نزاعات العالم الثالث متبادلة بين القطبين الامريكية والسوفيتية ، كل تتهم الأخرى بالتوسع وبسط نفوذها على دول العالم الثالث . ساحة الصراع الحقيقي ومجال المناورة وتحقيق الانتصارات أو الهزائم ، ولعل الساحة الاعلامية قد شهدت أهمية هذا النوع من الصراع ، فقد صدرت في العامين السابقين مجموعة كتب من الجانبين تدلل على أن هذا التدخل أو ذاك في العالم الثالث مطروح من هذه القوة أو تلك .

ولي كتابين صدرا أخيرا - من جملة كتب كثيرة - أحدهما سوفيتي كتبه الكاتب السوفيتي ف . أ . كريمنيوك وعنوانه « أمريكا وحركات التحرر الوطني (١٩٨٣) » . والآخر بعنوان « الاتحاد السوفيتي وصراعات العالم (١٩٧٦) » من تأليف بروس بورتر ، ويدلل الكاتبان على اعتقاد صحة الاتهامات من جهة وتبرير

للتدخلات من جهة أخرى .

منذ ١٩٤٥ وحتى اليوم شهدت استراتيجية القوتين العظميين في العالم ، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، تواجدا متصاعدا على أراضي العالم الثالث وأقطاره . فالقاعدة الأيديولوجية التي ينطلق منها الاتحاد السوفيتي في مساعداته للعالم الثالث هي أفكار لينين قائد ثورة البولشفيك المنتصرة في ١٩١٧ ومؤسس الدولة السوفيتية الحديثة . وقبل أشهر من انتصار ثورة أكتوبر ١٩١٧ أصدر لينين مؤلفا غدا مشهورا بعد ذلك بعنوان : « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » . أضاف فيه لينين اضافات أخرى الى نظرية كارل ماركس حول تطور الرأسمالية وذكر فيه أن الاحتكارات الضخمة التي تسيطر على النظام الاقتصادي الرأسمالي ستدفع بالدول الرأسمالية الى البحث عن مناطق جديدة لتكون منافذ للاستعمار والربح . ورأى أن هذه (الامبريالية) يمكن أن تؤجل الى حد ما سقوط النموذج الرأسمالي في الانتاج من خلال التدفق الاقتصادي الجديد من تلك المستعمرات والذي يؤخر بدوره انفجار حدة الصراع بين الطبقات المختلفة في تلك الدول الرأسمالية . لذلك اذا كان من الصعب مواجهة الامبريالية في عقر دارها فلماذا لا تواجهها في مستعمراتها الجديدة ؟ !

على هذه القاعدة الأيديولوجية سارت الدولة السوفيتية خاصة بعد أن أثبتت بعض الحوادث التاريخية صحة المقولة ، فقد فشلت بين ١٩١٩ و ١٩٢٤ مجموعة من الانتفاضات الاشتراكية المسلحة في مناطق مختلفة من أوروبا ، لأنها دول كبيرة وقوية نسبيا .

فالدولة السوفيتية الوليدة نشطت في البداية في محاولة الالتفاف على (الامبريالية) للتوسع بتشجيع الحركات الثورية المعادية للتوسع الاستعماري . وكانت الخطوات الاولى هي تسليح كمال أتاتورك بعد معاهدة مارس ١٩٢١ بينه وبين الاتحاد السوفيتي ثم تلا ذلك الدعم الذي أعطي لحركة الصين الوطنية (صن يات صن) بين ١٩٢٣ ـ ١٩٢٧ . الا أن هذا الخط الايديولوجي لم يتطور بل انتكس أثناء حكم جوزيف ستالين في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ، ولقد عكس ستالين القاعدة بعد أن شهد الدعم السوفيتي لبعض الحركات الثورية انتكاسات متعددة كما حدث على سبيل المثال في اسبانيا ابان الحرب الاهلية ونتيجة أيضا لانشغاله في برنامج اقتصادي داخلي للتطوير ، ظهر جوزيف ستالين في تلك الفترة بوجهة نظر تقول : إن العالم يتكون من معسكرين فقط : المعسكر الاشتراكي والمعسكر الامبريالي ، وان الدول حديثة الاستقلال في العالم الثالث ليست سوى ، غطاء ، للاستعمار وأن قادتها البرجوازيين هم أعداء حركة التحرر ولا يستحقون دعم الاتحاد السوفيتي !

هذه السياسة أدت الى تضييق حركة الاتحاد السوفيتي في دول العالم الثالث حتى حلول الحرب العالمية الثانية .

بعد الحرب ، وخاصة بعد انتصارات الحزب الشيوعي في الصين ١٩٤٩ والتي لحقت بجذورها سلسلة من الحركات الوطنية في جنوب شرق آسيا ـ رجع الاتحاد السوفيتي الى مقولة لينين من جديد حول زيادة التناقض لدى الامبريالية عن طريق تقليص ممتلكاتها في الخارج .

ولكن أضيف الى تلك المقولة بعد آخر هو أن الاستغلال الامبريالي لهذه الدول في العالم الثالث زاد من حدة الصراع الاقتصادي والاجتماعي في مجتمعاتها ، وبالتالي فإنه من الطبيعي أن تطالب بالانعتاق من هذه التبعية ، وما الاتحاد السوفييتي الا صديق ومعاون لتلك الشعوب . وهي الفكرة نفسها التي قيل إن جورباتشيف قد استخدمها في رده على ريجان عندما أثار الاخير موضوع تدخل الاتحاد السوفييتي في مناطق الصراع المحلية ، خاصة أمريكا الوسطى وأفغانستان . لقد ذكر أن جورباتشيف قال ان مشكلة العالم الثالث ليست في تدخل الاتحاد السوفييتي في شؤونه ، فهناك قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية خلف ما يجري هناك ، ومن يرى أن يد موسكو خلف المشكلات الاقليمية فإن هذا الرأي غير مقبول . ومن الطبيعي أن يوصف أصحاب هذا الرأي بجهلة التاريخ !!

☐ ومنذ منتصف الخمسينات أصبحت قوى التحرر في العالم الثالث قوى جديدة محبة للسلام ، وتبع ذلك ظهور فكرة الحياد لدى تلك الدول بين المعسكرين الشرقي والغربي . ومنذ ذلك الوقت فإن مناطق النزاع تتغير ، ولكن القوى الفاعلة هي هي ، ولعل قمة التصعيد كانت حرب فيتنام التي منيت فيها الولايات المتحدة بهزيمة منكرة أجبرتها على التراجع وتغيير تكتيكاتها بشكل جذري .

الولايات المتحدة

وعلى القاعدة أيديولوجية مشابهة سارت الولايات المتحدة ، فهي حتى الحرب العالمية الأولى في ركن قصي من العالم ، وكانت اهتماماتها في ذلك الوقت لاتتعدى القارة الاوروبية منبع المهاجرين الامريكان على أقصى حد ، كما أن نقاط ولسون الأربع عشرة ابان الحرب الاولى كانت تدعو لتقرير المصير وتحرير المستعمرات وأصبح لها صدى ايجابي لدى كثير من زعماء العالم الثالث ، الا أن الحرب العالمية الثانية وبعد التوسع الشديد الذي شهدته المؤسسة العسكرية الأمريكية جعل أمريكا دورا جديدا في العالم ، فقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها انتشال أوروبا التي خرجت من الحرب شبه محطمة من طريقين : اقتصادي وعسكري ، فبجانب التزام الولايات المتحدة بحلفائها في حلف شمال الأطلسي أصبح لها حتى الآن أكثر من خمسين التزاما لمساعدة حلفائها المنتشرين بين أنحاء العالم ، بعض هذه الالتزامات مات موتا طبيعيا (كما في حلف بغداد) وبعضها مازال قائما ، وكانت « القتال ضد الخطر الشيوعي » هو القاعدة الايديولوجية المشتركة لكل تلك الالتزامات . نظرت الولايات المتحدة بعد الحرب الى كثير من حركات التحرر الوطني في العالم الثالث على أنها ثورات تخريبية ، خاصة تلك التي تعتبرها أمريكا ثورات متطرفة . وتجد أن جون فوستر دلاس ، أحد أشهر وزراء الخارجية الامريكان في الخمسينات (٥٣ - ٦١) وحتى قبل تعيينه في وزارة الخارجية عام ١٩٥٣ ، أعد مذكرة خاصة للحكومة الامريكية ومجلس الشيوخ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٠) وقد أوصى في تلك المذكرة بالنظر الى جميع الأحداث (الثورية) دون استثناء بما في ذلك حركات التحرر الشعبية سواء في بلدان أوروبا أو الصين أو جنوب شرق آسيا أو افريقيا على أنها (تدخل في برنامج أعمال التخريب المستقل الذي توجهه موسكو) . وكان هذا التحول ايضا من أطروحات الولايات المتحدة الليبرالية فيما بين الحربين ، التي كانت تدعو الى الغاء الاستعمار ، وعلى الأقل

تقدير كانت تقف موقفا ترتيبيا من حركات التحرير الوطنية . هذا الموقف التدرجي تحول الى معاداة ابان حكم ايزنهاور ـ دالاس . والاستثناء الوحيد هو موقف الولايات المتحدة من الاعتداء الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي على مصر سنة ١٩٥٦ . أما بعد ذلك فقد أعيدت الأمور الى سيرتها الأولى .

☐ وفي بداية الستينيات متعما وصل جون كينيدي الى سدة الرئاسة الاولى في الولايات المتحدة وشهد نتائج السياسة الخاطئة في الدعم المتواصل للأنظمة المتسلطة في العالم الثالث . وان تلك السياسة تعود على الولايات المتحدة بالخسران اذ ر اعادة النظر في العلاقات القائمة مع البلدان المتحررة وعلم مسلوا حركات التحرر في المستعمرات في العالم الثالث مع « الدول الاشتراكية » فتلك (غلطة سياسية كبيرة) . يمكن أن يدفع بتلك الحركات التحررية الى (احضان الشيوعية) . وحلت في حكم كينيدي سياسة « دعم التطور » بدلا من سياسة « دعم الأمن » التي تبناها جون فوستر دالاس سابقا من منظور « المرآة القليلة » .

وقد وضع كينيدي برنامجا نشطا لدعم السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة . لهذا الغرض أعيد تنظيم نشاط وكالة الاعلام الامريكية (USIA) وتزايد استخدام الذراع الاقتصادي وتوسيع برنامج المواد الغذائية . ولم تكن الآلة العسكرية بعيدة عن اطار هذا البرنامج فأعلن البرنامج العسكري (الاستجابة المرنة) ويعني عدم التدخل العسكري المباشر . ولكن الرد غير المحسوم . وقد كان درس الفشل في كوبا هو أحد الدوافع لكينيدي لوضع ذلك البرنامج .

مقتل كينيدي المبكر ووصول جونسون الى الرئاسة والتطورات العالمية الأخرى جعل جونسون يفرط في استخدام برنامج (الاستجابة المرنة) ثم تحول هذا البرنامج الى « تدخل شامل » منذ منتصف الستينيات . الامر الذي أدخل الولايات المتحدة ـ وبعض حلفائها ـ في نزاع مسلح وبشكل مباشر على أرض بلد من بلدان العالم الثالث « فيتنام » . وكان المشهد المركزي لسياسة الولايات المتحدة طوال عقد كامل (٦٥ ـ ١٩٧٥) هو مشهد الجندي الامريكي في فيتنام .

هزيمة أمريكا في فيتنام هي مفصل مركزي جعلت الولايات المتحدة تعيد النظر في التنافس التاريخي للنظامين العالميين ومن هنا شهد العالم لقاءات مكثفة على مستوى القمة (بين ٧٢ ـ ٧٤ أربعة لقاءات قمة) وأعلنت سياسة « الانفراج الدولي » . الا أن هذا الانفراج لم يلبث أن شهد حملة ضده . ويزعم مناهضو الانفراج في الولايات المتحدة أن السوفيت استغلوا الانفراج للتدخل في شؤون البلدان المتحررة حديثا في العالم الثالث ـ فهو ـ أي الانفراج ـ كما وصفه أحد الكتاب الأمريكان (شارع ذو اتجاه واحد يسمح للاتحاد السوفيتي بتحقيق أهدافه في الدول المتحررة حديثا دون التخوف من ردة فعل جوابية من الولايات المتحدة) . فهذه فيتنام هي التي حكمت هذه الفترة ـ خوفا من التدخل الامريكي المباشر ـ استبدل بها مبدأ نيكسون القائل بدعم القوى للحلفاء الاقليميين المحليين لم يجد بعد ذلك تشكيل قوات « الانتشار السريع » التي نادى بها كارتر سنة ١٩٧٧ .

وجاءت أحداث أفغانستان (ديسمبر ٧٩ - يناير ١٩٨٠) لتوقف قطار الانفراج ورفض الكونجرس التوقيع على المعاهدة الثانية للحد من الأسلحة النووية الموقعة بين كارتر وبريجنيف في فيينا يونيو ١٩٧٩ ، وقاطعت الولايات المتحدة الألعاب الأولمبية التي أقيمت في موسكو صيف ١٩٨٠ ، وقبل ذلك بقليل أقامت علاقات مع الصين وقررت تزويدها بصفقات من الأسلحة الأمريكية كما تصاعدت الحرب الكلامية والضغوط المختلفة حتى وصل ريجان الى السلطة في الولايات المتحدة بسياساته الجديدة التي أدخلت العالم في مفاهيم عسكرية وسياسية جديدة سُمّي بعض منها « بحرب النجوم » و « ارهاب الارهاب » . وانطبقت على ذلك الى حد لا يصدق كلمة الفيلسوف الامريكي سي . اندروس عندما كتب : (عندما يبدأ مجتمع بالشعور بأنه منهك بسبب بعض الفقر الشرور . . سيظهر شخص بنظرة زائغة في العيون اللامعة ويقول ها هو المخرج ! وسيتبعه العديد منا طالما انه يقول لنا أنه يعرف الى أين يسير)

ويبدو أن البحث عن بطل لإزالة آثار هزيمة فيتنام قد وجده الأمريكيون في شخص رونالد ريجان الذي انتخبوه مرتين والذي جعل أحد دهاة السياسة الامريكية المعاصرين وهو كيسنجر يصفه بالقول : (انه ليس مفكرا ولكن من جهة أخرى نراه يسيطر على كل عملية سياسية شارك فيها . وغالبا ما يقدم مقترحات غير مرضية من الناحية العملية ، ولكن غالبا ما يتضح ان هذه المقترحات صحيحة !) .

□ من أي منظور ننظر في علاقاتنا - نحن العرب - بالقوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، فإن مصالحنا ليست بالضرورة هي من أولويات أعمال الجبارين ، والصراع الذي خلفه خروج الاستعمار من آسيا وأفريقيا والشرق الاوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية برز الى الوجود بعد ظهور الدول الصغيرة والضعيفة التي فتحت شهية التوسع الاستعماري ، وكان أبشع أشكال التوسع هو التوسع الاستيطاني في فلسطين .

كما أنه من غير المنطقي ألا نهتم بالعلاقات بين القوتين العظميين لأن مواقفهما يؤثر بدرجة كبيرة على الموقف العام في العالم ، وعلى تطور العلاقات الدولية اجمالا ونحن جزء من هذا العالم .

الموقف الصحيح هو أن نعرف بالضبط أن حلول مشكلاتنا يكمن فينا أولا ، في وعينا وقدرتنا على رص صفوفنا ، وعلى فهم صحيح لرغبة شعبنا العربي الذي رفض في السابق ، ويرفض في الوقت الحالي ، أن يقع تحت أي من النفوذين خارج علاقات التعامل المتكافيء . واذا كنا كعرب نريد أن نسهم اسهاما حقيقيا في صنع السلام هذه . . فلا بد أن نبدأ بأنفسنا . قبل كل شيء . □

مؤتمر دولي للمسيحيين الصهاينة أيضاً..!

بقلم: يوسف الحسن
- واشنطن -

في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية المنعقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وصل القس البروتستانتي (وليام هشلر) الى قاعة المؤتمر بصحبة هيرتزل . وهتف بحياة الزعيم الصهيوني الرئيسي قائلا « يحيا الملك » . وخطب في المؤتمرين خطابا يقول « استعدوا يا أبناء اسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة الى وطنكم القديم في فلسطين » .

كان القس [illegible] من دعاة الصهيونية في [illegible] الأحزاب [illegible] عودة اليهود الى الاستيطان في فلسطين ، [illegible] الصهيونية [illegible] من تقدم الى هيرتزل [illegible] خريطة فلسطين [illegible] محدودة من الفرات الى النيل .

وبعد ٨٨ عاماً [illegible] القس [illegible] القديم ، انعقد في [illegible] ١٩٨٥ [illegible] مؤتمر صهيوني مسيحي دولي ، [illegible] أكثر من ٥٠٠ رجل دين [illegible] مسيحي ، وقد هتفوا بحياة اسرائيل الكبرى . وصفقوا من أجل [illegible] الموحدة الأبدية [illegible] الاعتذار في الأرض [illegible] وحركة [illegible] وطنية ونكسة المشروع الصهيوني [illegible] ومن أجل [illegible] أيضاً .!

شيء من التاريخ

قلة من المتخصصين في الصعيد العربي العام وخصوصاً الصعيد الفكري منه يعرفون أن أول من رفع الشعار القائل عن فلسطين [illegible] بلا شعب .. لشعب

بلا أرض » من قيادات مسيحية أصولية أوروبية وأمريكية ، وكان ذلك قبل بلوغ هيرتزل نفسه سن الرشد . وأن أول جماعة ضغط (لوبي) صهيونية تهدف دعم اقامة دولة لليهود في فلسطين قد أسسها كنسيون أصوليون في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٧ ، بزعامة القس (وليام بلاكستون) ، حيث أنشأ في شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن اسرائيل) ، ودعت لأول مؤتمر دولي لمناقشة (أوضاع الاسرائيليين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم) . وقدم هيرتزل نسخة من (العهد القديم) واضعا خطوطا وعلامات تحت النصوص التي تشير الى استعادة فلسطين . ولقد حفظت هذه النسخة في ضريح هيرتزل بالقدس .

لقد ساندت الصهيونية مؤسسات منذ نشأتها حتى الآن من مصادر متنوعة يهودية وغير يهودية ، وجمعت بين بواعث عديدة : سياسية ، واستراتيجية ، واقتصادية ، واستعمارية ، ودينية ... الخ . ولقد كتب الكثير حول هذه المقومات والبواعث ، لكن ميدان هذا الدعم الصهيوني ظل خفيا ومجهولا ، الا وهو دور فكر ومؤسسات الأصولية المسيحية (أو ما تسميه بعض المدارس الكنسية الأمريكية بالصهيونية المسيحية) في فتح الطريق وتمهيد الجسر النفسي والفكري والثقافي لولادة الحركة الصهيونية ، ودعمها في تنفيذ مشروعها وحمايته ، ودعم كيانه وتوسيعه وحمايته ، بالاضافة الى تعميق الشرعية الصهيونية لاسرائيل ، لدى معظم شعوب أوروبا وأمريكا ، التي تجاوزت مسألة الانتماءات الدينية ، لتصبح ، لأسباب الخلافات دوليا وثقافيا . والتي تتعلق بالعامل النفسي الشعبي والسياسي الرسمي ، وخصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية ، لأن يتحدث عن « اسرائيل » المعاصرة ، على أنها « اسرائيل » العهد القديم ، بمبررات دينية سياسية ، وأن يؤمن بتشابه تجربة مطاردة مهاجري الغرب هنود أمريكا الشمالية ، مع تجربة مطاردة اليهود للكنعانيين في الماضي وللفلسطينيين في الحاضر ، لتصبح حالات التعريب ضد صفة والثقافة الأمريكية ، استراتيجية مشتركة . وأن يعتبر المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، ليست غير شرعية . فالاستيطان تجربة مشتركة أصبحت وجدانا أمريكيا اسرائيليا واحدا .

الصهيونية أنشودة مسيحية

ويذكر (كيني) أحد أبرز القيادات الصهيونية اليهودية الأمريكية المعاصرة متباهيا حينما كتب في كتابه (خط الدفاع الاسرائيلي) يقول : لقد كانت الصهيونية أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية ، وقد انتشرت هذه الأنشودة الأصولية المسيحية طوال القرون الثلاثة الماضية ، وتجسدت بأشكال مختلفة ، كان من أبرزها مرحلة « الاصلاح » المسيحية البروتستانتية في أوروبا ، حيث فسر الاصلاحيون المسيحيون مسألة شعب اليهود في فلسطين بعد النفي ، المذكورة في النصوص الأولى للكنيسة ، على أنها « عودة اليهود كأمة الى أرض فلسطين من أجل التمهيد « للعودة الثانية للمسيح » .

كما ساعد كثيرا في منتصف القرن السابع عشر ، وخصوصا في عهد كرومويل ، الانفتاح العام الذي ساد فيه الشعب البريطاني وتحمسه بفكرة « اعادة » فلسطين لأصحابها التوراتيين » وذهب البعض الى اعتبار أن « العبرية » هي اللغة الثالثة للصلاة في الكنائس وقراءة الكتاب المقدس .

وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت مجموعات كنسية أوروبية ، تنادي « بضرورة استعادة اليهود للأرض المقدسة ، وأن اليهود هم « مفتاح الخطة الالهية للعودة الثانية للمسيح المنتظر » . وخلقت المطبوعات والمواعظ والمؤلفات جوا مسيحيا ملائما في أوروبا ، لولادة الصهيونية السياسية في أواخر القرن التاسع عشر .

وقد كان للتأثير الفكري والديني وخصوصا عقيدة « الحركة البروتستانتية الألفية » بعودة المسيح » كبيرا على معظم المواقف البريطانية الداعمة لمشروع الصهيونية ، ولاقامة دولة اليهود في فلسطين ، حتى أن بلفور صاحب الوعد المشؤوم ، ورغم تعصبه وعدائه السياسي لاقامة دولة لليهود في فلسطين ، فإن الطروحات « شعب الله المختار » ، وعودته الى أرض الميعاد » ، والنبوءات التوراتية بتجميع اليهود في

القطاع منها .... وسواء كنا نصلي للقدس الموحدة تحت الحكم اليهودي، أو من أجل الافراج عن اليهود السوفييت، فاننا يجب أن نملك الشجاعة للتحدث بصوت عال أمام حكوماتنا، وكل رسالة نبعث بها الى قيادات دولنا ستحمل بالضرورة حب الشعب الاسرائيلي».

وفي احتفالاتها في اكتوبر ١٩٨٤، حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحي جاءوا من أكثر من ٤٠ دولة، وقد تجمهروا في القدس وزاروا المستوطنات وسيروا المظاهرات تأييدا «لاسرائيل» ودعما لها.

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر بتاريخ ١٣ اكتوبر ١٩٨٤:

«لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء «اسرائيل» وبلديها، وكان شعارها «القدس كعاصمة أبدية «لاسرائيل» ....» و«أقيمت الصلوات المسيحية من أجل هذا الهدف».

فرقة أغاني صهيون

وتستخدم السفارة شبكة واسعة من أجهزة الاعلام لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها في كيفية خدمة القضايا الاسرائيلية. فهي تصدر مجلة اخبارية ربع سنوية اسمها (المراجعة) بالاضافة الى عشرات من الأوراق والنشرات والبيانات الدورية، وانتجت فيلما صهيونيا، وشكلت لجانا للعمل السياسي، ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية الى صانعي القرار في عدد من دول العالم. وصارت تدعى لجلسات الاستماع في الكونجرس الامريكي. وفي نفس الوقت رتبت حملات لجمع المال دعما لجنود «اسرائيل» اثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢، وتشكلت فرقة للغناء اسمها (فرقة أغاني صهيون) وجمعت المساعدات المالية، وشجعت بيع السندات الاسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية.

ويستشعر مسيحيو فلسطين المحتلة مدى خطورة هذه السفارة، ففي مؤتمر صحفي عقده المطران (ايليا خوري) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (الذي أبعدته سلطات الاحتلال عام ١٩٦٩) في نوفمبر ١٩٨٤ قال:

«ان وراء قيام هذه السفارة مجموعة من المسيحيين المهووسين، وباعتراف من القيادة الصهيونية، وبتشجيع منها بدعاوى الحفاظ على المصالح المسيحية في فلسطين، والتي تؤكد ان المسيحيين هم وراء من هذه السفارة وعلى رأسهم المسيحيون العرب».

ولعل أبرز نشاطات هذه السفارة مؤخرا، ذلك المؤتمر الدولي التي حرصت على عقده في نفس المكان الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية في مدينة بازل بسويسرا، وقد عقد مؤتمر بازل الجديد في ٢٧ ـ ٢٩ أغسطس ١٩٨٥ م وحضره أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية، جاءوا من ٣٢ دولة، اضافة الى أكثر من هذا العدد من المراقبين، حضروا من الصين والهند وسريلانكا ونيجيريا وجنوب افريقيا واليابان وساحل العاج وزائير، بعلاوة على ممثلين عن المنظمات الصهيونية اليهودية والمؤسسات الاسرائيلية. كما لوحظ مشاركة عدد من رجال الدين الكاثوليك الذين هاجموا موقف الفاتيكان من عدم اعترافه «باسرائيل».

وتقول واشنطن بوست في عددها الصادر يوم ٢٦/٨/١٩٨٥ على لسان القس (ديفيد لويس) أحد أبرز القيادات الصهيونية المسيحية الأمريكية:

«ستشهد الكنائس العالمية في المرحلة القادمة أعظم نقلة تشهده العالم المسيحي «حول موقف الكنيسة من «اسرائيل»».

اعلان بازل الجديد

وقد تركزت قرارات هذا المؤتمر على عدد من القضايا الرئيسية التي أبرزها:

١ ـ الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولي «باسرائيل» كدولة لليهود، ودعم عمليات تهجيرهم من شتى أنحاء العالم، وخصوصا من الاتحاد السوفيتي، لاستيطان الضفة الغربية وغزة، وتكملة المشروع الصهيوني الممتد من الفرات الى النيل، تحقيقا للنبوءات التوراتية.

٢ ـ مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية الحكومية والخاصة فتح أبوابها كاملة للمشاركة الاسرائيلية، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات اذا ما طردت منها «اسرائيل».

٣ ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية « لاسرائيل » ، ومطالبتها بنقل سفاراتها اليها .

٤ ـ ادانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٥ ـ مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .

٦ ـ تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين (بسبب المرحلين اللاجئين من « اسرائيل ») في الوطن العربي ، وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب في « اسرائيل » .

٧ ـ دعم ومساندة الاقتصاد الاسرائيلي وانشاء « صندوق استثمار مسيحي دولي » تكون الغاية منه في استرداد ورأسمال مبدئي قدره ستة مليون دولار ، ويختص بالصناعات التقنية والسياحية في « اسرائيل » .

٨ ـ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية « لاسرائيل » .

٩ ـ تعبئة الكنائس لنصرة « اسرائيل » ، وانشاء تنظيمات بجذور شعبية ضد العداء لها ، ومطالبة مجلس الكنائس العالمي بالاعتراف بالرابط الخاص بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة ودولته « اسرائيل » .

١٠ ـ مواصلة انتظار المسيح ، والعمل لفتح وتملك الاماكن المقدسة في القدس .

ما العمل ؟

لا بد ان يشكل انتشار الصهيونية المسيحية الاصولية ، وصعودها على المسرح السياسي والمجال الاعلامي ، وتأثيرها في عقل المجتمع المدني الرسمي الغربي بشكل عام والامريكي بشكل خاص ، خطورة وقلقا بالغين .

فهذا التيار يشكل « هرطقة » دينية تسيء الى المسيحية الصحيحة ، ويتوازى الى خلق امكانيات حدوث صدام ديني في القادم من السنين . خصوصا مع تصاعد وتنامي الاحتقان الديني في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، وانتشار الاحتقان الطائفي في انحاء متفرقة من العالم ، وتزايد الدعم الامريكي « لاسرائيل » وخصوصا في استكمال مشروعاتها التهويدية وتقسيم الأماكن المقدسة في القدس ، وما تلعبه المنظمات الصهيونية المسيحية من أمثال السفارة المسيحية الدولية ، ومنظمة بناء المعبد ومنظمة (الاغلبية الاخلاقية) ، وغيرها كثير في تدعيم طموحات التوسعية والتهويدية الاسرائيلية ، وما تمارسه هذه المنظمات من استفزاز للمشاعر الوطنية والقومية والدينية للعرب والمسلمين في شوارع المدن العربية المحتلة أو في المساجد المحتلة .

كل ذلك مدعاة للمتصدرين للعمل العام الرسمي والشعبي في الوطن العربي ومدعاة لاقتحام هذا الملف ، والتعامل معه والحيلولة دون استمرار استغلال الصهيونية للكنيسة سياسيا ودينيا .

ثمة مقترحات عديدة ومثيرة يمكن طرحها في هذا المجال ، ابتداء من انشاء مؤسسة لحوار اسلامي ـ مسيحي دائم ، وتدعيمه بميزانية ، وجسور مستمرة من اللقاءات والاعمال المشتركة يصبح فيها مفكرون ورجال دين مسيحيون عرب يعون ويدركون هذه القضايا دورا أساسيا ، مرورا بالعلاقات مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة السوداء ، وبعض الطوائف البروتستانتية ، مثل الميثودية ، والمعمدانية ، والكنيسة المتحدة في اوروبا وامريكا ، والتي لها اتجاهات مخالفة للأولى يمكن التعامل معها .

ان الصهيونية الاصولية المسيحية ليست مجرد منظمات كنسية تدعم خرافة « اسرائيل » وسياساتها فحسب من تمويل ، ودعم لها ، وتبرعات . بل تشكل تيارا رئيسيا ويمثل شعبي لا يجوز معه التجاهل او بالتغافل عن تأثيره وقوته . فقد وصلت رسالة الصهيونية المسيحية بفعل ما تملكه وتديره من وسائل اعلامية وخصوصا التلفزيون ، الى عشرات وعشرات الملايين من الأمريكيين ، مستثمرة بفعالية عالية ما تسمح به الثقافة الأمريكية في تعدد المساحات من حرية « شخصية » و « تقنية » . ووصلت الى خارج حدود الكنيسة الى التأثير في الفكر والثقافة الشعبية وسارت مع التيار السياسي اليميني الحاكم في الثمانينات من هذا القرن وفي أقوى دولة على الأرض . ويخطيء من يعتقد ان الكنيسة في امريكا لا دور لها ، بسبب ما يقال عن علمانية المجتمع الأمريكي ، والصحيح انها تحظى بدرجة عالية من الثقل والتأثير . □

المستشار موفق

بقلم : الدكتور عبد الوهاب حومد *

الشخصيات العامة كانت وما زالت محل خلاف ... مع ذلك فإن التاريخ يقول كلمته في النهاية .

هنا في هذه الأوراق جانب جزئي عن موقف شخصية عامة ، لعبت دورا كبيرا في حياة الأمة حول قضية تتعلق بحياة أو موت بعض الأفراد !

فما الذي تحتويه الأوراق ؟

حين تقرر إعلان قيام الوحدة الشاملة عام ١٩٥٨ بين مصر وسورية شعرت براحة نفسية كبرى ، لاعتبارات داخلية خاصة بأوضاع بلدنا ، ولأنني كنت على ثقة راسخة بأننا - نحن السوريين - وضعنا هذه الأمانة القومية ، على ثقله وخطورته ، فوق كتف القائد العربي ، وأرسينا الأساس المتين للصرح القومي الشامخ ، الذي طالما حلمنا بقيامه ، وسلمنا له بلدنا لن يكون أسوأ حظاً في المرحلة الماضية التي تلت انتصاره على جنود الاحتلال الفرنسي .

واستقبلت الوحدة في المحافل الرسمية بالمشاعر الملتهبة ، كحدث جليل من أحداث التاريخ الكبرى ، كما استقبلتها الأوساط الشعبية ، على مختلف شرائحها الاجتماعية بالأهازيج والمسيرات الضخمة ، مما لم تشهد له مثيلاً على امتداد العشرينيات إلى الستينيات فقد كانت أول وحدة تتم بين قطرين عربيين على أساس من التفاوض والرضا المتبادل ، تنازلت فيه سوريا ، راضية مرضية ، عن مظاهر

* وزير العدل في وزارة الوحدة . أستاذ ورئيس قسم القانون الجنائي في جامعات دمشق والرباط والكويت ما بين ١٩٤٦ - ١٩٨٣ .

الدولة ، فتصبح الشقيق الأصغر في الدولة الكبرى ، المتخلفة .

وبقيام هذه الوحدة ، برئاسة الرئيس عبدالناصر ، تثبتت هيبة القائد الخالد في المسرح العالمي ، وأدرك العدو الصهيوني أنه أصبح بين فكي كماشة ، قادرة على أن تطبق عليه ذات يوم ، من الشمال والجنوب ، بعد أن كان يستفرد كل جبهة على حدة فيوجعها ويثخنها جراحاً ، فيما تنتظر الجبهات الأخرى دورها .

ومن حق التاريخ لنا أن نقول أن هذه الوحدة ، لم جاءت تلبية لنداء قومي كامن في النفس العربية منذ الأزل ، لبثت ذلك حبيسة في الصدور ، مشاعر مبهمة وأمنيات متوثبة .. حتى جاء عبدالناصر وأطلقها من عقالها ، فانطلقت تشق كالسيل العرم ، لا يقف في وجهه ، لا الإقطاع والرجعيون ولا المتربصون في أوكار الغدر .. فلذلك كانت هذه الوحدة نصراً شخصياً له توج بها انتصاراته الباهرة ، في إخراج الانكليز من مصر ، وتأميم القناة ، وسحق العدوان على السويس ، وتساقط الحكومات المعادية ، من نوري ومن حوله في العراق ، الى ايدن في بريطانيا .

مظروف غامض

ولي عند الأيام المجيدة بالأعياد القومية المتلاحقة ، دعاني عبدالناصر الى تولي حقيبة وزارة العدل في دولة الوحدة الفتية . ولقد أحسست ، وأنا أتقبل التكليف ، بشعور غامض من العزة بهذا التكريم الشخصي ، ولكني ، للأمانة ، شعرت أيضاً بكثير من الحرج ، لأن القيادة الجديدة ستعمل بزعامة رئيس كان اسمه يرن في أسماع الدنيا كلها ، حتى كأنه قد أرسل زلزلة كيانات متعرفة ، فكان يكفيه أن يصرح على الجناح الأثير ، بأنه يتركه لشعبه .. ولقد عرف عبدالإله ونوري السعيد ما يعنيه هذا القول على الطبيعة .

وكنا مازلنا في الجولة الثانية الظافرة ، حين دخل علي مدير مكتبي ، ذات صباح ، يحمل الي مظروفاً كبيراً ، أصفر اللون ، مختوماً بالشمع الأحمر ، وسكرتيرا عليه (سري ويفتح باليد) ..

وربما جال في خاطري ، ولدنا الفحص ، كل احتمال ، الا احتمال ما وجدته فيه .... لقد كان يضم بين جانبيه على أربعة ملفات كثيفة الخطر والخبر ، تتضمن تصديق رئيس الجمهورية على خمسة أحكام صادرة عن القضاء السوري ، بإعدام خمسة من المجرمين ... ولم يكن ما قرأت باعثاً للبهجة ، لأنه يعني أنه علي أن أصدر الأمر الى النيابة العامة بنصب خمس مشانق في الساحات العامة ، لانتزاع أرواح خمسة من العصاة ..... وإنها لمهمة شاقة ، ينقبض لها الصدر ، وتضيق بها النفس ، لأن الحياة بذاتها مكرمة ، ولو كان القضاء عليها مبرراً في كتاب الله ، ونص القانون وحكم القضاء .. وإلى لحظة حملت المظروف الى بيتي ، دون أن يكون أحد قد عرف بمضمونه ... لقد علمتني أحداث الحياة ، أن من الأفضل أن يتكتم المرء بعض الأمور الصعبة والدقيقة ، لعله يستطيع أن يحوّل مجراها الى ما هو خير وأبقى .

وجلست في مكتبي بالمنزل أقرأ الملفات ، في هدأة الليل ... ومن نافلة القول ، أن أعترف بأنني لا أملك حيال هذه المسألة الشائكة أي سلطة . فحق التصديق على أحكام الإعدام أو الامتناع عن التصديق عليها ، يعود الى رئيس الجمهورية وحده ، باعتباره المرجع الأعلى والملاذ الأخير لكل محكوم عليه بالموت ، بموجب أحكام الدستور (المادة ٣٢ من دستور ١٩٣٠ والمادة ٨١ من دستور ١٩٥٠ والمادة ١١٥ من دستور ١٩٥٣) . وحين يستجيب الرئيس الى إعدام المجرم ويوقع على المرسوم ، يكون آخر باب للحياة ، قد أغلق في وجهه ، ولم يعد من حق أي مسؤول أن يفعل شيئاً ، لا سيما اذا كان هذا المسؤول هو الذي أوصى بإصدار هذا المرسوم . صحيح أنني لم أكن ، شخصياً ، قد أوصيت بشيء ، لأن هذه الأحكام صدرت قبل قيام الوحدة ، وأوصلت الى رئاسة الجمهورية السورية إذ ذاك ، واحتفظ بها الرئيس السابق في مكتبه . فقد كان المعروف عنه أنه كان لا يحب اتخاذ هذا النوع من القرارات بل كان يميل ويحجمها بالمرة .... فقد أوصلت من إيثار وزراء سابقين للعدل ، غير أن من شأن الدولة أن تسأل أمورها من قبل الأجهزة الثابتة ، جرياً على

لياماً غير مألوفة . حسبتها أن ما جرى صحيحاً قبلاً ، وظل كذلك إلى أن يلقى . . .

ثارات العائلات

ولقد استقر في روعي أن ثلاثة من المحبوسة يستحقون أن يؤتوا جزاء ما اقترفت أيديهم من إزهاق أرواح بريئة حرم الله قتلها إلا بالحق . . . وهؤلاء قتلوا ضحاياهم في ظروف مذهلة ، بعيدة عن المنطق . . . فكان اصدار الأمر إلى النيابة بإعدامهم ، تنفيذاً لحكم الله فيهم « ولكم في القصاص حياة » ، حقاً علينا . . لم ترتجف له يدي . . ومع بواكير الفجر في اليوم التالي ، اخترقت ثلاثة أجسام ، عدة هزات عنيفة ، ثم خمدت ، ليلاقي أصحابها وجه ربهم يوم العرض عليه في الحياة الأخرى . .

ولكني وقفت في حيرة كبرى أمام تنفيذ الموت في المحكومين الاثنين الباقيين . . . ومصدر الحيرة طبيعة جريمتهم التي ارتكباها معاً ، والظروف الشاذة التي لابست ارتكابها . فهما من أسرة بينها وبين أسرة تجاورها في المدينة صراع قديم ، من جراء تنافس موروث على الزعامة . وتعد كل أسرة بضع عشرات من شباب أشداء ، يعتبروا مصابيح صبية ، إن الثأر حق ، مبطن بواجب . . . وإن الكرامة الجريحة ، لا تستعاد الا بدم مراق . . . . ولقد حدث أن قتل واحد من الأسرة الأولى ، أحد كبراء الأسرة الثانية ، وتدخل أهل الاصلاح في الخلاف ، وعقدوا صلحاً ، بدية متعارف عليها . . . ولكن كان معروفاً لكل ذي بصيرة أنه صلح هش ، ليس في مقدوره أن يطفئ جذوة الحقد . . . وظل الناس يترقبون بكثير من التوتر ، قتل شخص يكافئ المقتول الأول في مقامه واعتباره . . . لهذا لم يفاجأ أحد بإزهاق روح أخ للقاتل بعد فترة قصيرة . . وعاد المصلحون يتدخلون - على عادتهم - لاطفاء النار . . . وتم صلح جديد ، على عجل في حجم الدية التي دفعها ذووه . . . واستدعي الشهود لأداء الشهادة فأكدوا جميعاً على أنهم لم يروا شيئاً . وفصلت المحكمة في الدعوى بأخف ما يمكن من الأضرار القانونية ، لعلها تساعد في ذلك على ترسيخ السلام . والتقى الناس بالحكم فتأسيم أن كل جانب حصل على ترضية حفظت كلي الفريقين الزعامي متماثلين . غير أن والدي المقتول ظلا يتميزان قهراً في النفس ، وراحا يتربصان بولد من قتل ابنهما . . . وحين رصده القاتلان ذات يوم في عرس قريتهما ، صاحا به بطرانه - على عادة الفرسان الذين لا يقتلون غدراً - وفتحا عليه فوهتين من أبواب جهنم ، لتمزق الرصاص جسده بإحدى عشرة رصاصة قاتلة . ولكن الله كان لطيفاً به فأنقذه بفضل تقدم الجراحة الطبية . . . . وقبض على القاتلين ، فأنكرا علمهما بشيء مما حدث ، وأحيلا إلى محكمة الجنايات ، بقرار اتهام محكم التعليل من قبل قاضي الاحالة . . . وسألتهما المحكمة عن جريمتهما النكراء ، وأدانتهما بجريمة الشروع في القتل وحكمت عليهما بالاعدام . . طعنا بالحكم لدى محكمة النقض ، فنقضته الغرفة الجنائية من ناحية شكلية ، وأعيدت القضية إلى المحكمة التي أصدرته بتشكيلها السابق ، لأن القانون يقضي بذلك . وأصرت على حكمها السابق بإعدامهما . وصادقت الغرفة الجنائية في محكمة النقض على هذا الحكم بإجماع أعضائها ، ورفعته النيابة العامة إلى وزير العدل . ومن أسف أنه ليس في التشريع السوري ما يوجب على محكمة الموضوع أخذ رأي المفتي على غرار التشريع المصري ، ولو كان الاجتهاد المصري لا يعتبر هذا الرأي ملزماً ، ولكنه قد يرجح جانب اللين في عاطفة الرئيس قبل اصدار الحكم بالموت حين اتخاذه قراره الأخير . . كذلك ليس في تشريعنا ما يوجب اصدار الأحكام بالاعدام بإجماع أعضاء المحكمة . وهذه ضمانة أخرى وإن كانت موضع نظر ، الا أنها قد تكون مفيدة في بعض الحالات (١) .

لم تأخذه العزة بالاثم !

ولكن القانون يشترط عرض الحكم على لجنة من القضاة في وزارة العدل ، مؤلفة من خمسة قضاة من المرتبة الأولى بصورة مرسوم (المادة / ١٥٩ / أصول جزائية) ، لتبدي رأيها فيه قبل أن يرفع الى مكتب

(١) المادة / ٣٨١ / من مجموعة الاجراءات الجنائية ، المعدلة بالقانون رقم / ١٠٧ / لسنة ١٩٦٢ التي تشترط الاجماع .

الرئيس . كذلك فإن مكتب الرئيس يضم مستشارين قانونيين يتولون دراسة هذه الأحكام الخطيرة ، وينصحون الرئيس بما انتهى اليه رأيهم . . . وتعود الكلمة الأخيرة للرئيس ، فإن شاء صدق عليه ، وإن شاء أبدل بالاعدام عقوبة أخرى ، دون أن يكون ملزماً بأي تعليل . . ولقد اتخذ الرئيس قراره بالتصديق على الحكم ، وبذلك تكون القضية قد شنقت نهائياً ، ويقتضي التعامل أن يظل هذا القرار سرياً الى أن ينفذ ، رحمة بالمحكوم عليه ، وإشفاقاً على ذويه ، ومراعاة لمقتضيات الأمن العام . . . وبالتالي لم يعرف به أحد سواي . وظني أنه لما لم يتسرب خارج مكتبي ، لكان الموضوع وضع أكثر صعوبة ، لأن التفكير في تنفيذه ، سيقترن بلحظة نوع من الاعتراض غير المألوف على رأس الدولة ، وصاحب الحق . . . وقد يزين له بعض أعوانه بأنه تطاول على سلطته ومراقبة لأحكام القضاء ، بل ومساس بهيبة فصل السلطات . كما أن أصحاب الثأر يصرون على مطلبهم أثناء التنفيذ ، باسم الصلة ، ويقصون على المسؤولين حركاتهم وسكناتهم لارواء غليلهم . وفي مثل هذا الجو ، كان الأسهل علي أن أنفذ الحكم ، ولكن المشكلة أنني اذا كنت مقتنعاً بسلامة الاجراءات القانونية من الناحية الشكلية ، فإني لم أكن مقتنعاً بسلامة الحكم من الناحية الموضوعية ، أي أنني إذا كنت مقتنعاً كقاضٍ للقضية ، فإني لم أكن مقتنعاً كإنسان ، كما كانوا يقولون في مرحلة الثقافة القانونية . وبقيت طول الليل في صراع بين واجبي كمسؤول وبين حقي كإنسان . . وكان أكثر ما يحز في نفسي هذا التطبيق الجامد للمساواة القانونية بين الشروع وبين الفعل الناجز ، على الرغم من أن القانون نفسه أجاز للمحكمة أن تنزل بعقوبة الشروع في القتل الى الأشغال الشاقة المؤبدة ، أو الى الشاقة المؤقتة مدة تتراوح بين عشر سنوات وعشرين سنة ، ولكن القضاء جنح في هذه القضية الى التشبث بالعقوبة الأكثر شدة ، ربما لأنه ظن أن الشدة القاطعة تمنع انتزاع الفتن ، وتجتث جذور الشر . وكان هذا ملمحاً غير مستحب في ظني . أولاً لأن الذي أعدما عليه لم يمت ، ثم لأنهما في المعترك السياسي مرتزقان بطلبات ثأراً ، ويحسبونه ثأراً ، لا يستطيع معهما في غالبيتهما عن الأخذ بثأر والدهما . . ولذلك فإنهما مجرمان من نوع خاص ، فكان من الانصاف أن يكون عقابهما سبباً في نظرة عطف .

وشاءت الأقدار أن أصدقهما . . سيكون سبباً لاشتعال ثأر ، سيكون وقودها الحقد والظلم . . . ومن الجائز أن تستمر الأعمال الثأرية ، جيلاً بعد جيل ، حتى ترقى للمستوى القبلي ، الى درجة يقتنع فيها كل إنسان بقول الله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . وواقع الحال ينبيء بكل بلاغة ، بأن هذا اليوم ليس بقريب مع الأسف . . واتخذت قراري الذي اطمأنت اليه نفسي بالتوقف عن تنفيذ الحكم ، وتوجيه رسالة سرية مباشرة الى الرئيس بينت له فيها رأيي ، بضعف شرعية هذا الحكم من الناحية القانونية ، وبالتهويل للخطورة التي سوف تترتب على تنفيذه ، ونصحته باعتباري مستشاره على مسائل العدل ، أن يعيد النظر في قراره ، ويبدل بهذا الحكم عقوبة سالبة للحرية ، مهما كانت مدتها . . . ولم يمض على هذه الرسالة عشرون يوماً ، حتى أعاد الي مكتب الرئاسة الملف وفيه قرار جديد يتضمن عقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة بدلاً من الاعدام . . وهذا يعني أن الحياة كتبت لهما من جديد . وكنت فرحاً حقاً ، لأني ساهمت في إنقاذ شخصين لا يستحقان الموت في نظري . وكنت أكثر فرحاً لأن الرئيس لم يأخذ المسألة بالأنا ، فلم يصر على قراره السابق حفاظاً على هيبة موهومة . . . فرجع ، برضى من ضميره ، الى جانب الحق والرحمة .

ومن المؤكد بعد فترة ، أشار الى الموضوع بإشارة أثلجت صدري . وكتبت أن النصيحة الجريئة تلقى الترحيب الجميل ، من أصحاب القلوب الكبيرة . . .

ولقد كان الله في عوننا ، نحن الاثنين . فقد أثبتت السنوات التالية ، أننا كنا على صواب ، فيما اجتهدنا ، فلقد ساد الصلح بين الأسرتين المتناحرتين ، واستفاد المحكوم عليهما من تخفيض عقوبتهما على شكل ، صدرا تماماً ، ثم أفرج عنهما لحسن سلوكهما وعادا الى قريتهما ، متمكين من سنوات ما وراء القضبان ، إلا أنهما عادا مواطنين صالحين . . وحتى يومنا هذا ، لا يعرفان ، ولا يعرف غيرهما ، كيف تمكن الله برحمته من تخليصهما حبلاً من الليف حول العنق . . □

حمام زاجل

شعر: يوسف عبدالعزيز

حاملٌ قلبك ،
في شعاب الوطن الموحش
وفي سُلّم الفجر للقمم العالية
كيف بلّلتَ سترتك البالية
بقميصٍ أنيق
وطفرتَ
تاركاً في (الشهرزاد) (١)
عُلبة التبغ ، والقهوة الساخنة ؟
كيف أسلمت قلبك للكلب ،
والقمرَ للموجة الخائفة !!
أنتَ حجرٌ
حجرٌ في الضجيج
حجرٌ في الرّحيل
حجرٌ في الليل كان يبكي
خرابَ القلعة
وخيولَ الحريق
حجرٌ في طحين الرصيف
وبرج الحمام
أين تمضي ؟
لقد أرسلوا حجراً للسلام

أين المفرّ ؟
إلى تعشّقي في القدس الملم
وما لك بالشارع الأجنبي
أيها الولد الفوضوي
أنت تصفعك طين وتصفعك
جمرةٌ وسهام
كنت من تسلل قبراً في شارع
المخيم ،
سوف أعود إلى (الجلزون) (٢)
وأسأله :
من فوق كتف يجمع ماء الوطن
في ثنايا القطيفة
عن شبه التلال ،

والرسم الحديقة ،
عن لين الصفصاف ،
عن نجمةٍ ساهرة
في ظلام الكلس
وعن ثعلب ماكر في الشوارع
يبحث عن عصر سكّر
وعن أن أكلته
طفلٌ طالع بالجلزون
أيها الولد الفوضوي
من تكون !؟
شجرٌ حلمي التعبْ
أم طيوراً بحيفا ؟
شاعراً أم بقايا قصيدة ؟؟

١ ـ الجمزاوة : ملعب في مدينة عمان .
٢ ـ الجلزون : مخيم فلسطيني بالقرب من مدينة رام الله المحتلة .

تلوث البيئة
ناقوس خطر جديد في العالم الثالث!

بقلم: الدكتور أسامة أمين الخولي

يبدو أن كارثة مصنع شركة يونيون كاربايد في مدينة بوبال الهندية في أواخر عام ١٩٨٤، التي توفي فيها أكثر من ألفي شخص، وأصيب مائة ألف آخرون بإصابات بالغة ستكون بداية عملية مراجعة شاملة لموقف الدول النامية من قضية حماية البيئة، التي شغلت الدول الصناعية منذ عقد الستينيات حتى الآن.

بدأ الاهتمام المتصاعد على المستوى العالمي بقضية حماية البيئة في دول الشمال الصناعية في الستينيات، عندما أثيرت مسألة الأمطار الحمضية التي هددت مصادر المياه العذبة في السويد وأثرت على غاباتها، وعندما تبين من الدراسة أن مصدر هذا التلف البيئي هو الغازات المنبعثة من مداخن المحطات والمصانع في أمريكا الشمالية، على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي. وبهذا اكتسبت المسألة بعدا عالميا يتجاوز الحدود السياسية للدول والاعتبارات الجغرافية المحلية. ولقد سبقت هذا بعشرات السنين ظواهر محلية لتدهور البيئة نتيجة أنشطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعلى رأسها التصنيع المكثف والتجمعات الحضرية التي غزت الريف وغيرت معالمه. وكان للكاتبة والعالمة الرائدة الأمريكية أثر درامي في إثارة اهتمام الجماهير العريضة بقضية الحفاظ على البيئة. ونتج عن هذا الاهتمام

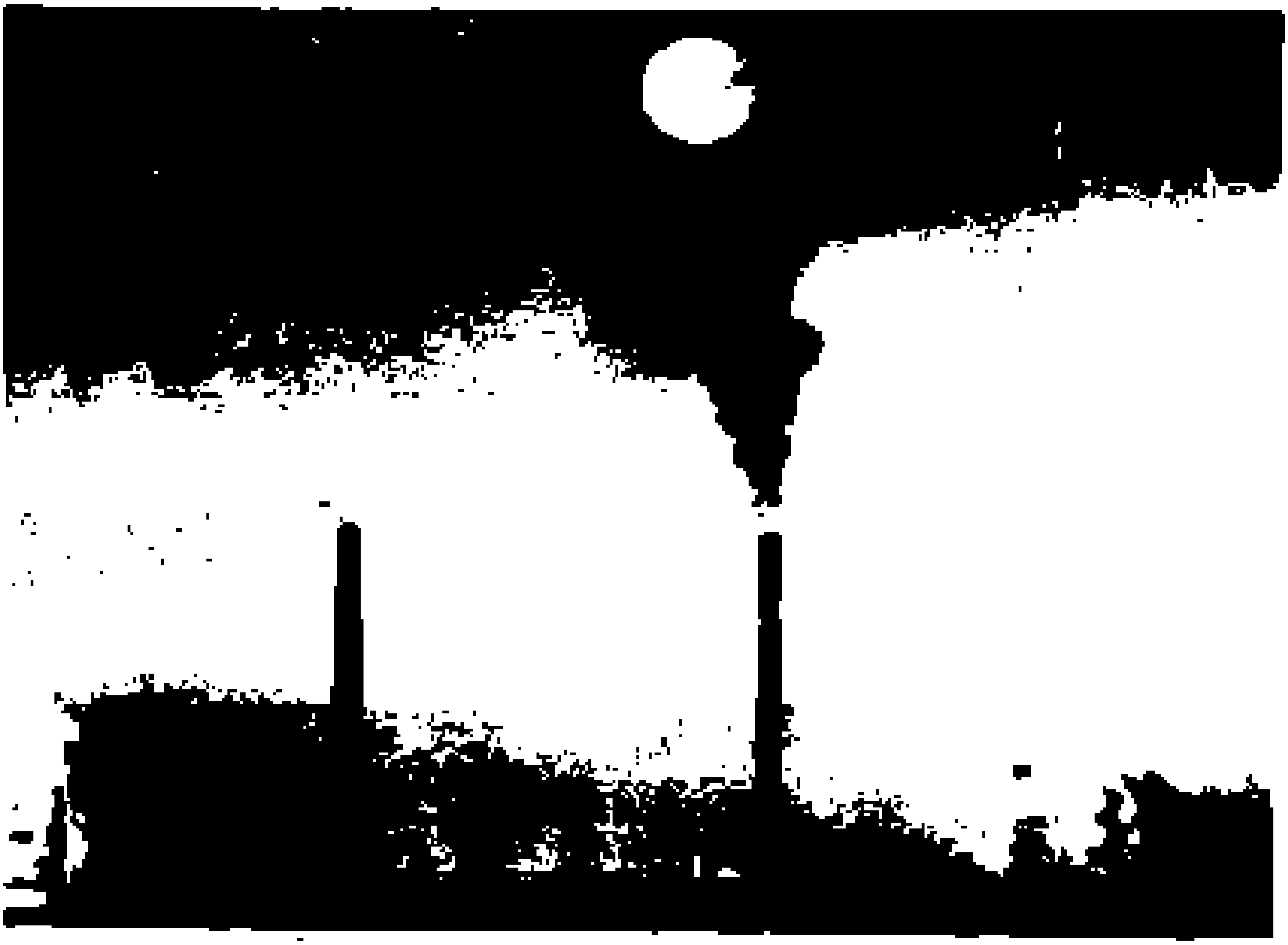

غيوم من دخان تخفي أخطار هذا الزمان .

المتزايد أن قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد مؤتمر عالمي عن البيئة في ستوكهولم في صيف عام ١٩٧٢ . وفي إطار الإعداد للمؤتمر عقدت عدة اللقاءات الدولية في الأشهر السابقة لانعقاده . وكان من بينها اجتماع ، يعتبر الآن علامة تاريخية في تطور حركة المحافظة على البيئة ، في مدينة فونيه بالقرب من جنيف في سويسرا . ففي هذا الاجتماع برزت فروق جوهرية بين موقف دول الشمال الصناعية من الموضوع ، وموقف الدول النامية التي ما زالت تسعى لتطوير مجتمعاتها وتحسين نوعية الحياة لمواطنيها . فقد كانت وجهة نظر هذه الأخيرة أن المشاكل التي وردت ليست مشاكل الدول الآخذة بسبيل النمو ، وأن البيئة بالصورة التي تطرح بها ليست من بين أولويات اهتمامات هذه الدول ، التي ما زالت تخطو خطواتها الأولى في التصنيع . وأبرزت المناقشات وجها آخر جديدا تماما للقضية ، ركز على أهمية اتساع مفهوم البيئة ، ليشمل البيئة الاجتماعية ، إلى جانب البيئة الطبيعية . وطرح لأول مرة الشعار القائل بأن « الفقر هو أكبر ملوث للبيئة » . وعلى هذا الفهم الجديد شاركت الدول النامية في المؤتمر بفعالية واضحة . وفي الساعات الأخيرة للمؤتمر تفجرت أزمة داخلية فتحتها الصين التي كانت ترى أن انتشار الملاريا بشكل وبائي أشد خطرا وفتكا مما يمكن أن يحدثه استخدام المبيد (DDT) من آثار بيئية ضارة وأخطار صحية ، ولكن في نهاية الأمر تجاوز الأزمة . وانتهى المؤتمر إلى تأسيس « برنامج الأمم المتحدة للبيئة » ليكون أول منظمة من منظمات الأمم المتحدة تتخذ من إحدى عواصم العالم الثالث ، نيروبي ، مقرا لها . وانتخب عالم عربي ، هو الدكتور مصطفى كمال طلبة ، نائبا لأول مدير تنفيذي للبرنامج ، ثم أصبح بعد سنوات قلائل مديره التنفيذي حتى يومنا هذا .

جدل ، ظل يعلو بصوت خافت حول دور الشركات المتعددة الجنسية في التنمية الصناعية في الدول النامية - إلى مستوى جديد من الحدة ، واكتسبت حقائق جديدة ، بل على الأصح برزت إلى السطح ووصلت إلى وسائل الإعلام الجماهيري ، وبحيث أصبحت المسألة الآن هي تحديد مسئولية كل من الدولة النامية التي تنشأ فيها المصانع ، وبين الشركات متعددة الجنسية التي تقيم هذه المصانع . ولقد غدا واضحا الآن أن يونيون كاربايد ليست الشركة متعددة الجنسية الوحيدة التي تمارس مثل هذا الأسلوب ، وأن هناك أمثلة أخرى كثيرة لشركات بريطانية وألمانية وأمريكية ويابانية ، بل ربما كانت الشركات اليابانية أسوأ الجميع في تعاملها مع الاعتبارات البيئية في سعيها المحموم - بعد فضيحة تسمم الزئبق في اليابان ذاتها التي أشرنا إليها آنفا - لنقل الصناعات الملوثة إلى دول أخرى من بينها حتى كوريا الجنوبية !!

عبر وعظات كثيرة

وفي الجدل الدائر حول هذا الأمر عبر وعظات كثيرة للدول النامية في الجنوب في تعاملها مع الدول المتقدمة ، والشركات المتعددة الجنسية بالذات ، في الشمال . ولنتذكر بداية أن هذه الشركات هي صاحبة التقنيات المطبقة في المنشآت الصناعية ، التي تبيعها الدول النامية لاقامتها على أراضيها ، وهي العالمة بأسرارها ، وبما يكمن فيها من مخاطر ، بحكم التعريف . ولنتذكر أيضا أن التقنية في عالم اليوم ، وكل يوم ، سلعة تباع وتشترى ، ويحافظ على

أسرارها ، كي تحقق الربح المتجدد من الاستثمار في الانفاق على تطويرها وتطبيقها وبيعها للراغبين في الاستفادة منها . والشركات صاحبة التقنية تعرف إنها ملتزمة دوما بالاشتراطات الصحية والبيئية التي تفرضها الحكومات الغربية . بل نضيف إلى هذا ملاحظة أخرى تبدو لأول وهلة وكأنها طعنة في الصميم لهذه الحكومات . فالشركات تشير إلى أن ما تسببه أنشطتها من أضرار أقل مما تسببه الأنشطة المنتشرة للمنطقة المحلية والتي ليست هي طرفا فيها .

ولكن إعمال الفكر ، ولو قليلا ، يكشف عن أن هذه الشركات مطالبة بتطبيق الاشتراطات الوقائية من الأخطار البيئية في الدول النامية ، أكثر صرامة ودقة مما تطبقه محليا ، وبمراعاتها بحزم أكبر وانضباط داخلي أشد لا تفرضه تعليمات الحكومات وأجهزتها الرقابية ، وذلك لسببين رئيسيين . أولهما أنها تطبق هذه الاشتراطات في بلادها والبلاد الأخرى المتقدمة ، وهي بهذا لا تعمل أكثر من مجرد الكيل بنفس الكيل ، بدلا من الكيل بمكيالين ، أحدهما للعالم « المتقدم » والثاني للعالم « المتخلف » . ولقد اتضح من دراسات هيئات إقليمية في الشمال ذاته ، وأخرى دولية ، أنه لا توجد معايير مطلقة تلتزم بها أفرع هذه الشركات في الدول النامية فيما يختص بالاعتبارات البيئية . بل إن شركة يونيون كاربايد في دفاعها عن نفسها ، وتطويحها أبعاد المسئولية عنها ، ألقت باللوم على الادارة المحلية لمصنع بوبال متهمة إياها بالاهمال المتعمد ، أو حتى بالتخريب ! وكان رد الحكومة الهندية أن الشركة مطالبة ، بل ملزمة ، بتدريب مديريها المحليين والرقابة على أدائهم ، لأنها صاحبة المعرفة التقنية ، والعالمة بحقيقة وحجم الأخطار البيئية .

ضرورة المراجعة

ومن هنا يجيء السبب الثاني لتحميل الشركات المتعددة الجنسية المسئولية كاملة . فهي صاحبة التقنية ، وهي التي تعتبرها أسرارا صناعية لا يمكن الافصاح عن حقائقها وتفاصيلها للعاملين المحليين ، بل إن جميع تعاقدات الحصول على المعرفة التقنية تتضمن بنودا خاصة بالحفاظ على سرية أساليب التشغيل وإجراءاته . فإنّ للمديرين المحليين لم

هل يمكن أن يعيش أي شيء حي في ظل هذا الدخان ؟

السلطات المحلية ، إذن ، للمعرفة والقدرة على صياغة الاشتراطات البيئية الكفيلة بحظر أنشطة لا يعرفون كنهها بوضوح ، ولا يستبينون حقيقتها ، دع عنك سبل مراقبتها ، والطرق السليمة لمعالجة الطوارئ الناجمة من خلل في التشغيل . إلا أن الأمانة تقتضينا هنا أن ننبه إلى أن ما تقدمه الدول الصناعية من اشتراطات في مصانع مناظرة ليس سرا ، ولا من الصعب التعرف عليه والحرص على تطبيقه . بل إن الواقع المر هو أن الدول النامية ، بشكل عام ، قد نُحّت نحو تجاهل الأضرار البيئية المحتملة لإقامة صناعات معروفة خطورتها ، في سعيها لاجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية ، والشركات متعددة الجنسية صاحبة التقنية المطلوبة لإقامتها . ولقد كشفت التحليلات ببوبال عن أنه قد سبقت الكارثة الكبيرة في نهاية العام الماضي عدة حوادث أقل خطورة ، لم تتخذ حيالها الحكومة أو الشركة إجراءات رادعة .

وهناك اليوم العديد من الدراسات التشخيصية والعلاجية المعدة من منظمات الأمم المتحدة حول هذا الموضوع ، مثل برنامج الأمم المتحدة للبيئة ومركز الصناعة فيها . ومنها أيضا مكتب العمل الدولي ، ومركز الأمم المتحدة للشركات متعددة الجنسية . والغريب في الأمر ، أن نشاط هذا المركز الأخير ، المتواضع في حجمه ، والبالغ الأهمية في مغزى نشاطه ، غير معروف على نطاق واسع في العالم النامي ، وأن حكومات الدول النامية لا تهتم كثيرا بعمله . والمذكور أن المركز ، الذي كان قد جمع قدرا ضخما من البيانات التفصيلية عن هذه الشركات في دولها الأم ونشرها أملا في أن تستفيد منها الدول النامية ، وبالذات تلك التي لم تكتسب بعد خبرة كافية في التعامل معها ، قد شكا منذ بضع سنوات من أن محاولاته للحصول على حد أدنى من المعلومات عن ممارسات الشركات الفرعية في الدول النامية لم تحقق نجاحا كبيرا .

فهل يكون من المقبول ، بعد هذا كله ، أن يظل موقف الدول النامية من قضية البيئة على ما كان عليه في مطلع العقد الماضي . وأن يقوم هذا الموقف على مقولة أن الاعتبارات البيئية والصحية لا تليق للدول النامية بالتمتع بها ، وهي الساعية للتنمية ، اللازمة لتوفير فرص العمل لأهلها ، ومن ثم ، الاستثمارات الأجنبية والمحلية لمصانعها ؟ يبدو أننا ، في العالم الثالث ، قد وصلنا الآن إلى ضرورة مراجعة هذا الموقف ، وأننا على عتبة مرحلة جديدة ، تكتسب فيها قضية البيئة أولوية متقدمة في مشروعات التنمية بشكل عام ، والتنمية الصناعية بشكل خاص . □

متحف العالم ومجمع المعابد والأساطير

استطلاع : سليمان مظهر

تصوير : سليمان حيدر

■ سهرك واسي القمر . ورسم جبال الهيملايا . بالقرب في وقت واحد في ليال . ويصب الناظرون عيونهم كلما هبط عليهم ليل وهم يتطلعون نحو قمة ايفرست ونجم حظو العربي .

يقولون .. ثلاثة في حكم المستحيل : الغول .. والعنقاء .. والخل الوفي ! ولكن اذا كان هذا الحكم مازال ينطبق على المستحيلين الاخيرين .. الا أن الأول لم يعد مستحيلا بعد ؟

أهل نيبال يؤكدون لك ذلك . فالغول .. وهو بالنسبة لهم « اليتي » أو « اليتي » كما ينطقونه وهو « انسان الثلج الوحشي » .. ما زال يعيش في أعالي جبال الهيملايا . وهم ينسجون حوله الأساطير ، ويتناقلون عنه الحكايات ، خلال جلوسهم حول نيران المدفأة في ليالي الشتاء . يتلاوون بها أسماع متسلقي الجبال المرهفين ، والفلاحين الذين يؤمنون بالخرافة والأوهام . ولم يكن هؤلاء وحدهم من يحكون ويصدقون . ولكن حتى الذين كتبوا عن نيبال وجبال الهيملايا تحدثوا في كتبهم عن أوصاف « الوحش البشري ذي الشعر الأشعث » الذي التقى به جندي أوروبي عام ١٨٤٠ - قبل حوالي مائة سنة . أما كما رآه عام ١٩٢٠ المستكشفان البريطانيان الميجور وادل والكولونيل هوارد بري حيث كانا يرأسان حملة من المتسلقين في الجانب الشمالي من قمة افرست . ويذكر الاثنان انهما تبعاه وتوقفا عند آثار اقدامه البشرية الضخمة على ثلوج السفح . ويقول عنه البعض ان جسده الضخم يغطيه شعر كثيف من قمة الرأس الى أخمص القدمين ، وانه يسير منتصب القامة . وان أظفار أصابع كفيه وقدميه لاتختلف عن مخالب الوحوش

يقولون ان الجبل كان مليئا بعدد كبير من هذه الوحوش البشرية ، وان رهبان التبت تآمروا للتخلص منهم . فاتفقوا على أن يقيموا حفلا على السفح حيث يختفي الكثير من هذه الوحوش خلف الصخور . وخلال الحفل راحوا يتظاهرون بتناول الخمر المصنوع من منقوع الارز ، وحين بدا كأنهم سكروا حتى الثمالة ، راحوا يتبادلون الطعان بسكاكين زائفة . ومع انتهاء الحفل بدأوا يتصعدون واحدا وراء الآخر متظاهرين . وهنا خرجت الوحوش البشرية من مخابئها ، وراحوا يقلدون الرهبان في تجرع كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا ، ثم راحوا يضربون بعضهم بالسكاكين الحادة الحقيقية التي تركها الرهبان عن قصد . وكانت المعركة من العنف والشدة بحيث تساقط الجميع قتلى ، ولم ينج منهم سوى واحد فقط . هو الذي مازال يجوب سفوح الهيملايا ويختطف الناس بين الحين والحين !!

يحكي لنا أحد متسلقي من قبائل « الشيربا » الذين يرافقون المتسلقين لمطاردة أخرى عن « انسان الثلج الوحشي » فقال : ان أحد تجار الفيروز كان يعبر الممر الجبلي ، حين فوجىء بالوحش الرهيب يوقفه ويرغمه على الذهاب معه الى مغارة في عمق الجبل ، حيث كانت انثاه تستلقي وهي تصرخ بعد أن سدت حلقها قطعة كبيرة من العظم حتى تسلط عليها الاختناق . وطلب الوحش من التاجر أن يشفيها والا قتله . وفي رعشة الخوف مد الرجل قبضة يده المرتجفة ليضرب الأنثى على ظهرها بقوة ، فانقذفت قطعة العظم من حلقها وتنفست الصعداء . ومكافأة له أعطاه الوحش كيسا مغلقا بيده ، وطلب منه الا يفتحه الا بعد أن يصل الى داره . ولما فتح الكيس وجده مليئا بالروث بشرية ، ومع كل شعرة تتدلى حبة فيروز . وكانت الحصيلة مذهلة كسب التاجر من ورائها ثروة ضخمة . ومن أجل الحصول على ثروة

عائلة يعرف رجال «الشرباس» بسفوح الجبل حاملين أحمال المتسلقين ، على أمل أن تتاح لهم فرصة مماثلة للقاء إنسان الثلج .. ولن تكون كذلك قد أصابهم ما أصيبت به من قبل !!

ومازال عدد من المغامرين يستهدفون من رحلات تسلق الهيمالايا البحث عن انسان الثلج ، حتى أن احدهم أعلن عن اعتزامه القيام بحملة مسلحة للقبض عليه حيا أو ميتا . وقد أثار ذلك سكان الجبل الذين أعلنوا أنهم سيتصدون بكل قوة لأي انسان يحاول ارتكاب هذه الجريمة !!

التشكيلة السكانية :

كل ذلك بعض من الأساطير التي يتداولها الناس في نيبال ، التي تستلقي على السفوح الجنوبية الشرقية لجبال الهيمالايا ، وتقع الى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية ، وتحدها الصين وهضبة التبت من الشمال ، وسيكيم وبنجلاديش من الشرق ، بينما تحدها الهند من جنوبها وكشمير من غربها . وبذلك فان نيبال بحكم موقعها الجبلي الداخلي ليس لها حدود تشرف على البحار . وتقع أراضيها الجبلية على شكل سلاسل عريضة من المرتفعات العالية . وتفصل بين السلاسل التي تمتد من الغرب الى الشرق اما مناطق منخفضة مثل منخفضات تيراي ، أو مناطق عالية مثل هضبات مرتفعات سيوالك . وتبلغ مساحة المملكة حوالي ١٤٠ ألف كم ، ويقدر سكانها حسب احصاء (١٩٨١) حوالي ١٦,٥ مليون نسمة ، نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث ، أغلبهم جماعات قبلية يتحدث ٥٨٪ منهم اللغة النيبالية وهي اللغة الرسمية و ٣٪ بالهندية و ٢٠٪ باللغات واللهجات المحلية ، بالاضافة الى لغات ولهجات أخرى متباينة . وهم ينقسمون حسب الديانة الى ٩٠٪ من الهندوس و٥٪ من البوذيين و٣٪ من المسلمين ، وان كانت الاحصاءات التقديرية الأخيرة تقلل من نسبة الهندوس وترفع من نسبة البوذيين .

يتشكل سكان نيبال من مجموعات مختلفة من القبائل ذات الأصول البدائية ، يبلغ عددها أكثر من ٣٥ قبيلة .. وينتسب السكان الى أصول من الجنس

● هكذا تخيل الرسام «الجني» إنسان الثلج .. أو الوحش البشري ذا الشعر الأشعث .. على ضوء الوصف الذي أدلى به المغامرون الذين تجولوا على سفوح الهيمالايا

الهندو آري والجنس المغولي اللذين امتزجا على مدى القرون .

ينتمي الشرهيون الى الهندوآريين الذين جاءوا البلاد في القرن الرابع عشر مع الراجبوتيين ، بينما ينتسب النيوار الى طائفة الاكشترية المحاربين الذين جاءت منهم أسرة رانا التي حكمت طوال مائة سنة انتهت مع عام ١٩٥١ . أما مختلف القبائل النيبالية الأخرى فقد جاءت من الهند ، بالاضافة الى البوذيين الذين ينتمي اليهم عدد آخر من سكان نيبال .

الجوركا من السكان الذين ينتسبون الى أصول قبلية . وكانت لهم شهرتهم الواسعة كجنود مرتزقة يسمون «أشجع الشجعان» في القوات البريطانية . وكان القسم الرئيسي من الموارد المالية «الجوركية» لنيبال يأتي مما يحصل عليه جنود الجوركا من أجور عالية .

واذا تتبعنا السكان في مختلف الأقاليم الرئيسية في نيبال ، نجد أن سكان الوادي الأوسط بعاصمته كاتماندو ينتسبون الى البراهمة النيبيين والكشترايين ، وهؤلاء هم البراهمة والاكشترية والشيرو . وبينما

● الآن يمشي في موكب وليد بلغ العشرين .. فصعدت
لانطلاق روحه لتحل في جسد وليد جديد ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

البراهمة والأكشترية ينتشرون في جميع أنحاء البلاد فإن الشربا يتركزون في وادي كاتمندو والمدن والقرى المحيطة . أما سهول التيراي ومنحدرات التلال فيسكنها البراهمة والراجبوت والثارو وآخرون بينهم المسلمون .

أما «الشربا» ... أفراد الشعب المقاتل الذي تسكن جبال الهيمالايا فهم ينحدرون إلى الجنس المغولي مثل قبائل الثور الذين يسكنون في كاتمندو وتنتمي أصولهم إلى منغوليا والتبت .

هؤلاء الشربا هم أشهر من يلتقي به القادمون إلى نيبال .. والراغبون في رحلة تسلق للصعود إلى سقف العالم .. جبال الهيمالايا ...

الصعود إلى القمة :

رحلة التسلق إلى قمم الهيمالايا لا يقدر عليها إلا من منحته الصحة هذه الفرص ، وتحتاج من يقوم بها إلى شهور ، ويحتاج إلى استعداد جسماني يمكنه من تحمل تقلبات الجو وقلة الأكسجين وصعوبة وسط الثلوج . أما من يعرف الخطر عن شروط الصعود .. فليس أمامه سوى رحلة قصيرة تتيح له الوصول إلى القمة على الأقدام .. حيث الفرصة متاحة للطيران فوق القمم كلها على متن طائرة سياحية تطير لمدة ساعة فوق السلاسل الجبلية جميعها . ولا يمكن لك أن ترفض الفرصة حتى يمكنك التحليق فوق قمم الهيمالايا بكل قممها . وارتفاع سطرة على الأرض م . فوق سطح البحر .

الطائرة تحلق في خط محدد كأنها تتخلل القمم الثلجية أن تكون رحلة ... فالهبوط الاضطراري هنا لا يترك مجالا للعودة إلى حياة ثانية فوق سطح الأرض . وخلال الرحلة يسمح قائد الطائرة لكل راكب بالتقاط الصور من الكابينة الأمامية . وهو مكان يتمناه رجال التصوير .. فهي فرصة لا تتكرر مرتين .

المشهد رائع جدا .. القمم الشاهقة تخترق صورة السحب وهي تراقص زحفها وكأنها زبد الصابون يغطي سقف العالم . الصورة كلها مشبوحة مصورة بدقة من قمة إيفرست حيث أعلى نقطة على سطح الأرض .

ويعتقد الشربا أن جبال الهيمالايا هي مقر الآلهة ، وهم يتصورون أن قمة إيفرست هي الإله «شومولونجما» ويركب أسدا ثلجيا يخترق به سرب السحب الراقصة . ومنذ مئات السنين والنيباليون يعتقدون أن الآلهة تطل من قمم الهيمالايا لمراقبة شئون العباد .. فتحب المحسنين وتعاقب المسيئين وتنزل غضبها بالمفسدين . وهم يتطلعون دائما إلى «قمة شنكار» حيث يقيم الإله «شيفا» وزوجته «برفاتي» وابنه الإله الفيل «جانيش» وإلهة الخير «أنا بورنا» .

وهنا أيضا - وكما يبدو المشهد من الطائرة - ترتفع أعمدة الجليد بطريقة لا يوجد لها مثيل في العالم .. إيفرست أعلى قمة في العالم (٨٨٤٨ متر) ومعها قمم لوتسي (٨٥٠١ م) ونوبتسي (٧٩-٦م) وأمادابلام (٦٨٦٣م) وتشولاتسي (٧٣١٩م) وماكالو (٨٤٧٥ م) وكنشنجا جونجا (٨٥٩٨ م) ..

مشهد لا يمكن للإنسان أن ينساه ..

لقاء مع المتسلقين :

التحليق فوق قمم الهيمالايا لا يمنع من الانطلاق مرة أخرى إلى أحضان الطبيعة على سفوح الجبال حيث يبدأ المتسلقون رحلة الصعود .

كانت البداية عندما دعت الهيئة ... طائرة صغيرة وكانت تقل السياحة . بعد جولة لنا في أنحاء كاتمندو .. للذهاب إلى أحد المراكز التي تبدأ منها رحلات التسلق . وكان العرض مغريا لإتاحة الفرصة لنا للقاء مع المتسلقين وهم يبدأون رحلة الصعود إلى القمة .

قطعنا الطريق من كاتمندو بالطائرة إلى منطقة «لوكلا» في «سولوخومبو» الواقعة على السفح على ارتفاع لا يقل عن ٢٩٠٠ متر . واستغرقت المسافة سيرا على الأقدام من مهبط الطائرة إلى فندق إيفرست حوالي ساعة . الفندق مبني بأحوال يابانية بتكلفة عالية في أوائل السبعينات ، ويكاد يكون أعلى فندق في العالم .. ومنه هي مشكلته الرئيسية مع الزائرين والسياح .. فهؤلاء أغلبهم من مشكلات القلب كبار السن والعجائز ومتوسطي العمر الذين لم يأتوا بهدف

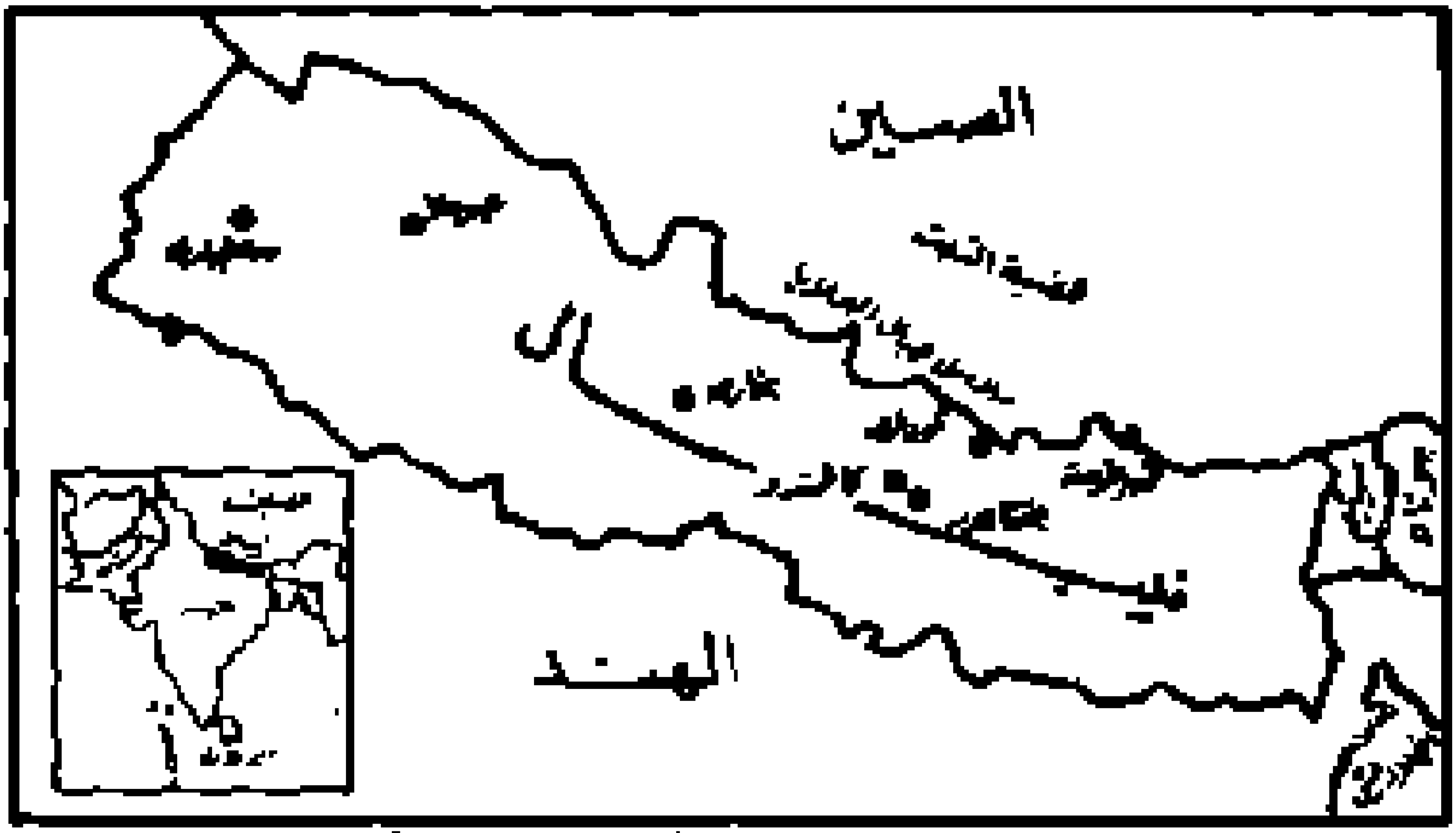

● خريطة نيبال .. يتوسطها وادي كاتمندو بينما سلسلة جبال الهيملايا تحدها على طول المنطقة الشمالية .. وهي تبدو معزولة عن العالم من كل الجوانب .

المتسلق ولكن لملابسه من صوف الهيملايا حتى يستطيعون دفع مصاريف الأقمشة الباهظة وهم بطبيعتهم غير مؤهلين لاحتمال البرد القارس والارتفاعات الكبيرة . فهم معرضون لأمراض المرتفعات وضيق التنفس . ولمواجهة هذه المشكلة زود المتسلق كل الفرق بالأوكسجين . وكانت تعليمات المتسلق لنا حين قررنا السير قليلا على ممرات الصعود مع المتسلقين أن نصعد ببطء شديد حتى لا نصاب بالدوار وأمراض المرتفعات التي يصاب بها من يتسلقون بسرعة كبيرة .. فأمراض المرتفعات قد تكون مهلكة .

في الصباح انطلقنا إلى قرية « نامشي بازار » موطن « تنزنج » الشيرباس » .. أشهر المتسلقين المرافقين لحملات التسلق . حيث اتفقوا معهم على الاستقبال من يتسلقونهم للاتفاق معهم على حمل حاجاتهم في رحلة التسلق .

على مدى البصر كانت تحيط بنا صور بانورامية رائعة . سفوح جبلية خلابة ولكنها لا تكاد تصلح لإقامة الإنسان . وغير بعيد يخترق الشيرباس منذ القدم طريقا للتجارة مع التبت قبل أن تغلق الحدود مع نيبال . وكان الانطلاق على هذا الممر بالنسبة للشيرباس اختبارا للجلد والقوة يجب أن يجربه الشباب قبل أن يصبحوا في عداد الرجال .

حدثنا مرافقنا ونحن جلوس في مقر الشيرباس عن سيرة الحياة كما يعيشونها فقال : كان الشيرباس في الأساس تجارا ورعاة . وكانت هذه المنطقة كما يدل اسمها سوقا ومنطقة تجارية حيث يتبادل الشيرباس وتجار التبت البضائع الأساسية التي يحتاجها سكان المنطقة ، مثل القمح والأصواف والحبوب من المناطق الأكثر اعتدالا في الجنوب .

وكان خاص هنا يرون الشيرباز للهجرة ويهجرونها لزارعي التبت الحليبيين . ولكن التجارة توقفت قبل جيل كامل عندما دخل الصينيون بلاد التبت واضطر الشيرباس للبحث عن مصادر أخرى للتجارة .

وحاول الشيرباس بجهد كبير الحصول على مستوى معيشي يفوق مصادرهم الضئيلة إلى أن حانت لهم الفرصة عندما تحول كثير منهم من التجارة إلى شاق الجبال ومرافقة المتسلقين . فطوال عشرات السنين جاء الكثير من فرق التسلق إلى منطقة خومبو لصعود إفرست وغيرها من القمم . وكانوا جميعا يحتاجون إلى حمالين الشيرباس الذين يملكون ميزة وراثية يتفوقون بها على من يعيشون على مستوى سطح البحر .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

محاولات تسلق ايفرست :

كان مرافقنا قائد الشيرباس في المنطقة واسمه « انج تسرينج » . انه واحد من مئات الشباب الذين يكسبون عيشهم من العمل الخطر بحمل الزاد في حملات التسلق . قال لنا تسرينج : منذ بدأ تسلق جبال الهيمالايا كان للشيرباس دور في هذا العمل . وكانت أول محاولة ناجحة لتسلق ايفرست هي التي قام بها « هيلاري وشيرباسي يدعى تنزنج نورجاي » . . وهو من تعلمت منه حرفة التسلق . كان والدي حمالا ومرشدا في الثلاثينات عندما كانت حملات التسلق البريطانية تبدأ من « دار جيلنج » في الهند . وكان الدخول الى نيبال ممنوعا في تلك الأيام . فكانوا يتسلقون ايفرست من الناحية الشمالية في التبت . ومازال أبي العجوز يتذكر أمجاد وكوارث الأيام المثيرة .

ونواصل الاستماع الى ذكريات الفتى الذي أصبح الآن في الأربعين . من خلال حديثه يبدو أن لديه طموحات أكبر . فهو يريد الوقوف على قمة ايفرست مرتين أخريين على الأقل . وهو يقول في ذلك : « في هذه الأيام وبعد أن وصل الكثيرون الى هذه القمة على مراحلهم لم تعد تحقق الكثير من الشهرة والغنى كما كان يحدث في الخمسينات ، برغم أن الأخطار لم تتغير : العنف والرياح العاتية والانهيارات والعواصف الثلجية . . ومع هذا فان على الشيرباس القبول بالعيش في كل الأحوال والاعتياد على هذه الحياة » .

جاء الشيرباس من التبت قبل ثلاثة قرون . ولم يكن لديهم سبب يدفعهم لتحدي الجبال وتسلق القمم الشاهقة . فعبور مرتفع بقصد التجارة شيء . . وتسلق الجبال شيء آخر .

على كل الأحوال فان الجبال ـ بالنسبة لهؤلاء السكان الذين يعود أصلهم لقبائل بوذية قديمة ـ تسكنها الآلهة والأرواح والعفاريت . ولقد جاء الرهبان البوذيون الى هذه الأماكن البعيدة ليمارسوا عبادتهم بعيدا عن صخب العالم في عظمة الطبيعة وبين أمواج العواطف والرغبات . ولقد أقاموا في هذا المكان معبد « تنج بوتشي » على مقربة من ايفرست حيث تساعدهم طبيعة الجبل على تركيز الفكر في نظرية الخلود . .

وكان الشيرباس في غاية الفقر قبل عشرات السنين . . ولم تكن الصورة بالنسبة لمواردهم الزراعية الا حين أحضر لهم أحد الرحالة البريطانيين القادمين البطاطس ما ضمن لهم محصولا زراعيا وفيرا وأرباحا مكنتهم من بناء معابدهم . وأصبحت الأسر البوذية تحب أن تهب ابنها الثاني لترسله قبل سن المراهقة ليصبح راهبا . وكانت البنات يرسلن ليتعلمن كيف يصبحن راهبات ، وتدفع هذه الأسر جميع نفقات المعيشة .

مزيد من محاولات التسلق :

خرجت مع الفتى الشيرباسي الى المعسكر الذي بناه المتسلقون عند وصولهم ، حيث يجري فحص أحوال الطقس ويعد أفضل مكان لاقامة المركز الرئيسي للحملات القادمة . ومررنا في الطريق على نصب لستة من الشيرباس قتلوا في انهيار جليدي وهو على صورة شلال مائي متجمد منحدرا من قمة ايفرست . وكان هؤلاء المتسلقون يرافقون حملة يابانية عام ١٩٧٠ عندما أخذ الجهد بأحد المتسلقين فراح يتزلج بطريقة مبالغ فيها . وعندما حدث الانهيار أنقذ الرجل بمعجزة بينما مات المتسلقون تحت الجليد .

ومثل كل الرجال المغامرين فان انج تسرين يؤمن بالخرافات ويخشى أن يقترب من النصب التذكاري حتى لا يلاحقه حظهم العاثر .

والذي لا شك فيه أن الشيرباس ـ كرهبان بوذيين ـ لا يعبأون بالمخاطر ويمتلكون صفات تجعلهم رابطي الجأش وهم يبتسمون ويمزحون دون حاجة لو غضب أو ضيق صدر وهم يبتعدون عن أي صفات عدوانية أو أنانية .

ويقول الفتى ان أعظم يوم في حياته هو وصوله الى القمة عام ١٩٧٥ ففي ذلك العام وبعد عودة الحملة الناجحة جرى استقبال كبير للمتسلقين في كاتمندو ، وأجريت مقابلات صحفية ، ونشرت صور كثيرة نشرت في عدد كبير من الصحف في جميع أنحاء العالم . وقد تلقى بعضا منها وهي تحمل صورته أخذت من مجلته . يعترف انج تسرين بأنه يشعر بالخوف والرهبة في الوقت الذي يكون فيه صاعدا على الجبل ولكنه يعتقد ان الأمر يستحق المجازفة .

ان الاعتراف بلطوف جرزمن الشجاعة .. والشربلس مشهور بجناحه وشجاعته ونصيبه من النجاح .

مجمع المعابد والاساطير :

الآن عودة الى الوادي ..

الى كاتماندو . العاصمة .. مجمع المعابد ومنبع الاساطير .. كان لابد في البداية من زيارة لوزارة السياحة لنتعرف على نيبال الحديثة .. وعاصمتها كاتماندو ..

قال لنا رئيس السياحة بالنيابة « شيلندرا راج تلوما » عندما استقبلنا في مكتبه : نيبال مملكة مستقلة وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تعلن الهندوسية دينا رسميا للدولة . الملك بيرندرا ملعندرا بريكرام شاه يحكم البلاد بمعاونة الجمعية الوطنية . ولا توجد في البلاد أحزاب سياسية برغم انه قبل عام ١٩٧٥ كانت هناك خطوات اول القيام نظام حزبي . والاجتماعيات الرئيسية للنظام البرلماني القائم الآن انه يتيح الفرصة لمشاركة اكبر عدد ممكن من المواطنين لكي تكون لها كلمتها في امور الحكم . ويجري تشجيع التمثيل الشعبي في الجمعية الوطنية حيث يختار الوزراء من بين أعضائها البالغ عددهم ١٤٠ عضوا يتم اختيار ١١٢ منهم بالانتخاب بينما يعين الملك ٢٨ عضوا . وتبدأ العملية الانتخابية بالتصويت الشعبي لاختيار مجلس القرى ، وينتخب اعضاء هذه المجالس مجالس الاحياء الذين يختارون من بينهم أعضاء مجالس الاقاليم .. وهؤلاء هم الذين ينتخبون أعضاء الجمعية الوطنية . ويختار الملك رئيس الوزراء من بين أعضاء الجمعية وكذلك الوزراء الذين يكونون مسئولين امامها . ومع حظر الاحزاب شكل مجلس الدولة عام ١٩٧٥ ليتولى التشريد للسياسة والتخطيط وإبداء المشورة للملك .

وحين نسأل الوزير عن الموقف الاقتصادي في نيبال يقول : « ان البلاد تعتمد على مصدرين رئيسيين للدخل القومي هما الزراعة والسياحة . اما التصنيع فما يزال في مراحله الأولى . ان عددا من النيباليين يعملون في الزراعة سواء زراعة الارز او الذرة وغيرها وكذلك في زراعة القمح والجوت . كما ان مناطق التلال تزرع القطن والفلفل والفاكهة الاستوائية . ولان نيبال بلد مغلق لايطل على البحار فانه يعتمد على علاقاته الطيبة مع جيرانه . وما بين ٨٠ و ٩٠٪ من تجارته تمر عبر الهند وخاصة بينه كلكتا . وصادرات البلاد اغلبها من الارز والجوت الى جانب المشغولات اليدوية والغلال المعدنية . اما دخل الفرد فهو منخفض جدا حيث لايتجاوز ٦٦ دولارا في السنة . وكل محاولات التنمية بالبلاد انما هي سعي لتحسين مستوى الدخل والمعيشة لابناء الشعب الذي عاش تاريخه كله من خلال المعاناة .. ولكن في عزة وكرامة واستقلال .»

ان ذلك في الحقيقة تاريخ يحتاج الى متابعة .. ويمكن معرفة الكثير منه عندما نرجع الى رئيس قسم الاعلام السياحي ... وستجدون انه ذاكرة معارف حية ... !

أساطير كاتماندو :

ما قصتها وكيف نشهد التفاصيل ؟

قال لنا السيد « أماتيو » الذي يؤكد من تلقاء نفسه انه ذاكرة معارف يرجع اليها المسئولون في كل مناسبة : نقطة البداية تبدأ مع ما تحكيه الاساطير القديمة من انه قبل آلاف السنين كان وادي كاتماندو عبارة عن بحيرة مترامية . وفي وسط البحيرة كانت هناك زهرة لوتس كبيرة رائعة .. ينبثق منها لهب أزرق عجيب يبعث البهجة في النفوس .. انها الصورة المرئية « لسوايامبو » .. البوذا الاول الاصيل . ماكان أروع البحيرة وأكليل الشعلة . لقد كان الناس يأتون من جميع الانحاء ليتبركوا الاولهتها المتكلمين على شواطئ البحيرة . يتعبدون ويحصلون على البركة المقدسة .

ومن الصين جاء زاهد صيني هابطا من صقيع الجبل اسمه « مانجوسري » ومن أجل أن يؤدي العبادة عن قرب امام شعلة اللهب المقدسة .. فقد ضرب بسيف حكمته الصاعق جدار البحيرة فشقه . مما أدى الى تسرب ماء البحيرة الى أعماق الارض واستقرار زهرة اللوتس على قاع البحيرة التي جفت وتحولت الى واد اطلق عليه اسم « وادي كاتماندو » . وفي نفس المكان أقام الزاهد هيكلا للعبادة ظل يتسامى بعد ذلك ليصبح معبد « سوايامبوناث » اي معبد بوذا

• البحيرة والجبل .. في بشري .. القوارب ليست للصيد وإنما للنزهة والمرح ..

• غرس شتلات الأرز قبل هطول الأمطار

• في الطريق الى قمة في أحد المرتفعات الجبلية الشاهقة من منطقة بشري .

● هل يمكن لهذا الصبي تصور معاناة أمه وهي تسحبه في الطريق الى مزرعة الارز .

لس في نيبال

الأصل .. وغير بعيد عن المعبد أقام مدينة من الخشب والطين سماها « مانجوباتان » ونصب واحدا من أتباعه المخلصين ملكا على الوادي .

وهناك أسطورة أخرى ، مماثلة ، ولكنها تنسب الأمر كله الى الاله كرشنا الذي قذف صاعقة على جدار البحيرة ليزيح سدها . وسواء كان السيف أو الصاعقة هو الذي شق الجدار ، فما من شك في أن هذا الشق يمثل حتى اليوم ممرا طبيعيا على طريق شوبار ، وهو يبدو فعلا وكأنه شكل شق تكسر من ضربة سيف ضخم .. واسفل هذا الممر يقع حجر ضخم يشبه الى حد كبير شكل جانيش .. الاله برأس فيل . ويعتقد الناس أنه هو الصاعقة التي اطلقها كرشنا .

وفي الحقيقة ان كلتا الاسطورتين تكادان أن تكونا متفقتين علميا .. وقد اثبت الجيولوجيون أن وادي كاتمندو كان مغمورا بالماء ذات يوم ..

ويقال ان كرشنا أسكن بالوادي جماعات الجوبال من رعاة البقر الذين شيدوا مملكتهم ليبدأ عصر السلالة الحاكمة الجوبالية . وبعد الجوباليين جاءت موجات متلاحقة من المهاجرين من بورما والتبت كما جاءت جماعات أخرى من مناطق البنغال الشمالية لتشيع عصور الحكم . وفي القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد جاءت جماعات الكيراتيين غازية من الشرق وأقاموا ملكهم في وادي كاتمندو .

تولى الحكم من الكيراتيين ٢٨ ملكا . وخلال حكم الملك السابع يعتقد أن جوتاما بوذا - وهو البوذا السابع لا سبقه ستة آخرون الى طريق النيرفانا - جاء لزيارة الوادي ومعه حواريه أناندا . وهناك حكايات تروى حول اقامة بوذا في مدينة باتان حيث قام بتحويل طبقة العاملين الى طبقة الصياغ ، وأطلق عليهم اسم الطبقة التي جاء منها .. الساكيا ..

بين الماللا .. والرانا :

تعرض آخر الملوك الكيراتيين للغزو من الليتشافيين الزاحفين سنة ٣٠٠ ميلادية من بيهار وأوتار براديش في الهند . ومع الغزاة الجدد بدأ العصر الذهبي للفن في نيبال .. ولكن بدأ معهم أيضا التقسيم الطبقي للمجتمع حسب ما تقوم عليه العقيدة الهندوسية .

تتابعت العصور الملكية المختلفة على وادي كاتمندو حتى كان عام ١٢٠٠ حين تولى الحكم الملك « آري ديفا » الذي أطلق على نفسه بعد ذلك اسم « ماللا » أي المصارع . وأقام فيها مملكة قوية موحدة ليتوالى من بعده سلسلة الملوك الذين حملوا اسم « ماللا » واستمر حكمهم من القرن ١٣ حتى ١٨ م .. وهي فترة تسمى بالعصر الوسيط لنيبال .

ثم جاء التوسع الانجليزي الزاحف عام ١٨١٤ في آسيا ، مما أدى الى وقوع الحرب بين نيبال والجيوش الانجليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية . وانتهت الحرب بتوقيع اتفاقية تنازلت نيبال بمقتضاها عن بعض أراضيها . وفي خضم المواقف القبلية الذي تلا ذلك استطاع جانج بهادور رانا أن يصبح صاحب النفوذ الأول فتناول رئاسة الوزارة التي استمرت وراثية في اسرته فيما بين عامي ١٨٤٦ و ١٩٥٠ بينما كان الملك يحكم بالاسم فقط .

وفي نوفمبر ١٩٥٠ قاد الملك تريبوان ثورة شعبية ضد أسرة رانا ، مما أدى الى سقوطها بعد ١٠٤ سنوات من السيطرة والنفوذ . وبعد وفاة الملك تريبوان عام ١٩٥٥ خلفه ابنه الملك ماهندرا ليعتلي العرش من بعده عام ١٩٧٢ ابنه الملك الحالي بريندرا شاه . ولقد ظلت مملكة نيبال باستمرار مملكة مستقلة لم تقع ابدا في براثن الاستعمار ..

كوماري .. الآلهة الحية :

ونبدأ جولتنا في شوارع كاتمندو .. ولعل اقرب بداية هي لقاؤنا مع الآلهة الحية .. التي تعيش على الأرض .. !

الآلهة الحية يسمونها هنا .. « كوماري » .. أي العذراء .. وحين رأيناها لم نصدق أن تلك التي أمامنا يمكن أن يعبدها قوم يعيشون في أواخر القرن العشرين في عصر بلغ قمة العلم والتقدم والمعرفة .. ولكنهم لم يتخلوا عن تراثهم [illegible] ..

الآلهة الحية .. فهم يختارونها .. لفترة واحدة .. بالانتخاب .. ؟!

اما طريقة انتخاب الكوماري فلها طقوس لابد من تنفيذها بدقة لدى هذه الطائفة من طوائف

المندوس . فهم يعتقدون ان « كوماري » تجسيد حي للإلهة براتالي زوجة الإله شيفا ..

سار بنا مرافقنا الى حيث تقيم الآلهة الحية . يقع القصر الخشبي محاط به من البنايات تماثيل لأساطين يكشرون عن أنيابها . وصعدنا الدرجات القليلة المؤدية الى الساحة الداخلية حيث يقوم بناء من ثلاث طبقات كل جدرانه مزينة بتماثيل منحوتة لمختلف آلهة المندوس . النوافذ الخشبية الخارجية التي تطل من كل طابق على الساحة تعلوها تماثيل لمعابد يتوسطها طاووس .

وقفنا وسط الساحة وعيوننا متجهة الى نوافذ الطابق الثاني . ونادى مرافقنا على طفل كان يطل من النافذة . وطلب منه أن يخبر الكوماري أن في الساحة زوارا جاءوا من بلد بعيد على أمل أن تنعم عليهم ببركتها . ومضت فترة . وأطلت علينا بعدها من النافذة طفلة لا يتجاوز عمرها خمس سنوات .. وقصة الرأس في امتداد من حرف قد نقشه .. على رأسها تاج مثقل بالمجوهرات الذهبية .. وعلى صدر ردائها القرمزي الألوان نقوش مشغولة بالذهب .. وحول عنقها قلادة ثقيلة يتوسطها هلال ذهبي تزينه مجموعة من الأحجار الكريمة . نظرنا اليها بإعجاب وهي تشرف علينا من موقعها لتنال شرف رؤية وجوهنا .. وأشارت المصورة بيديها في حركة ملتفة بالطقسة بالعس ، ثم تراجعت وراء النافذة بعد أن منحتنا بركتها الإلهية .. !

هذه الطفلة إذن هي الآلهة الحية .. وقد نصبت في مكانها هذا العام بعد أن تنحت الآلهة السابقة إذ بلغت سن الحلم وجرحت من القداسة .

كيف تنتخب الآلهة ؟ !

قال لنا مرافقنا ان من المقررات تنصيب الكوماري التي يجلسون في انتظار أن تطل عليهم وتمنحهم بركتها .. فعلمنا أنها تطل من الشرفة لتبارك أتباعها مرة واحدة كل عام .. فيهتفون ويحنون إجلالا واحتراما بينما يلتصق بعضهم بالأرض تقديسا وتعظيما .. وذلك يعني الطاووس التي تمارسها منذ تحطيمها الرهبان لتكون آلهة .

تجري عملية انتخاب الكوماري من بين مجموعة من الأطفال من عائلة بوذية معينة بشرط أن يكونوا من طبقة الساكيا ويعمل أبناؤهم في صناعة الذهب . البنات المختارات يشترط ألا تتجاوز أعمارهن الرابعة أو الخامسة ويكن متميزات بالذكاء والشجاعة والفطنة . ويختار الكاهن المندوسي الأكبر وحده من مساعديه من بين الفتيات من تنطبق عليهن مجموعة شروط منها التميز بالجمال والخلو من أية عيوب جسدية بالاضافة الى علامات لمسية معينة . وتتعرض الفتيات المختارات لاختبار في نهاية القصة يتم في الظلام الدامس بالقاعة المقدسة ، حيث يجري إثارة فزعهن بوجوه وحوش مخيفة وجماجم ينطلق من عيونها الشرر وشياطين وعفاريت يتظاهرون بالانقضاض عليهن . وحين ينتهي الاختبار الكبير يقع اختيار الكهنة على الطفلة التي بدت أكثر ثباتا وثقة وشجاعة لتكون هي التجسيد الحي للإلهة براتالي ، باعتبار أن هذه الميزات لا تكون إلا في طفلة تلبس بالروح الالهية المقدسة أن تتجسد فيها .

تخضع الطفلة بعد ذلك لامتحان أخير عسير ، لمعرفة مقدار طهارة روحها وسلامة طويتها . وللتأكد من أن أحدا لم يدفعها الى ذلك السلوك . وحين تثبت أحقيتها بالمهمة المقدسة تجري احتفالات ضخمة لتنصيبها إلهة . فيسير موكب ديني ترتفع خلاله دقات الطبول والأهازيج في الطريق حتى القصر الذي ستقيم فيه طالما احتفظت بقداستها وطهارتها . وتنتهي هذه القدسية إذا بلغت سن الحلم وخرج من جسدها دم الطمث أو لو حدث أن تعرضت لإصابة دامية . عندئذ تنحى من الألوهية وتسقط قدسيتها ويتجهون الى اختيار من تحل محلها لتكون إلهة كماري حية .. كوماري .. وتذهب الالهة السابقة بعد تنحيتها الى بيت أسرتها عائدة لطفولتها وأطفالها . ولكن مثلها يكون صعبا بعد ذلك .. إذ انها تعجز عن الحصول على زوج لأنها ستكون شؤما على الرجل الذي يتزوجها إذ سيكون أقرب الى الموت .

ويقول لنا مرافقنا ان هناك حكايات كثيرا تدور حول الكوماري ، فيقال انه حدث في القرن الثامن الميلادي ان ادعت احدى فتيات الساكيا ان روح الآلهة براتالي قد تجسدت فيها . فأمر الملك بنفيها وطردها من البلاد . ولكن الملكة ثار غضبها وأصابها خلل لم

● ابو [illegible] [illegible] في [illegible] ٣ ادوار من كل [illegible] [illegible] الاعلى [illegible] [illegible]

● مسلمان في طريقهما الى القمة من الاعتصام الى [illegible] الشيوعي

● طفلة لا تستطيع ان تخفي من وجهها البسمة رغم [illegible] الثلج على ظهرها [illegible] ورأسها على ركبتها .

• مرافقو الرئيس .. لهم حضورهم في حلبة الإثارة
بجانب المعرض

تبرأ منها إلا بعد أن أمر الملك بإحضار الفتاة ووضعها معلقا عليها مثل العبد.

وهناك حكاية أخرى تقول أن أحد ملوك « الفلانا » تعود أن يلعب النرد مع الآلهة « تاليجو » التي كانت تتجسد في هيئة بشرية. وذات ليلة حاول الملك اغتصابها لكنها تملصت منه وأقسمت ألا تعود إلى البلاد ثم اختفت وكأنما تبخرت في الهواء. وأدرك الملك أنها لم تكن امرأة عادية بل كانت إحدى الآلهات، فأعلن توبته وندمه ورغبته في التكفير عما ارتكبه. وجافاه النوم طوال شهور.. واستجابت الآلهة في النهاية لتوسلاته، ورضيت بتوبته، فانسلت عينه للنوم ثم ظهرت له في الحلم، وقالت له أنها ستعود ولكن في صورة طفلة لتختبره وترى إلى أي مدى كان صادقا في توبته.

وهكذا أصبحت الآلهة تتجسد في طفلة عذراء صغيرة تطمئن إلى طهارتها ونقائها.. وتقوم بمباركة الملك في احتفال يقام مرة كل سنة.. وهو تقليد مازال مستمرا حتى الآن، حيث تذهب في ذلك اليوم -وقد تحلت بأجمل الثياب وغطت رأسها وعنقها بالحلي والمجوهرات- إلى قصر الملك في موكب مهيب، تركب فيه عربة يجرها جواد مزينة بالذهب والورود ويتقدمه الكهنة، ويستقبلها الملك لتضع على جبهته علامة « التيكا » الحمراء المقدسة رمز البركة الإلهية..!

غابة من المعابد :

تتعانق قصور الآلهة الحية.. ونحن نتفحص المعابد.. وتظل حيرتنا. نحن في أعماق غابة زاخرة بالمعابد المختلفة الأشكال والألوان والطقوس والرهبان والتماثيل..

إنها ساحة « دوربار »..

في وسط الساحة يقوم معبد تاراباتا الذي بني عام ١٦٢٠ وهو أكبر معبد من الخمسين معبدا التي تنتشر بزخارفها وأشكالها متشابهة.. تختلف باختلاف المعتقدات والطقوس والطوائف والآلهة.. إنما أرصفة الساحة تتزاحم فيها باعة الخضروات والفاكهة والحلويات والتماثيل والملابس والأحذية والزهور. سوق غريب يختلط فيه الحابل بالنابل... الساحة والمشترون والسياح والرهبان والمتسولون والزهاد والنساء والعجائز والأطفال والمتسولون.. حتى شرفات المعابد بمثل طبقاتها وأركانها وأفاريزها تساء بعارضين حياكة للملابس وإصلاح الأحذية وجدل السلال وحفر الخشب وكل ما يمكن تصوره من الصناعات والمشغولات اليدوية. وبين هؤلاء وأولئك تتنقل الفلاحات حاملات سلال جوز الهند والتمر والخضر والبصل والسمك المملح والفواكه والحلويات ومن يبحث عن مكان خال يسطو عليه بضاعته ويدلي تسليها والنداء عليها لاجتذاب المشترين والمتجهين إلى المعابد لتقديم النذور والقرابين..

في هذا الزحام، وكل شيء هنا في زحام، غرقنا في دوامة من الألوان والروائح المختلطة بالأجساد المتلاحمة بعضها ببعض.. وتهنا بين الوجوه التي تختلط فيها الملامح الهندية والمغولية والصينية والتبتية.. واضطربت خطواتنا لنتفادى روث عشرات الأبقار التي تضع الأرض بمخلفاتها على اتساع الطرقات دون أن تبالي بالجالسين والسائرين. فنحن نعلم أنها هنا تعد مخلوقات مقدسة باعتبارها رمز الخصوبة والحياة. فنراها تتبختر في سماحة وتزدرد أي شيء يطيب لها من سلال الباعة دون أن يجرؤ أي انسان على إبعادها أو المساس بقدسيتها.

فجأة تضج من بعيد طبول ومزامير وموسيقى صاخبة. ونتطلع إلى بعيد فإذا موكب عرس كبير تتقدمه فرقة موسيقية وراقصون يتمايلون على الأنغام وهم ينثرون أعلاما ملونة ويرفعونها فوق الرؤوس. ويتبعه زميل المصور، ولا يكاد يقترب حتى يتبين العريس الطفل يتربع فوق عربة محمولة على الأكتاف. حتى يلاحظ بعجوز يحيي الجماهير من يمين وشمال، وقد توج رأسه بالورود والرياحين وأحيط عنقه بعقود كبيرة من الزهور، والفرحة الغامرة تملأ وجهه وعينيه. ولا يكاد العجوز يقترب على عقبه حتى يشير بيده لحامل المظلة ورجال الموكب ليتوقفوا حتى يلتقط المصور صورته ويرد على تحيته في سعادة. وهكذا لا بد من تساؤل: وأين العروس؟

ويجيء الجواب: العجوز لا يحتاج إلى عروس، فالموكب الاحتفال ليس موكب عرس، ولكنه احتفال

وداعي للرجل وقد بلغ سن الثمانين . فبعد ذلك الاحتفال ستنطلق روحه بعيداً عن جسده . لتتقمص جسد طفل وليد تواصل معه مسيرة الحياة .. !

أما هو .. فلا أحد يدري كيف سيواصل الحياة بغير روح ، بعد أن تكون روحه قد تقمصت سواه ، كل ما يعرفونه أن دور الرجل قد انتهى ، وأن حياة جديدة ستبدأ داخل جسد جديد .. !

يواصل الموكب طريقه . وتلتفت نحو أن عمود طويل من حجر يشبه المسلة يتوسط الساحة . وحين ترتفع أبصارنا الى قمته نجد تمثال للملك « بلوتاب مالا » الذي شيدت في عهده غالبية المعابد في ساحة دربار . ان وجه الملك يتجه نحو غرفة العبادة التي كان يؤدي فيها صلواته في الطابق الثالث من معبد « ديجوتيلاجو » حيث يقوم تمثال كريشنا في الركن الأيمن يتدلى فوقه ستار يخفي وجهه عن الجمهور والستار لا يزاح الا خلال المهرجان الديني الكبير المسمى « اندراجاترا » . ففي ذلك اليوم يكشف النقاب عن الوجه الفضي للإله وهو محاط بباقات وعقود الورود والأزهار وسنابل الأرز . ومنذ اللحظة الأولى تنطلق من بين شفتي التمثال نهورا من العصير المسكر يتسحب من خزان يقع وراء الرأس ، ويتزاحم المتعبدون ليبللوا من السائل شفاههم حتى يرتوي الجميع !

باتان .. والقصر الملكي القديم :

ونترك دربار لنتجه الى ساحة باتان .. هنا نجد أنفسنا في مواجهة القصر الملكي القديم . عند مدخل القصر يقوم تمثال الإله القرد هانومان الذي يقدسونه لأنه أنقذ الأميرة سيتا زوجة الأمير راما من ملك الشر رافانا كما جاء في ملحمتنا الهندية المقدسة . التمثال أقيم في عام ١٦٧٢ عند مدخل القصر وتغطيه عباءة حمراء لا تخلع عنه الا في أيام المهرجانات الدينية والمناسبات الرسمية . ويعتبر « هانومان » رمزاً للنضال والخير والنصر . وحينما كنا وقوفا نطل اليه كنا نرى المتعبدين يقدمون اليه قرابين الأرز ويلقون تحت قدميه العقود الملونة ويشعلون أعواد البخور ، كما يلقي اليه البعض رسائل مكتوبة على قطع صغيرة من الورق تحمل أمانيهم أو تعبر عن توسلهم .

بوابة القصر الملكي التي يقف أمامها جنود « الجوركا » بملابسهم السوداء يقوم على جانبيها تمثالان لأسدين من الحجر . الأول يمثله شيفا ، والآخر تمثله زوجته بارفاتي . وفوق بوابة القصر تماثيل مجموعة من الآلهة يتوسطها تمثال كريشنا والى جواره الملك بارتاب مالا .. وهناك تمثيل الى يمينه شيفا ، ولشيفا عند الهندوس واحد من ثالوث الآلهة الذين يسيطرون على الكون . وهم براهما الخالق ، وفشنو الحافظ ، وشيفا المدمر .. إنه براهما يجسد القوة الخلاقة في الطبيعة وإن كانت عبادته مهملة . وأما فشنو فهو الإله الطيب الذي يتدخل كثيراً لكي يقدم العون للبشر ، وأعظم ما يتجسد فيه هو شخصية كريشنا البطل الأسطوري الذي ولد في السجن وأتى بكثير من العجائب البطولية ومغامرات الغرام .. وكان يشفي المرضى ويغدق من الفقراء ويبعث الموتى من القبور . ويرسم الواحد من أتباعه على جبهته كل صباح بالرماد الأحمر علامة الفشنو .. وهي شوكة ذات أسنان ثلاثة ، بينما الشيفي المتعصب لعقيدته يرسم ثلاثة خطوط أفقية على جبهته بالرماد من روث البقر .. ويعتبر الأتباع شيفا على أنه إله القسوة والتدمير وأنه تجسيد لقوة الكون التي تعمل على تخريب جميع الصور التي تتجلى فيها حقيقة الكون .

يقول لنا مرافقنا : اليوم عيد ديني وعليكم أن تذهبوا الى معبد الآلهة كالي زوجة شيفا .. لتشهدوا احتفالات تقديم القرابين وذبائح الدم ..

وتنطلق بنا السيارة لأكثر من ساعة خارج العاصمة . وخلال الطريق نتوقف عند الممر الضيق الذي يذكر الجميع بضربة سيف بوذا الأول او صاعقة كريشنا التي شقت جدار البحيرة لتتدفق المياه ويظهر وادي كاتماندو . وبعد مسيرة حوالي عشرين كيلو متراً نصل الى معبد كالي . وننحدر سيراً على الأقدام في طريق طويل لنهبط في نهايته الى درجات لا يقل عددها عن مائة . وتقابلنا زحام شديد يمتد على مرمى البصر .. طوابير طويلة من أتباع كالي يحملون الاضحيات والقرابين التي يقدمونها لها .. مئات من الماعز والخراف والخنازير والبط والأوز والدجاج

وغيرها من الحيوانات والطيور كلها تولد بلا رءوس سوداء. يحملها أو يطلبها أصحاب النذور وفي أعماق كل منهم الأمنية التي سيحملها إلى الآلهة كالي. فكل تمثال هو التضحية، بعد أن يكون قد صبغ في لونها لتكون مستعدة للتضحية تقربا لإرضاء زوجة شيفا. ويقف الجميع واحدا وراء الآخر إلى فتحة تنتهي بدرجات قليلة، تنحدر إلى ساحة تشبه البئر الواسع تحت المقام تمثال كالي. وعلى أرض الساحة يقف رجال تدربت سواعدهم الفولاذية في نحر من ثم القرابين التي يتلقونها من أصحاب النذور ليذبحوها بطريقة غريبة.. فهم يلقون كمية من الملح على رأس الضحية، ويتبعون ذلك بضربة على الرأس عطرة. يتبعها الذبح بسكين حاد بينما العنق [illegible] يستند إلى الجذع الذي تحول إلى اللون الأحمر القاني [illegible] بعد قليل. [illegible] صاحب النذر [illegible] بقطعة [illegible] سريعة نحو تمثال الأسود للآلهة كالي القائم في صدر الساحة.

يحكي [illegible] أحد أصحاب النذور [illegible] في كالي، أنها زوجة شيفا الإله المدمر. تركزت في [illegible] الآلهة [illegible] مصدر القسوة والعظمة [illegible] وتمثلت كالي [illegible] ترقص في وحشية [illegible] فوق شيطان [illegible] على [illegible] لتكون [illegible] تتحول إلى [illegible] والتسامح والخير.

[illegible]

الأنوف المقطوعة والشفاه والممزقة :

في طريق العودة من معبد كالي دارت في ذهني أسئلة كثيرة.. لم كيف يفكر هذا الخضم البشري من يصلون ويطلبون عشرات الآلاف من الآلهة في بلاد كبيرة من هذه الأرض ؟ وكيف يؤمنون بكل هذه الآلهة وهم يعيشون في أواخر القرن العشرين بعقلية دينية ما تزال تعبد التماثيل وتقدس الأبقار وتحمي النمل [illegible] من دون الله. بينما بلغ عدد كبير منهم قمة التعليم وذروة العلم وشاركوا بفكرهم وجهدهم في كل مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع.. بل والوصول إلى الفضاء..!

وانتبهت فجأة من هذا الاستغراق في التفكير إلى أن السيارة قد توقفت بنا عند قرية [illegible]. ونزلت من السيارة [illegible] الكثير من الأقدام وتدخل القرية التي تشتهر في كل [illegible] مدينة [illegible] الأنوف المقطوعة.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هنا.. ولد بوذا

[illegible]

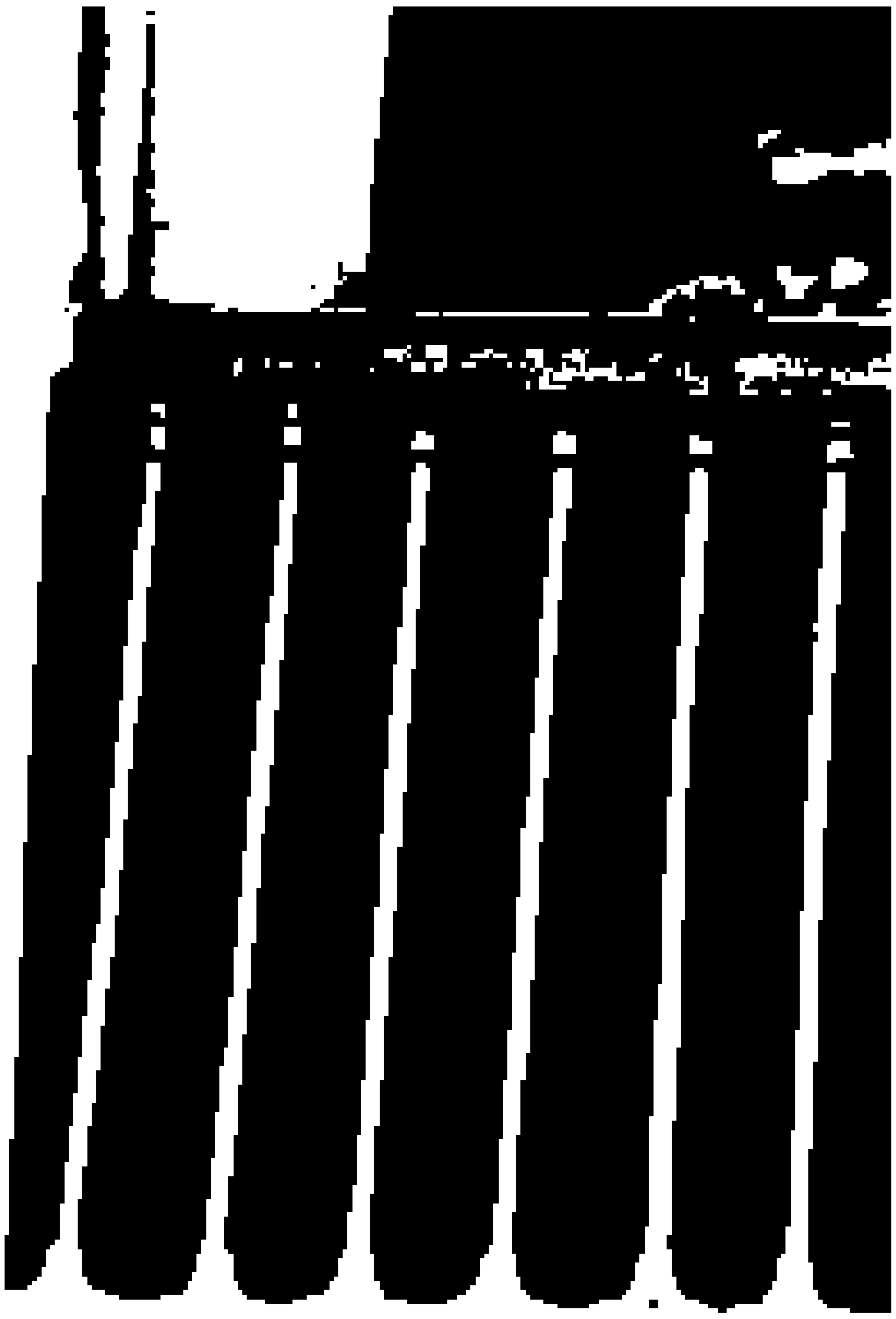

● وجه مصري لتشكيلة حسنة ونظرة الى بعيد

نظرة الطفل من نافذة البيت ونظرة مريبة الى المستقبل

● [illegible]

والواقع أننا نبالغ بعض مبالغة عند البوذيين .. فإنما ولد جوتاما بوذا .. وعمل بشرحها تعاليم الحكمة ، وفي ظل شجرتها اكتسب استنارته ، وإلى ولديها كانت زيارته الأخيرة قبل الصعود إلى النيرفانا .

نحن الآن على مسافة قصيرة من مدينة « لومبيني » في المنطقة الغربية من نيبال ، نقف ومن حولنا الحجاج والرهبان البوذيون ، في نفس الموقع الذي شهد مولد جوتاما بوذا حوالي عام ٥٦٣ قبل الميلاد ..

في وسط هذا الخضم البشري من الرهبان والحجاج البوذيين تنتصب عند معبد « مايادفي » أم البوذا .. وهو معبد تجدد عشرات المرات للاحتفاظ به كأثر ديني وتاريخي يشير إلى مولد الحكيم الذي لم يدع أبدا أنه إله ، ولكنهم بعد موته بسنين ألهوه وعبدوه من دون الله .

ويحكي الرهبان هنا قصة ميلاد جوتاما في أسلوب أسطوري مثير .

فبينما الملكة « مايا » نائمة على فراشها إذ رأت في الحلم أربعة من الملائكة في ثياب بيض ، يحملون سريرها بكل محتويات غرفة نومها ويطيرون بها إلى أعلى قمة في جبال الهيمالايا ، حيث تقوم شجرة باسقة خضراء وضعوها تحت ظلها .

واقتربت من الملكة أربع ملكات أخذنها حيث قمن بإحمامها جيدا وعطرنها بعطور زكية الرائحة . ثم حملنها إلى منزل آخر شيد كله من الفضة ووضعنها على فراش آخر يشع بالنور . وهناك هبط فيل أبيض من فوق جبل قريب وتقدم منها وفي خرطومه غصن من نبات اللوتس ، وطاف الفيل حول الفراش ثلاث دورات . ثم مس جانب الملكة الأيمن ودخل في رحمها . واضطرب الملك وهو ينصت إلى زوجته . وأرسل يستدعي حكماء المملكة للحضور إلى قصره في كابيلافستو ليفسروا له الحلم .

قال الحكماء : لا يشغلن بالك شيء أيها الملك السعيد .. فالملكة قد حملت بغلام سيصبح ملكا على البلاد إذا استقر في بيته . أما إذا اختار الهجرة على وجهه في الأرض . فعندئذ سيصبح هو البوذا كاشف نقاب الجهل عن وجه هذا العالم ..

ولم تمض تسعة أشهر حتى تحقق ما قاله الحكماء . وأحست الملكة بالحمل . وكان هناك شيء عجيب ، فقد كان الجنين يلهو ويلعب وهو القابع الظاهر في رحم أمه ، وظل على هذه الصورة حتى اقترب موعد الوضع . وطلبت الملكة أن تسافر إلى أهلها لتضع مولودها هناك . وإذ هي في الطريق فوجئت بالمخاض وهي تحت شجرة سال في بستان يسمى « لومبيني » . وتحت الشجرة الوارفة الظلال جلست الملكة الراهبة بعد أن صحبها الألم من الأطفال .

وما أن ولدت الملكة حتى مدت يدها إلى غصن الشجرة المتدلي من تلقاء نفسه حتى اقترب منها . ولم تكد تمضي حتى كان طفلها طفلا تلقته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت خيوطها من أسلاك الذهب . ووقف الوليد لحظة وتقدم إلى الأمام سبع خطوات ثم صاح في صوت عذب : « أنا سيد هذا العالم .. وهذه الحياة هي آخر حياة لي .. » .

شجرة الحكمة ومعبد البرج :

موقع آخر له قدسيته عند البوذيين انطلقنا إليه ونحن في طريق العودة . على بعد من الطريق المؤدي إلى داخل منطقة باتنا ، وتحت شجرة لم يبق منها سوى رمز مكتوب على لافتة تقول « تحت شجرة التين المقدسة - شجرة الحكمة - بلغ الأمير جوتاما في مملكة الساكيا مرتبة البوذا .. وأصبح المستنير » .

وعندما هجر الأمير قصر أبيه ليصبح راهبا متجولا وهو في سن التاسعة والعشرين ، راح يتجول في الغابات والقرى باحثا عن الحكمة وحقيقة الحياة . وعندما بلغ منه الجهد جلس تحت شجرة وهو يقول لنفسه « هنا سأجلس وأفكر في كل ما تعلمت ، وفي كل ما رأيت في حياتي ، ومن كل هذا سأكتسب الحكمة . فليجف جلدي وتتكسر عظامي ويتبخر الدم من كل شراييني .. ولكني سوف لا أبرح مكاني هذا قبل أن تتكشف لي الحقيقة وأحيط بأسرار الحياة » .

واستمر جوتاما مستغرقا في حياة التأمل والتفكير والبحث عن الحقيقة . وفجأة تألق وجهه ابتهاجا وهو يقول : « أخيرا وجدت مفتاح الحكمة . إنه قانون السببية .. من الخير يجب أن يأتي الخير .. ومن الشر يجب أن يأتي الشر » .

وتبين جوتاما أنه توصل في بحثه الطويل عن الحكمة وأنه الآن أصبح البوذا المستنير .

تلك هي حكمة بوذا .. تذكرتها ونحن نلهث على درجات السلم الحجري الطويل الصاعد على السفح الشرقي للجبل للوصول الى معبد البرج ..

بوذا الأصيل :

البرج يطلق عليه اسم معبد « سوايامبونات » .. وهو احد اروع المنشآت في كل نيبال .. وواحد من اقدم المعابد البوذية في العالم . على الدرجات الصاعدة التلاقينا بأحد الدارسين البوذيين ، لحسن الحظ كان يقرأ كتابا بالانجليزية ، وتمكنه ان يسمح لنا برافقته خلال جولتنا بين انحاء المعبد ..

ووقفنا امام البرج الرباعي الغريب الذي لا تخطئه العين من اي مكان من وادي كاتماندو . على كل جانب من الجوانب الاربعة للبرج الطويل الذي ترتفع فوقه قمة هرمية ، تطل نظرتان ثاقبتان من عينين رسمتا بالطلاء بحيث تتجه نظرات بوذا الى قلب وادي كاتماندو . النظرات المشرقة على العالم من كل الجهات تمتزج فيهما الرحمة باتساع مدى الرؤية تحت حاجبين اسودين كثيفين . وبين العينين رسمت عين ثالثة قاطعة تعبر عن الحكمة المطلقة . اما الانف الذي يبدو في شكل علامة استفهام ناقصة – وهي تشبه رقم ١ في اللغة النيبالية – فهو يعبر عن ترابط البلاد والى « الكل في واحد » .. قال لنا الراهب البوذي :

لقد اتبعت في تشييد البرج قواعد دقيقة حتى يعد نموذجا بارزا من نوعه . وكل جزء او قطعة منه له معناها . فالبرج المدور الناصع البياض يمثل العناصر الاربعة في العالم : الارض والنار والهواء والماء ، والحلقات الثلاث عشرة التي تحيط بقمة البرج هي درجات المعرفة الثلاث عشر ، وتمثل درج الصعود الى النيرفانا التي تمثلها المظلة القائمة فوق ذروة البرج . وحول قاعدة البرج تبرز عجلة الصلاة المستديرة التي كلما أدارها أحد الاتباع للمخلصين على مدار الساعة ، تمثلت دورة الحياة والموت على الارض .

وهناك طقوس يتبعها البوذيون كلما جاءوا الى المعبد . فالأب يأتي ولده ليحفظ ولأنه يحتفل اصغر ، ويخلع حذاءه ثم يركع على ركبتيه امام الهيكل الرئيسي عدة مرات . وتتبعه زوجته وابناؤه الذين ارتدوا الزي للاحتفالات والمجوهرات . ثم يتجه الجميع ليضع الراهب على جباههم علامة التبرك الحمراء وهي ايضا علامة متعارف عليها .. كل ذلك بينما تتعالى الموسيقى تعزف هنا وهناك بين الزائرين وتختلف من ابتسام تلك ما يسود الاحتفال ، وخاصة اذا كانت فاكهة للطبيعة ..

ثم ماذا بعد ؟

ليس من الممكن تجاهل الجهود الكبيرة التي يبذلها الملك وحكومته لرفع مستوى حياة الشعب ، وتطوير المجتمع المتعدد الاعراق المختلف العادات المغرق في الفقر الذي يستعين عليه الغالبية للتطلع بالخرافات والأساطير .

ولكن هذه المحاولات لا تحول دون قيام حركات معارضة تطالب بالمزيد من الاصلاح وبذل الجهود من اجل نهضة اجتماعية واقتصادية وسياسية شاملة في البلاد ..

ورغم ان الاحزاب محرمة في نيبال ، الا ان الجماعات المعارضة تظهر على السطح في كثير من الاحيان . وتتشدد المعارضة ضد الحكومات ووزرائها حول الاصلاح الاقتصادي . وقد كان سقوط بعض هذه الحكومات يعود الى تحت ضغوط للمعارضة التي تستطيع في كثير من الاحيان ان تستقطب جماهير الشعب للمطالبة بتغيير الوزارات حتى ان الملك اضطر قبل ثلاث سنوات الى اقالة الحكومة .. وهي اول اقالة في تاريخ الحكم في نيبال .

وليس ادل على فاعلية هذه الحركات المعارضة من اننا فوجئنا ونحن في طريقنا الى المطار لمغادرة كاتماندو ، بثلاثة تفجيرات متتالية لمت في وقت واحد تقريبا .. كان اولها انفجارا على مدخل الجمعية الوطنية بينما كان موكب الملك يمر في الطريق لحضور حفل افتتاح للدورة البرلمانية والاستماع الى بيان الحكومة ، وكان الانفجار الثاني وسط الميدان الرئيسي في قلب العاصمة .. اما القنبلة الثالثة فقد فجرت بالقرب من القصر الملكي .. برغم ان الملك هو نفسه تجسيد للإله شيفا .. بوصفه تلمس الجميع .. ! □

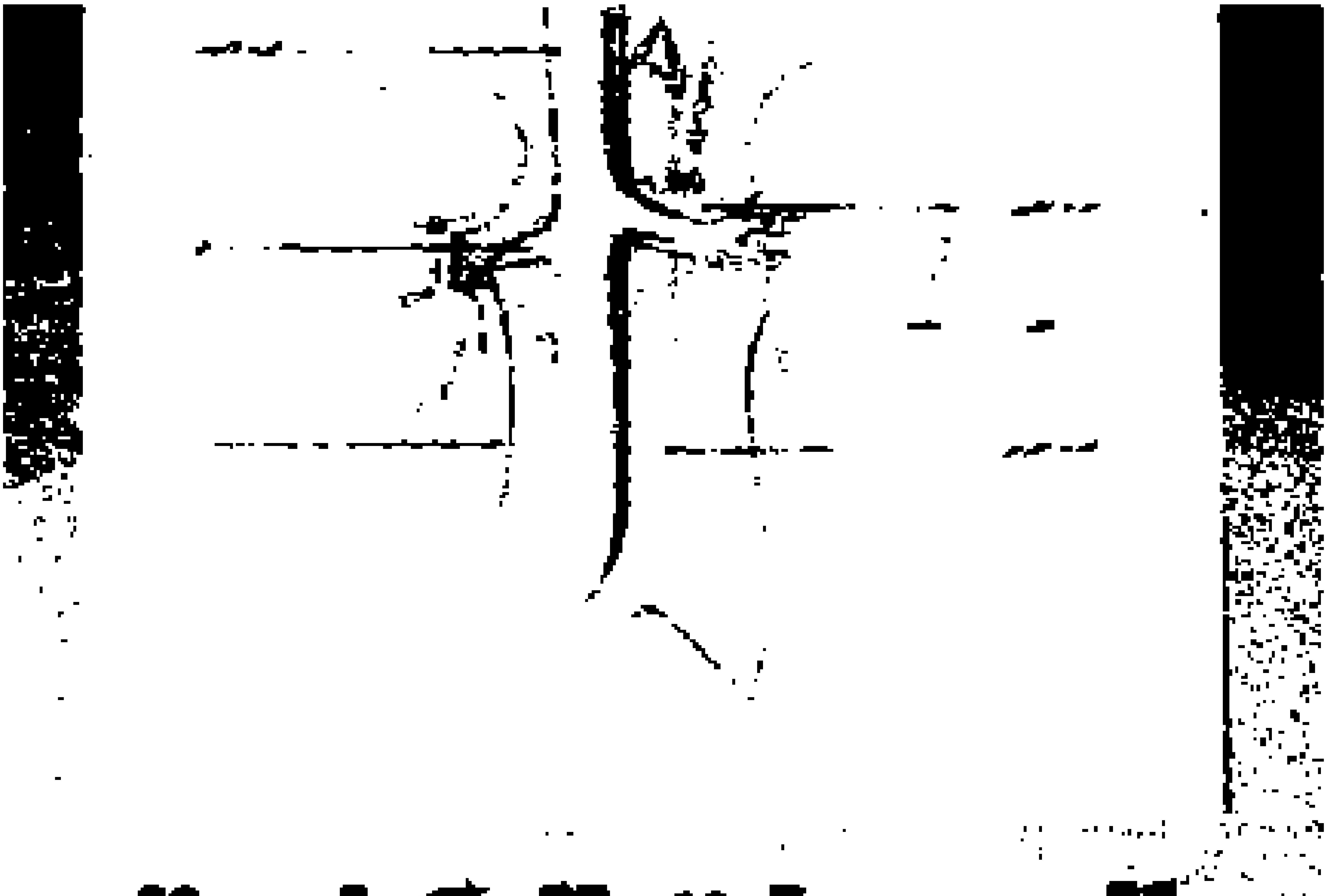

الحصيات الكلوية

حصـــــاة واحـــــدة ..
نـــوبـــة واحـــدة ..

بقلم : الدكتور غسان حجاحت

تأتي الحصوة الكلوية على غير موعد ، وتذهب فجأة دون وداع .. لكن آلامها لا توصف فقد جاءت وفتكت ، وحتى وقت قريب كانت الجراحة وشق البطن لاستئصال الحصاة الكلوية هي العلاج الوحيد ..

أما الآن ، ومع التقدم الطبي فقد أصبحت العملية سهلة سريعة ، وأصبحت الحصوة الأولى هي الأخيرة .. فما الذي حدث ؟

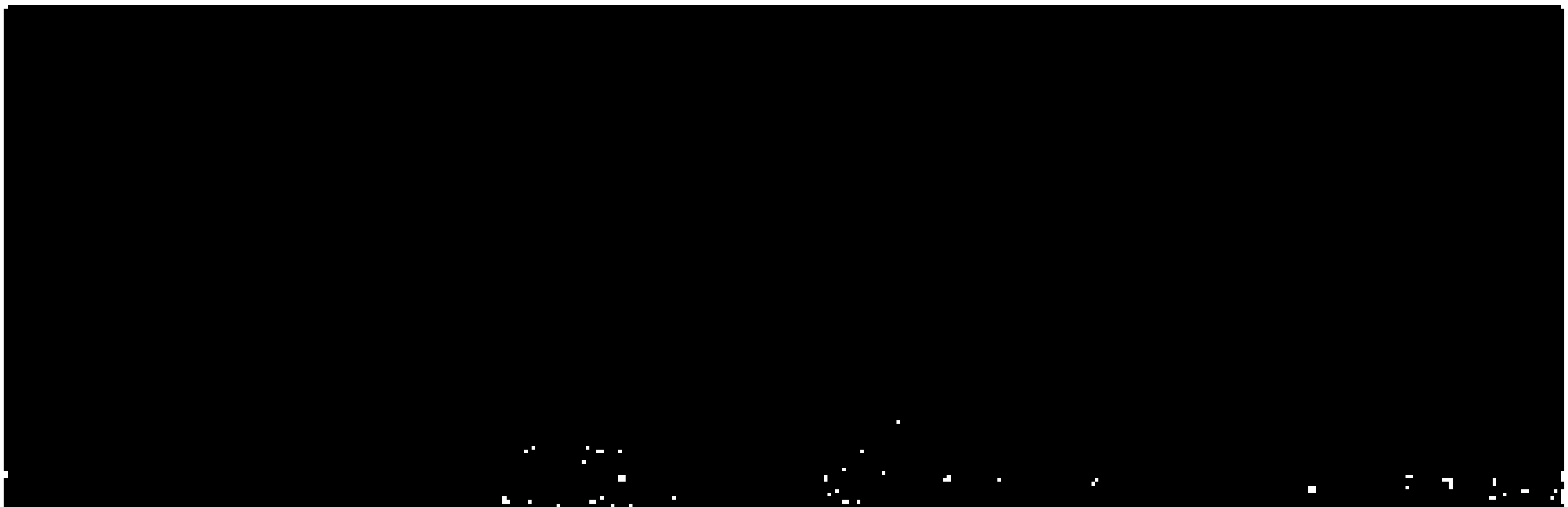

[illegible] التي مرت [illegible] مرضيا
وطبيا ، بفضل أن نقرأها من صحفي [illegible] بالصحة
من طبيبها الرئيسي كانت : النوبة القلبية !!
ويستطيع عمرا ونحن نقرأ في الصفحات الطبية عن
العمليات الناجحة في استخراج الحصاة ، عمليات
سهلة لا تنتهي ، كالسابق ، حتى الطبيب جرحا يزيد
على الشبر الطويل أو كثيرا (عرفته مريضا عنده المرارة
طبيا) ، بل كل ما تتطلبه جرحا يسيرا لم [illegible]
منظار إلى [illegible] بعد تحديد موضعها وموضع الحصاة
فيها بالأشعة والأمواج فوق الصوتية . وتستخرج
الحصاة ويخرج المريض من المستشفى بسرعة ، بعد
أيام قليلة ، ويعود إلى عمله وكأن ما كان لم يكن .
ونظرا من التجارب الإحصائية أن النوبة الأولى يجب
أن تكون النوبة الأخيرة ، وأن الحصاة لا ينبغي لها أن
تتشكل ثانية .

ولئن كانت النوبة الأولى أتت على غير ما موعد ،
فلا سبيل إلى توقع حدوثها أو الوقاية منها فإن طرق
الوقاية من عودة تشكل حصاة جديدة أصبحت ممكنة
تطالعنا الأبحاث الطبية بالجديد عنها كل يوم .
وتشير الدراسات إلى أن احتمال تكرر حدوث
الحصيات لدى من كانت لديه حصاة واحدة هو ٤٠٪
خلال خمسة أعوام . بينما ترتفع هذه النسبة لدى من
تشكل لديه حصاتان إلى ٨٠٪ خلال عامين .
ويقف الطب اليوم أمام التحدي ، فلا يكتفي
باستئصال الحصاة كما كان يفعل في الماضي ، بل لابد

[illegible] ، [illegible]
[illegible] المختص [illegible]
البول ، أو [illegible]
للعلاجية الطويلة ، أو [illegible]
ولابد من السؤال عن الأدوية [illegible]
الأدوية التي تزيد حدوث الحصيات ، ومن [illegible]
للحمل أو تناول الفيتامين C بكثرة ، وهو الذي يحتوي
[illegible] كل [illegible] ، [illegible] ٢٥٪ من
الناس إلى تشكل الحصيات لا يعرفون سببها إلى
الآن . لذلك يجب على هؤلاء الناس الامتناع

عن تناوله نهائيا بأي شكل من الأشكال عندما تكون لديه زيادة في طرح الاوكسالات .

تتشكل الحصيات بصورة رئيسية من الكلس والاوكسالات وبعض البول والفوسفات والكربونات بعضها او كلها . وبالتالي فان الوقاية منها يجب ان تتركز على هذه المواد . وان اية اضطرابات ولو جزئية في زيادة هذه المواد او تغير نسبها قد تؤدي الى تشكل الحصيات .

وان ٩٠٪ من الحصيات تحوي الكلس ، بينما جزء قليل منها يحوي الفوسفات الثلاثية (الكالسيوم والأمونيوم والمانجنيزيوم) وهذه الحصيات الاخيرة تنشأ بسبب تكرر حدوث الالتهابات البولية الناجمة غالبا عن وجود انسداد في المجاري البولية .

ان فحص كافة الحصيات سواء المارة تلقائيا او المستخرجة جراحيا يساعد على تبين نوعها وتركيبها ، ولابد من اجراء فحوص اخرى .

ويأتي في مقدمة هذه الفحوص تحري مقدار كلس الدم ، وقد ظهر ان ٣ - ٥٪ من الحصيات تنشأ عن زيادة في كلس الدم سببها فرط نشاط الغدد المجاورة للدرق واستئصال هذه الغدد يمنع تكرر حدوث الحصيات .

ولابد من فحص كلس البول واوكسالات البول وحمض البول ، وذلك في البول المجموع خلال ٢٤ ساعة بينما المريض على حمية عادية .

فاذا كان حمض البول مرتفعا فيمكن له ان يشكل نواة يترسب عليها الكالسيوم ، وباعطاء مليحات هذا الحمض وبعض القلويات يمكن منع تشكل الحصاة .

اما من يطرح الكلس في البول بكثرة ، وتشاهد هذه الحالة لدى ٤٠٪ من لديهم حصيات ، فهنا نميز ثلاث حالات ، فاذا كان مقدار الكلس في الدم مرتفعا ايضا كان لابد لنا من التفكير في حالات فرط نشاط جارات الدرق كما اسلفنا ، اما اذا كان مقدار الكلس في الدم طبيعيا فيكون الاطراح البولي ناجما اما عن زيادة الامتصاص المعوي للكلس ، او زيادة الاطراح الكلوي بسبب آفة كلوية ، ويتم التفريق بين هاتين الحالتين بمنع المريض عن الطعام لفترة معينة وتقدير الكلس في البول بعدها فاذا كانت الزيادة ناجمة عن اضطراب في الامتصاص في المعي نقص مقداره ، بينما اذا كانت ناجمة عن فرط الطرح في الكلى لم ينقص المقدار . ومثل هذا التمييز ضروري جدا ، اذ يجب في الحالة الاولى تحديد تناول الكلس بينما لا يجوز ذلك في الحالة الثانية اذ يؤدي الى نقص مخزون الكلس في العظام .

توصيات وقائية عامة :

ثمة وصايا عامة ننصح بها للوقاية من الحصيات الكلوية .

اولها واهمها هو شرب الماء بكثرة ، فالماء يغسل المجاري البولية غسلا ميكانيكيا ويذيب الاملاح التي تكون في ترسبها .

وثانيها اتباع حمية مناسبة ، فمن كانت حصياته او رماله كلسية يستفيد من الامتناع عن الحليب ومشتقاته ، ومن كان في حصياته اوكسالات لابد له من الامتناع عن تناول كل ما يحوي هذه المادة كالشاي والفواكه غير الناضجة والشوكولاتة والسبانخ والكرز والخوخ وما اشبه ، وعدم تناول الفيتامين ج دوائيا كما اسلفنا .

اما من كان في رماله او حصياته حمض البول فلابد له من الامتناع عن تناول اللحوم والسوائل بكثرة ومما تفيد ايضا مليحات حمض البول وبعض المدرات القلوية .

ونشير الى ان الحمية الغذائية في هذه الحالات في الغرب بين مؤيد ومعارض لكن الدراسات الحديثة توصي بارتفاع اهميتها .

ثم لابد من الوقاية من التهابات المجاري البولية ، واصلاح اي تشوه في الكلية او المجاري يمكن ان يؤهب لتكون الحصيات .

وان الحياة النشيطة الحافلة بالحركة ، واللجوء الى التمارين الرياضية اللطيفة تؤدي الى الوقاية من تشكل الحصيات .

ونستبشر خيرا ، فالابحاث الطبية مستمرة ، ومن كان يظن انه سيأتي يوم تستخرج فيه الحصيات من دون ان نتكلف مزيدا عن قطرها الا قليلا ؟ .

ونتطلع بأمل الى ما يعدنا به طب عام ١٩٩٥ والمستقبل ، من ان الثورة الاولى ينبغي ان تكون الثورة الاخيرة ، وان الحصاة الاولى يجب ان تبقى الحصاة الوحيدة ، وان تفتيت الحصاة بجراحة طفيفة سهلة هينة .

هدية العربي

المعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية

مع هذا العدد الممتاز تقدم «العربي» لقرائها «هدية العدد» ، وهي لوحة بالألوان للمعادن والأحجار الكريمة وخاماتها الصناعية .. وقد حاولنا قدر استطاعتنا أن ننشر المعلومات عن كل معدن أو حجر كريم في المساحات التي تتناسب معها .. ورغم ذلك فقد ضاقت المساحة عن كل المعلومات التي كان علينا تقديمها للقارىء . . . .

وهنا نورد بعض الإيضاحات عن معيار القيراط وقياس صلابة الأحجار .. وأسماء المراجع التي استعان بها الكاتب في تقديم هذه المعلومات .

القيراط

القيراط معياران مختلفان لاعيار واحد . فهو معيار وزن فيما يتصل بالماس والأحجار الكريمة ، ويساوي القيراط المتري ، وهو الذي تقرر دوليا سنة ١٩٣٢ ، خمس الغرام أي ٢٠٠ مليغرام . والقيراط معيار نقاء فيما يختص بالذهب ، فيقال ذهب ٢٤ قيراطا إذا كان الذهب خالصا ١٠٠٪ . ويقال ذهب عيار ١٨ إذا كان مخلوطا بمعدن آخر بنسبة ١٨ قيراطا ذهب و٦ قراريط من المعدن الآخر .

الصلابة

الصلابة هي خاصية الأحجار الكريمة المميزة .. وتعني لغة القسوة والصلابة وبالإنجليزية hardness وتعني اصطلاحا مقاومة الحك أو التآكل أو الانسحاج (abrasion) . ويجري قياس الصلابة بجهاز اسمه (Sclerometer) وهو يقيس مقدار الضغط اللازم لحك المعدن المراد معرفة صلابته .. ويتم ذلك وفقا لمعيار أو جدول موه Moh's scale .. ويعطي هذا الجدول مقدار صلابة المعادن الرئيسية كالتالي :

١ - بودرة تلك ٢ - الجبس ٣ - الكالسيت ٤ - الفلورايت ٥ - الأباتيت ٦ - أورثوكليز ٧ - الكوارتز ٨ - توباز ٩ - الياقوت ١٠ - الماس .

ولذلك فإن التلك هو أقل المعادن صلابة ، وتقدر صلابته برقم (١) والماس هو أصلبها بلا نزاع وتقدر صلابته برقم (١٠) . ويستعمل المعدن الذي يراد تحديد صلابته بحكه بهذه المعادن العشرة . فإذا استطاع المعدن حك الفلورايت تقدر صلابته (٥) أي أكثر من الفلورايت بدرجة .

المراجع

المراجع التالية هي التي استعنا بها شاكرين في تحديد أسماء ومصطلحات المعادن الكريمة في اللغة العربية ..

- موسوعة بهجة المعرفة - دار المختار جنيف
- معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ، أحمد الخطيب - مكتبة لبنان - بيروت .
- لسان العرب ، دار لسان العرب بيروت وخصوصا المعجم الملحق به ، وهو مجلد رابع أعده يوسف خياط ... فهذا معجم قيم يورد المصطلحات العلمية العربية وما يقابلها في اللغات الأجنبية ، ويستند فيما يستند وفيما يختص بالأحجار الكريمة ، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر المعروف ، وكتاب نخب الذخائر في معرفة الجواهر (للأكفاني) . □

وجهاً لوجه

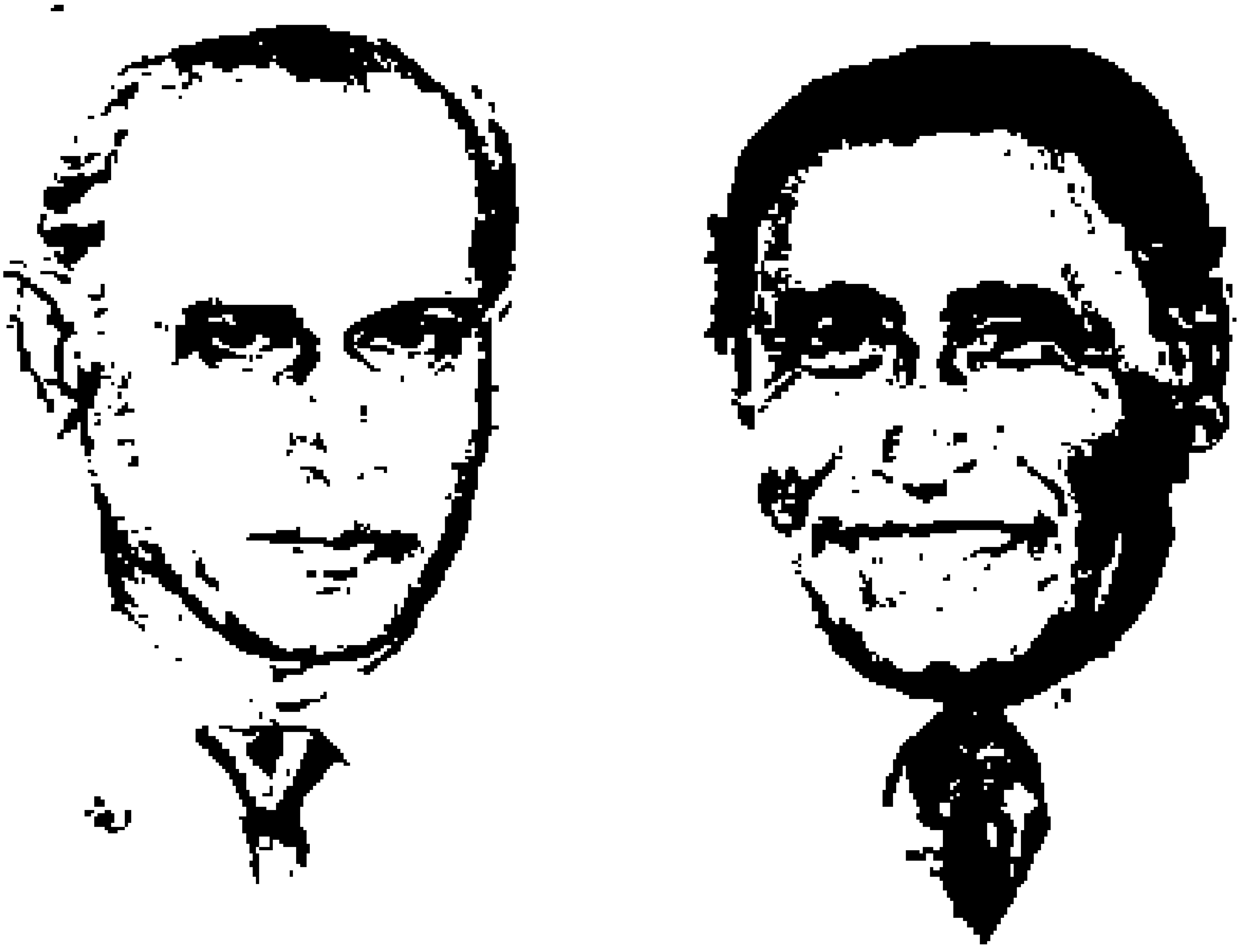

محمد حسنين هيكل و محمود المراغي

• لا حرية صحفية في غيبة الوقائع !

• هل الصحفي أن يختار أين يقف : قريبا من رأس السلطة أم .. من ذيلها

• الخبر هو المعرفة .. والرأي هو التوجيه

• برحيل عبد الناصر .. انتهت الثورة .. وبقيت السلطة

• المشاركة في صنع القرار .. تهمة لا أدفعها .. وشرف لا أدعيه .

لا يحتاج محمد حسنين هيكل الى تعريف . فهو الأبرز بين الصحفيين العرب، وهو من أبرز الكتاب الصحفيين في العالم. ولكن ... لأن الحوار يختار جانبا من الشخصية . فإننا نستطيع القول اننا نحاور شاهدا على العصر .

بدأت شهادته من موقع الأحداث الكبرى في الاربعينات وبداية الخمسينات . الحرب الكورية ، الثورة الايرانية التي قادها مصدق ، حرب فلسطين ، ما صنعته من تفاعلات في القاهرة انتهت الى الثورة ، ونقلت موقع الشاهد ليصبح أكثر التصاقا بالأحداث ... بل ... أكثر اندماجا في خصوصها بحكم قربه من زعيم الثورة جمال عبد الناصر .

لكن . .

محمد حسنين هيكل شاهد غير عادي . كان دائما في الدائرة السياسية . لكنه رفض الاستغراق فيها . دخل الوزارة ورفض الاستمرار ، حاول الكثيرون جذبه الى مجالات العمل الحزبي والنقابي . لكنه آثر أن يكون بالدرجة الأولى كاتبا صحفيا ... يرى .. ويسمع ... يقرأ ويكتب ويقول .

من خلال ذلك كله ليصبح أحد أعمدة التحديث في الصحافة العربية . وليحل رواد مدرسة يمكن أن نسميها ... « مدرسة صحافة المعلومات » .

وهي نفس المدرسة التي يعتقد محاوره ـ محمود المراغي ـ أنه ينتمي اليها ـ مع فارق بسيط ـ انه بينما كان المدخل عند هيكل .. السياسة والحرب ... كان مدخل محاوره المراغي ومنذ أن بدأ عمله الصحفي عام ١٩٥٢ هو ... الاقتصاد والأرقام وعالم المال .

وبينما كان هيكل عازفا عن أن يلعب السياسة بشكل مباشر ، شارك المراغي في قيادة وتأسيس أحد أحزاب المعارضة المصرية في السبعينات . كما شارك منذ الستينات في العمل النقابي كعضو ، ووكيل نقابة للصحفيين المصريين لعدة دورات ، وكأمين عام لاتحاد الصحفيين العرب في دورة واحدة .

وأخيرا ، فبينما كانت التجربة العريضة لمحمد حسنين هيكل في بلاط صاحبة الجلالة ... الصحافة اليومية مخبرا ومحررا ورئيسا لتحرير أكبر صحيفة عربية وهي الأهرام .

كانت التجربة الرئيسية للمراغي في الصحافة الاسبوعية كمخبر ومحرر اقتصادي ، ونائب لرئيس تحرير روز اليوسف ، مع انطلاقة مبكرة بالصحافة اليومية كمدير لتحرير جريدة الوطن الكويتية .

المراغي ... ٢٨ عاما من العمل الصحفي و ٦ كتب في الاقتصاد والادارة يحاور محمد حسنين هيكل (٤٠) عاما من العمل الصحفي و أكثر من ٣٠ كتابا ... .

وجها لوجه .. . يبدأ الحديث

الصحفي والسلطة

المراغي : فلنبدأ حيث تتجه الأنظار الى محمد حسنين هيكل . صحفي كبير اتيحت له الظروف أن يكون قريبا من السلطة . وكانت معظم التجربة مع عبد الناصر ، وهو زعيم من طراز خاص . وكانت السلطة في عهد أخرى ما تكون السلطة والسرائر . هناك وجهتا نظر . واحدة تقول ان الاقتراب من السلطة ضروري للصحفي . لأنها مصدر المعلومات . والثانية ترى أن الاقتراب منها يلغي حرية الصحفي . ويؤثر على رأيه . السؤال لهيكل ... على ضوء التجربة

ماذا تقول ؟

يجيب هيكل . . . .

أولا لا يجب أن نتكلم عن الصحفي بالوصف الشائع الذي يشمل كل العاملين في المهنة . لابد أن نفرق بين ثلاثة أنواع من الصحفيين . . . .

■ المخبر الصحفي .

■■ صاحب الرأي وهو المقصود من السؤال .

■■■ المنظمون الفنيون .

وأيضا . . عندما نتكلم عن المخبر الصحفي فلا بد أن نتكلم عن ثلاث مهام . . . .

■ جمع الأخبار .

■■ تقديم الأخبار بحيث تصل إلى فهم القارىء وإدراكه .

■■■ التعليق على الأخبار . . أي حق إبداء الرأي والسؤال . ومازال الكلام للأستاذ هيكل . من يملك المعلومات ، من هو صاحب الخبر ؟

بالطبع هو الذي في موقع السلطة أيا كان من هنا لابد للمخبر الصحفي أن يكون على علاقة وثيقة بمصادر الأخبار . فالصحفي من وجهة نظري ليس إلا مصدرها مصادر ، أنا لا أتكلم عن مخبر يزيف الخبر أو يحوره أو يختلقه . ولكني أتحدث عن المخبر الصحفي كما ينبغي أن يكون .

أي المخبر الذي مهمته الرئيسية هي العثور على الخبر الصحيح . هنا . . لابد أن يكون للصحفي علاقة وثيقة بالسلطة . وهي علاقة بين طرفين ، أحدهما وهو صاحب القرار ، يريد أن يحتفظ بالخبر ، ولو أن مصلحته في أن يصل الخبر إلى الناس بشكل معين .

والطرف الثاني ، وهو الصحفي ، . يريد الوصول إلى الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولكن يحررها كما هي .

كما أقول ليس هناك صحفي يستطيع أن يبتعد أو يعفي من يحكم أو يصنع القرار .

من تجربتي الخاصة التي هي في نفس الوقت تجربة الصحافة في العالم الثالث يمكن القول . . إنه كلما اقترب الصحفي من السلطة اقترب من صنع القرار .

وعندما تكون السلطة وطنية والموضوعات لاخلاف عليها ، لايكون التناقض عميقا بين الصحفي وصانع القرار .

نعم . . ويوجد خلاف لكنه بسيط .

هذا النوع من العلاقة ، وهذا النوع من الصحفيين وكتاب الرأي البارزين ، موجودون في العالم كله ، بشكل أو بآخر بجوار من يصنع القرار .

حتى أصحاب الرأي . . فلابد أن يكونوا حريصين على اقترابهم من السلطة ، إذا أرادوا أن يسمعوا رأيهم في قضية ما . هذا . . إلا إذا كنا نتكلم عن مخبر صحفي في صحيفة معارضة ، وهذا يتأثر عمله بحكم ولائه للحزب ، ويحكم فكره بمسألة توظيف الوقائع من خلال هذا الحزب ـ فهو . . يهتم بأخبار معينة ، ويهتم باتجاهات معينة .

وبصفة عامة لايمكن فصل السياسة عن الصحافة . لأن الصحافة هي جزء من العمل السياسي .

الأستاذ هيكل مازال يتحدث . .

إن تجربة العالم الثالث بصفة عامة ، بل تجربة العالم كله تؤكد على أن الصحافة جزء من الحياة السياسية ، وبالتالي إذا كانت هناك تعددية في الحياة الاجتماعية ، سواء كان ذلك عن طريق إعادة توزيع الثروة أو الوصول . لكن . . في مجتمع يمر بمرحلة انتقالية ، أو لم يكتمل فيه نمو طبقاته ، لاتجد فيه تعدد سلطات ، بل سلطة واحدة ، في العالم الثالث لايمكن أن نقول بوجود تعدد السلطات ، ومهما تعددت المؤسسات فالسلطة في النهاية واحدة . . أي لاتوجد صحافة حرة .

حتى في انجلترا . . لاتوجد صحافة حرة . لا أحد يعرف رأيه في المطلق . . فكل رأي ينتمي إلى شيء ، سواء كان هذا الشيء تنظيما أو حزبا .

بعد ذلك يعود الأستاذ هيكل إلى الحديث عن الصحفي وعلاقته بالسياسة . فيسأل أو يتساءل . . .

من الذي كتب إعلان ويلسون بنقاطه الـ ١٤ ؟ إنه والتر ليبمان . إنه منذ أول القرن وحتى في المجتمع الأمريكي ، حيث الصحافة القديمة والمعروفة والصحفيون الكبار في مواقع صنع القرار . ولذا . نجد « ليبمان » نفسه ليس فقط قريبا من مواقع صنع القرار ، بل يكتب للرئيس نقاطه الأربع عشرة

يعارض في فيتنام . أو على الأقل يحضر لصالح فيتنام .

المشكلة في وطننا العربي أننا نملك ألفاظاً كبيرة نتكلم عن حرية الصحافة وحرية المعلومات وكأننا نتكلم في المطلق . ذلك أنه عندما يعجز الإنسان عن الفعل يعوض هذا العجز باللفظ . ابتعاد الصحفي عن مصدر صناعة الخبر غير صحي ، والمهم هو ألا يخف أو يكون أداة في يد صانع الخبر .

الحقيقة أنه في العالم الثالث ، حيث تمر مراحل من التطور السياسي ، يكون فيها الالتقاء بين المخبر الصحفي وصانع الخبر ليس كبيراً . والتناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس حاداً . والصحفي يجد نفسه مضطراً إلى اتخاذ موقف القرار ، وهنا عليه أن يختار أين يقف .. هل يقف قريباً من دوائر السلطة أم من رأسها .

سلطتان مختلفتان

المراقب : لنستمع إلى الأستاذ هيكل برهة قصيرة .

تقول إن التناقض بين الصحفي والسلطة الوطنية ليس كبيراً . ومن هنا فالاقتراب لا يشكل أبداً على الصحفي . ولكن ماذا إذا كانت السلطة غير وطنية . أو غير متوافقة في الاتجاه مع ما يعتقده الصحفي .

أقول ذلك وعيني على تجربتين عاصرهما محمد حسنين هيكل : الأولى .. مع سلطة وطنية تمثلت في عبد الناصر . والثانية .. مع طرف آخر هو أنور السادات ، وفي الاثنتين عمل صحفياً وشارك بدرجة أو بأخرى ، وبقدر أو بآخر في اتخاذ الكثير من القرارات المهمة .

هيكل : بالنسبة للنقطة الأولى .. نعم كنت مشاركاً . فعندما تكون في مجال صنع القرار لا يمكن أن تكون أبكم .. صانع القرار الوطني يتكلم مع من حوله ، والحصول على الأخبار ليس فقط حصد الخبر . ولكنه أيضاً المشاركة طرفاً في القرار . وحتى هذا القرار هو الذي يحدد مدى مشاركتك ، ولعلها كنت معنياً بالقضايا المطروحة فعملت درجة المشاركة بالضرورة .

وعندما تقول إني شاركت في صنع القرار ، أقول كما قال سعد زغلول تهمة لا أدفعها ، وشرف لا أدعيه .

نعم .. كنت موجوداً .. وكنت معنياً بذلك .

لكن .. عندما تكون سلطة وطنية والصحفي غير وطني ..

أقول .. عندما تبين لي ، أو عندما شعرت بالشك في نوايا أنور السادات .. ابتعدت وانفصلت عنه .

أنا لا أعتبر أن السلطة قد تغيرت في ١٤ مايو ١٩٧٦ ؛ تغيير السلطة لا في الشكل .. ولا في الجوهر . فليس أي فرق بين الثورة .. والسلطة والاتجاه .

انتهت ثورة يوليو ١٩٥٢ برحيل عبد الناصر ، أي في تمام الساعة السادسة وعشر دقائق من الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٠ .. نعرف الثورة ، وأكرر أن الفرق حقيقة ، لكنها الظروف .

انتهت الثورة وبقيت السلطة .. فاختلفت عناصرها على تركة عبد الناصر . لا يجب أن يقول أحد إن هذا قد حدث بشكل تدريجي ، والأسباب لا علاقة لها بالاتجاه . وكان ١٤ مايو هو الفيصل . وما حدث بعد ذلك ليس دليلاً

في البداية .. أيد الجميع ١٤ مايو ، حتى خالد محيي الدين الذي أسس حزباً معارضاً فيما بعد ، أيد ما حدث في ١٤ مايو ، وطبعاً لا أستطيع أن أحكم على النوايا أو الاتجاهات الخفية

بحكم من أنور السادات حتى ٦ أكتوبر . ثم اختلفت معه بعد ذلك .

بعد فصل القوات قلت إننا نسير إلى الكارثة ، وإننا نسير إلى صلح منفرد . كتبت ذلك في مقالات نشرت بالأهرام ، وكانت سبب الانفصال النهائي بيننا .

إذن ، شاركت في صنع القرار مع سلطة وطنية لا شك فيها ، وحتى الآن أعتبر أن مشاركتي كانت شرفاً

شاركت مع عبد الناصر وبعده ، لأني كنت أعتقد أن الطريق هدف لا يمثل أي لعب . كنت أتصور أن

للحرب موقف يجمع بين كل الناس . قمت بكتابة أمر القتال للمشير أحمد اسماعيل . كتبت خطبة أنور السادات التي ألقاها في مجلس الشعب . اشتركت في وضع الخطة الاعلامية والسياسية لحرب اكتوبر وموقفنا في مجلس الأمن .

كان ذلك آخر ما فعلته في عهد السادات . ثم اختلفت الاتجاهات فاختلفت الطرق . فأصبحت لا أشارك ولا أعبر عنه ولا حتى كمخبر صحفي .

أعلنت خلافي أكثر من مرة . بعد حرب اكتوبر كتبت مجموعة مقالات بعنوان « عند مفترق الطرق » ثم قلت رأيي في كتاب « الطريق الى رمضان » وهكذا أعلنت الخلاف بيني وبين السادات .

الصحفي .. والوزير

المراغي : قبل أن ننتقل من قضية الصحفي والسلطة أقول .. لقد مررت بتجربتين في هذا المجال .

تجربة أطول وأعرض وهي .. التجربة الصحفية .

تجربة قصيرة لم تستمر طويلا . وهي تجربة الوزير المشارك في السلطة مشاركة مباشرة من خلال التجربتين . أيهما أكثر تأثيرا في رأيك .. الصحفي ومهمته الأولى . أم الوزير ووظيفته العمل ؟

هيكل : أقول : الصحفي أكثر تأثيرا .

كوثيقة يجب العودة الى خطاب الاعتذار عن الوزارة بعنوان « ايضاح » ففي هذه الوثيقة وضعت أسباب ترددي في قبول الوزارة . حدث ذلك أربع مرات ..

الأولى في عام ١٩٥٦ . وكانت في أول وزارة شكلها عبد الناصر .

الثانية .. في وزارة الوحدة عام ١٩٥٨ .

وكانت الثالثة عام ١٩٦١ بعد الانفصال . والرابعة في عام ١٩٦٧ بعد الحرب . في كل ذلك قلت .. لا .

حتى كان عام ١٩٧٠ . حيث أعلنت الوزارة . وعلمت بها من الراديو ولم أكن أعرف .

جمال عبد الناصر

بعد رحيل عبد الناصر بأربعة أيام كتبت خطاب اعتذار عن الاستمرار . وكان ذلك في يوم الجمعة ٢ اكتوبر . وكانت مناقشة طويلة قبل اجتماع مجلس الوزراء . يومها قال لي وزير الدولة سامي شرف .. ماذا تريد للناس أن تقول ؟ .. واحد فقط عند وفاته . ولا يستطيع العمل بعد عبد الناصر ..؟

وكان ردي .. لا .. انتم تقومون دائما بأعمال تنفيذية . أما أنا فقد قبلت الوزارة بشروط . والى شخص معين . أما وقد حدث ما حدث فأنا في حل من وعدي . أنا عائد الى مكاني الأصلي .

المهم .. أعود الى اجابة السؤال فأقول ان الصحفي أكثر أهمية من الوزير .

لأن أي قرار يفقد أهميته اذا لم يفهمه ويستوعبه الناس . ولقد قلت من قبل ان مهمة الصحفي هي جلب الخبر .. وعرضه بطريقة مفهومة .... وتحليل خلفيته . أي أن يضع الصحفي القارىء في موقع الخبر على الخريطة العامة . من هنا أؤكد على أن أي تصرف لا قيمة له الا اذا استوعبه الناس . ووضع الجماهير في كامل أجزاء الخبر والصورة .

الزرقاني : هل أفهم من ذلك .. أنك تعتقد أن الرأي العام أكبر من السلطة ؟

هيكل : حتى لو لم أقل هذا .. أعتقد أن الرأي العام ليس أكبر من السلطة بهذا التصور . أنا ضد التقليعات المصطنعة .. الرأي العام والسلطة . لا يحدث تكامل بين الفعل والقول . وقضية الصحافة ليست الكلمة وحدها . ولكن قضيتها هي كلمة قادرة على الفعل . الكلمة الإنشائية تنتهي في لحظتها . والاستمرار للكلمة المعبرة عن حقيقة والتي هي جزء من تصور الناس

حرية الرأي وحرية التوجيه

المراغي : نعود إلى الأصل . الصحفي والسلطة . إلى أي حد يمكن أن تكون علاقة الصحفي المشتغل بالرأي مع السلطة قائمة عليه ؟

هيكل : القيود موجودة داخل كل الناس .. وبالتالي هي قائمة في العمل الصحفي أيضا . ورغم أي مسألة ترد بين الصحفي والسلطة فالصراع بينهم موجود . والتناقض قائم . وهذا طبيعي . بسبب وجود ضرورات تقتضي في مجال السلطة عدم القول بكل شيء . بينما يريد الصحفي أن يقول الحقيقة . أي يقول كل شيء .

أروي لك تجربتي في هذا المجال ..

لقد طلعت أفكار في مصر بفكرة تنظيم الصحافة حتى عام ١٩٦٠ . وكنت أعتبر التنظيم خطوة إلى الوراء . وأن ملكية الدولة أمر غير صحيح . لذا فقد تم اختيار صيغة أخرى أقرب إلى الصيغة العمالية . حينذاك صدر قرار تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠ . وهو ينص على أن نصف العائد للعاملين في الصحيفة . والنصف الآخر . للإصلاح والتجديد . بينما يحتفظ بالملك . الاتحاد الاشتراكي . بالرخصة فقط .

واصطدمت بفكر الصحافة العربية المعتمدة . الأوائل بين صيغة الملكية وفكرة الاستقلال . ولم يكن ذلك تكريسا لما كنت أعتقد .

ملكية الصحافة في العصر الحديث أمر غير محدد . ليس في مصر وحدها بل في العالم كله . جريدة الأوبزرفر البريطانية تصدر مباشرة عن مصالح صاحبها .

جريدة « التايمز » ظلت حتى عام ١٩١٠ متمسكة بفكرة مهنة ملاك . وظلت اتجاهاتها إلى ما بعد الحرب تعبر عن ذلك . مخالفة لاتجاه العالم ومعبرة عن أصحابها .

في مصر . كانت معركتي مع الاتحاد الاشتراكي . من أجل تجنب الوضع الآخر . وهو سيطرة الدولة أو التنظيم السياسي الرسمي للدولة . هم يريدون ملكية الصحافة وتنظيمها . وأنا أطالب بالتعاونية كحل وسط بين التأميم والملكية الفردية . وأظن أن البحث عن حل وسط ظل غائبا لدى الكثيرين . من بعد محاولتنا في مصر كانت هناك تجربة « الموند » الفرنسية . وجاءت مناقشات الوليستكر التي تبحث عن طريق آخر غير التأميم وغير الملكية الفردية

من أي حقيقة ما أريد التأكيد عليه هو أن الرأي يتصل بالملكية . وأن الرأي في الجريدة إضافة . فالجوهر الحقيقي في الجريدة هو الخبر .. هو ما يجري .

المفكر رجل يحصل على خبر . وهذا جوهر صميم الديمقراطية . جوهر الصحافة هو الخبر . أنت تقول غير صحفي . أستطيع أن أصبر إذا قلت لي كل ما يجري ويليه آراء . لكن كيف أعيش بالآراء وحدها دون أن أعرف ما يجري ؟!

إن ما يحدث الآن في الصحافة هو آراء .. آراء لكن لم يقل أحد ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟ حتى يمكن التعليق عليه .

حرية الصحافة هي حق الناس في أن تعرف حقيقة ما يجري . ولقد تنتهت هذه القضية في العالم كله ما عدا العالم المتخلف . هذا العالم لا تنقصه الآراء . ولكنه ينقصه الأخبار أي ينقصه معرفة ما يجري .

إن كتابة الرأي في الجريدة يساعد على الحكم على ما يجري . لكن ما أكون به رأيا فيما يجري هو حقيقة أن أعرف . لذلك فإن حرية الصحافة متعلقة بمهمة المخبر الصحفي . الذي يحاول أن يقول لقارئه ما يجري . ولكن

مع الأسف إن النظم حتى التقدمي منها لا تتيح في إبداء الرأي . لكنها تتحكم في حجب الأخبار والرقابة الحقيقية في العالم كله هي اختفاء الأخبار ونشر في الحقائق . هذا مشكوك في تصوري هي حرية للمعرفة وليست حرية التوجيه .

المراغي : بهذا المقياس أين تضع الصحافة العربية ؟

هيكل : كما قلت غير مسموح في العالم العربي كله بتداول المعلومات ، أو معرفة ما يجري . ولكن المسموح هو إبداء الرأي في كل شيء من الترويج .. حتى أصغر الأشياء وأبسطها بسهولة .. إن الآراء لا تخيف أحدا ، لأنها مرتبطة بمن يبديها ، لكن المعلومات تعتبر مصدر خطر لأنها هي المعرفة . الخبر هو المعرفة ، والرأي هو التوجيه .

الثورة .. والثروة .. والصحافة

المراغي : استاذ هيكل لننتقل من العام الى الخاص ، لأوضاع الصحافة ، من النظرية الى التطبيق ، الى قضايا عديدة في أوضاع الصحافة العربية . ونلاحظ الثروة ، والثورة وتأثيرهما على الصحافة خلال ثلث القرن الماضي .

لقد كانت أبرز ملامح هذا الثلث من القرن .. العديد من الثورات التي أثرت على الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكانت من أبرز الملامح أيضا .. نمو الثروة في العديد من البلدان ، وهي نمو مفاجيء ، ترك بصماته على الحياة العربية كلها من المحيط الى الخليج .

في رأي الاستاذ هيكل أيهما كان أشد تأثيرا على الصحافة العربية الثروة أم الثورة ؟

هيكل : الثورة بلا شك كانت أكثر تأثيرا ، فالثورة صاحبة مصلحة في تحريك الناس ، حتى وإن ضعفت امكاناتها في مجال إبداء الرأي ، أو حجبت بعض الأخبار ، لأنها تحجب المعلومات بشكل عام .

فالثورة كما قلت صاحبة مصلحة في كسب الجماهير مثال على ذلك ، كان جمال عبد الناصر يخاطب في الجماهير بالأخبار ، كان يخاطب الجماهير ، لأنه يريد من جماهيره أن تقف معه .

الثروة تريد العكس .. الثورة تريد أن تقف بعرضها ، والعيب والضجيج . فالفرق بين الثورة والثروة كبير . الثورة تريد المشاركة ، بينما الثروة تريد الانفراد .

الثورة تبعات ومسؤوليات والثروة مغانم .. فالمطلب الأول المشاركة .. والمطلب الثاني الانفراد .

المراغي .. لكن الصورة تبدو غير ذلك ؟

هيكل : الصورة الفعلية غير ذلك ، لكنها واضحة جدا في مجال ابداء الرأي ، حيث يكون التوجه في المجال الانشائي ودون تعرض لجوهر ما يجري حينما يحدث هذا تقل المعلومات ، وهذه هي أزمة العالم العربي وعجزه عن الفعل .

الصحافة العربية مليئة بالآراء والوعظ والارشاد ولأن أحدا لا يعرف ما يجري .. تحولت اتجاهات الناس الى السلبية .

المراغي : في المنطقة العربية هل تبالغ فيما يسمى بأسرار الدولة ؟

هيكل : في العصر الحديث لا يوجد أسرار ، بعد أن أصبح كيسنجر وزيرا للولايات المتحدة الأمريكية صرح بقوله الشهير إنه كان يعرف .. عندما أصبح رئيسا لم تضف اليه الرئاسة إلا ٥٪ من المعلومات عن طريق الأجهزة السرية .

جزء من زعامة عبد الناصر كان قائما على اذاعة كثير مما يسمى بأسرار الدولة . والسؤال الى متى .. تبقى الأسرار الآن ؟ خصوصا في ظل الأوضاع الراهنة ، والأسطول السادس يطل كل شهرة .

ثم يضرب الاستاذ هيكل المثل بتجربته قائلا ...

أنا عملت صحفيا . ليس عندي الا ما أرويه في الصحف ، واقتربت من السلطة فرأيت كل التقارير السرية لوزارة الخارجية والمخابرات ، وأنا الآن بعيد لكني ما زلت متابعا . والاحظ أن التقارير لا تحوي شيئا هاما . وأقول ان هناك مبالغة فيما يسمى بأسرار الدولة ، انه جزء من كهنوت الدولة الضعيفة .

المراغي : اعتقد أن قضية المعلومات التي تواجهها الصحافة العربية هي جزء من قضية أكبر . هناك تخلف عربي عام . وتحدد سمات هذا التخلف عدم ادراك أهمية المعلومات . سواء في الحصول عليها أو تدقيقها . أو في اتخاذ القرارات على أساسها . أو اطلاع الرأي العام عليها . من المعلومات لدينا الشخصي هو الأهم . وما يتصل بالأفراد قد يكون أكثر استحواذا على اهتمام الحاكم . أليست معي في أن ما تعانيه الصحافة جزء من مشكلة أكبر وليس مجرد قضية صحفية ؟!

هيكل : أتفق في ذلك . وأقول انه حين تكون أكبر السلطة السلطة أن تخفي من الناس . فإن منطق الاخفاء يمتد ولا يعرف أين يقف

لابد أن يكون هناك وعي بأهمية المعلومات . فأنت لا تستطيع أن تتابع شيئا متابعة حقيقية . الا اذا وضعته في اطاره . وهو ما لا يتوافر الا باتاحة المعلومات .

انت لا تستطيع أن تعي شيئا . الا اذا كانت هناك عين الجهة . وأهمية المعلومات أن الجديد فيه يرتبط بنفس ما قبلها . وتكون صورة متكاملة . فاذا لم أقلها كنت تصبح المعلومات شرائح .. وشظايا متناثرة

الثروة وتقنية الصحافة

المراغي : لنعد قليلا الى قضية الصحافة العربية بين الثورة والثروة .. والقول .. انه اذا كانت للثروة سلبياتها فإن لها ايجابياتها أيضا . هناك نقلة تقنية واسعة شهدتها الصحافة العربية في الأونة الأخيرة . وكان أساس هذه النقلة وفرة المال .. ألا ترى أن لذلك التطور التقني أثره الايجابي على الصحافة العربية ؟!

هيكل : التقنية أداة مساعدة .. تخدم معلومات . فالأساس هو المعلومات . وتعين في استخدامنا التقنية لمت فقط حتى نختصر الوقت الفاصل . تختصر المسافة الزمنية اللازمة لنقل الأخبار للطباعة والتوزيع . ولكن .. مسافة أضفناها للعصر . ومتى لفنا للفارق عن الوصول اليه مبكرا ؟!

المراغي : .. هناك نقطة أخرى . وهي ان التقنية سلاح ذو حدين . لكنها اذا أضافت تسهيلات للعمل الصحفي . فإنها تضع عليه قيدا . ذلك أن ما تكلفه من أموال تحتاج لاقامة مؤسسات صحفية . وحين يكون الأمر متعلقا بمؤسسة ورأسمال كبير . تكون فرصة الخلاف مع السلطة أقل . والرغبة في ارضائها أكبر . خوفا على المصالح الاقتصادية للمؤسسة .

هيكل . في ذلك أيضا أعود الى قضية الملكية . فوسائل الاعلام العربية في معظمها مملوكة لتنظيم ، وعدد قليل من الأشخاص من الذين يشترون التقنية . وليس تزيدها مساحة حرية الرأي .. ان التقنية لن يشغلها .

صحافتنا العربية .. الى أين ؟!

المراغي : .. على ضوء ذلك كله .. هل تستطيع الاجابة على سؤال يقول .. الى اين تتجه الصحافة العربية ؟!

هيكل : قبل أن نقول ذلك لا بد أن نسأل الى أين تتجه السياسة العربية ؟ فالصحافة جزء من السياسة ، كل مجتمع متحرك ، وأزمة العالم العربي هي السياسة ولا أظنني أبالغ حين أقول انه لن يحدث جديد مهم في الصحافة العربية . ما لم تتغير السياسة العربية ، ويجد بها ما ليس موجودا الآن .

وأقول .. انني لا يمكن أن أفصل بين الأشياء . مفترض أن الجامعة تتطور بفرضها .. والقانون أو الاقتصاد يتطور بفرضه . والصحافة تتطور بفرضها . وفي معزل عما حولها ، هذا مستحيل .

المراغي : هل يفسر ذلك ما يقال عن أزمة الثقة بين الصحافة والرأي العام ؟

هيكل : لأن الصحافة جزء من الحياة السياسية .

ولأن الحياة السياسية في العالم الثالث سلطة .. سلطة استقلال .. أو متطورة مع الاستقلال .. أو سلطة تجمع رأسمالي .. فالقارىء العادي يشعر أن الأخبار التي تقدمها الصحافة أقرب لجهة ما ، وهذا إحساس صادق . فالقارىء حتى يتقدم ما يعرف من طريقك ، أنا هنا أتكلم عن الصحافة بشكل عام ، لا عن الصحافة العربية أو المصرية .

أعرف ، أن أحدا لا يريد الآراء والتوجيهات .. أو في المسائل .. القارىء يريد أن يعرف أولا ، « ماذا يجري » ولقد كانت تجربتي في ذلك أن القارىء يكتفي من مقالي « بصراحة » وهو يتساءل « ماذا يريد هيكل أن يقول » ، ورغم أنني لا أريد أن أقول شيئا ، لكنني أريد إحاطة القارىء علما بما يجري ، وأساعده على الفهم والتحليل ، أنني أحترم عقلي وعقله .

مصر والتعدد السياسي

المراغي : يكاد حديثنا يقتصر على قضية أساسية واحدة ، هي « الحرية » حرية الصحافة في مواجهة السلطة ورأس المال ، حرية المعلومات .. وحرية إبداء الرأي والتطور المهني .

أظن أنه قد حان الوقت لتأمل تجربة مصر ، مع تجربة الصحافة العربية المصرية في الآونة الأخيرة .

لقد تعددت المنابر والأحزاب السياسية وتعددت معها فرص إبداء الرأي ، ألا ترى معي أن ذلك يمثل خطوة للأمام ونحن بصدد الحديث عنه ؟ . أليس التعدد السياسي على أي حال منحنا حرية صحفية أكبر ؟ .

هيكل : .. مصر تتميز عما حولها ، تتميز بنشأة لعبها بسبب طبيعة ظروفها .. والنشر .. حتى الآن .. حجم ما هو متداول هنا ، أكبر من حجم ما هو منشور . نحن أحسن حالا من آخرين في العالم الثالث ، لكني لا أستطيع أن أسلم بحرية الصحافة إلا بمعرفة كل ما يجري أو على الأقل أكبر قدر منه .. في غيبة الواقع لا حرية صحافة .

الصحافة المطبوعة هل تندثر ؟

المراغي : .. سؤال أخير ، منطقه رأي يقول .. أن التطور الصحفي في العالم مرتبط بصورة أكبر ، بمدى تقدم وسائل المواصلات والاتصالات .. ويقولون أنه قد يأتي يوم .. يستغني فيه القارىء عن الصحيفة المطبوعة ، ويلجأ للصحيفة المرئية التي يستدعي معلوماتها حيث يشاء .. وحيث يشاء بواسطة جهاز في منزله أو سيارته ، ستتراجع الكلمة المطبوعة وتتقدم الكلمة المرئية .. والتوسع في تقديم المعلومات والآراء والصور بما يمثل صحيفة كاملة في متناول القارىء دون أوراق . ما رأيك ؟

هيكل : بالتأكيد حجم ما هو مرئي أكبر عما هو مسموع أو مقروء ، لكنه لم يسحب من رصيد الصحافة المقروءة ، سيظل ما هو مقروء يحرسه بالصور أكثر مما تفعل الصورة في التحليل مثلا .. الصورة تعطي ظاهر موقف معين ، ولا يستطيع غير صحفي تلفزيوني أن يكمل الصورة بالكلمة .. لكن .. تبقى الكلمة المقروءة مهمة جدا . في عديد من بلدان العالم لم يؤثر التلفزيون على الصحافة بالعكس

● وربما لربح

يزيد عدد القراء في العالم كله . فقد خلق التلفزيون الاهتمام الأوسع . نقل العالم الى جهاز لم يكن يحلم فيه تخلق اهتمامات متعددة .

ان توزيع الصحف العالمية والعربية يزيد ، لأن التلفزيون أوجد اهتمامات بما يجري ، ودفع الناس الى أن تستكمل المعرفة . الأزمة في الصحافة هي عندما تكرر الصورة . . . عندما تعالج سطح ما يجري فإنك تكرر الصورة بطريقة باهتة . خذ مثلا . . أخبار الرؤساء . . سافر الرئيس ، وذهب الى المطار ، واستعرض حرس الشرف . . . . كل هذه المعلومات قدمها التلفزيون بالصورة . وهنا يأتي دور الصحافة . وهو الانتقال من سطح الأحداث الى عمقها . . وذلك بالأخبار . .

حتى لو استدعيت المعلومات بأجهزة منزلية خاصة . . فهي في النهاية أرسلت بالتلفزيون ، ولا يتوفر لها الاستمرار ، فهناك وقت محدد . . أما الكلمة المكتوبة فهي تحت تصرفك . وأنت تستطيع أن تسترجع . في امريكا مثلا يوجد ٢٤ ساعة أخبار تلفزيونية . . لكن ذلك لم يغن عن الجرائد ، وتوزيع الصحف يزيد . الناس تريد أن تقرأ . . وأن تنظر وراءها ، « الجورنال » ما زال أقرب جليس ورفيق يقول لك ما يحدث .

انتهى الحوار . . . .

أصبحت الصورة أكثر وضوحا . أصبحت الصحافة أكثر استحقاقا للقراءة ، وأصبحت قضية الحرية الصحفية معلقة برقاب العرب .

انتهى الحوار . . واستأنف هيكل عمله في كتابه الجديد « السويس » بمناسبة مرور ثلاثين عاما على معركتها الشهيرة ، عاد هيكل الى أوراقه التي آثر الالتزام بها ، ماكثا أزمة الصحفي العربي . . فالأبرز بين الصحفيين العرب غير راغب في الاشتغال بالصحافة اليومية . ومنذ أحد عشر عاما وصناعته الكتاب . . فقط أو الاملاء بآرائه على شكل أحاديث بين وقت وآخر ☐

مع هذا العدد من " العربي "
هدية عدد يناير الممتاز
لوحة بالألوان
" المعادن والأحجار الكريمة "

ملحق العربي الصغير يتوقف عن الصدور هذا الشهر
احجز نسختك من :
مجلة العربي الصغير " الجديدة "
للفتيان والفتيات العرب
تصدر في اول فبراير
تباع مستقلة

تطالعنا من حين لآخر ، صحف ومجلات وكتب تحمل عناوين كبيرة . تدغدغ مشاعر الناس وعواطفهم ، وتستغل تلهفهم لاستطلاع الجوانب المجهولة من نفوسهم ، وتفسير الأنماط المختلفة من سلوكهم . كمثل : اعرف نفسك . تعرف على شخصيتك . من أي الطراز أنت . أي نمط من الناس أنت ، إلى آخر هذه السلسلة من العناوين تتبعها بضع عشرات من العبارات أو الأسئلة أو الصفات . من يجيب على عدد منها يتمتع بشخصية قوية مسيطرة . أو مرحة بسيطة أو حساسة منطوية . وغيرها من التوريجات التي تعود بنا إلى الأجزاء الأولى لنظريات الشخصية .

بين الكهانة والعلم

قد يكون الغرض من هذه الأشكال من الاستفتاءات التسلية وتمضية الوقت . واضفاء لون من الدعابة والمرح في جو اجتماعي معين . لكنها لا ترقى لأن تكون اختبارات علمية يعتمد عليها في تحديد شخصية الأفراد ، وإبراز السمات الأساسية التي تميز كلا منها . أو تكشف عن الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية . إضافة إلى الخطورة التي تنجم عنها . حين يتسلم كل فرد هويته النفسية ، فيتصرف تبعا لها وكأنها كشف أو استبصار لم يكن يعلمه في ذاته . وما يتصف به من صفات ، ويتخذ أساليب من السلوك قد يؤذي بها نفسه ويؤذي غيره من الناس . وإن جاءت تلك الصفات على غير ما يجري كانت بمثابة إحباط لعزيمته ومعنويته . يتحول بعضها إلى نوع من الانطواء أو التمركز حول الذات وغيرها من الصفات ، تكون قد أسهمنا في ترسيخ الفرد فيها عن غير قصد منا ، وتمنينا في تثبيت أو تنمية جذورها من الصفات لديه .

إن كل هذه الممارسات وإن اختلفت مسمياتها لا تعدو أن تكون نوعا من المحاولات اللاعلمية لتفسير السلوك الإنساني وكشف الغيبي والغموض اللذين يكتنفان شخصية الأفراد ومناحي تصرفاتهم ومناشطهم . وهو ما سعى إليه البشر منذ أقدم العصور عن طريق الكهان والعرافين والعلماء مستعينين بأساليب معرفية متنوعة شملت التنجيم والقراءة والفرينولوجي (وهي دراسة شكل الجمجمة للاستدلال منها على شخصية الفرد وملكاته العقلية) والخط وطرز الشخصية وأنماطها ، وغير ذلك من البحوث والدراسات وهي وإن تخبطت أحيانا ، وجنحت وتاهت أحيانا أخرى عن المنهج العلمي الصحيح ، لكنها ما لبثت أن وصلت إلى ترسيخ كبير لعالم الشخصية ، وتحليل النشاط الإنساني بالدأب والاستمرار وسلوك طريق البحث العلمي الصحيح ، من استفادة بإمكانيات ومعطيات وأدوات يستخدم كل في مجاله وضمن ظروفه وتحت الشروط الصالحة وبالأيدي المدربة الخبيرة التي تنأى عن الارتجال وتتسم بالنزاهة والموضوعية .

الشخصية القوية والشخصية الضعيفة

قد يقول قائل: إن بعض تلك الاختبارات أو العبارات التي تندرج تحت ما نعرفه من مشكلات قد يلتفت منها شخص، ولقد صدرت نتيجة دراسات علمية قام بها باحثون مشهود لهم في حقل البحث العلمي، والبحث في وضعها تخضع للشروط المطلوبة. والرد على ذلك «أن الاختبار حتى يكون صالحا للقياس، ينبغي أن تتوفر فيه شروط معينة تكوّن ما يسمى بصدق الاختبار، فضلا عن ثبات الاختبار، وثباته حين إعادة تطبيقه على مجموعات مغايرة».

كما نسمع الكثير من الناس يصف بعض من شخصيات يصادفهم في الحياة اليومية حكما عاما نتيجة ما يتكون لديهم من انطباعات في أثناء تعاملهم ومعايشتهم اليومية، أو ملاحظاتهم غير المقصودة، فيقال عن فلان أنه ذو شخصية قوية، وعن فلان أنه ذو شخصية ضعيفة مهزوزة، وعن آخر أن له شخصية مرحة محبة وأن فلانا ذكي، وفلانا داهية. وغيرها لا تعدو تلك الانطباعات والأحكام أن تكون سطحية عامة، تدخل ضمن مفهوم الفراسة التي سارت عليه البشرية فترة طويلة من تاريخها، ولم تكن علم النفس من هذا المفهوم على حيرة، إذ أنه يدرس السلوك الإنساني دراسة علمية معتمدة على القياس والتجريب، وشاملة جوانب مختلفة من شخصية الأفراد عن طريق تتبع السمات المكونة لهذه الشخصية والتي تتميز بها عن غيرها. وسمات الشخصية يكاد لا يمكن حصرها، ولقد أحصى منها ألبورت وأودبرت ١٧٩٥٣ صفة. ولقد حدا هذا بعلماء النفس إلى القول بوجود عدد من السمات الأولية الأساسية التي يتكون منها بناء الشخصية الأساسي، والتي تكون ثانوية وراء العديد من السمات السطحية، وكل تلك السمات أو الصفات تشكل وحدة متكاملة يكمل بعضها بعضا ويتفاعل بعضها مع بعض. وبذلك نعرف الشخصية بأنها: جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تميزا واضحا، وتحدد أسلوب تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها، وتبعا لذلك تجمع عليه العلم التجريبي طرق الاختبارات والاستبانات وموازين التقدير للحكم على الشخصية وقياسها، معتمدين على بروز عدد من السمات لدى المفحوصين التي تظهر بصماتها في شخصياتهم والتي يحدد منها من الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أو العبارات أو المواقف، وتحليل تلك الاستجابات تحليلا علميا وكميا مستخدمين الأساليب الإحصائية المناسبة.

اختبارات واستبانات

هذا ويعد المختصون في تلك الأساليب استبانات أو اختبارات بناء وضعت من أجل غاية وهدف التوجيه التربوي أو المهني، أو تشخيص المشكلات لدى من يعانون من الاضطرابات، والتعرف على مضطربي الشخصية، ونوع الاضطراب النفسي والعقلي الذي يعانون منه لإمكان علاجهم، وتتبع البحث في صياغتها خطوات خاصة. فليست كل مجموعة من الأسئلة أو العبارات تشكل اختبارا نفسيا.

والاختبار النفسي متوضحة تعليماته، وتوضحت أسئلته وطريقة إجرائه، ومكان الإجراء وزمنه. هذا إضافة إلى تحديد معنى السمات التي يراد الحكم عليها إجرائيا حتى لا يفهمها كل فرد فهما خاصا. وتثبيت جميع العوامل والظروف التي يمكن أن تؤثر في نتيجة الاختبار المؤدية إلى تحديد المعايير التي تنسب إليها نتيجة الأفراد، ويكون كل ذلك بعد التجربة على عينات مستطلعة دولية. ثم يعقب ذلك التأكد من صدق الاختبار، أي أنه يقيس فعلا السمة التي يراد منه قياسها، وأنه قادر على التنبؤ والتمييز، وكذا التأكد من ثباته بإعادة إجرائه أو مقارنة نتائجه بنتائج اختبار مكافئ له على نفس الأفراد.

هذا ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن تكون الاختبارات متفقة مع الهدف الذي تستخدم من أجله، وألا تستخدم للمساءلة في غير الغرض الموضوع له، وألا يجري التعميم من نتائج الاختبار لأكثر مما تسمح به طبيعته، إضافة للإشارة إلى أن نتائج الاختبار لا ينبغي أن نعتمد عليها وحدها وخصوصا في أمر التوجيه والتشخيص، بل لا بد من أدوات أخرى مصاحبة كالملاحظة والمقابلة ودراسة تاريخ الحالة، وغير ذلك مما له دلالة وأهمية. □

الاسلام والتعدد الحضاري المعاصر

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

ما المقصود بالتعدد الحضاري المعاصر ؟ وما المراحل الحضارية التي سبقته ؟ وما وضع الاسلام كحضارة في هذا الاطار ؟ ثم : كيف يستطيع الاسلام - في عالمنا المعاصر - أن يجمع بين مقوماته التي بها يتميز ، وفاعلياته التي يستطيع بها أن يشارك في الحياة ويبدع ؟

ولنبدأ بتقسيم ثلاثي أو مراحل ثلاث للحضارة الانسانية تكون لنا مدخلا في فهم التعدد الحضاري .

المرحلة الأولى :

من فجر التاريخ الى نهاية القرن الخامس عشر .

وكانت فيها كتلتان حضاريتان ، بينهما المحيط الأطلسي ، وكان يمثل حاجزا حضاريا ، أطلقوا عليه اسم : بحر الظلمات ، وحدثت محاولات لعبوره ، أو الاتصال بجزر قريبة منه . كان للمسلمين محاولات في عرضه الوسطى ، وللفايكنج محاولات في عروضه العليا ، ولكنها كانت محاولات لم تصل الى أهدافها الكبيرة : وهي كشف أرض ، واتصال انسان بانسان . . .

ومع أن التراكم العلمي في الأندلس ، والابداع الفكري فيها ، جعل منها منارة حضارية اسلامية تشع على أوروبا . . الا أن جانبا كبيرا من هذه الحيوية استنزفته الصراعات الداخلية من ناحية ، وما واجهها من تهديد أوروبي من ناحية أخرى .

ولم يكن هناك من تعاون بين القوتين الاسلاميتين في القرن الخامس عشر : احداهما زاحفة صاعدة ، هي الدولة العثمانية ، التي استطاعت فتح القسطنطينية

عام ١٤٥٣ ، وثورة مسيحية ، هي الاسترداد في الأندلس ، وكان غروب شمسه هناك عام ١٤٩٢ ، ولندع الآن الدولة الصفوية في ايران ، والمغول في الهند ، في مشكلات البناء الداخلي والدفاع عن الذات .

وقبل أن ينتهي هذا القرن كان الأسبان والبرتغال قد اكتشفوا العالم الجديد والطريق الى الهند حول رأس الرجاء الصالح . ومع انتهاء الربع الأول من القرن السادس عشر كانت الرحلة الأولى البحرية حول العالم والتي بدأها ماجلان عام ١٥٢١ .

في هذه المرحلة الأولى كانت الحضارات الانسانية جزائر ، متصلة أو متقاربة . ولكل منها خصوصيتها ونموها الداخلي . وعلى الخريطة العالمية نرى مواطن الحضارات الصينية والهندية والاوروبية (البيزنطية والرومانية في دورها الوثني ثم المسيحي) والحضارة الاسلامية . وقد خرجت من مهد الجزيرة العربية بجناحين فوق أرض فارس والهند والروم ، ووصلت الى شواطىء المحيط الهندي ، وكونت هلالاً اسلامياً يمتد قرنه في أوروبا من الشرق والغرب ، واطلت على المحيط الأطلسي ، وامتدت في قلب آسيا وجزائرها الشرقية ، وفي قلب أفريقيا وغربها ..

كانت الروابط الداخلية في كل من هذه الحضارات أقوى من الروابط الخارجية التي تربط بينها ، ومن هذه الحضارات ما حصرته تضاريس البيئة والماء في مواطنها كالهند ، ومنها ما أعطتها مجالاً للامتداد كحضارات الشرق الأوسط وعالم البحر المتوسط ووسط آسيا .. ولكن هذا الامتداد أيضاً كانت له متاعب على الأطراف أولاً ، حيث صعبت السيطرة عليها ، وأدى الامتداد الى تفكك الدولة وقيام وحدات حضارية محلية ، تكمل منها عملها التاريخي ، وان ربط بينها جميعا رباط حضاري مرن ، والنموذج الاسلامي والمسيحي خير برهان .

هذا هو « العهد الحضاري » الأول ، وهو العهد نرى فيه مستويين : مستوى الحضارة الشاملة ، ومستويات الحضارات المحلية أو الاقليمية في اطار الحضارة الشاملة .

المرحلة الثانية :

وتبدأ مع عهد الكشوف الجغرافية وقد أخذت القيادة العالمية فيها تتركز شيئاً فشيئاً في غرب أوروبا :

ذلك عبر طريق الرجاء الصالح اتجهت تجارة العبور في العالم الاسلامي ، وكان وسيطا بين الشرق الأقصى وأوروبا .. وتراجعت أهمية موانىء الخليج ، والبحر الأحمر ، والبحر المتوسط . وبدأ مركز الثقل يتحول الى المحيط الأطلسي ، واندفعت الأساطيل والشركات التجارية للسيطرة على هذه الثروات الجديدة والأرض الجديدة .

واكتسحوا في طريقهم حضارات ، لم يبق منها الا آثار عمرانية ونصوصها في العالم الجديد : حضارات المايا والانكا والازتك .. ولم يكن لدى الأسبان والبرتغال في البداية الا نهب الثروات وتدمير الآثار ، واقتلاع السكان من الأرض .. وجاء الانجليز والفرنسيون والهولنديون فاقتلعوا في البداية الهنود الحمر ومطاردتهم ، واصطياد حيواناتهم .. ولم يبق منهم الا بقايا تاريخية تدل على آثار مجد قديم ..

ووصلت أمريكا وآسيا بغير المنظر ، ولكن كانت المقاومة هنا اشد ، والحجم السكاني أكبر من أن يباد ، ونقل الأمريكيون الملايين من الافريقيين ليكونوا زراعاً وعمالاً في العالم الجديد ، لا يملكون بحق في الأرض ، ولا في مستقبل .. واستطاعت التجارب الأوروبية في الحرب والفتح والصراع والكشف الجغرافي ، والشعور بالخطر العثماني من ناحية والرغبة في التوسع الاستعماري من جهة : استطاع هذا كله أن يضع أوروبا في مركز القيادة العالمية في القرن التاسع عشر ، وفي ذلك يملك النظام الذي يحرك زراع غرب أفريقية ، ورعاة بتاجونيا في أمريكا الجنوبية ، وزراع وأمراء الصين ، وراجات ومهراجات وزراع الهند ، ومنتجي القطن في مصر ، وشعوب شرق أوروبا في وجه العثمانيين .. وان تدفع بالقبضة الأوروبية الى ميادين الحرب سلاحاً ، والى خطوط المواصلات الطرقات ، وعبر المحيطات سفناً ، والى الحياة اليومية إنتاجاً واستهلاكاً ومواد مصنوعة ، وان تجعل من بقية العالم حقولاً ومناجم ومراعي للمواد الخام ، وأسواقاً

لتصريف الانتاج .

وتحول النفط من « جزائر » حضارية الى « مرج » حضاري لغت أوروبا ..

المرحلة الثالثة :

وجاء القرن العشرون وبدأت تتفكك فيه المكانة الأوروبية ، وتفسح المجال لصورة جديدة من « التعددية الحضارية » .

ولم تعد الحضارة الأوروبية ، ولا غرب أوروبا ، أو الحضارة الغربية ، النموذج الوحيد أو الأمثل ..

وظهرت بدائل حضارية تمتد على جبهة من اليابان شرقاً الى الولايات المتحدة وكندا غرباً . بدائل تتعدد فيها الخصوصيات الحضارية والثقافية . وتتباين في الحجم والتوجه : الرأسمالية المتمثلة في الولايات المتحدة وكندا . المجتمعات التي تمثل مزاجاً بين الرأسمالية والاشتراكية في غرب أوروبا . تجمعات الاشتراكية في شرق أوروبا وشرق آسيا ... صعود من المجتمعات الشابة التي استطاعت أن تشق لنفسها طريقاً - من قلب العالم الثالث - صاعدة الى العالم المتقدم ..

هذه التعددية ظاهرة جديدة وصحية . وهي تختلف عن التعددية الأولى التي سبقت القرن السادس عشر في تشكلها « الجزري » الأول ، وعن الصورة « المركزية » التي شهدناها فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ..

من التعددية المعاصرة أوجه تشابه وأوجه تباين :

١ - وأبرز أوجه التشابه أن الاتصال بينها أصبح ميسوراً : براً وبحراً وجواً . سلكياً ولاسلكياً . الاتفاقات . الأقمار الصناعية . المؤتمرات العلمية الدولية . الرحلات . الاعلام ... عشرات الوسائل التي أصبح بها العالم « قرية صغيرة » كما يقولون . انتهت العزلة القديمة وحل محلها الاتصال . فنحن نعيش « عصر الاتصال » أو « ثورة الاتصال » .

وأصبحت حرية المعلومات وتبادلها قضية عالمية ، ومجالاً للصراع بين الدول التي تملك القوى لأجهزة الاتصال وشبكاته ، وبين من دونها من الدول . فالاتصال قوة وتأثير وتوجيه .. والتحكم فيه تحكم في جبهة لها خطورتها من جبهات الاستقلال والمحافظة على الذاتية الحضارية .

٢ - وأصبحت معايير التقدم العلمي والتقني ، من أهم المقاييس على قوة الدول . والتقدم العلمي هدفه الابداع . ولا ابداع دون تكوين قاعدة علمية ، قادرة أولاً على الاستيعاب ، ثم المشاركة ، ثم الانطلاق . ولا تستطيع أي قاعدة علمية الآن أن تعيش بمعزل عن القواعد الأخرى . ذلك أن الابداع العلمي الآن أصبح تعاوناً وتنافساً في نفس الوقت ، وتسجيلاً وسبقاً . والقابعون خارج الساحة متفرجون ، لا أكثر .

٣ - وهذا الابداع العلمي له انطلاقاته : من الايمان به ، والتنظيم الذي يقوم عليه ، وتوزيع الأعباء ، والصبر والدقة ، وأدب الحوار وتكريس الذات ، والنظر الى مصلحة الجماعة أو الانسانية ، حسب المدى البعيد الذي تصل فيه مجموعة الباحثين .

٤ - أما التباين فيبدو في الخصوصيات الحضارية لكل من هذه الجزر أو القارات الحضارية .

ويبدو هذا - كمثال - حين نقارن بين الأنماط الصينية واليابانية والسوفيتية وغرب أوروبا - على فروق بينها ، وتطور ذاتي لكل منها . وهي مقارنة تتعدى أقدار الابداع العلمي من الناحية « الكمية والنوعية » الى « كيفية » توجيهه و « استغلاله » . وأحياناً تتخطى سؤال « كم عندي وماذا عندي ؟ » الى « ماذا تريد من الحياة ؟ » .

٥ - وأعطيت لتفوق الروح وخدمة الآخرين والسعادة بذلك ، ترفرف في آفاق ، ظلت الى الغرب ، أسيرة أرصدة البنوك وحسابات الربح والخسارة ، والمتعة السريعة الزائلة . والكد لتحقيق الذات صورة أخرى .. عندما أحس الانسان أن « الآخرين » هم أيضاً وجوده وكيانه واحترامه ..

لا ننكر انتشار العنف ، ولا اهدار حقوق شعوب العالم الثالث ، ولا انتشار تيارات التمييز والفقر وزحف التصحر ، وانتشار التلوث .

ولا ننكر الصراعات القبلية والحروب المدمرة بين أبناء الوطن الواحد والعقيدة الواحدة والجيران رغم مضي القرون ..

ولكن يبدو من النماذج التي عرضناها على امتداد الحضارة الانسانية زماناً ومكاناً ، ومن الصورة التي رسمناها : أن الصحوة الحضارية حقيقة ثابتة ، وأنها ثمرة جهود تفاعلت مع العوامل الطبيعية والبشرية التي تحيط بها من قريب ، أو تتصل بها على الصعيد العالمي .

إن هذا النمط هو صورة من « صناعة التاريخ » ، ومن الواقع الذي يعيشه أي مجتمع ليس حتمياً ولا فكاك منه . وإننا نستطيع أن نتصور ، ثم نصور الغد ، في حالة تعددت فيه التصورات والصور .

ملامح الحضارة الاسلامية :

والآن ما أهم ملامح الحضارة الاسلامية في عصر الصعود الحضاري ؟

فلنأخذ أولاً العناصر الاساسية التي يمكن أن نلتقي عليها ، ولنجملها في أربعة أساسية :

الربانية ، الاخاء الانساني ، الشمول ، المنهجية العلمية بمفهومها الاسلامي الذي يجمع بين الوحي والعقل .

ولو عدنا الى القرون الاسلامية التي شهدت قيام الحضارة الاسلامية وازدهارها ، لوجدنا هذه العناصر أو الركائز الأربعة الاساسية متحققة إيجابياً ، وبها وعليها قامت حضارة الاسلام :

ـ فالربانية صلة بين الانسان وربه .

ـ والاخاء صلة بين الانسان والانسان .

ـ والشمول صلة بين الانسان والكون ومكونات الحياة .

ـ والمنهجية العلمية طريق للتعامل بتوازن بين الوحي والعقل ، مع الكون والانسان .

ولما انتقلنا الى المرحلة الثانية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر وجدنا بعض هذه العناصر تعمل ايجابياً ، وبعضها قد تعرضت مفاهيمه الى شروح غير سليمة :

ظلت العقيدة في جوهرها ثابتة ، ولكن تعددت المراكز الحضارية ، ولكنها مع تعددها تعايشت .. وإن دخلت في صراعات استنزفت الكثير من طاقة الاسلام . وكنموذج نستطيع في هذه القرون أن نرجع الى الصراع الدموي بين الدولتين العثمانية والصفوية ، والدور الذي قامت به بعض الدول الأوروبية عن طريق الخبراء الاداريين والعسكريين في اذكاء هذا الصراع .

ثم الصراع في الامبراطورية العثمانية بين الأتراك والعرب ، وخصوصاً في المشرق العربي ، حيث ارتفعت موجات القومية العربية ، تقابلها ـ في نفس الوقت ـ موجات القومية في شرق أوروبا .

لا نستطيع اذن أن نعترف بأن الركائز الأربعة كانت تعمل ايجابياً على الصعيد الاسلامي في المرحلة الثانية والا : فكيف نفسر هذه الحروب العنيفة بين قوميات العالم الاسلامي : العرب ، الصفويين ، الأتراك العثمانيين ، العرب ... تنحسر الاخاء أمام الطريق للعصبيات العنصرية ، والشمول حلت محله تعصبات ضيقة تستهدف السيطرة والتسلط والمنهجية العلمية تراجعت أمام الأحقاد والثارات والمطامع ..

.. وساءت المرحلة الحالية من الصحوة الحضارية .. ولكن هل اختفت العصبيات القديمة ؟ هل انتهى الصراع بين العثمانيين والصفويين ؟ أم استمرت أسبابه حديثاً ، وبتطلعات جديدة ، وشعارات جديدة ؟

نعترف أن العالم الاسلامي الآن يعاني من موروثات التمزق السابقة ، يضاف اليها تمزق الاستعمار الجديد بعد أن انحسر الاستعمار التقليدي ..

وأصبحت مناطق التنمية تحمل اسماً جديداً : « العالم الثالث » وما مفهوم العالم الثالث ، وهل العالم الاسلامي جزء منه ؟

لعل أقرب تعريفه ـ عملياً ـ أنه الأقطار أو الأقاليم التي تسهم بشروط غير متكافئة فيما أصبح السوق الاقتصادية العالمية . ولكن أهم ما يميز أكثر أقطار العالم الثالث ، هو انخفاض مستوى المعيشة عن المستوى السائد في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية واستراليا ونيوزلندة ، الا أن عناصر أخرى أساسية تدخل في قياس التنمية ، وتفسر الطريق الذي يعوق التقدم : وهي قدرة القوى البشرية المحلية على استغلال الموارد المحلية استغلالاً منتجاً . بعبارة أخرى : القدرة على تغيير الواقع المادي والبشري ، وممارسة ذلك بنجاح ، للوصول الى مستويات أعلى

تصور وتصوير :

وهكذا يقودنا بحثنا إلى الأهداف المرحلية من التقدم الإسلامي المعاصر، والمرحلة مرة أخرى إلى الركائز الأربع لتحول الأمة منها عقليا وشرعيا. ويقتضي منا :

١ - أن نعترف بالوحدة والتعددية الحضارية في إطار الوجود الإسلامي، وأن ندع التفكير الوحدوي الأحادي ... هناك إطار عام من الإيمان بالله والاتجاه الإنساني والتعامل مع الكون والبيئة الطبيعية عقليا. فلنجعل هذه العوامل تتفاعل إيجابيا.

٢ - ولنضع أمامها التحدي الحضاري الكبير الذي يقابل العالم الإسلامي الآن : وهو التخلف. فليس الاستقلال السياسي وحده، ولا الاستقلال الاقتصادي وحده يكفيان، وإنما العالم الإسلامي في حاجة إلى « الاستقلال العلمي ».. الاستقلال، لا الانعزال، ولا التبعية. ولا يتوافر هذا إلا بتكوين القواعد العلمية المحمولة على الصعيد الإسلامي فيما بينها أولا، ومع المراكز العلمية العالمية ثانيا. والاستقلال قدرة على الاختيار، وعلى اتخاذ القرار.

٣ - ونحن محتاجون إلى تأكيد مفهوم « التعايش » في الحياة الإسلامية، كما تعايش المسلمون الأوائل، وكما تتعايش المذاهب في إطار العالم المسيحي المعاصر بحربه أوروبا وسوقه المشتركة وبرلمانه المشترك.. فنصرف جهودنا إلى التحدي العلمي.

٤ - هل نستطيع تصور مناطق حضارية متعددة ومتكاملة وتمثل نطاق الحضارة الإسلامية الكبيرة؟. تصوُّر نفكر فيه ونتحاور فيه، ونحاول الاقتناع معا به، ثم نحاول تشخيصه..

وإن المفكر لا يملك إلا قلمه. فلتتحرك الأقلام نحو هذا الهدف. والطريق إليه ليس سهلا..

٥ - هذه المناطق الحضارية الإسلامية تتكامل مع خصوصيتها التي تبرز - كمثال - في الإنتاج الأدبي والفني والزي والعمارة.. وهذا تعاونها الوثيق في مجال البحث العلمي، وهو بطبيعته عالمي النزعة واللغة والهدف. وإن من قدر الأرض التي يسود فيها الإسلام أن اختصت كل منها بناحية أو أكثر من نواحي القدرة. ولم تتوافر جميع العناصر أو أكثرها في واحدة منها. كما نجد في الصين والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، حيث حجم السكان كبير، والتخصصات المدربة المتكاملة متوافرة وموارد البيئة الطبيعية بحكم الامتداد والتكوين الجيولوجي وموارد الطاقة متوافرة.. ومن أجل ذلك كان قدر العالم الإسلامي التعاون. ولا يزال.

٦ - يأتي بعد ذلك - أو قبله - عامل تاريخي عميق الأثر، وهو التنوع الحضاري في الأقاليم : وتعدد السلالات البشرية والأديان والمذاهب. ومن الممكن - عن طريق التعايش - أن تكون هذه مصدر إثراء فكري وحضاري، ومن الممكن عن طريق التنافر والصراع أن تصبح نزيفا دائما لحيوية العالم الإسلامي. ولقد جربنا وطويلا تجربة الصراع والحروب، وكلفتنا كثيرا وأضاع الميزان مقتضى الكفاية وأضاع الفرصة للوجهة في إطار الوحدة الوطنية.. فما نأتي به ليس معجزا ولا مستحيلا، وإنما هو أمر مارسه غيرنا ونجحوا فيه وعلينا أن نمهد له ونمارسه. وننجح فيه إذا أردنا لأنفسنا ولأبنائنا أن نصنع تاريخا جديدا، وحضارة إسلامية متألقة. في إطار التعدد الحضاري الذي تعيشه الإنسانية في مرحلتها الحالية. □

العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : العقل رأس الأشياء ومنه قوامها، وبه تمامها، وهو سراج ما بطن، وملاك ما علن، وسائس الجسد، وزينة كل أحد، لا تستقيم الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه.

البترول.. والسينما

بقلم : أحمد رأفت بهجت

اذا كان التاريخ يؤكد أن الاحتكارات البترولية بمساندة الصهيونية العالمية كانت وراء العديد من الأحداث السياسية والانقلابات والعمليات المشبوهة ... فهو يؤكد أيضا أنها لعبت دورا بالغ الخطورة منذ بداية الثلاثينات ، في جعل السينما تواكب أهدافها الاقتصادية والسياسية .

يأتي فيلم (زيت من أجل مصابيح الصين) الذي انتجته شركة (وارنر) عام ١٩٣٥ واخرجه (ميرفن ليروي) ليلعب دورا رائدا في مساندة الاحتكارات البترولية الأمريكية في الصين ، في وقت كانت فيه حروب السيادة والمنازعات والحروب تزداد اشتعالا في المنطقة الصينية .

ويبدو أن تصوير الأحداث في غير اتجاهها

الطبيعية ، فإن من الواضح موضوعيا أن الأفلام التي صورت موضوع العرب والبترول كانت تخضع في معظمها لمنطقها طبيعة كل مرحلة ، ففي مرحلة ما قبل ١٩٧٣ كانت صورة الشخصية العربية في الأفلام تعكس إلى حد كبير الآراء المعاصرة للمستشرقين ، التي تطلق – على حد تعبير المفكر إدوارد سعيد – على الصحافة والعقل الشعبي الأوربي والأمريكي – فالعرب شهوانيون فوضويون للنزوات شرورهم التي لا يستطيعون مقاومتها نتاجا للحضارة الطبيعية الغربية متربص بأن المستهلك الغربي ، رغم كونه ينتمي إلى القبلية البدوية .. فوضى شرهي ، وإنما في امتلاكه معظم الموارد الطبيعية في العالم فوق استهلاكها فوق كفايتها !!

بعد أكتوبر :

لم تكن من شأن الصدمة الناتجة حرب ١٩٧٣ متعلقة أسعار البترول ، وتحول العرب إلى قوة هائلة لها أن تسجت السينما الغربية الانتقال إلى مرحلة أخرى ، الأفلام فيها أقل اهتماما بالظواهر التقليدية في المجتمع العربي بالمقارنة إلى الاهتمام بالبطل العربي وصور في وضع العرض الذي يتلخص بعد خبرة معمرة كل ظاهري للترجمة لأركان الشخصية العربية ، والارتباطات الاقتصادية في المعاملات العربية الدولية . وفي النهاية يرجعه تلك قويا يخضع فيه إلى تحقيق كرامة الفرد الغربي ، بعيدا عن تسلط العرب وابتزازهم البترولية !!

ومن البيانات والإحصائيات المستقاة من جامعة الدول العربية ، حول الأفلام التي حظر عرضها في الدول العربية لأسباب سياسية ، منذ عام ١٩٥٥ وحتى نهاية ١٩٦٧ نرى أن مجموعها بلغ ٣٥٢ فيلما ، منها ٢٨ فيلما عام ١٩٦٧ فقط .

وليس من شك في أن ظهور الأفلام المعادية للشخصية العربية المذكورة . كان يتوافق مع الانتكاسات السياسية العربية تجاه الأمة العربية ـ خصوصا بالنسبة للصراع العربي ـ الإسرائيلي ، ويعد البترول كعامل محرك للتيارات السياسية المختلفة ، في المنطقة العربية المتحررة بالامتيازات الاحتكارية ، للوصية بأن استمرار السيطرة على الموارد البترولية لا يكون أمراً سهلا في ظل عدم الاستقرار السياسي .

وعندما ننظر إلى ملامح المرحلة السينمائية التالية ، سنكتشف أنه ما بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ظهرت أغلب الأفلام التي تحدثت عن البترول العربي ، وعالجت بشراسة الشخصية العربية ، وهو ما يتوافق أيضا مع أزمة الجامعة العربية . فالأفلام هذه الفترة كما سنوضح في الفقرات التالية لم تقدم بشكل عفوي وبدون تخطيط مسبق ، وعندما نربطها بطبيعة الأوضاع السياسية التالية لظهورها نعرف لماذا كانت تمهد بشكل مدروس لحرب الأيام الستة ، وهي الحرب التي كان من أهدافها بالإضافة إلى مشروع « إسرائيل » الكبرى ، استغلال طبقات البترول التي اكتشفت في سيناء عام ١٩٥٦ ، وموقع شرم الشيخ الاستراتيجي للسيطرة على البحر الأحمر في مجموعه وعلى بترول المملكة العربية السعودية .

ولقد كشفت أفلام الستينيات عن الدور الخطير الذي لعبته الصهيونية ، في حشد طرفي الصراع تجاه الحكام العرب ، وصورت كيف أن هؤلاء الحكام يستغلون ثروات البترول لمصالحهم الشخصية على حساب شعوبهم المطحونة .. ويأتي فيلم « هروب من الظهران » (١٩٦٦) ليمثل بداية في هذا المجال ، فبطله الأمير العربي المطارد من قبل قوات الجيش في بلده ، فر من بلاد أعدائه يقتلونه ، لأنهم يعلمون أنه على حق ، لأن ما يهمه هو الناس المقهورة جوعا وفقرا وجهلا ، رغم أنهم يعيشون في بلد غني بالبترول .

ومن الطبيعي أن يشاطر المتفرج هذا الأمير ، ويكتسب دوره الممثل الشهير « بول برايتر » في سخطه ورغبته في البحث عن الهيبة ، وتصويره في صورة الشخص الذي اضطهده حكامه ، فالقضية رؤية حقيقية لعمل الخير لشعبه ، وبذلك يتجاهل الفيلم عدة حقائق مركبا ، أهمها أن ما كانت تحصل عليه البلدان العربية في هذا الصدد القليل من كل برميل بترول يستخرج من أراضيها يصل إلى ١٠٪ فقط من السعر الذي يدفعه المستهلك ، وأن العمال العرب كانوا يعملون في ظل أقسى ظروف الاستخدام والتعسف من قبل الاحتكارات البترولية ، وأن أجورهم لا تزيد على ٢٪ من أجور العمال الأجانب في نفس الموقع .

لقطة من فيلم ـ حفلة تنكرية ـ ١٩٦٦م

وهذا التزييف في الوقائع التاريخية وصل الى حد في بعض الأفلام الصهيونية ، التي حاولت إلغاء التواصل الزمني والمكاني بين أحداث التاريخ ، وجعل الأمكنة والأزمنة والشخصيات تتحد وتتداخل حسب متطلبات الفكر الدعائي الصهيوني المراد توجيهه ضد الأمة العربية .

منطقة أسطورية

وعندما نتطلع للأفلام خيرا ما قبل حرب ١٩٦٧ ، فإننا سنجدها تردد صوتا مثل ، شخصية الحاكم والأمراء العرب الذين لا يسهمون في تحسين حال البشرية ـ أو في ترفيه حاجات العصر الجديد ومتطلباته . ومنها (جولد فنجر .. ضد لورنتك) ١٩٦٥ ، (حفلة تنكرية) ١٩٦٥ ، (صاروا) ١٩٦٦ (سوجسي ليس) ١٩٦٦ (ارابيسك) ١٩٦٦ .. وغيرها .

وليس في هذه الأفلام أعماق يستطيع المتفرج الواعي أن يسبر أغوارها ، فهي تركز على شخصية البطل العربي ـ وغالبا ما يكون صورتها كما يصفه صهيونية لشخصية الفتى العربي ، وإنما كمخطط ماكر يستخدم مواقفه المختلفة كمصدر للهجاء والتعليقات الساخرة .

وتحليل الملامح الرئيسية لأبطال فيلمي (حفلة تنكرية) للمخرج (ستانلي دونن / ارابيسك) لستانلي دونن يلقي ضوءا على سمة من سمات السينما الصهيونية العالمية ، وتظهر ملمحا من ملامح الانتاج السينمائي ، قبل نحو جيلا متوالية إلى الخلافة واستلامه من حسابنا . وهو عدم التفريق بين البطل الصهيوني والبطل الأمريكي أو الأوروبي العادي ، فقد كان ـ ولا يزال ـ الاثنان بالنسبة لنا شيئا واحدا ، وهذا يرجع في الواقع إلى جهلنا بملامح البيئة اليهودية ، والأسماء اليهودية والموضوعات المفضلة للكتاب اليهود ، والعلاقة بين الموضوعات اليهودية والموضوعات التي تعالج مشاكل الأقليات في أمريكا وأوروبا ، وأشياء أخرى ترتبط أساسا بطبيعة العمليات اليهودية والصهيونية .

إن اليهوديين ماليند فرانك بطل الفيلم الأول ، ودانيد بولاك بطل الفيلم الثاني خبيران من النوع النادر فيما يخص أمور الشرق الأوسط ، وهما شبيهان في الوعي والشعور بكل الخصائص التي يشتركان بها ، فالأول كان خبيرا في شئون الشرق الأوسط

السينما ، ويرى ما يدور فيه من أحداث ، ويتعرف على سمات الشخصية العربية بحس وعقلية ، بالإضافة إلى دوره العسكري خلال الحرب العالمية الثانية . أما الفيلم فكان نموذجا للعلاقات الغربية في جامعة أوكسفورد ، وصولا إلى اللغة الهيروغليفية .

كان الشيخ حمد كل منهما من الناحية المهنية نجاحا ملحوظا .. بحيث يصبح وجودهما في الشرق الأوسط له أهمية قصوى للاستعمار من أجل هذه النقطة . فالأول يستدعيه الكولونيل هوكسلي للمستعمر الإنجليزي في ولاية حضرموت الغنية بالبترول ، لكي يحمي الأمير العربي جميل ، المساند للسلطة الإنجليزية ، في استغلال البترول ، بعد أن أثارت العناصر المناوئة للإنجليز بقيادة الشيخ الشرير أحمد بن فهد على الاتفاقية البترولية بين إنجلترا وحضرموت .. والثاني يحضر إلى الشرق الأوسط بناء على دعوة من رئيس [illegible] لدراسة بعض الحروف الهيروغليفية ، ليفك رموز رسالة مكتوبة باللغة الهيروغليفية لها علاقة بثروات المنطقة .

وفي مجال إنجاز الفيلم بأركانه الفنية [illegible] مراسلات الأشخاص ، [illegible] والعصابات .. فالعصابات تخطف الأمير العربي جميل قبل استيلائهم على [illegible] حكم بلاده .. ومن ثم يبدأ البطل الأوروبي في صراعه من أجل إنقاذ الأمير الصغير .. والأستاذ الأمريكي يجد نفسه معرضا للموت في الصراع للبحث بين رجال رئيس الوزراء ومطالبه .

ويدخل البطلان الغربيان في صراعات المؤامرات العربية والدولية المتشابكة . وينطلقان إلى سلسلة تتميز بالمطاردات والضرب والخطف . وتنتقل إلى السلب والنهب والقتل والاستغلال .. لنا منهجه منها .. ولكنها ترتكز على واحدة من الصراعات ، ورغم تنوعها الأحداث في تخيل الفيلم التي أدركت الهيمنة .. إلا أنها صورا من سلسلة الصراعات والمعتقدات التي يحمل بها معظم الناس في المنطقة العربية !

الأمير الزائف

وفي عام ١٩٧٢ أثيرت ضجة حول الفيلم الإيطالي « لعبة ملكية » بعد فوزه بالجائزة الكبرى في مهرجان

كان عام ١٩٧٣ .. ولعلها بعض ظلمنا للعرب ونكرانه قوية للأقلام الغربية المعاصرة بالعقلية العربية .. على اعتبار الأفكار المطروحة من خلال الفيلم قصة رجل البترول الإيطالي (أنريكو ماتيه) رئيس مؤسسة ايني الإيطالية للبترول ، الذي لقي مصرعه عام ١٩٦٢ ، تحت على شعاره الشهير : « سوف أحارب الاحتكار في كل مكان .. وقد لا أنسى سوف تحصل الشعوب على امتلاك البترول » .

والواقع أن مواقف ماتيه سواء من العرب أو من غيرهم .. كانت مواقف إيجابية تتلاءم مع مواقف السياسة [illegible] في تعامله مع العرب .. يطالب زحزحة شركات البترول الأمريكية في البلاد العربية ، من منطلق ، أن إيطاليا في حاجة إلى البترول العربي ، ويعطي مبدأ الأساسي لمتعدد سياستها » . ويعطي الجزائريين السلاح ليحاربوا القوات الفرنسية ، ويقول « إيطاليا وليست فرنسا . تحتم أن يعرف العرب أن منطقتنا الجزائر ، إن وجهات نظرنا متفقة » .. وعندما يعقد شركة تدفع نسبة للحكومات العربية من عقد بترولها أكثر مما تدفعه الشركات الأمريكية ، تكون حجته « كل هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعلنا بلدنا جميعا في يوم ما .. أن نعاملهم كبشر وليس كمخلوقات أقل !! » .

١٩٧٣ .. وأزمة الطاقة

وبعد حرب ١٩٧٣ اقترن تعبير « أزمة الطاقة » بالشخصية العربية .. وانقلبت هذه الأزمة بشكل أو بآخر إلى سلاح أكيد للتحول في يد الصهيونية . فقد حققت في ظاهرها الأول هدفا ماديا عظيما مع مشاكل الاتحاد الأوروبي والأمريكي نتيجة لارتفاع أسعار البترول .. وبدءا من البحث عن الأسلوب للإثارة في الهجوم على العرب .. وتطلب ذلك أن يتم الأخذ في منطلق من الظلم .. لا لمجرد توزيع العمل بين السينمائيين الأمريكيين والأوروبيين ، ولكن للفيلم بصفته يمثل ما يمكن تسميته « رأي عام سينمائي » .. بحيث أصبح عنصر الثقل في صناعة بعض الأفلام يصنع من جانب هائل من مكونات الأفكار المعادية للعرب .

وسوف نستعرض بعض هذه الأفلام وأبرزها

التحريض على الانتقام من العرب على كل المستويات .. السياسي (فيلم الكوندور الثلاثة) ١٩٧٥ ، الشعبي (شبكة التلفزيون) ١٩٧٦ ، الفردي (ملف الذهب الأسود) ١٩٧٨ والاقتصادي (وجرح) ١٩٨١ ـ المالي (الخطأ والصواب) ١٩٨٢ .. الخ .

وفي سبيل ذلك تم تغيير أحداث مؤلفات أدبية كثيرا عند تحويلها الى السينما ، وكتبت أفلام للشاشة مباشرة بواسطة أهم كتاب السينما الأمريكية ، واستغلت امكانيات مجموعة من المخرجين الأمريكيين الكبار من أمثال سيدني بولاك وسيدني لوميت ، وألان باكولا ، وريتشارد بروكس .. وغيرهم من المهرة الذين جعلوا الصهيونية مشاعر السخط ضد العرب .

في فيلم (أيام الكوندور الثلاثة) تتبدل أحداث الرواية التي أخذ عنها الفيلم ، ويحول المخرج سيدني بولاك » .. ترجمتنا الى حبكة جديدة تنقلب عليها السياسة وعلى الأخص أحداث الشرق الأوسط .

واذا كان فيلم (الكوندور) يتستر خلف مبادىء تناول ظاهرها ادانة عمليات المخابرات الأمريكية .. فهو من ناحية أخرى يؤكد أهمية الخطة لهذه العمليات لصالح المواطن الأمريكي العادي !! .. ويحط فيلم « شبكة التلفزيون » نفس المنطق .. فهو يهاجم شبكات التلفزيون التجارية ، ويكشف تسلطها على الانسان الأمريكي ، الا انه يظهر المذيع المتمرد « هوارد بيل » الذي يقوم بدوره بيتر فينش) على الهواء ليحذر الجمهور من تسلط البترول العربي على مقدرات الحياة الأمريكية ، ومن خلال المزج بين اللقطات من أشهر اجتماعات الأوبك لرفع أسعار البترول ، واللقطات لشيخ عربي له شهرته في عالم البترول : يتردد صدى صرخات هوارد بيل « لست في حاجة الى ان أقول لكم ان هناك أزمة كساد تنتشر ... الدولار ينهار ... ولا أحد يعرف ماذا يفعل ».

جرائم القتل تزيد .. كل شيء ينهار .. والعالم ينهار . أريد أن أبقى وحدي .

لا أريد منكم أن تحتجوا أو تثوروا .

أريد منكم أن تنهضوا وتصرخوا انهار هنا .

وحيدا . سنتكلم في الكساد وأزمة البترول .

اخرج وقل لن أقبل هذا بعد الآن !» .

ويطلق المذيع هوارد بيل نداءه .. ويخرج المشاهدون وسط الأمطار وهو الشبه الطقس ـ في ظل أزمة الطاقة .. وهي تردد في صوت واحد : لن نقبل هذا بعد الآن !!

ومع تجاوب المشاهدين مع بيل يتجسد في الفيلم تسلط العرب على الشركات الأمريكية .. ويكشف أن الأثرياء العرب أصبحوا يتحكمون في اقتصاد أمريكا ، مما يعني أن أصبح العرب بعد الكارثة الاقتصادية .. وتتوالى كلمات بيل بالسخرية من رئيس الهيئة المشرفة على التلفزيون .. فيفسر له طبيعة العلاقات الجديدة في ظل المتغيرات التي فرضها رجال

البترول العربي ؟!

ويستكمل المخرج آلان باكولا في فيلم « رجع » الأفكار التي طرحها فيلم « شبكة التلفزيون » فالحضارة الغربية يتهدد كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي أمام ازدياد الثروات العربية البترولية ، ويصدم الفيلم في تفصيل أكبر الأخطار الناتجة من تضخم الثروات العربية البترولية في البنوك الغربية . بوصفه افتراضا خطيرا من حقائق المجتمع الغربي . لو قرر العرب سحب ثرواتهم فجأة من البنوك الأمريكية والأوروبية .. ومن خلال علاقة بين أرملة ثرية (جين فوندا) وأحد رجال المال في وول ستريت (كريس كريستوفرسون) تكتشف أن زوج هذه الأرملة قتل في ظروف غامضة .. وأنها معرضة هي الأخرى للقتل ، لأن زوجها اكتشف كيف أن أصحاب الثروات من رجال البترول العرب قرروا سحب ثرواتهم من وول ستريت .

ويحدد آلان باكولا من خلال هذا الحدث البوليسي تلك المناطق الملحة بالنسبة لأغلب الدول في العالم الغربي ، المرتبطة أوثق الارتباط بالبترول العربي مثل : الانهيار الذي يحدثه بعض تحرك المال العربي .. الذي لا تملك أمريكا غير المسايرة !! والصراع الدولي .. للحفاظ على موقف موحد تجاه العرب .. ويحاول أن يلم بكافة التفاصيل التشريعية والمالية والأدلة الزائفة ، لينهب المال العربي ، وكيف يجني على الإنسان الغربي مواجهته ومطاردته .

قضية جديدة

وعندما خفت حدة أزمة الطاقة ، بدأت في الأفق قضية جديدة ، تحاول أن تربط بين الثروات العربية والإرهاب .. وجاء فيلمهم « الخطأ والصواب » لريتشارد بروكس ليساهم بدوره في هذه الحملة .. قصة الفيلم تدور حول الإرهابيين العرب المختطفين وزعامة أحد الملوك العرب .. يحاول واحد من رجال المخابرات الأمريكية ، في اللحظة التي اكتشف فيها أن واحدا من كبار مهربي الأسلحة على وشك أن يبيع قنابل ذرية إلى ملك عربي يسعى بأن يفرق بحرا من النفط !!

ويقتل الملك العربي .. ويتهم الإرهابيون رئيس الولايات المتحدة بأنه وراء الاغتيال .. ويتدخل الصحافة في لعبة الانتخابات الأمريكية ، ويظهر شون كونري - جيمس بوند سابقا - ليلعب دور صحفي يجري وراء الأحداث . ويحاول أن يعرف الحقيقة وأن يكشف سر الصراع بين المخابرات الأمريكية والروسية .. ودور منظمة الأوبك .. والإرهابيين العرب .. وأزمة الرهائن .. ورواية موت « بوبي سانديز » أول ضحايا الرهائن الأمريكيين .. في إيران .

والدور الذي يلعبه شون كونري في هذا الفيلم يقترب من دور بيتر فينش في شبكة التلفزيون . فهو واحد من كبار مذيعي التلفزيون الأمريكي . يحاول من خلال تحقيقاته الذاتية أن يكشف مدى تعرض محطات التلفزيون للضغوط العربية في توجيه الإعلام الأمريكي !! وبطبيعة الحال يتجاهل الفيلم الحقيقة الأزلية التي تؤكد أن هذا الإعلام تهيمن عليه الصهيونية بشكل كامل وأن أموال العرب غالبا ما تكون في خدمة أغراض الاتجاهات الإعلامية والسياسية والاقتصادية !!

العودة إلى التهكم

ومع تقلص سوق البترول العالمي .. وقلة الطلب على النفط دوليا لم يعد منطق التهويل والإثارة والتحريض في مواجهة العرب مستساغا له فعاليته السابقة .. وبقي الهجوم المغلف بالتهكم والسخرية هو الوسيلة الفعالة للوصول إلى النيل من الشخصية العربية . فالعربي المتخلف لا يملك المال لشراء الأسلحة المتطورة ، ولكنها تتعلم السيطرة على استعمالها (الفيلم طاع) ١٩٨٤ . ومع رغم ثرواتهم مازالوا يعيشون في ظل البيئة البدائية ، التي لا يقبل عليها الإنسان الغربي المتحضر (سياحة مع الريح) إيطاليا .. وثرواتهم هي التي تتحكم في اقتصاد برامجهم الاقتصادية (بترول .. بترول) فرنسا .. إلخ .

وأخيرا ، فإن هذه الأفلام وغيرها تحمل ملامح حرب نفسية مخططة ومدروسة بعناية وإحكام .. والمطلوب من الأقطار العربية المنتجة للبترول . عبر أكثر ما يمكن من الحكمة والصبر الجميل .. وأقل ما يمكن من المبالاة بعمليات الحرب النفسية التي تروج لها مختلف عناصر الإعلام الغربي . □

العلم والتعليم

في الأرض المحتلة

بقلم : توفيق أبو بكر

منذ افتتاح الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٤ ، قال الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن « الآن تم بناء الدولة » .

ويستطيع كل من يعرف هذه الحقيقة عن أهمية العلم والتعليم بالنسبة لنفسه ولطفل كل حقل وسيلة لحرمان شعب من أهم عناصر التقدم . فكيف تخطط الدولة الصهيونية لإبقاء عرب الأرض المحتلة جاهلين ومتخلفين ، كما يقول أحد مسئولي تلك الدولة ؟

المقالة التالية محاولة للإجابة عن هذا التساؤل .

إن المحتلين الصهاينة لعلى وعي كامل بخطورة المؤسسات التعليمية والجامعية في أوساط الشعب الفلسطيني وعلى أرضه . وحين شيدوا جامعتهم العبرية في القدس سنة ١٩٢٥ م . قال حاييم وايزمن أحد مؤسسي الصهيونية السياسية : « الآن تم بناء الدولة اليهودية » فالبرنامج الصهيوني الأول الذي صدر في مدينة بازل بسويسرا في المؤتمر سنة ١٨٩٧ تحدث في البند الثاني من ضمن البنود الأربعة التي تضمنها الإعلان الصهيوني عن ضرورة حماية الثقافة العبرية والتعليم اليهودي . جاء ذلك بعد التأكيد في البند الأول على بناء وطن قومي لليهود مباشرة . ولذلك فهم يعرفون من تجربتهم المباشرة والتاريخية المعاصرة . أهمية هذه المدارس والمعاهد العليا، والجامعات التي تنتشر في كل مكان داخل الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . لهذا يخططون وهم يعرفون عن وعي كامل والتخطيط طويل

المدى . حتى أقرب معاقل العلم في فلسطين المحتلة . حتى لا يصبح المكان الأول الذي تتخرج فيه القيادات السياسية والثقافية والفكرية للشعب الفلسطيني . وبدون هذه القيادات . يصبح المجتمع الفلسطيني في الداخل منزوع الأسنان ، ويسهل هضمه أو تذويبه . والتحكم فيه بشكل كامل .

مطاردون ومطاردون

حتما . بدأت مأساة شعب فلسطين ، قال أول مستشار للشؤون العربية لدى رئاسة الوزارة الصهيونية : أوري لوبراني (الذي يعمل الآن مستشارهم لشؤون لبنان) وكان ذلك في مطالع الخمسينات :

لو بقي العرب حطابين وسقائين لكان الوضع سهلا وأسهل . لكن الأمور لا تخضع للرغائب دائما .

وبعد أكثر من ثلاثين عاما مرت على تلك الأمنية الصهيونية التي لم تتحقق ، رغم كل سياسة التجهيل التي بذلوا فيها جهدا كبيرا ، قال المستشار الحالي للشؤون العربية لدى الحكم العسكري الصهيوني (وبعد أن فشلت سياسة التجهيل) :

« ان الهدف الأساسي للجامعات الفلسطينية في الداخل هو تنمية طبقة من المثقفين ، وتلك خدمة لحاجات الدولة الفلسطينية القادمة » . وحين أغلقت جامعة بيرزيت لمدة طويلة في بداية الثمانينات ، قال مناحيم ميلسون البروفيسور في الأدب العربي ومسؤول ما كان يسمى بالادارة المدنية آنذاك من الأكاديميين الأمريكيين ، جاء يحتج على اغلاق الجامعة ، لأسباب علمية صرفة ، « ان هذه الجامعة وأمثالها خطر علينا ، لأنها النواة الأولى للدولة الفلسطينية التي يحلم بها هؤلاء الشباب : شباب الجامعة » .

ان اسرائيل تتبع سياسة محكمة طويلة النفس في مواجهة مسيرة التعليم الفلسطيني في الداخل منذ المرحلة الدراسية الأولى ، هذه السياسة التعليمية فيها ، لم تحقق كل النجاحات لكنها نجحت بالتأكيد من منع مسيرة التعليم الفلسطيني أن تأخذ مداها . لاكمال المسيرة الحضارية للشعب الفلسطيني ، والمساهمة في النهضة الفلسطينية العامة .

العلم والتحديات

الحقائق والأرقام المنشورة تقول انه مازالت هناك تحديات كبيرة تواجه التعليم والمتعلمين في بلادنا .

هناك أولا : النزيف البشري المتواصل الذي يتعرض له الشباب في داخل وطننا ، ويضطرون بسببه للهجرة للخارج . في العام الماضي على سبيل المثال كان عدد خريجي التوجيهي في الضفة والقطاع ١٢٥٠٠ طالب . والجامعات الفلسطينية في الداخل . تستوعب حسب احصاءات مجلس التعليم العالي في الضفة الغربية ١٥ ـ ٣٠٪ من هؤلاء الطلاب . وتستوعب المعاهد المتوسطة القريبة : وهي معاهد الزراعة والصناعة والبوليتكنيك والتدريب للمعلمين ، تستوعب ألف طالب تقريبا . ويبقى هناك مشكلة حوالي عشرة آلاف طالب سنويا يلتحق جزء منهم بسوق العمالة الصهيونية ، وينضم إلى جيش البطالة المتزايد في الضفة والقطاع ، بينما يغادر بعضهم للدراسة في الخارج .

وسلطات الاحتلال بدأت منذ عامين بفرض اجراءات قاسية لوضع أكبر العراقيل الممكنة في وجه هؤلاء المغادرين ، حيث تمنع عودتهم قبل ستة شهور من تاريخ المغادرة ، وهذا له أثر نفسي ومادي على الطلاب وعائلاتهم . كما تعمد هذه السلطات إلى التحقيق المتواصل والسجن الاحترازي للعائدين منهم لقضاء اجازات الصيف عادة لمنعهم من العودة ثانيا . تقول مجلة اسرائيلية تقدمية في حديث نشرته مؤخرا واحدة من كبرى الصحف الايطالية ، انه منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن حرمت اسرائيل من ما يقارب ٣٠٠ ألف طالب وشاب فلسطيني .

في فلسطين المحتلة ، يأخذ الأمر طابعا أكثر قسرا . إذ من النادر أن يحصل أكثر من ١٠٪ من الطلاب المتقدمين للحصول على الشهادة الثانوية

(قيصروت) يعوّق التقرير أن يسمح لهم بدخول الجامعات الصهيونية . إلا أن عدد الطلاب العرب في جامعات اسرائيل حسب احصاء عام ١٩٨٠ - ١٩٨١ م ، هو ٣٦٧٤ طالبا فقط ، يدرس أغلبهم الانسانيات ، وينتشرون بحالة عزلة ، وتمييز انفصالي عن الطلاب اليهود . وهذه النسبة لا تشكل ٤٪ من طلاب الجامعات ، رغم أن العرب داخل الكيان الاسرائيلي يصلون الى نسبة ١٤٪ حسب الاحصاءات الرسمية .

ظهور الحركة القومية

كان (اسرائيل كينج) حاكم لواء الشمال الذي تقع فيه منطقة الجليل حيث التمركز العربي الفلسطيني الكثيف قد اقترح منذ أواسط السبعينات دفع الطلاب العرب من الجليل والمثلث والنقب للدراسة في الخارج . ثم وضع اسرائيل أمام عودتهم ، وذلك في وثيقة تسربت للصحافة . . . ان تجمع الطلبة يخلق في أوساط العرب بشكل أكثر ما ينمي حركة قومية ، وان على المسؤولين في اسرائيل حسب زعمه توقع هذا الاحتمال والتخطيط المسبق له من الأجهزة المختلفة .

ولذلك منعت اسرائيل اقامة جامعة في الناصرة ومنعت اقامة جامعة في نابلس للطلاب العرب من داخل اسرائيل فقط ، وردت على ذلك بتخطيط الاقتراح المنادي لاقامة جامعة صهيونية في المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، تكون مشابهة في مناهجها لجامعة اكسفورد وجامعة كمبردج .

ولذلك فإن الرقم المنشور حديثا والذي يقول ان ٩٠٪ من الطلاب العرب ليس في الضفة والقطاع فحسب ، وانما من داخل اسرائيل ، يدرسون الآن في الخارج أمر مذهل خطورته ، يعني أننا سنواجه منذ الآن فصاعدا مشكلة التسرب البشري من مناطق جديدة لم تكن تعاني من هذه المشكلة .

ان نسبة السكان ، من أقل أعمارهم عن عشرين سنة في الضفة والقطاع ، تصل الى ٥٠ - ٦٠٪ حسب احصاءات مختلفة ، وهي من أعلى النسب في العالم وتشير الى ثلثان جيل الشباب من سن ٢٠ - ٤٠ سنة ، كذلك يجب أن تحتل نسبة عالية من سكان المجتمع ، كما هو الحال لدى غالبية العالم .

هناك أيضا الاجراءات المباشرة في سلك التعليم الذي تم اغراقه بأعداد كبيرة من غير المؤهلين ، ولاعتبارات تتصل بالولاء للسلطة العسكرية وتتصل بخطط التجهيل للفلسطينيين .

الأرقام المنشورة من مجلس التعليم العالي في الضفة والقطاع تشير الى ٢٤٪ من معلمي المرحلة الابتدائية ، ٨٪ من مدرسي المرحلة الاعدادية ، ٤٣٪ من مدرسي المرحلة الثانوية بحاجة الى رفع المؤهلات الاكاديمية والتربوية وبحاجة الى دورات تأهيلية . ويتعرض المدرسون للنفي القسري والابعاد والفصل من العمل ، دون مبرر سوى المبرر الأمني الذي لا تلزم السلطات بتقديم أي تفسير له . وقد تعرض مئات المدرسين لمثل هذه الاجراءات التعسفية على امتداد سنوات الاحتلال .

وتبقى السلطات الصهيونية مسترية دخل المدرس حتى على الدوام حتى تدفعه الى ترك عمله والالتحاق بسوق العمالة الصهيونية . أمام عدم قدرته على الوفاء بالتزاماته الأسرية والعائلية ، أو تدفعه للهجرة وقد نشرت هذا العام اللجنة العامة للمعلمين في الضفة الغربية جدولا لرواتب المعلمين ، وكانت فيه أرقام مرعبة حقا ففي عام ١٩٨٣ - حسب هذه الجداول ، كانت الرواتب المتوسطة لرتبة الرواتب ١٢٥ دينارا اردنيا . ورغم انخفاض قيمة العملة الصهيونية وارتفاع الأسعار وازدياد التضخم ورغم الزيادات المقترحة في الرواتب التي اقترحتها اللجنة ، فقد كان متوسط الرواتب مع بدء العام الدراسي هو ٨٧ دينارا ، أي بنقص قدره ثمانية وثلاثين دينارا . وهذا يعطي فكرة واضحة عن وضع المعلم داخل الأرض المحتلة .

ووضع المعلمين داخل الخط الأخضر للمحتلة ، أسوأ كثيرا من وضعهم في الضفة والقطاع ، حيث تزداد نسبة محاولات التجهيل في مدارسهم ، وتزداد محاولات دفع الطلاب للالتحاق بسوق العمل وبناء عليه فان رابطة المعلمين العرب في « اسرائيل » تقول ان ٣٢٪ من الطلاب من سن ١٤ - ١٧ يغادرون المدارس ، بينما لا تتجاوز هذه النسبة ١٠٪ لدى الطلاب اليهود .

والنشاطات في الوسط الجامعي أكثر حدة . وكذلك أيضا ، وخصوصا في جامعات بيرزيت ونابلس وبيت لحم والخليل وغزة والقدس ، فهي القلاع الوطنية المتقدمة في مواجهة الاحتلال . وعبر التاريخ المعاصر للبشرية ، لقد شكلت معاهد العلم في مواجهة الاحتلال النازي لأوروبا الثورات والقلاع المحصنة التي أقلقت مضاجع المحتلين .

لذلك كانت السلطات الصهيونية ، وما زالت تقوم بإغلاق هذه الجامعات الفلسطينية في تلك الأوقات الأسباب . آخر هذه المرات كان إغلاق جامعة النجاح في الثلاثين من تموز الماضي . ولمدة أربعة شهور ، بسبب عرض خارطة لفلسطين بلاستيكية في معرض للتراث نظمته الجامعة .

والأمر اللافت للنظر ، أن إسحق رابين الذي يعتبر أكثر رموز حزب العمل تطرفا ، والمسؤول عن الأراضي المحتلة ، بصفته وزيرا للحرب ، أعلن أنه سيتبع سياسة ليبرالية في المنطقة . لكنه رفض كل النداءات الصادرة من كل المؤسسات الأكاديمية في العالم لإعادة فتح جامعة النجاح الوطنية ، لأنه يعرف أن أكثر أشكال القمع قسوة يجب أن توجه نحو الجامعات .

أشكال من التضييق

وفي العام الماضي تم إغلاق نفس الجامعة قبيل الامتحانات النهائية مباشرة لتعطيل عملية تخريج الطلاب والطالبات . والأمر تكرر بصورة مختلفة مع كل جامعات الداخل .

إضافة إلى ذلك فإن القانون رقم ٨٥٤ المعروف ، الذي ما زال جامدا بسبب الضجة العالمية حوله ، يعطي أكبر الصلاحيات على المؤسسات الجامعية في المناطق المحتلة ، ويفرض أقسى القيود عليها وعلى طلابها ، وأنه يحظر نقل طالب من منطقة لأخرى ، ونقل مدرس من منطقة لأخرى ، إلا بموافقة السلطات العسكرية ، ويجبر الجامعات على الحصول على تصاريح مسبقة للعمل .

ثم جاء توقيع الإقرار الذي وقعه المدرسون الجامعيون العرب والأجانب ، والذي لا يماثله أحد من مدرسي الجامعات في الضفة والقطاع ، ويقر الموقع بتعهد توجيه الأساتذة الجامعيين بعدم ممارسة نشاط قد يكون في النهاية معاديا لإسرائيل وبعدم السكوت عليه .

وانعكس هذا الوضع على ظروف التعليم الجامعي . إذ أنه من بين ٥٩٢ محاضرا في جامعات الداخل ، فإن نسبة الحاصلين على الدكتوراه تتراوح حسب الجامعات وتبعا للسنوات ما بين ١٨١ ـ ٢٢٠ ، أي ٣٠ ـ ٣٧٪ فقط من هيئة التدريس وهي من أقل النسب الموجودة في الجامعات ، هناك حامل دكتوراه واحد لكل ٥٠ طالبا في جامعات الداخل ، وهي أيضا نسبة متدنية جدا ، وفق المعايير العصرية ، وخصوصا في الكليات العلمية والفنية .

والصعوبات تتجلى في التدخل لمنع استيراد الكتب والتدخل في مضمونها . وعلى نقص المباني . إذ يقول مدير الجامعة الإسلامية في غزة في تصريح رسمي نشرته صحيفة القبس الكويتية ، إن الجامعة هناك تستخدم عشر خيام كقاعات للدراسة بسبب نقص الأبنية ، الأمر الذي لم يسبق أن حصل في العالم من قبل .

كل هذه المشكلات : مشكلات النزيف البشري للوطن ومشكلات النزوح ومشكلات ملاحقة وإرهاب المدرسين ومشكلات دفع الطلاب للتسرب والتحول إلى سوق العمالة الصهيونية ، ومشكلات تمويل التعليم الجامعي وإفقار الجامعات المستمر ، أضيفت إليها مؤخرا مشكلة جديدة سبق أن درسها مجلس التعليم العالي في الضفة ، والمجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم التابع لمنظمة التحرير ، والذي عقد آخر دورة له في عمان في تموز الماضي ، وهي ازدياد البطالة في أوساط الخريجين ، حيث تقدر د . حنا ناصر أنه يوجد في الضفة الآن ٣٠٠٠ خريج عاطل عن العمل ، وفي القطاع ١٠٠ خريجا ، وهو عدد كبير إذا ما قيس بعدد السكان ، ويكون ذلك حافزا للتسرب من مجتمع هؤلاء الشباب إذ من الممكن توفر العمل في الخارج .

كل هذه المشكلات ، لا يمكن لها أن تلغي صورة المواجهة الباسلة التي يخوضها قطاع المثقفين في مواجهة سلطات الاحتلال ، فرغما عنهم أصبحت جامعة صغيرة

في بيرزيت عام ١٩٦٧م الى جامعة كبيرة تضاعف عددها وزادتها ثلاث وتأسيس خمس جامعات أخرى تضم الآن ١٢٧٠٠ طالب وطالبة ، وتأسست معاهد عديدة للتعليم المتوسط ، وانخفضت حدة تسرب الطلاب لسوق العمل في السنوات الأخيرة . وتزايد تمسك الفلسطينيين بالعلم ، كواحد من السبل الأساسية لمقاومة الاحتلال ، والاضراب لثلاثة ايام ، الذي قام به المعلمون في أوائل الثمانينيات مثال شاهد على التحدي والصمود .

لكن ذلك يضع على عاتق المؤسسات الفلسطينية كل في موقعها دراسة هذا الوضع ، دراسة نوعية ووضع الحلول الممكنة في اطار التصدي الشامل للاحتلال .

ان دعم المؤسسات التعليمية في الداخل ، هو الذي يعطي لدعوات الصمود مضمونها الحقيقي ، وهو الذي يوقف الى أقصى حد ممكن هذا النزيف البشري المتواصل ، ويمكن هذه الجامعات من توسيع امكاناتها وتمكين قبولها لأعداد جديدة من الطلاب ، وهو يتطلب مساعدة طارئة من الجامعيين حملة الدكتوراة من الشباب الفلسطيني .

وان بناء المؤسسات الانتاجية ، وتوفير امكانيات صمودها هو الذي يوفر الاساس الموضوعي للانزراع في الأرض ، والتخفيف من البطالة بعيدا عن شعارات الصمود العاطفية والعامة .

ولابد من سياسة مركزة لقبول الطلاب الفلسطينيين في جامعات الخارج وتوفير كل السبل امامهم للعودة للوطن .

ولابد من فلسفة وطنية متماسكة يخضع لها التعليم الفلسطيني في الحدود الممكنة ، واضعة في الاعتبار حاجات الشعب الفلسطيني اولا وقبل كل شيء . وهذه مسؤولية كبيرة لابد أن تنهض منظمة التحرير الفلسطينية لأدائها . ذلك أن المنظمة اليوم بحكم ظروف خارجة عن ارادتها تمارس مهام الدولة والثورة في وقت واحد والى حد كبير .

ان الفلسطينيين يشكلون ٢,٥٪ من سكان الوطن العربي ، ويشكلون له ١٠٪ من الخريجين ، ونسبة التعليم العالي في اوساطهم تتجاوز النسبة المتطورة للعديد من الدول الأوروبية المتقدمة . لكن هذا الكم الواسع يجب أن يكون في خدمة معركة التحرر الوطني الفلسطيني ، وفي خدمة القضية الفلسطينية ، أولا وقبل كل شيء .

يقول تقرير منشور لمؤسسة كارنيغي ، حول هذا الموضوع « ان هدفنا من تعليم الفلسطينيين هو تمكينهم من مواجهة حياة مفيدة ومنتجة ، بغض النظر عن المكان الذي يمكن أن يعيشوا فيه ، كما نهدف لتعزيز الاستقرار السلمي في الشرق الأوسط ، وهذا بدوره سوف يؤدي لخلق مناخ يمكن القوى التي تعمل على تشكيل مستقبل الشرق الأوسط من العمل بشكل أكثر انتظاما .

ان الاستثمار في الانسان يعتبر من اهم عوامل التنمية التعليمية والاجتماعية في العالم . والمعركة الطويلة مع العدو لا يمكن أن يتم فيها النصر دون تقدم حضاري شامل ، وتلعب فيه التنمية السياسية والتنمية الشاملة علميا واجتماعيا ، أدوارا متكاملة □

أكبراه وأصغراه

كان العتابي شاعرا من كبار شعراء الدولة العباسية ، وقد قضى حياته زاهدا لايهتم بمظهره ، ولا يركن الى نعيم العيش ، مع أنه اتصل بكبار رجال الدولة العباسية وخلفائها . ويحكى أن يحيى بن خالد البرمكي عاتبه على لباسه فقال : أبعد الله رجلا همه أن يكون جماله في لباسه وعطره ، انما ذلك حظ النساء وأهل الأهواء . حتى يرفعه أكبراه : همته ولبه ، ويعلو أصغراه : لسانه وقلبه .

نتيجة

مسابقة العربي للقصة القصيرة

استجابة لمسابقة القصة القصيرة التي أعلنت عنها مجلة «العربي» في عددها الصادر في شهر يناير ـ كانون الثاني ـ من سنة ١٩٨٥ .

فقد وصل إلى المجلة حتى نهاية شهر نيسان ـ أبريل ـ من سنة ١٩٨٥ ، ٢٩٨ قصة قصيرة من جميع أقطار الوطن العربي .

وقد تم تشكيل لجنة فرز أولية في مجلة «العربي» تكونت من : ـ

سليمان الشيخ ، حسن عباس ، محمود عبد الوهاب ، ريم الكيلاني .

وقد قامت هذه اللجنة بقراءة جميع القصص التي وصلت إلى المجلة ، بحيث تم لكل قصة مشتركة أن تقرأ من كل عضو من أعضائها ، واستبعدت اللجنة القصص التي لا تتوفر فيها مقومات القصة القصيرة ، وانتهت بعملها باختيار ١١٨ قصة كي تعرض على لجنة التحكيم الأساسية المكونة من : ـ أبو المعاطي أبو النجا ، إسماعيل فهد إسماعيل ، عبد العزيز السريع ، سليمان الخليلي ، ليلى العثمان ، سليمان الشيخ ـ مقرراً ـ .

وقد قامت لجنة التحكيم الأساسية بقراءة جميع القصص المختارة من قبل لجنة الفرز الأولية ، وأعطتها درجة من عشرة ، وبمقارنة جميع الدرجات المعطاة من كل عضو من أعضاء اللجنة لكل قصة ، تبين أن القصص التالية قد حصلت على أعلى الدرجات وفقاً لشروط الجوائز التي تم الإعلان عنها من قبل .

والقصص هي : ـ

ـ «ثمرة» [illegible] وفازت بالجائزة الأولى .

ـ «البرتقال» للكاتب حسان السيد وفازت بالجائزة الثانية .

ـ «العرس» للدكتور [illegible] محمد مشالي وفازت بالجائزة الثالثة .

سحاب محمد نوري الصمصام
الأولى

فيروز حسان السيد
الثانية

- « الطريف » لمحمد رضا عزم وفازت بالجائزة الرابعة .
- « لعبة التحريك » لعاطف فتحي حسن وفازت بالجائزة الخامسة .
- « وجهها خلف الجدار » لفردوس فتحي قنا وفازت بالجائزة السادسة .
- « الضريح » لأحمد محمد علي وفازت بالجائزة السابعة .

وقد حصلت القصص الأربع التالية على تقديرات متساوية ، مما أهلها للحصول على الجوائز التشجيعية وهي :-

- « عملية استحمار » (أ . ش) لسعد الدين إبراهيم محمد .
- « القمر يرحل من المخيم » لأمين يوسف عودة .
- « السيدة العجوز » لعيسى محمد بكر .
- « عشق وأكرم » عز الدين الصغير .

الدكتور فاضل عبد الكافي
الثالثة

القصة الفائزة بالجائزة الأولى
في مسابقة العربي للقصة القصيرة

بقلم : سحاب محمد نوري الصمصلم

منظمة .. ونراه في المطارات مرتب والطيف .. ورحمته اليومية . وهم مرتون إلى الأسبوع ودرسه اليومي .. لسم درسه اليومي . كنا نعلمه كيف يتصرف ، كيف يطبع الطيب ، وكيف يتلك ، وكيف يشتري الخضار والفواكه واللحم .. كنت أعلق على رقبته سلة صغيرة ، وأرسله إلى دكان جبير اللحام بعد أن أوصيه بما أريد منها .

حمل عبدو بالورقة .. كان يضع اللحم في السلة ، مع كمية من العظام كطعام له ، يعود بها إلى البيت دون أن يمسها ، مع جوعه .. وأكد ذلك .. وأن علمه العظام له .. إ

يحدث لها أن أخط نصيبه بنفسه .. فقد يضطر حتى النف له بأيديها .

أرجوك يا سيدي القاضي .. دعني أكمل .. إن تيسير هو سبب الموضوع ، وإن المهم عندي ألا تعرف حكاية تيسير .. شكرا .. شكرا يا سيدي .

يمرض تيسير .. مرض طال حوالي سنة .. لم يعد يأكل .. ولم يعد يذهب إلى مكان عمله بالمصنع أو يفتح الباب .. انزوى في المطبخ .. يئن بموجع ، وأطلعك يا سيدي القاضي ، أكثر من الآلام التي شعرنا بها أنا وزوجي .

أصبح هزيلا .. شاحبا يجري بحث الشفة ، وأحيانا بصوت ضعيف متقطع ، وكأنه يرسل إلينا أن نساعده !

وأخذناه إلى عيادة الطبيب البيطري - الدكتور عبد الفتاح .. فحصت بصبر له والقلقة تأكل وكأني أطرد وراءي .. لأن الجسارة تفرض عليك أن تفصل القلب بالآخر وبطريقة وبالمنطق ، وبالحسابات لا كلبي من عواطف .. ولقد شعرت بأني لا أستطيع أن أفصل القلب بالأحب وبطريقة بالمنطق ، ولا أستطيع أن أبعد هذا أن تيسير مريض .. وأصل أرجوه عليه سيحكم أسرارها بالفصل مع القلب .. وأنا لا أريد أن أستطيعه ، لأني أعتقد أنه أنهى العمر .

وعاينه السيد الطبيب ووصف له دواء ، فبحثت في الصيدلية الأخرى .. صيدلية أسكبا بحث آخر عليها عطر أسبوع .. صيدلية الشفاء لا تبيع أدوية للحيوانات .. صاحب صيدلية الأمل لم يسمع باسم الدواء من قبل .. هذه الأدوية تقل بسبب المضايقات وتقيد الجمارك ! ذهبت إلى جميع الصيدليات في المدينة .. وإلى مركز الطب البيطري ، وأرسلت إلى حلب ، وحمص ودير الزور وكل المحافظات ، ولم أجد الدواء !

عدت إلى الدكتور عبد الفتاح ، لعلي أجد عنده مقترحه أو يصف لي دواء آخر بديلا في الشراب ، فقال لي - وهو يعرف كل كلمة أقولها .. - قال لي : ليس عليك منه .. ولكني لا أستطيع أن أعطيها لك .. لأن أعطها يا لحظة أيها السيد مرسي الأزهري !

ولحظة أيها السيد مرسي الأزهري - يا سيدي القاضي - لم تكن علينا مصابة بالمرض .. بل أنها ما زالت صحيحة سليمة حتى هذه اللحظة .

ومحاولات أن أشتريه .. طلعت خصوصا أبدا .. ويحسبون ومالك ومالكين .. السعر .. مافي أبدا سورية لبنانية عندنا دواء وأحد !

والدكتور عبد الفتاح يبرطم .. أليس كذلك يا دكتور ؟ حسنا .. حسنا يا سيدي القاضي ..

تيسير .. سأروي لك ذلك ولا علاقة لي بالورق .

حملته إلى البيت .. حزينة مهمومة ، القي بالقطب والدواء والصيدليات والأطباء . ولكني لم أنس الدكتور عبد الفتاح .. وقد لم أنمه .

ومرة .. وأيضا تيسير .. المواء أول .. ينتظر بكى وجعل صدرها .. كانت منخفضا على الأرض ، والزبد ملأ شفتيه ، وصدره يعلو ويهبط في حركة متعبة .. وتوسلت إلى زوجي أن أفعل شيئا . وماذا أستطيع أن أفعل ؟ هذا مشيئة الله عز وجل ، ولا اعتراض على مشيئته .. (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

ولكن منظر تيسير يؤلمني ، لا تتصور - يا سيدي القاضي - كيف كان شعوري .. ماهو شعور الأب الذي يراقب ابنه وهو يموت ؟ .. ضم ابنه .. كان تيسير ابني .. أرجو المعذرة يا سيدي القاضي .. ولكني رغم كل شيء أعتبر بأنه ابني تيسير .

وأسلمت إلى فراشي فصليت وبكيت ، ورجوت أستغفر الله وأنصحه وأنا طويلا لم أتحمله بعيني .. وحينما فرغت كنت قليل الأعصاب .

وسمعت صوته ضعيفا ، وكأنه يكاد يقول ... ويتجه نحو ... وسمعت زوجي تطبق .. تيارت .. خرجت من البيت .. لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك .. وعدت على وجهي ...

قلت إنه لا اعتراض على مشيئة الله ، ويكمل مشيئة الله هي التي ساقت بي إلى الشارع (الحريقة) وأخرتني بكل أمام الطبيب البيطري .

لا أستطيع أن أصدقني .. أليس كذلك يا سيدي القاضي ؟ ولكني أقسم أنه لم أفكر لحظة واحدة بالهجوم عليها .. أبدا .. وكنت كالطفل الذي يراقب أمام شاشة التلفاز إلى جانب البرنامج لأنه يعلم أن الكلام الكثير الذي يسمعه مسجونا في هذا الجهاز الذي أمامه .. أو كنت .. لا أدري ماذا بسرت وطمس في عقلي القلب . ولكني لم أكن أفكر بالسرقة .. وبمحاولة تطبيقها .. حاولت تلاوة آية رب الصيدلية عنه يقتحم ولايه الدواء الذي .. أحمد سيدنا وباسم تيسير .. وفي تلك اللحظة ، جاء الطبيب البيطري ولاحظ لي . أعتقد أن كل أب سيتصرف مثلما تصرفت لو حدث له ما حدث لي .. هل كنت تفعل غير ذلك لو كنت مكاني يا سيدي القاضي ؟

أعترف أنه لا بد من عقوبة توقعها علي ، وأنا مستعد لها .. مستعد لأية عقوبة .. للسجن والغرامة ولكل شيء .. ولكني أرجوك .. أرجوك أن لا تحكم بما على بهيمة السرقة . □

عدد فبراير ١٩٨٦

ملف خاص بالألوان

حافل بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
بمناسبة مرور ربع قرن على استقلال الكويت

الكويت والبعد العربي	كويت الكلمة الطيبة	مشكلة النمو الحضري في العالم الثالث
عبد العزيز حسين	عبد الرحمن سالم العتيقي	د. فيصل الزامل

- وهم بالوصلة مهددون / د. عبد المحسن صالح
- في رحاب المعجم العربي / د. صالح الخرفي
- وجهاً لوجه الفريد فرج وعبد العزيز السريع
- السياسة العصرية / [illegible]
- أطفال العالم يغنون للسلام في بلغاريا / استطلاع حسن عباس
- البيت العربي ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية

واقرأ أيضاً للكتاب

محمد الرميحي - د. فؤاد زكريا - عبد العزيز جعفر
د. [illegible] - د. [illegible] - محمود الريماوي - [illegible]

قاموس العربي

ح

حوار الشمال والجنوب

تعبير سياسي واقتصادي تجاوز معنى اسمه ومناسبة اطلاقه، ليستخدم كتعبير عن أزمة النظام الاقتصادي الدولي الحالية، وضرورة البحث عن نظام اقتصادي جديد.

ولقد كانت مناسبة اطلاق الاسم هي «عقد مؤتمر باريس حول التعاون الاقتصادي الدولي من أجل الحوار بين الشمال والجنوب»، ويقصد هنا بالشمال دول الغرب الرأسمالية والدول الأوروبية الاشتراكية، وبالجنوب دول العالم الثالث الفقيرة النامية.

ورغم أن الدعوة الى حوار الشمال والجنوب تبلورت في أوائل السبعينات، وكثرت حولها المؤتمرات والدراسات - برغم هذا - الا أن فكرة الحوار نفسها تعود الى زمن أبعد من ذلك، فالظلم والغبن اللاحق بسياسات اقتصاديات دول العالم الثالث من نظام اقتصادي عالمي يحتكر التقنية والاختراعات، ويستنزف الموارد الأولية، ويسرق أرباح السلع بتقلب الأسعار، ويكرس التخلف والتبعية، ويعرقل خطط التنمية والتطور، هذا النظام هو الذي دفع العديد من القادة الوطنيين في العالم الثالث الى المطالبة بانتهاج سياسات مستقلة عن التبعية، الى التكتلين الأعظمين في العالم، وجاء مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) ليؤكد هذا المعنى ونشأ عنه من ظهور تكتل مجموعة عدم الانحياز، ولقد ظلت هذه المجموعة تمثل موقفا سياسيا لا يؤدي الى نتائج اقتصادية وسياسية ملموسة، رغم أن المؤتمر قد أعلن في توصياته عن عدالة النظام الاقتصادي الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية، وطالب بضرورة اعادة النظر في هذا النظام الذي ألحق الظلم باقتصاديات البلدان النامية كلها.

واستمرت دعوات القادة الوطنيين عقب مؤتمر باندونج - في فترة المد الوطني في العالم الثالث - وأدت الى ظهور تكتل الدول النامية في القارات الثلاث لمواجهة الدول الغربية، عندما انعقد مؤتمر الأمم المتحدة الأول حول التجارة والتنمية «الونكتاد» عام ١٩٦٤. ويعد هذا المؤتمر بمثابة جرس الانذار الذي نبه الأمم المتحدة الى الاهتمام بمشكلات نظام التنمية والتخلف في العالم. ولقد ظلت الدول النامية تحافظ على هذا التكتل، الذي أصبح وسيلة ضغط ومساومة لدى الدول النامية، الأمر الذي أضفى على المفاوضات بين الجنوب والشمال طابعا جماعيا، ومع استمرار انعقاد دورات مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية، أخذت دول المجموعة الـ ٧٧ التي شاركت في أول مؤتمر، والتي تزايد عددها بعد ذلك الى ١١٦ بلدا، أخذت في طرح وتناول قضايا اقتصادية خطيرة مثل دور الشركات المتعدد

مؤتمر حوار الشمال والجنوب عام ١٩٧٧

الجنسية ، اصلاح نظام النقد الدولي ، نقل التقنية ، ولكن ظلت هذه القضايا وأمثالها في حيز الكلام والمؤتمرات وأوراق العمل حقبة بتمامها .

ومع زيادة أسعار النفط في أوائل السبعينات ، نشط الغرب في الدعوة إلى حوار عربي أوروبي وحوار بين منتجي ومستهلكي النفط ، ولكن توصيات مؤتمر قمة الانحياز الرابع دعت بالأمم المتحدة الى عقد دورة استثنائية لمناقشة مشكلة التنمية والحوار بين الشمال والجنوب ، وأعدت دول الجنوب في هذا المؤتمر برنامجا يحتوي على عشرة مطالب تنطوي على النظام الاقتصادي العالمي الجديد الذي تنشده ، وكان أهم ما في البرنامج مطالبته بـ : تنظيم دور الشركات متعددة الجنسية ، ونظام علاقات عادلة ومنصفة بين أسعار المواد الخام والمنتجات الصناعية ، وإصلاح النظام الاقتصادي الدولي ، وحل للمشكلات المترتبة عليه ، كما قدم البرنامج تصوره لمشكلات التجارة والتنمية والتصنيع والتمويل والتنمية وتنظيم الشركات المتعددة الجنسية ، ولقد عارضت الدول الغربية البرنامج ، وبدأت سلسلة مساومات وتصريحات تهدف إلى الالتفاف حول فكرة الحوار ، وتفريغها من خلال انقسام دول الأوبك ، وأيضا بسبب أزمة النقد الدولي ، وبالتحديد فشلت محاولات ثنائية للتفاهم بين بعض دول الشمال وبعض دول الجنوب ، وانتهى الحوار إلى إصرار دول الشمال على ضرورة اتباع الدول النامية لسياسات اقتصادية منفتحة على الغرب وشروط تمليها لتحقيق الازدهار للطرفين !! .

ورغم هذه الحقيقة الواضحة التي لن تزيد الجنوب إلا مزيدا من التبعية والفقر والاستنزاف ، فإن الغرب مازال يصر عليها ، ورغم أزمة الديون الخانقة وعجز كثير من الدول النامية عن سداد قروضها ، ورغم عجز النظام الاقتصادي العالمي الحالي في حل مشكلات العصر للشمال ومشكلات التنمية للجنوب ، فإن دول الغرب تصر على تجميد الحوار ، أو تسييره في طريق مسدود . □

●

الرجال حيوانات غريبة ، إنهم يعلمون أن حصانا ما يستطيع أن يركض أسرع من حصان آخر ، ومع ذلك فإنهم يخسرون الملايين من الدولارات والدنانير سنويا ليروا هذه الحقيقة البسيطة تتكرر المرة تلو الأخرى .

تحولات ابن خلدون

من قصور الحكام إلى كهوف العلماء

بقلم : الدكتور حسن فتح الباب*

هل كان العلم .. هو غاية ابن خلدون .. أم كانت غايته هي علم الحياة ؟ وهل مثل الأسفار نفسها لا كتابها كان الدافع إلى رحلته إلى المشرق والمغرب .. أم أنه لم يجد سبيلا بعد ذلك إلا التفرغ للفكر والتأليف ، حتى لما ترجمت في العصر الحاضر .. ؟

تشهد الملتقيات التي تعقدها وزارات الثقافة والمراكز العلمية في أقطار المغرب العربي الثلاثة باستمرار حول العلامة العربي « ابن خلدون » . والدافع إلى هذا التجدد المستمر هو تشبث العلامة العربي بها ، والدور الذي لعبه على مسرح أحداثها التاريخية في عصره . فهو ينتمي بالمولد إلى تونس التي كانت تعرف بالمغرب الأدنى ، وبالتعلم والإقامة إلى الجزائر ، وكان يطلق عليها المغرب الأوسط ، كما كتب فيها مقدمته . أما المغرب الأقصى فقد عرفه قاضي العاصمة القديمة في عهد المناصب التي تولاها ، بالإضافة إلى علاقته الوثيقة بالأندلس التي كانت امتدادا للمغرب ، بل رحلتها انتقل بين عاصمة والمغرب في عصر ملوك الطوائف ، مواصلا نشاطه السياسي والوظيفي .

وأكثر الملتقيات التي عقدت في الوطن العربي حول فكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، هو الملتقى العلمي والاحتفال الدولي الذي نظمته ولاية تيهرت ، الواقعة على مسيرة ثلاثمائة كيلومتر غربا من عاصمة القطر الجزائري .

وقد وقع الاختيار على هذا الملتقى في هذه المنطقة نظرا لأهميتها في حياة ابن خلدون العلمية ، إذ أقام المؤلف فيها بين سلامة التي اتخذها مقرا لخلوته بجمع سني اشتغاله بتأليف المقدمة . فكانت بذلك منعطفا حاسما في تلك الحياة الخصبة ، وتحولا من السياسة

* أستاذ مادة القانون في جامعة وهران ، كاتب وشاعر

إلى العلم ، ثم منطلقا بعد أن فرغ من كتابة المقدمة إلى المشرق .

ولما كانت مقدمة ابن خلدون تحمل اجتذاب الأنظار إلى منطقة تلزوت وتيهرت ، فإن لها من المكانة التاريخية ما يجعلها جديرة بالذكر ، إذ كانت تيهرت عاصمة للرستميين . وهم من الخوارج الإباضية الذين هاجروا إلى المغرب العربي ، بعد أن ذاع صيتهم الديني والفكري . فأسس زعيمهم عبد الرحمن بن رستم دولة عاصمتها تيهرت ، وقد استمر حكمها منذ ١٤٤ هـ - ٧٦١ م حتى ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م تمكنت خلالها من السيطرة على معظم المغرب الأوسط (من جبال طرابلس إلى وهران) وعلى نصف تونس الجنوبي وأغلب ليبيا ، وانتهت بقيام الدولة الفاطمية .

وتحتوي تلزوت على معالم للرستميين تشهد على الحضارات التي تعاقبت عليها . والمعالم الموجودة الباقية منها بعد اندثارها هي الكهوف المحفورة في أشد الصخور ، وجنبا للقارة إلى الكهف الذي أوى إليه ابن خلدون عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٠ م ، ليخلو فيه إلى التأمل والبحث . وكتابة مقدمة كتابه التاريخ الكبير ، الذي أطلق عليه اسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) .

لقد كانت خلوة ابن خلدون على مدى أربعة أعوام

(١٣٧٤ - ١٣٧٨) في قلعة بني سلامة. حيث أبدع تلك الدراسة التي استحقت ثورة علمية وفلسفية، ليبرز بحدتها وطابعها الفكري الصافي. مجتاحا للمرحلة الأولى من مسيرة طويلة، تقلب فيها بمعظم الممالك التي تقاسمت في عصره شرقا وغربا. فعرف سياسيا ودبلوماسيا تميز بالقدرات العقلية الخصبة، وبالقدرة في المناورة. وبالطموح الى بلوغ أعلى مراتب السلطة. كما يتصف بحبه الأوطان والتنقل الدائب بسرعة فائقة. وبالتقلب في كثير من الأحوال في سبيل تحقيق مطامحه. الى ان جره ذلك الى السجن الذي ألقي به، بعد تقلب انحياز للأمراء الذين تشارك فيها بصورة العمل على قلب نظام الدولة، والاستيلاء على الحكم بالقوة أو بالتهديد أو التآمر. كما يسمى في مصطلح عصرنا. ولولا ما تقدم من حظ عظيم للإنسانية عامة وللحضارة العربية خاصة لكان هذا المفكر الفذ. ويرحل الدولة الطموح قد لقي حتفه في أسوأ ظروفه. وما أكثرها. كما لقي حتفه عدد كثير من أقرانه وأصحاب السلطان في ذلك العصر وفي غيره من العصور.

وإذا كان من المسلم به أن ابن خلدون قد سجل زلات بشريته وابتعاده المضطرب في حياته الأكثر سوءا في طريقه، بالنظر الى عدم اتزانه في بعض الأحوال بالطموح وبالأفكار والقرارات التي جعلته في التغيير، لأسباب لا على ... في مرحلة القلق، فإنه من الصحيح أيضا أنه كان ابن عصره، فما اتسم به من تحولات من موقف سياسي الى آخر، عرف صراحة بطابع الاخلاقي أحيانا، وخصوصا الرفقة للساعي أو صاحب الفضل. الأمر الذي يأخذه عليه كثير من الباحثين. وكان - من هذه الوجهة - مرآة انعكست عليها صورة ذلك العصر المتقلب المضطرب بقلقه واضطرابه. فما كاد أن تنشأ دولة وتقوى حتى تدب عليها قوة معادية تصرعها. ثم تدور الدائرة على الغالب، والويل دائما للمغلوب والعاقبة للمصوب - ويستمر الصراع على هذا من الأحداث المتلاحقة، حتى يستقر الوضع في المغرب العربي وفي الأندلس، وينتهي الأمر بتلك الحقبة المريرة بسقوطها التدريجي إلى التردي في هاوية التفكك والتخلف بعد عهد دام عدة قرون.

عقل المجد

رحلة طويلة حقا تلك التي قطعها ابن خلدون في ذلك الزمن البعيد. الذي لم يكن فيه للسفر وسائله غير دوابه أو رواحله، ليقطع بها الفيافي والقفار والصحاري والبراري الشاسعة. وقد يحوطه ما يكفي من الزاد والماء والمتاع. لقد استهل الرحلة، واختصت حياته على المطاف في تونس، اذ كان مولده بها سنة ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م، وختمها في مصر اذ مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م. وبين هذين التاريخين أمضى عمره المتنقل بالتجارب الثرية. والعمر المستطيل ما بين مغرب الوطن العربي ومشرقه، من كاسه على المحيط الى أعلاه قريبا من الخليج. فاتسمت حياته بكثرة التنقل والترحال، كما يصدق فيه قول الشاعر القديم (ما آيب من سفر الا الى سفر). وكذلك حفلت الى جوارها بكثرة التحولات. وما كان للجد والمعرفة رافعه. الا فرو لذ كان محركا في الحياة العملية أيضا استغرقت به الشرك.

لم يطل مقامه في تونس، اذ هاجر منها الى بكرة المغرب الأوسط (الجزائر)، وانطلق من بكرة لينتقل منها الترحال في تلمسان ثم طاف بالمغرب الأقصى، متنقلا في هذه البلدان جميعا، بين قصور الملوك والحكام، متقلدا في الوظائف الادارية والسياسية والدينية والعلمية من كتابة السر والانشاء والتدريس والخطابة والامامة والقضاء والسفارة والادارة. متوسلا بأساليب الاعلام والدعاية لدى بلاطات من هؤلاء. لقد قبله سلطانه مرموقا، متربعا على كل منصب. أو متنقلا على مرتفعا ومؤيدا للزعماء والشيوخ، حتى أقصاه من عرشه وسلطانه بالولاء لغيره الذي لم يسلم له ابن خلدون ظاهرا، ويطلع الى الحلال في ركابه، فيعرض تهمه. لقد ظل كل عمره بالرحيل: (رحلة تمنعها من النجم)، ولا أدل على ذلك أن العصر كان في جانبه السياسي المظلم عصر تيه، فلا يجدي ببعض من عتب على شخصية ابن خلدون كما أسلفنا، وليس هو بدعا وحده في هذا التطرف بين الظلم والقلق في بعض الأحيان، ولكن قل حتى الآن مقرونا بما يتركه من صراع متزحمة الآفاق، وما كشفه من أرقى الحكم السياسات

البشرية . ورغم من عاش يطبع غربة بحياته الفكرية والحياة وسلوكه الشخصي إلى السفح ، بل إلى التقمص أسبابا ، ولا سيما أنه كان قد ربط حياته مثل ابن خلدون ببلاط السلطان وسلم من عواقبه ، إن كان له حظه من الأمل الكبير ، ما يجعله لا يقوى على أحد في سبيل تحقيقها ، مهما لقي من عنت ومحن .

لقد كان مثل المفكر الحضاري يعرف الغربة عن تجربة فراق وليس ترغيب وإدراك ، فهو لا يجد له سكنا ثابتا ، فالسبيل الطويل حيثما توجه كان صعبا وقد ظل الأسلاك خشنا ، والمرتقى الصعب من الطلب في تمرس الحكمة العالية من الرجال . وذلك لسعيه للعلاقات التي استعصى حلها على علمه النفس البشرية ، وذلك العالم الصغير الذي انطوى فيه العالم الأكبر كما قال شاعر قديم حكيم :

أتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وتبدأ غربات ابن خلدون ، فنراه يشد الرحال مبكرا من مدينة تونس التي كانت تحتل مكانة الصدارة بين مراكز الإشعاع الحضاري العربي كقاعدة الأندلس ، بعد أن غابت شمسه في السلطان الذي تولى الأرائك العرش . ولم تكن الأندلس عنه بالبلد الغريب ، إذ ينحدر من أصلاب أسرة إسبانية حضرمية ، نزح فرع منها قديما إلى الحجاز ، ومنها إلى بلاد المغرب في أثناء فتح الأندلس أو بعده . ثم إلى إشبيلية ، وذلك في القرن الثالث الهجري ، طبقا لأرجح الروايات التاريخية ، بالإضافة إلى ما قاله ابن خلدون في سيرته الذاتية ، التي ضمنها كتابه التعريف . لما عصفت ريح الهجرة النصب التي عصفت فيها . ومالبث أجداده أن عبروا إلى تونس ، بعد أن انحسر نجمهم في إشبيلية ، ونقشوا لأنفسهم فيها مراكز رفيعة في كنف السلطة .

هجرة إلى أرض جديدة

فلم يكن رحيل ابن خلدون إذن إلى الأندلس بمثابة الهجرة إلى المجهول ، أو بمثابة التخلي عن وطن الأسلاف والانسلاخ عن ماضيه ومكانته الثقافية ، بل كانت هجرة إلى أرض جديدة تمنح أسبابا للجديد . وهكذا تلتقي بالعالم السياسي ذلك المثقف في مدينة (سبتة) المغربية المطلة على البحر الأبيض (استولت عليها أسبانيا ، وكذلك على مدينة مليلة الساحلية ، بعد اضمحلال الدولة العربية بالمغرب والأندلس ، ومازالت تحتلها إلى اليوم) عابرا منها إلى غرناطة ، في عصر ملوك بني الأحمر ، والوزير لسان الدين بن الخطيب صاحب الموشح الشهير .

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس

ولم يطل بابن خلدون إلا أن ودع الفردوس الأندلسي عائدا إلى بجاية لتحتل المراسم الزاهرة في المغرب الأوسط ، حيث يبلغ مكانه وطموحه معا ، إذ استوزره أميرها الحفصي . وكانت الوزارة أخطر المناصب وأعلاها قدرا ، وكانت تسمى آنذاك الحجابة وصاحبها الحاجب ، وهو من تسميه اليوم الوزير الأول . وبعد أن استولى والي (قسنطينة) على بجاية كان لزاما أن يفر ابن خلدون إلى (بسكرة) . ثم هرب إلى أكثر من مكان من أعمال ولاية تلمسان ، وتحول منها مرة أخرى إلى بسكرة ، وكأنه الفارس المحاصر ، فلا سبيل له غير الكر والفر ، حتى يجد فرجا لم ينتظره . ومن أين لابن خلدون أن يعرف الاستقرار ، وهو يحمل بين ضلوعه طموحا عصريا جسورا ، وإحساس عالم تحول قلقا في فؤاده لا يقر له قرار ، وطاقته لا يحد له إطار .

لقد أمضى في بسكرة حينا من الزمن مخلصا في مناصرة سلطان المغرب الأقصى . ولكن القلم لم يطب له لكثرة ما يجره عليه المؤامرات ومساعي الانقلابات من هموم ، وما تجلب عليه الشراكة فيها من خصومات . وكان رحيله - هربا على ما يبدو - إلى فاس ثم إلى غرناطة ، التي كان قد حل بها ثم تركها منذ سنوات .

ونبا به المقام في الحاضرة الأندلسية المتألقة على رحابتها ، حين ضاق به سلطانها ، وتنكر له بعد أن وشى به المرجفون ، وأقلعوا في سعايتهم ، فعاد عابرا إلى تلمسان ، وقد انتهت نفسه بالحكم من العمل السياسي ، وما ترتب عليه من اضطراب حياته ، والترحل الدائم في أكناف الأرض . فعمد تفكيره في البحث عن موطن يكفل له السكينة ، ويتيح له أن يفيأ بخير ظلال الأمن النفسي الذي ينشده ، ولا سيما أن الفترة العصيبة من حياته تجارب وما أكسبه

مزارع في منطقة معتكف ابن خلدون

من معرفة بالمجتمعات وطبائع الحاكمين والرعية أصبح صاحبه وشغله الشاغل . ولم يكن ذلك التعبير أو التأليف للمتعة ليشق عليه لذا توافر له مقوم علمي . فقد اطلع على نظم الحكم المختلفة وأساليب الإدارة والسفارة ، وعرف ما كان يحاك في القصور من دسائس ، بل لجأ هو نفسه إلى هذه الأساليب عينها . كما أتاح له عمله في القضاء الوقوف على شتى المشكلات الاجتماعية ، من خلال القضايا التي نظر فيها

انقطاع عن الحياة

واستعد بالذاكرة اللماحة والأدب والخبرة ، فقصد حية أصدقاء له يدعون بني عريف ، كانوا أصحاب قلعة تسمى قلعة بني سلامة ، وتقع في منطقة تاوغزوت التي أشرنا إليها آنفا ، فأكرموا وفادته ، وأنزلوه بينهم . وهنالك في ربوع تلك القلعة كانت بداية منعطف عظيم في عالم الفلسفة ، وبداية رحلة تأمل وتحرر في عالم الفكر . اكتسبت العزلة الجليل منه بعد أن كانت تشرد عنه في منعطفات السياسة ، كما اكتسبت العلم والطاقة والأستاذية ذخيرة ثمينة كان وسيظل لها أثرها في تطور الفكر . وفي هؤلاء الذين أسلموا فضلا إلى ابن خلدون باستعطافهم إياه واستدراجهم إلى السلطان أبي حمو موسى الزياني في تلمسان نيابة عنه . إذ كان قد وعد بالبقاء في بلاطه ريثما يرتب له بعض المهام ، يقول ابن خلدون في سياق سيرته الذاتية .

« وأحضروا العلم إلى السلطان ملي في العجز عن قضاء حاجته ، والتزلوف بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد توجين ، فمكثت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل ، وشرعت في تأليف هذا الكتاب ، وأنا مقيم بها ، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة »

وفي شأن تاريخ تلك القلعة وأصحابها يحدثنا المؤرخون القدامى أن بني سلامة الذين ينوهنا هم بطن من بطون أولاد توجين الزناتية في المغرب ، استقروا في عهد عبد القوي التوجيني ، واختط زعيمهم ، سلامة بن علي ، تلك القلعة في عهد محمد بن عبد القوي . والمعلوم أيضا من بعض سلاطين بني

عبد الواد ، المعروفين بالزيانيين ، وعاصمتهم تلمسان ، إلى أن لحقوا بهم ، فدخل بنو سلامة في طاعتهم . ووقعت القلعة أثناء الاحتلال المريني إلى قبيلة سويد التي أقطعها إياه السلطان أبو عنان ، واحتل سليمان بن سعد بن سلامة بجيشه . ثم عادت القلعة بامتيازاتها إلى أصحابها في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني . وأصبحت في نهاية الأمر لبني عريف ، إذ منحهم إياها هذا السلطان مقابل مؤازرتهم له وما قدموه إليه من خدمات .

لقد استكمل ابن خلدون (المقدمة) وشرع في كتابة سفره التاريخي ، ولكنه يلجأ كما عرف يقطع رحلته العقلية ، قبل أن يتم تطوافه ويستأنف الرحيل ، كأنما يستأنف الحياة ، أو كأنما لم يكفه عالم الفكر الذي يحتل الحياة ويستحق أن يبذل في سبيله العمر كله . ورحيله هذه المرة كان إلى عالم جديد لم يكن له به عهد فقد أراد المزيد من التجارب ليكمل علمه ، وعيا منه بأن المعرفة بحر لا ساحل له . ولأن المجتمعات التي أراد دراستها لا تقف عند حدود المغرب العربي والأندلس ، بل هناك مجتمعات أخرى في المشرق منها ما ينتمي إليه كمجتمعه الأندلسي .

الرؤية الشاملة

إنها شعلة الحياة التي لا تنطفئ في نفسه ، والرغبة العارمة في التماس الجديد ، والنزوع إلى الرؤية الشاملة . تلك هي العوامل التي لم تترك له مجالا للاختيار . لا شك أنه يضاف إليها شغفه بالسياسة ، وطموحه إلى تبوؤ المناصب الرفيعة ، فهو كما تنطق سيرته ـ لم يكن يجد نفسه الأولى التجربة بل المغامرة ، ومن أين الحياة التجسد بتجددها العاشق لمسراتها وآلامها ، فيأخذه من الحياة غلابا . ولا علم عنده إلا من خلال الحياة ، منها لا من الأبراج العاجية ، التي يلوذ بها بعض المفكرين والمتصوفون بحثا عن المعرفة والحقيقة . ولولا ذلك لما جاءت المقدمة على هذا المستوى المتفرد من الإبداع وسداد الفكر ، ولما أحدثت بها ثورة علمية وفلسفية ما زالت تستقطب الباحثين في العالم شرقا وغربا ، لاستيعاب جوانبها المختلفة والارتواء من معينها الثرى الذي لا ينضب . ولولا ذلك أيضا لما بزغ هذا الشهاب الساطع في ظلمات العصور الوسطى ، وظل من بعدها ثقلة الظلمات الإنسانية ، وعداها ، حتى بدايات القرن العشرين . وربما يبقى كثير من المتعة الرشاد تنير الطريق لمن يعلماء لما عبر الأجل هذه الفكرة الأرضية كي يتجسروا من التعمية الجحيم الفوري ، التي يلهو بها العابثون من أعداء الحرية والإنسانية والعدالة والتقدم .

على أن هذا الدرس الذي يقدمه لنا ابن خلدون في فهمه للعلاقة بين العلم والحياة ليس هو القول الفصل المستفاد من مسيرة حياته ، فثمة عبرة بالغة الأهمية نستخلصها من هذه المسيرة . فلقد عاصر مرحلة تاريخية اتسمت بفرقة الملوك والحكام ، وبغض بعضهم لبعض ، حتى في الأسرة الواحدة بين الأخ وأخيه والولد وعمه في سبيل الاستحواذ على السلطة . ولكن الشعوب العربية الإسلامية التي حكمتها الفرق والأسر والعروش المتصارعة ، لم تعرف فيما بينها الانقسام والتفكك ، في ظل التحولات التي تحولت إلى شبه فوضى من فرط تشرذمها ، حتى صار لكل حاكم مملكة ، ونصب عليها نفسه ملكا ، وولاءها لولاته من بعده حتى حياة قصيرة . والمغرب العربي الممتد في شمال افريقيا غربا وشرقا بين أقطارها (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى والأندلس كلها تشكل دولة واحدة لا تعرف من الممالك ، ثم المشرق منها إلى مصر ثم دمشق أثناء شاهدنا على هذه الحقبة التاريخية ما أحوجنا لأن نستوعب عبرها الآن وقبل أن يخبو التاريخ الجماهيري العربي إلى مصير وحده عربية يحصرها الطوفان مرة أخرى ، وهذا درس التاريخ وعبرته . □

الشارع الذي ولد فيه ابن خلدون بتونس

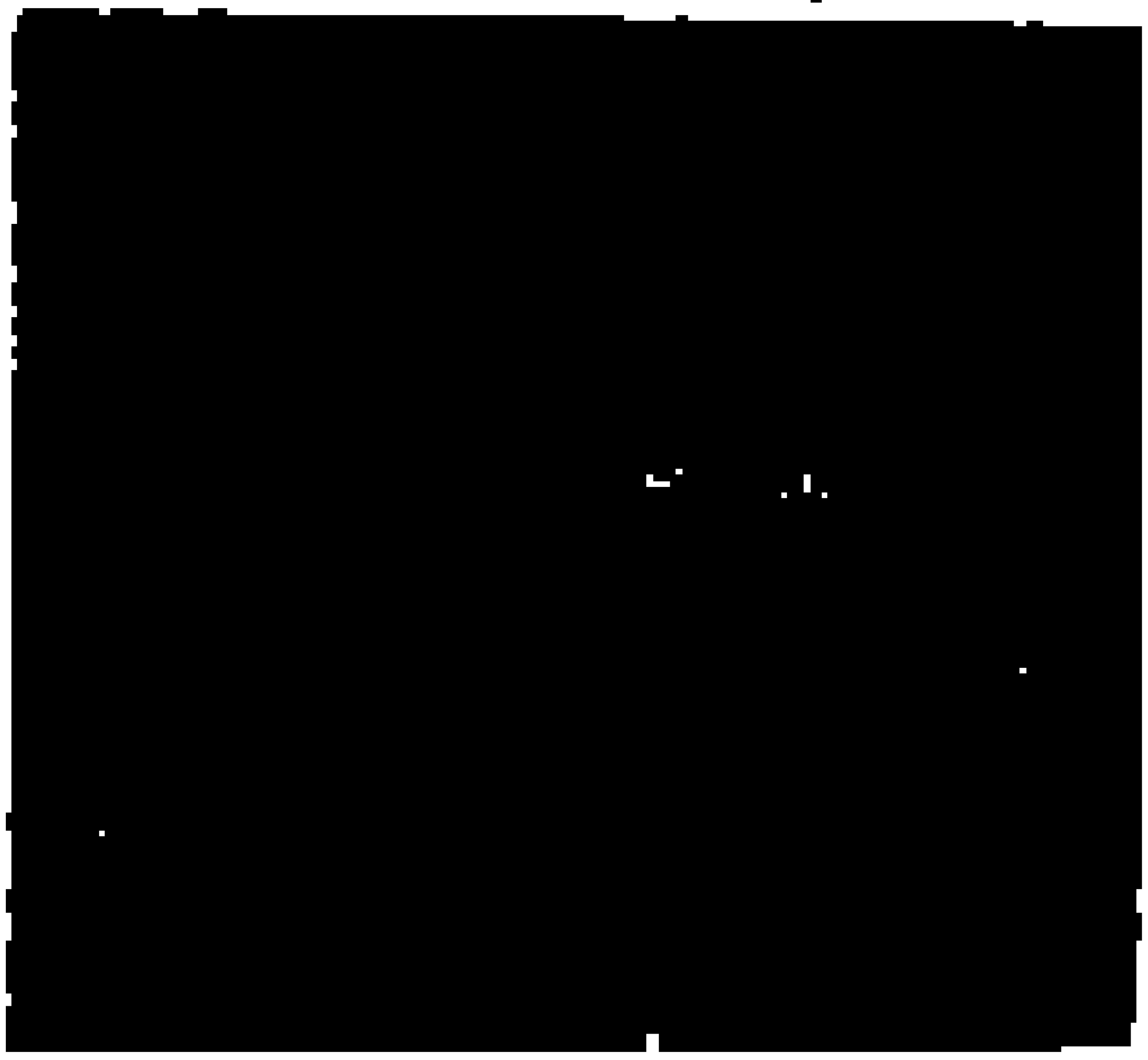

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله . ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » النحل ١٢٥ - ١٢٧ .

هزم جيش المسلمين في موقعة أحد ، وشرعوا في حمل قتلاهم لدفنهم . وسلكت النساء سبيلها للجرحى ومداواتهم . وجعلت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم إلى أبيها تداوي جرحا أصاب وجهه ، وتذر الرماد عليه حتى يستمسك الدم . فإذا به يهتف فجأة : « ما فعل عمي ؟ ما فعل عمي حمزة ؟ »

ومضى علي بن أبي طالب يبحث عنه ، حتى وجده مقتولا في بطن الوادي ، وقد بقر بطنه عن كبده ، وجدع أنفه وأذناه . فلما علم إلى رسول الله بالخبر ، مشى إلى مكان الجثة حتى وقف عليها ، فأجهش بالبكاء . ثم قال : « ما وقفت موقفا قط أغيظ إلي من هذا الموقف . ولن أصاب بمثلك أبدا . لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم » . كذلك قال لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلاهم من تقطيع البطون والمثلة الشنيعة . قالوا : « لئن أظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعلن ولنفعلن » .

فأنزل الله على رسوله هذه الآيات الكريمة تبين أنه لا يليق بالمؤمنين أن يحتذوا حذو المشركين في سلوكهم المشين ، وتنهى عن المثلة ، وتأمر بالصبر على الأذى ، والتجلد عند الزلازل .

بل إن الآيات لتمضي إلى ما هو أبعد وأخطر من ذلك . فالنبي صلى الله عليه وسلم حتى غضب ، كما لم يغضب من قبل ، والمسلمون قد ملأ صدورهم الغيظ كما صنع أعداؤهم من أهل مكة . والجميع قد غلبت عليهم الرغبة في الانتقام ، لما أصاب أصحابهم وأقرباءهم وإخوانهم في القتلى ، ثم

تالي الآيات لتذكرهم لن تكونوا قد سووا بين الاعتقاد الشخصية لا ينبغي أن يكون لها مكان ، وهم في سبيل تحقيق الهدف الأسمى الذي حدده سبحانه وتعالى لهم ، وهو نشر مبادىء الدين القويم . ولا ينبغي أن تنسى للأمتين . مهما بلغ عظمهم وضلالهم بمكر الكافرين . أن خير طرق الدعوة إلى هذا الدين هو الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدل بالتي هي أحسن.

وقد نسي مسلمو زماننا هذا ، من بين ما نسوه مما أمرنا به الله عز وجل ، ورغم تلاوتهم القرآن غدوه وعشية ، ربما تمسكت هذه الآيات الكريمة من تعاليم ، لا تجد من يطلعهم في الغير فحسب ، بل وأيضا غيرهم من المسلمين أيضا . فما من خلاف في الرأي يدور حول مسألة تتصل بالدين ، إلا كان من الصعب على عامة الناس خصوصا وعلى علمائهم وفقهائهم على الخصوص أن يناقشوا الأمر في هدوء ، ودون انفعال ، ودون سباب وتخوين ، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن . وقد أصبح من النادر أن يصبر مسلم على الاستماع إلى وجهة نظر تخالف مسلم يخالفه ، وأن يعرض تفنيده عرضا موضوعيا هادئا وغدا الأسلوب الشائع عندنا في الجدال والنقد هو أن يتهم الكاتب صاحب الرأي بأنه جاهل أو مبتدع أو كافر . أو يتهمه بأنه يحاول الكيد لهذه الأمة في دينها وعقيدتها وأنه يعمل على تمكين الأعداء من النيل من المسلمين ، وتدمير كيانهم واستباحة أوطانهم وحرماتهم . .

لقد استقر في المجتمعات المتحضرة منذ أمد بعيد ، مفهوم يرى للمفكر وظيفة تشاركه في مهمة واحدة . هي توسيع مدارك القراء وفهمهم وتنمية معارفهم ، وتمكينهم من تكوين نظرة صائبة إلى الأمور . والمفكر في تلك المجتمعات يدرك هذا . ما لم يكن مفرطا الحساسية . أن عليه أن يكون شديد الامتنان للمساعدة التي يقدمها الناقد له ، فينبهه إلى أخطاء وقع فيها ، أو أوجه قصور تشوب فكره . كذلك يدرك الناقد أن الاحتكام إلى الموضوعية في مجال الفكر أمر كفيلة بأن تهدم سمعته لا سمعة موضوع النقد . أما في مجتمعنا فإن اللعنة التي لا يستثنى منها غير القليلين ، فهي أن الناقد القادح مأجور ، والناقد القادح مشهور . وأما للمدح فناسم عن احتراف مفصل جاء أو نوايا لتحقيق له فيه . فكره يسير الحزم . وأما القدح المشهور ، والصفح عن الأجور ، والتشنج إزاء الفكرة الجديدة ، والمبادرة إلى الاتهام مسلك الحضيض ، والانتقال من نقد الفكرة إلى الطعن الشخصي دون مبرر ظاهر غير اختلاف الرأي ، فأمر يجعل مهمته الا عن سوء طبيعة تكويننا ، واختلافنا لمقاصد القرآن الكريم ، ووصيته لنا سبحانه تعالى أن ندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن نجادل من يخالفنا في الرأي بالتي هي أحسن.

لقد سبق للشيخ محمد عبده أن وصف الأوروبيين بأنهم قوم غير مسلمين ، قد ألزموا أنفسهم بما أوصى الإسلام به ، ووصف أهل قطرنا بأنهم مسلمون قد تخلوا عن تعاليم الإسلام . وما أحسب إلا كان مصيبا فيما ذهب إليه . □

لاتشاور هؤلاء

قال قس بن ساعدة الإيادي :

لاتشاور مشغولا وإن كان حازما ، ولا جائعا وإن كان فهما ، ولا مذعورا وإن كان ناصحا .

الثروة السمكية

[illegible] في البحار

كانت الشركات الأجنبية ترى في الدول النامية

بأن مواردها من الثروات السمكية غير محدودة

ولا تتأثر بالاستغلال ، وتقوم لهذا المنطلق

بالتركيز على سواحلها وممارسة الصيد دون

رقابة تذكر ، فهل حقا أن الثروة السمكية غير

متناهية ؟ وإلى أي مدى يصدق هذا الافتراض ؟

بقلم : علي عبد الأمير*

إن ما شهدته السنوات الماضية أثبت عدم واقعية هذا الافتراض ، وذلك من خلال انخفاض معدلات الصيد في الكثير من المناطق ، وتدهور مخزونات بعض الموارد البحرية بشكل كبير ، بحيث وضعها على حافة الانهيار .

استهلاك .. وإفراط

إن هذا الانخفاض في معدلات الصيد السنوية يعود في مجمله لسببين رئيسيين هما :

- التركيز على اصطياد الأسماك التقليدية ، وعدم البحث عن أنواع جديدة أخرى ، بحيث أن إجمالي الكمية المصطادة سنويا من الأسماك التقليدية تقدر بحوالي (٥٠) مليون طن من إجمالي الانتاج السنوي الكلي ، الذي يبلغ حوالي (٧٣) مليون طن ، أي أن نسبة الأسماك التقليدية المصطادة تساوي (٧٠٪) من إجمالي الانتاج الكلي .
- تجاوز الكميات المثلى السنوية ، بحيث يتم تكثيف الاصطياد على مناطق معينة ، وبالتالي يتم تدهور مراعي الأسماك وتعريتها ، نتيجة استخدام قوارب الجر القاعية بكثرة .

وعلى سبيل المثال انخفض إنتاج منطقة شمال غرب المحيط الأطلسي ، من ذروته عام ١٩٧٣ ، حيث بلغ (١،٥) مليون طن إلى (٣) ملايين طن عام ١٩٧٧ .

وفي منطقة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ، انخفض إجمالي الانتاج من (١،٣) مليون

* باحث في علوم الأسماك ومصادر الثروة البحرية بوزارة الثروة السمكية - عدن

طن عام ١٩٧٦ الى (١,٢) مليون طن عام ١٩٧٧ وبنسبة (٩٪) .

وفي منطقة شمال غرب المحيط الهادي تكالبت الشركات الاحتكارية لاصطياد ، بطرق الاسكا - والتي ازدادت كمية الصيد بشكل انفجاري - من (مليون) طن عام ١٩٦٥ الى (أربعة) ملايين طن عام ١٩٧٣ ، ويعتبر ذلك أقصى استغلال لهذه المساحات ، حيث تدهور الانتاج في السنوات اللاحقة لعام ١٩٧٣ .

وهناك نموذج واضح للاستغلال المفرط ، وهو ما جرى في مصايد - الروبيان - على طول سواحل الخليج العربي ، حيث قدر محصول - الروبيان - في المنطقة التي ازداد زيادة كبيرة بعد عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ من (٣) آلاف طن الى (٣٠) ألف طن في عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ . وبسبب كثافة عمليات الاصطياد فقد انخفض اجمالي المحصول الى (١٣) ألف طن (الوزن مع الرأس) وذلك لزيادة عدد قوارب الصيد ، وتجاوز الحد الأقصى الممكن لصيده ، ونتيجة لهذا التدهور في الانتاج فقد اضطرت القوارب العاملة الى الاصطياد في مناطق بعيدة ، وصفت بعض الشركات أعمالها نتيجة الخسائر الناتجة ، عن تدني الانتاج .

ان هذا التدهور في مخزونات معظم الأسماك والأحياء المائية وبالأخص التجارية منها كان نتيجة طبيعية للاستغلال الجائر الذي لم يراع بشده المخزونات ، أو التأثير السلبي على الاحتياطي عند تجاوز الحد الأقصى المقرر اصطياده ، وهذا يتفق مع الزيادة السنوية السريعة للفترة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٩ حيث بلغت الزيادة السنوية حوالي (٧٪) ، أما في الفترة من عام ١٩٧٠ حتى الآن فإن الزيادة السنوية لا تتجاوز (١ - ٢٪) فقط ، بل وتتراجع في عليه الطفرة .

ان هذا الوضع يعطي مؤشرا واضحا على أنه لم تعد هناك مخزونات كبيرة غير مستغلة استغلالا كاملا من الأصناف التي اعتيد صيدها بسهولة ، وتسويقها بطرق مألوفة ، والتي كانت تتيح فرص التوسع السريع في الخمسينات والستينات .

ان التوسع الحالي في أساطيل الصيد الحديثة يطرح بشدة ضرورة التوسع في مجالات الأبحاث والتنقيب من أنواع أخرى من الأحياء البحرية ، واستغلال ما هو غير مستغل ، اضافة الى ضرورة تنمية مشاريع تربية الأسماك .

بين البحار والأنهار

وعند تفحص طبيعة الانتاج السمكي في العالم ، يتضح أن حوالي (٨٥٪) من الانتاج يتم الحصول عليه من البحار ، وتشكل الأسماك السطحية مثل (الأنشوجة ، الرنجة ، الماكريل ، التونة) حوالي الثلثين ، أما الأسماك التي تعيش في الأعماق ، والتي تسمى بالأسماك الراقدة مثل : (القد ، السمك المفلطح .. السمع) تشكل الكمية المتبقية من الانتاج ، مع نسبة حوالي (٨٪) من اللافقريات ، كالرخويات (المحار) و (الأخطبوط) و (الصبيدج) ، والقشريات (الجمبري ، اللوبستر والسرطان البحري) .

وتوجد معظم الموارد السمكية البحرية ضمن نطاق (٢٠٠) ميل من الشاطىء ، غير أن القليل من الموارد الحية في المحيطات هو الذي يستغل ، ومعظمها من التونة والحيتان ، كما يوجد بعض من هذه الموارد ضمن حدود الـ (٢٠٠) ميل أيضا ، ويبلغ الانتاج من المياه الداخلية كالأنهار وروافدها والبحيرات والخزانات حوالي (١١) مليون طن سنويا ، وهو لا يزيد الا بشكل بطيء جدا ، لأنه يتأثر كثيرا من استخدام لمواقع الأنهار في توليد الطاقة ، وبناء السدود ومرافق الري .

وقد شهدت سنوات ما قبل عام ١٩٧٠ توزيعا غير عادل لكميات الانتاج السنوية ، ضمن اجمالي بلدان العالم المنتجة للأسماك ، والبالغة (١٦١) بلدا ، فإن هناك بضعة بلدان تحتكر الكمية الأكبر من الانتاج ، ومعظمها من البلدان الصناعية .

- على سبيل المثال - بلغ نصيب البلدان النامية من اجمالي الانتاج نسبة (٣٣٪) ، أما مساهمة البلدان الصناعية (التي لا تتجاوز سبعة بلدان) والتي تحترف الصيد تقليديا فقد شكلت نسبة (٦٣٪) وذلك عام ١٩٧٠ .

وبعد مطلع عام ١٩٧٧ بدأت الصورة تتقلص

الأسماك . ثروة وغذاء !

بشكل تدريجي . ففي عام ١٩٧٧ كان نصف البلدان العشر الأولى في مجال صيد الأسماك من البلدان النامية . وتحصل البلدان المتقدمة بصيد الأسماك على نسبة (٥٠٪) من اجمالي متوسط الانتاج العالمي من الأسماك . رغم أن النسبة ما زالت عالية نسبيا ، وذلك عند المقارنة بين انتاج الاتحاد السوفيتي واليابان مع البلدان الأخرى . حيث يحصل الاتحاد السوفيتي واليابان على أكثر من (٢٧٪) من الانتاج العالمي .

وعند مقارنة بيانات (الجدول رقم ١) مع اجمالي انتاج العالم من الأسماك والأحياء المائية ، تتضح مرة أخرى تعقيدات التوزيع ، حيث بلغ مجموع انتاج خمسة عشر بلدا الموضحة في (الجدول رقم ١) (٥١،٧) مليون طن ، أي بنسبة تزيد عن (٧٢٪) من اجمالي الانتاج العالمي . والبالغ لنفس العام حوالي (٧٢) مليون طن . وتساهم البلدان الأخرى والبالغة (١٤٦) بلدا بمقدار (١٥) مليون طن ، وبنسبة أقل من (٢٠٪) من اجمالي الانتاج العالمي ، ومعظمها من البلدان النامية .

صيد الأسماك بالشباك كما يجري في البلدان النامية

تجارة الأسماك

يتم اصطياد اجمالي المصيد العالمي بواسطة (٣٠) ألف سفينة صيد ، يتراوح اجمالي الوزن المسجل لكل منها ما بين (١٠٠) و (٤٠٠٠) طن . ويبلغ اجمالي الأطنان المسجلة (١٢) مليون طن .

وتشكل السفن التي تتراوح حمولتها من (١٠٠) الى (٤٩٩) طنا نسبة (٨٠٪) من الأسطول العالمي . ويتألف الباقي من حوالي (٣) ملايين سفينة وزورق صغير ، يقل الوزن الاجمالي المسجل لمعظمها من خمسة أطنان . وأغلبها غير مزودة بمحركات .

وتوفر مصايد الأسماك في العالم فرصا للعمل لحوالي عشرة ملايين صياد ، وليس ذلك فحسب ، بل هنالك العديد من النشاطات المتصلة بصيد الأسماك ـ كالتصنيع والتسويق ـ التي تمتص أعدادا كبيرة من العمالة ، خصوصا في المناطق الساحلية .

وتتبع معظم سفن صيد الأسماك التي تتراوح وزن كل منها بين (١٠٠) و (٤٠٠٠) طن الى البلدان الصناعية ، أما البلدان النامية فإن نصيبها الجزء الأكبر من القوارب الصغيرة التي تكون غالبا بدون محركات .

كما أن البلدان المتقدمة بصيد الأسماك لا تسيطر على مناطق الانتاج في العالم فحسب ، وانما على التجارة الدولية للأسماك ومنتجاتها ، ففي عام ١٩٨٠ أصبحت كندا أكبر الدول المصدرة لمنتجات الأسماك ، اذ اقتربت قيمة صادراتها من (١٠٠٠) مليون دولار أمريكي ، تليها الولايات المتحدة الامريكية التي زادت صادراتها بنسبة (٣٢٪) عن عام ١٩٧٩ ، واحتلت اليابان المرتبة الرابعة بعد النرويج .

وتصدر بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية ما قيمته (٢٠٠٠) مليون دولار من منتجات الأسماك سنويا .

وفي نطاق الواردات فان اليابان تتربع على المركز الاول في العالم ، حيث أنفقت عام ١٩٨٠ ما قيمته (٣٠٠٠) مليون دولار على واردات الأسماك ومنتجاتها ، وتليها الولايات المتحدة الامريكية في المرتبة الثانية . كما استوردت بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية (٣٧٠٠) مليون دولار من منتجات الأسماك للعام ذاته .

ويبدو من خلال هذا العرض الموجز أن بضعة بلدان تحتكر انتاج الأسماك ، وتسيطر على تجارتها الدولية .

قانون البحار

من المتوقع في السنوات القادمة أن يرتفع الانتاج لدى البلدان النامية ، بينما يتراجع لدى البلدان التي تعمل أساطيلها في البحار المفتوحة وسواحل البلدان النامية .

واستنادا مع ذلك فان انتاج الأساطيل الأجنبية التي تعمل على سواحل البلدان النامية سوف يهبط بشكل ملحوظ ، بعد أن كان هذا الانتاج يشكل حوالي (٩٪) من اجمالي المحصول السمكي العالمي .

لقد بلغ اجمالي الكمية المصطادة من الأسماك والأحياء المائية لجميع بلدان العالم (٦٣٫٦) مليون طن ، وذلك عام ١٩٧٢ ، منها حوالي (١٦٫٥) مليون طن ، تم الحصول عليها من مصادر غير وطنية ، أي خارج المناطق الاقليمية للبلدان المعنية . وبلغت الكمية التي تم اصطيادها من سواحل البلدان النامية (٥٫٥) مليون طن (وهذا يعادل حوالي أربعة أمثال انتاج البلدان العربية مجتمعة في الوقت الحاضر) .

من ذلك يتضح بشكل لا يقبل الشك مدى النهب الذي تمارسه الشركات الأجنبية لثروات البلدان النامية ، ويعتبر جزءا من المرتكز الاستعماري الاستغلالي ، سعيا لاستنزاف المزيد من موارد البلدان النامية وإعاقة تطورها .

وتسعى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٥٨ لايجاد تسوية عادلة بشأن استغلال الموارد المائية الحية على النطاق العالمي ، وحماية سواحل وثروات البلدان النامية .

وكان أول مؤتمر للأمم المتحدة حول قانون البحار هو المؤتمر الذي عقد في (جنيف) عام ١٩٥٨ ، وأسفر عن عقد خمس معاهدات ، تشكل عنصرا هاما في قانون البحار الحالي ، وتتعلق هذه المعاهدات بما يلي :

١ - المياه الاقليمية .
٢ - أعالي البحار .
٣ - الصيد .
٤ - حماية الثروات الحية لأعالي البحار .
٥ - الجرف القاري .

اضافة الى معاهدة سادسة حول التسوية الالزامية للمنازعات .

الا أن هذه المعاهدات لم تجد الأرضية الصالحة للتطبيق ، بحكم التبعية الاقتصادية للبلدان الاستعمارية ، واشتداد حدة الصراع بين الشرق والغرب .

الا أن مفترق الطرق برز بوضوح في الستينات من القرن الحالي ، حيث حصلت العديد من البلدان النامية المستعمرة على استقلالها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ففي مطلع السبعينات أصبحت مشكلة نقص امدادات الأغذية من أهم المشاكل التي تطرح في المؤتمرات والندوات الدولية ، نتيجة لتحكم حفنة من البلدان في انتاج وتسويق المواد الغذائية ، ورفع الأسعار بشكل جنوني ، سعيا للضغط واخضاع البلدان النامية ، في هذا الصدد قال وزير الزراعة

في الآونة الأخيرة بدأت صناعة تعليب الأسماك تأخذ طريقها في البلدان النامية

الأمريكي بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين البلدان العربية والكيان الصهيوني ، إن النفط هو سلاح الأكثر فعالية بيد خصومه الأمريكية ، ولا يستطيع العرب أن يخسروه !

ونظراً لهذا الوضع المتأزم ، واتساع مشكلات وتوتر بعض العلاقات الدولية ، بسبب الإنتاج السمكي ، وأبرزها الحرب التي نشبت بين بريطانيا وايسلندا ، التي سميت بـ (حرب القد) ، في هذا الوقت بالذات ، عقد مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار في (كاراكاس) عام ١٩٧٤ ، واستمرت المفاوضات للتوصل إلى معاهدة بشأن قانون البحار ، تضمن الوصول المتكافئ إلى الثروات الواسعة في البحار والمحيطات ، التي تشكل الثروة السمكية إحدى مكوناتها الأساسية

وفي عام ١٩٧٧ تمكنت الجهود من صدور قانون البحار ، الذي أصبح معترفاً به من جميع بلدان العالم تقريباً .

ولقانون البحار أهمية كبيرة من خلال إتاحته الفرص للبلدان النامية ، لاستغلال ثرواتها المائية الحية بنفسها .

وقد أشار الأمين العام للأمم المتحدة في خطابه الافتتاحي ، للدورة السادسة لمؤتمر قانون البحار ، المنعقد بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، إلى أنه (ينبغي النظر إلى المؤتمر ، بصفته جزءاً من المفاوضات الجارية في منظمة الأمم المتحدة ، لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، والبحث عن نظام اقتصادي أكثر إنصافاً على النطاق العالمي) .

ومنذ صدور قانون البحار وقف العديد من البلدان النامية في وضع تخطط فيه لاستغلال الثروة السمكية في مياهها الإقليمية بنفسها . لكنها لا تملك في الوقت الحاضر لا المقدرة الفنية ولا الخبرة اللازمة للاستفادة من الفرص المتاحة لها بشكل كامل ، حيث تعاني من النقص الشديد في المعدات المرتبطة بصنع الجملات ، ووسائل صيد متطورة وأساليب وطرق الصيد الحديثة . وكذلك النقص الشديد في الخبرات المرتبطة بإدارة المصائد . إضافة إلى افتقار بعضها إلى المؤسسات اللازمة لاستغلال المصايد الحية ، وتصنيع وتسويق المنتجات السمكية

الأخرى، في عدم التقدم عن بناء القاعدة العلمية الضرورية للتطور اللاحق.

حذار من الشركات الأجنبية

وفي معظم هذه الأوضاع اتجهت البلدان التي تملك أساطيل الصيد في المياه البعيدة للدخول في شركات مشتركة، أو للحصول على تراخيص للاصطياد من سواحل البلدان النامية.

إلا أن معظم هذه [illegible] الاستغلالية [illegible] لا تحصل على [illegible]، [illegible] السياسية والاقتصادية والاجتماعية [illegible] في البلدان النامية.

فالبلدان التي شهدت [illegible] الحكومات والاقتصادية والاجتماعية [illegible]، [illegible] واستغلال مواردها بشكل [illegible]، [illegible] مرتفعة في الإنتاج السنوي، [illegible] على الأهداف الاقتصادية والاجتماعية.

كما أن العديد من البلدان النامية ذات النسيج الجغرافي في الاستفادة من مواردها السمكية، غير قادرة على ذلك بسبب عدم الاستفادة من جميع الموارد الحية المتاحة في سواحلها، وبحكم أن هذه الموارد تتجدد باستمرار فهي تطلق الاستفادة من منح تراخيص للاصطياد للبلدان الأخرى، للعمل على سواحلها، أو العمل المشترك في المرحلة الراهنة على الأقل، والأرباح السمكية غير المستغلة، أو التي لا تستغل بشكل كامل، رغم حاجة إلى الجهد الكافية لتنمية مصايدها الوطنية وقدراتها الذاتية، من أجل الاستغناء عن تلك البلدان أو الشركات.

إلا أن بعض البلدان النامية التي لا تملك القوة السياسية لتحديد سيرها السياسي والاقتصادي، أصبحت سواحلها فريسة أمام الشركات، ويجري استغلال ثرواتها المائية الحية بشكل أشد ضراوة من السابق مقابل عوائد بسيطة لا تكاد تذكر.

كما تحاول هذه الشركات استغلال الموارد السمكية على سواحل بعض البلدان النامية تحت واجهات وحجج مختلفة، منها، على سبيل المثال، أن هذه البلدان توسع نطاق مياهها من مياهها الإقليمية لمسافة (٢٠٠) ميل.

إن هذه الشركات ذات التقنية الأخطبوطية قادرة [illegible] بأشكال مختلفة عن [illegible] والتحايل في [illegible] من البلدان النامية، [illegible] بأشكال وواجهات مختلفة ومتنوعة.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال تطبيق أقصى الأرباح على حساب [illegible]، [illegible] تقديم بعض العروض والمشاريع [illegible] للبلدان النامية، من أجل [illegible] مصالحها ومواقعها، [illegible] بشكل خاص في [illegible] الاستغلالية [illegible] في بعض [illegible] عن تركيز [illegible] في [illegible] حركة الأسماك، [illegible] على [illegible] المحيط الهندي، [illegible] الثروة السمكية، حيث [illegible] المحيط [illegible] (٥٠٪) من [illegible] الأسماك العالمي سنوياً.

الأسماك والتغذية

لا تشكل الأسماك في الوقت الحاضر سوى جزء ضئيل في التصديرات معظم البلدان، ولكنها تسهم بدرجة كبيرة في إمدادات الأغذية ذات القيمة الغذائية العالية، ولاسيما في تغذية سكان المناطق الساحلية، والبروتينات الحيوانية.

ومع أن البحار والمحيطات التي تشكل حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، فإن الأغذية المستخرجة من هذه البحار لا تساوي سوى ([illegible]٪) من كمية الأغذية المستخرجة من اليابسة.

ويبلغ متوسط الزيادة السنوية لإنتاج الأغذية في العالم خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٩ حوالي (١.٦٪) أي أقل بكثير من معدل نمو السكان.

إن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال انعدام إمكانية إنتاج المزيد من الغذاء، بل هناك إمكانيات كبيرة جداً تسخر لأغراض أخرى غير أغراض إنتاج الغذاء، وأهمها سباق التسلح.

وبالمقابل فقد أشار المسح الغذائي العالمي الرابع

تؤدي بصورة منتظمة لأسباب ... نقص التغذية . على أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية في بلدان افريقيا وامريكا اللاتينية والشرق الأقصى والأدنى قد وصل (تعاظم) من حوالي (٣٦٠) مليون نسمة في الأعوام ١٩٦٩ ـ ١٩٧١ الى (٤١٠) ملايين في الفترة ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ والى (٤٢٠) مليوناً في الفترة ما بين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦ . ويلاحظ أن عدد السكان الذين يعانون من نقص التغذية (الجوع المطلق) يزداد بشكل مطرد سنوياً ، وتقدر هذه النسبة أيضاً أن نسبة هؤلاء السكان تشكل (٢٢٪) من مجموع سكان تلك البلدان . أما بالنسبة الى السكان الذين يعانون من سوء التغذية فيشكلون مشكلة حادة أكثر خطورة .

ويعني هذا الارتفاع في ضحايا المجاعة الواسعة وعدم كفاية الغذاء على حدة ، حيث يوجد عدد كبير من السكان محرومين من الغذاء ، بسبب عدم تطابق توزيع المحاصيل الغذائية ومتطلبات السكان . كما يزداد خطر الجوع المتكرر والجوع المزمن ... الأسرة ، ويتناسب عكسياً مع دخل الأسرة .

إن المواصفات الغذائية الغنية التي تتمتع بها الأسماك تكسبها أهمية خاصة في مكافحة سوء التغذية ، والافتقار الى البروتين والطاقة ، لا سيما في فترات الطفولة . ولقد قدرت بعض الدراسات أن جسم الانسان يحتاج الى حوالي (١٨) كيلو غرام سنوياً من البروتين الحيواني ، لكي يحافظ على صحته البدنية والعقلية . ولهذا السبب يلاحظ أن العديد من البلدان المتقدمة تعطي اهتماما كبيرا لزيادة نصيب الأسماك للمستهلكين .

وتعد الأسماك المصدر البروتيني المهم في تغذية الانسان .

وتساهم الأسماك في بعض البلدان بنسبة (٥٠٪) الى اجمالي البروتين المستهلك في الغذاء . وتقدم الأسماك حوالي (٦٪) من امدادات البروتين في العالم ، وحوالي (٢٤٪) من امدادات البروتين الحيواني ، مقابل (٤٠٪) من البروتين الذي يتوفر في حسب نوع المحصول من القطاع الزراعي .

وتختلف مساهمة بروتينات الأسماك باختلاف البلدان ، حيث تبلغ (١٦٪) من البروتين الحيواني في البلدان الاشتراكية ، وحوالي (٣٦٪) في بلدان الشرق الأقصى ، وحوالي (٢٢٪) في بلدان المنطقة المركزية في آسيا .

وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من البروتينات تتراوح بين (١٥٪) و (٢٠٪) من الوزن الصافي . ويمتلك لحم الأسماك مركز الصدارة في ارتفاع نسبة البروتين في تركيبه ، عند مقارنتها بمصادر البروتين الأخرى . ففي كل (١٠٠) غرام من لحوم الأسماك تحتوي على (١٨,٥٪) بروتين ، وفي لحوم الأبقار (١٦,٥٪) ، وفي البيض (١٣,٥٪) ، بينما الحليب يحتوي على (٣,٨٪) من البروتين .

ويتميز بروتين الأسماك بأنه يحتوي على نسبة عالية جداً من الأحماض الأمينية الأساسية ، التي تحتوي على نسبة عالية من الليسين والمثيونين الأساسيين في تغذية الانسان . وتحتوي الأسماك على نسبة عالية من الدهون تتراوح بين (٠,٣٪) الى (٢٤٪) ، وهي تختلف تبعاً لنوع الأسماك . فمثلاً تشكل نسبة الدهن في السردين حوالي (٢٪) ، وفي القرش (٠,٦٪) ، وفي الرنجة (١٩٪) .

وفي دهن الأسماك نسبة عالية من الأحماض الدهنية غير المشبعة ، ومن مميزات هذه الدهون كونها لا ترفع نسبة (الكوليسترول) في دم الانسان . وتحتوي دهون الأسماك وأكبادها على كميات مهمة من الفيتامينات الضرورية لجسم الانسان ، كفيتامين (أ) و (د) و (ب) ، كما تعتبر لحوم الأسماك من المصادر الغنية بالعناصر المعدنية ، وخاصة الكالسيوم والفوسفور والحديد وغيرها .

ومع هذه الأهمية الغذائية التي تكتسبها الأسماك ، فقد ازدادت الكمية المخصصة للغذاء البشري ، على حساب الصناعات الأخرى ، وهي بشكل أساسي صناعة مسحوق وزيت الأسماك .

فلقد ازدادت الكمية المخصصة للاستهلاك البشري من الأسماك من (٣١) مليون طن عام ١٩٦٠ م ، الى (٤٠) مليون طن عام ١٩٧٠ ، والى (٤٩) مليون طن عام ١٩٧٩ ، وأخيرا (٥٠,٥) مليون طن كمعدل للسنوات الثلاث الأخيرة . □

سيف (الزلفقار) من الصلب صنع في صقلية .

عام للفنون والحضارة الإسلامية في السويد

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

في أقصى الشمال .. في بلاد الحرية والصناعة والتقدم .. في السويد .. أقيم مهرجان كبير للاحتفال بعام الفنون والحضارة الإسلامية . ولماذا الاحتفال به ، وكيف كان الاحتفال ، وماذا قدم فيه ؟

كل ذلك يعرضه كاتب هذا المقال .

ما الذي نعرفه عن السويد وما الذي تعرفه السويد عن حضارتنا ولغتنا ؟ :

مدخل المعرض الرئيسي ، وترى أعلام الدول العربية والاسلامية التي تظلل سماء المدخل .

ما الذي نعرفه عن السويد .. ؟ سؤال لابد أن يطرح ، ولعله يكون الجواب مرتبطا بما علق بذهننا من ذكريات الدراسة التاريخية أو الجغرافيا .

ما الذي نعرفه عن السويد التي تعد واحدة من أهم أعضاء المجموعة الاسكندنافية ، المؤلفة من خمس دول ، والتي يبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين ونصف ، ويبلغ مساحتها ٤٥٠ ألف كم مربع ، وعاصمتها استوكهولم المؤلفة من عدد من الجزر الكبيرة والصغيرة .

ما الذي نعرفه عن السويد منذ بداية تاريخها في القرون الوسطى والعصر الفايكنج .. ؟

عندما أقام فيها « الفايكنج البرابرة » ، ثم عندما ظهرت فيها بعد ذلك الكنيسة اللوثرية من ألمانيا ، وظهر الفن المسيحي الذي انتشر عن طريق انجلترا .

حديث طويل لابد من متابعته عبر المصادر والكتب ، ولكن السويد الحالية تبدو واضحة أمام من زارها ؛ شعب محب يحترم الواجب والقانون ، يهتم بالثقافة والفنون والرياضة . وبلد يتمتع بطبيعة رائعة ، فالماء فيها أكثر من اليابسة ، والأشجار فيها أكثر من البشر ، والثلج والصقيع يغطي الأرض والماء أكثر أيام السنة ، والشمس عزيزة مكرمة لا ترى إلا في صيف قصير .

هكذا السويد بكلمات مختصرة سريعة ، نستطيع أن نفهمها دون التفصيل ، ونختصر لنسأل سؤالا عن السويد ؟ تماما كما يسأل السويديون سؤالا عن العرب وبلدنا عن الاسلام ؟ ماذا عن الحضارة التي يسمعون عنها بأكثر سمعه ؟ ماذا عن الفن الاسلامي الذي عرف عنها في الغرب الأوروبي ، ولم يعرف ما له من الفضيلة في الشمال الأوروبي . كان هذا السؤال هو الدافع الى اقامة مهرجان كبير في استوكهولم العاصمة يستمر من أيار عام ١٩٨٦ حتى حزيران ١٩٨٦ .

لم تكن فكرة الاحتفال بالثقافة الاسلامية والفنون ، مجرد تخطيط سياسي أو اقتصادي سويدي رسمي ، يهدف الى تقوية العلاقات مع الدول العربية والاسلامية ، بل كانت رغبة الشعور بضرورة سد

ثغرة كبيرة في الثقافة الشعبية السويدية ، وافساح المجال للتعرف على الاسلام والحضارة الاسلامية من خلال الآثار الموجودة في المتاحف وفي المجموعات الخاصة السويدية . ولم يكن المتحف التاريخي في ستوكهولم الذي يعود الى هذا الاحتفال قد تصور الاعداد التي يمكن أن يصل اليها . ولكن وبعد اقدام على فتح أبواب حضارة ضخمة ، كان لابد أن يتسع مشروعه ويصبح مظاهرة ثقافية مفتوحة . هي واحدة من أضخم المظاهرات التي شهدتها استوكهولم عاصمة السويد .

ذروة الاحتفال هو معرضي الحضارة والفنون الاسلامية الذي أقيم في المتحف التاريخي .

ويقول مدير المتحف السيد « بيزاكسون » ان هذا المعرض هو أكبر معرض للمتحف على الاطلاق ، ولقد كان واحدا من أصعب المهام ، وخلال عشرين عاما من عملي رئيسا لهذا المتحف التاريخي لم أعرف أن عملية اعداد معرض كانت أكثر اثارة ومتعة من أي مرة أخرى .

لقد قوبلت مبادرتنا في السويد بترحاب كبير فاق ما توقعناه . تم ذلك من السلطات والهيئات والأفراد على حد سواء ، ولقد تحمس أن يسهم في هذه المظاهرة لفيف كريم من الباحثين السويديين المختصين في فروع الحضارة العربية والاسلامية ، في توضيح معالم هذه الحضارة ضمن حدود اختصاصهم ، فنشروا أبحاثا لفتت انتباه الشعب ، ولقد تداولها من خلال كتب ومجلات ومحاضرات .

« وثمة خمسون ألفا من المواطنين السويديين يدينون بالاسلام ، كان من حقهم أن يسهم المتحف الوطني التاريخي في التعريف بتراث الاسلام . ان هذا التعريف يعزز دورهم في تقويم علاقة السويد مع العالم الاسلامي ، كما يعزز دورهم في المجتمع السويدي نفسه الذي اكتشف لأول مرة أن هذا التراث الاسلامي له عمق تاريخي متصل بهم . وان الواقع العربي الاسلامي أعظم بكثير مما حفظته الذاكرة . فثمة ما يقرب من مليار مسلم في أنحاء العالم ، في آسيا وافريقيا ، بل في أوروبا وأمريكا واستراليا . وثمة مئة وعشرون مليون عربي تسير حكوماتهم أحداث السياسة والاقتصاد التي أصبحت تمس العالم أجمع . »

الآثار الاسلامية في السويد :

لقد عرف السويديون أن في خزائنهم وثائق تؤكد الصلات التاريخية الوثيقة مع العالم العربي والاسلامي . ان المكتشفات الأثرية قد أثبتت أنه منذ عهد الفايكنغ (القرنين التاسع والعاشر) ، كان العرب قد وصلوا الى السويد ، وكانت لهم علاقات تجارة وتعاون . ان خمسين ألفا من القطع النقدية المحفوظة في دار المسكوكات الملكية ومتحف الآثار ، والتي تم اكتشافها في موقعي بيركا وهيلغو مع غيرها من التحف الاسلامية تبقى دليلا قاطعا على حقيقة هذا الاتصال ، وعلى قوة التعاون . كذلك تعتبر الوثائق المكتوبة والتحف التي عثر عليها في السويد ، وقد انتقلت مع الفلاحين الأوائل منذ ألف عام ، هي شاهد بليغ على الأواصر التاريخية بين الشعوب الشمالية والشعوب الاسلامية .

ولقد استمرت العلاقات الثقافية قائمة بأشكال مختلفة ، وها هي آثار هذه العلاقات متمثلة في قطع أثرية مهمة انتقلت الى السويد . كالجرة الرائعة التي انتقلت من قصر الحمراء في غرناطة الى المتحف الوطني للفنون الجميلة في استوكهولم ، أو السجادة الحريرية الشهيرة التي تعود الى القرن السادس عشر ، والتي انتقلت من ايران الى المجموعات الملكية ، ولقد أصبحت حصيلة طيبة من الآثار جمعت من المتحف الوطني التاريخي ، ومن المتحف الوطني للآثار ، ومن متحف آثار حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومن دار المسكوكات الملكية وغيرها ، لتصبح نواة لمعرض كبير .

لقد انتقلت المجموعات الأثرية الى المتاحف السويدية خلال ألف عام عن طريق الدبلوماسيين ودارسي اللغات ، وبفضل مكتبة جامعة « أوبسالا » العريقة ، بمجموعات مهمة من المخطوطات والمنمنمات التي تحوي مصاحف مذهبة ودواوين شعر مزينة بالمنمنمات وكتب علوم مرفقة بصور ايضاحية .

ومن كبار جامعي الآثار الاسلامية والسويدية ، العالمان « فريدريك مارتن » و « كارل جوهان لام » ، اللذان أغنيا بدورهما الثقافة بدراساتهما العربية والاسلامية .

وكذلك مارتان (١٨٦٨ ـ ١٩٣٣) أسهم مع سار (ساره) في تنظيم أضخم معرض اسلامي في ميونخ ، وأصدر كتابه الشهير عن «تاريخ السجاد الشرقي» ١٩٠٦ . ثم كتابه عن «المنمنمات والمنمنمين الفرس والأتراك والهنود» . والكتابان مازالا مرجعين للباحثين . ولقد انتقل مارتان عبر اسطنبول والقاهرة وآسيا الوسطى ، واقتنى مجموعات من التحف المعدنية والخزفية والسجاد والنسيج التي نراها اليوم في متحف آثار حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومتحف الفن الحديث ، ومتحف الثقافة الشعبية في استوكهولم

أما (لام) (١٩٠٦ ـ ١٩٨٢) فلقد عرف عالميا من خلال كتابه بالالمانية عن «الزجاج الاسلامي» ١٩٣٠) ثم كتابه عن «الزجاج في ايران» . وكتب دراسات كثيرا عن المجموعات الاسلامية في المتاحف السويدية . وقدم محاضرات خلال ثلاثة أعوام عن الفن الاسلامي في جامعة القاهرة ، وخلالها استطاع الحصول على مجموعة من الأقمشة النادرة .

ان المتاحف السويدية حافلة بالآثار التي وردت اليها عن طرق مختلفة . اما عن طريق التنقيب كالمسكوكات التي اكتشفت في (بيركا) ، والمجموعة البرونزية التي اكتشفت في أحد المواقع الأثرية ، والمحفوظة في المتحف الاقليمي في (قابل) والتي تعود الى القرن التاسع الميلادي واما عن طريق الجمع من الكنائس والأديرة ، ومنها أثواب تركية ومفارش وقطع من البروكات والمخمل والحرير الطبيعي ، جاءت الى السويد في بداية القرن السابع عشر .

من أبرز الآثار المحفوظة في متحف الآثار سجادة صلاة في القرن الخامس عشر صنع الأناضول . والابريق المعدني صنع صقلية في العهد الاسلامي . وهو من روائع الصناعات المعدنية الاسلامية ، ومن مجموعة القصر الملكي سجادة من الحرير صنع كاشان ، القرن السادس عشر .

وفي مجموعة متحف السلاح الملكي أكثر من ألف قطعة حربية اسلامية هي من أثمن المجموعات الغربية . وفي قلعة سكوكلوستر مجموعة من السجاد التي تعود الى القرن السابع عشر ، وثمة ثلاث خيمات تركيا من نفس العهد ، ومن أهم المقتنيات العسكرية الجميلة التي تسمى «جمرا الحمراء» والمصنوعة في مالقا في القرن الرابع عشر .

وفي المتحف الوطني للفنون الجميلة مجموعة من المنمنمات الفارسية ، التي تشكل مع غيرها من المنمنمات في المجموعات السويدية معرضا كاملا للمنمنمات الفارسية والهندية المغولية .

ومن أظرف القطع المحفوظة في المكتبة الوطنية ، كتاب صغير فيه رسوم وصور بالألوان المائية لنماذج شعبية تركية ، كان السفير السويدي لدى الباب العالي قد أحضرها من استانبول عام ١٦٥٨ .

وفي دراسة مفصلة قدمت بها بعثة المتحف الاسلامي في متحف الآثار في استوكهولم ، عرض واسع للمجموعات الاسلامية الموجودة في المتاحف السويدية ، والمكتبات ودور الوثائق ، تقدم عددا ضخما جدا لهذه المظاهرة الثقافية الناجحة .

آثار اسلامية من متاحف عالمية

ان ما يمكن ايضاحه لزوار هذه المتاحف السويدية لا يكون كافيا لتوضيح معالم حضارة ضخمة توزعت آثارها في جميع أنحاء العالم . لذلك اتجهت آراء القائمين على هذا المعرض نحو الكنوز الاسلامية في المتاحف الكبرى وفي المجموعات الخاصة الشهيرة .

ولأول مرة يوافق الاتحاد السوفياتي ممثلا بمتحف الارميتاج في لننغراد ، باخراج خمسين قطعة نادرة من كنوزه الاسلامية لتعرض خارجيا . كذلك اسهم المتحف البريطاني باعارة المعرض مجموعة مهمة من الآثار الاسلامية . ولم يتردد المتحف الوطني في مدريد باعارة السويد بعض الآثار الاندلسية الرائعة التي زينت معرضا للفنون والحضارة الاسلامية .

كما قدم متحف الكويت ـ دار الآثار الاسلامية ـ مجموعة من القطع الجميلة التي تعود الى مجموعة الصباح ، بلغ عددها ست قطع ، منها ابريق نحاسي من صنع ايران يعود الى عام ١٠٠٠ ميلادي ، ومنها الوعاء البرونزي المزخرف ـ العصر المملوكي صنع مصر أو سورية ١٣٠٠ م ، وقبعة الدراويش الايرانية ١٦٠٠ م وبعض الصور ومجموعة جلسم للمصحف في الكويت . وقد زين المعرض بقطع جميلة تقرب من عشر قطع ، من أبرزها المسترق المعدني المزخرف

بكتابة ونقش وهو من صقلية ١١٠٠ - ١٢٠٠ ، وثمة صندوق عاجي مزخرف بكتابة نسخية وطيور ونقش هو من صنع مصر في العصر الفاطمي ، وشمعدان صنع شمال العراق ١١٠٠م مصنوع من معدن مضغوط ، واستعيرت من دول الخليج الأخرى صور ووثائق تاريخية وشواهد قبرية .

ولقد برزت في المعرض القطع الفنية الاسلامية التي أعارها متحف الاوبسالا في انجلترا ، ومن هذه القطع تمثال نصفي رائع يمثل بقرة ووضع عليها مصحف صغير ، ولقد بدا من الكتابة المنقوشة أنها من صنع محمد بن أبي القاسم الطبري من ايران ، وهي مؤرخة في ٦٠٣ / ١٢٠٦ م ، والزهرية المحززة المنقولة ١٣٠٠ م ، والزهرية المصرية المملوكية ، والشمعدان المملوكي ، أيضا ، والزهرية الخزفية الايرانية الصفوية ١٦٠٠ م ، ومن أبرز المعروضات طائر عليه كتابة ونقوش من صنع المعلم سليمان (١٨٠هـ / ٧٩٦ م) ، وابريق برونزي يعود الى نهاية العصر الأموي من صنع العراق ، والاناء الزجاجي المصري (١٠٠٠م) الذي اضيفت له زخارف معدنية سويدية (١٦٠٠م) .

كذلك أغنى المتحف بقطع شهيرة من مقتنيات المتحف البريطاني ، كالمرصعة البرونزية الاناضولية ١١٠٠ - ١٢٠٠م ، والاناء النحاسي الفارسي (١٢٠٠م) ، والكرة البرونزية الشهيرة الشامية ١٢٦٨ م ، والصندوق العاجي ١٢٠٠م عدا غيرها من المنمنمات .

ومن المتحف الوطني في مدريد عرض عشر القطع من أبرزها مخطوطات قرآنية فاطمية ٩٥٢ م .

وتعتبر مجموعة ستيفنس في كوبنهاجن من أغنى المجموعات الاسلامية الشرقية في كوبنهاجن ، ولقد استعير منها أربعون قطعة تعود الى كارل يوهنسون ، والقطع الأخرى المعروضة هي من مقتنيات المتاحف السويدية ، في استوكهولم ولينغ جوتبورغ ومالمو .

الثقافة الشعبية والحياة في البلاد العربية :

تحت هذا العنوان نستطيع أن نرى صورة من الحياة للمجتمع العربي ، فلقد استعيرت من متحف قطر قرية كاملة تعبر عن (المجلس) ، ولقد اضيف الى ذلك صور فوتوغرافية عن الحياة في عمان وصور عن البحرين وتاريخه .

وثمة قاعة أخرى تبين العلاقة التاريخية التي كانت قائمة بين أجداد السويديين وهم الفايكنغ وبين المسلمين في عهد الخلافة خلال القرنين التاسع والعاشر ، وفي هذا الجناح بعض القطع والنقود التي اكتشفت في مقابر سويدية .

وفي جناح مستقل عرضت بعض المخطوطات والمصاحف والمنمنمات ، وهي من الأعمال الفنية النهمة ، جلبت من أطراف العالم الاسلامي ، وفي هذه القاعة مصحف يعود الى القرن العاشر ، هو واحد من أقدم المصاحف التي كتبت بالخط الكوفي .

ومن بين المخطوطات تواجد المنمنمات الفارسية التي تحكي قصة الشاهنامة (تاريخ الملوك) والتي كتبها الفردوسي خلال القرن العاشر .

ولقد خصص جناح مستقل لعرض النسيج الرائع المصنع ، الذي جاء الى السويد مع الدبلوماسيين والتجار العائدين من البلاد الاسلامية ، وثمة مجموعة من السجاد الشرقي الذي يعود الى القرن السابع عشر والتاسع عشر عرضت مع بعض القطع الرائعة من البروكار صنعت في تركيا خلال القرن السابع عشر .

لقد تميز تصميم المعرض في تخصيص جناح مستقل تابع لابنية المتحف لكي يكون سوقا مستطيلة مؤلفة من واجهات مفتوحة على جانبي الزائر ، مخصصة لعرض الصناعات التقليدية والبضائع التراثية والاطعمة ، والتوابل والعطور ، وينتهي السوق بقاعة ضخمة زينت لكي تكون حرما لمسجد اسلامي ، ويقف على محراب حجري ومنبر .

المنظمة العربية ومعرض الحضارة :

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كانت ذات حضور واضح في مظاهرة الفن والثقافة الاسلامية في السويد ، وتحت عنوان (الكسو) وهو الاسم المختصر للمنظمة افتتح جناح عاص واسع لألواح كبيرة تحمل صورا ملونة لحسن اختيارها ، توضح معالم الحضارة العربية بمختلف وجوهها ،

ويرافق هذا المعرض دليل بالغة السويدية تعده المتخصصة في هذه المادة.

ويعتمد المعرض على ابراز ملامح الاسلام وتطوره ومظاهر الفن الاسلامي. وقد قام مصمم متخصص بتنظيم المعرض، فجاء معبرا عن الحياة في المجتمع الاسلامي بشكل تصميمي جذاب، والزيارة للمعرض لابد ان تبتدىء بهو الدخول الذي يمثل صورة لباب مكة المكرمة. وعبر القسم المخصص لاعطاء فكرة عن الدين الاسلامي والقرآن الكريم والصلاة، وثمة لوحات ضخمة وصور فوتوغرافية مأخوذة من القمر الصناعي تحدد موقع الكعبة في مكة المكرمة والعالم الاسلامي، وهي ترى صورة من نوعها.

ويمتاز هذا المعرض من احدى مجموعات [illegible] في هذه مجموعة لباب حجرة البرمنجهام (BM) والخزانة البلاستيكية، ويحمل ذلك لوحة ضخمة مقسمة الى مربعات كل مربع عليه اسم صورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها مائة واربع عشرة سورة، ثم هذه التي تلي مجموعة للتعريف الأوروبي عن مدى انتشار الاسلام في زمن الخلفاء الراشدين.

ثم نصل الى القاعة الأساسية المخصصة للفن الاسلامي. وقد عرضت القطع الفنية مرتبة بحسب تاريخها، وأول قطعة هي صحن برونزي مصنوع من متحف الابرميتاج صنع في ايران عام ٣٦٩ م. وقطع أخرى تعود الى العهد الأموي والعباسي عرضت بشكل فني في مواجهة دائرية طويلة يقابلها عرض مفتوح لقطع أخرى. وتنتهي المعروضات بقطع تعود الى عهود متأخرة (القرن التاسع عشر).

عالم لم يكتشف بعد

وما زالت عاصمة الفنون والحضارة تحتفل بالاسلام في ستوكهولم عاصمة السويد منذ أن افتتحه أولوف بالمه رئيس وزراء السويد وشاركت فيه غالبية المؤسسات الثقافية والمتاحف والجامعات والمكتبات العامة وغيرها للمسكوكات ولم يكن ثمة اسلوب معارض للحضارة الاسلامية عبر العالم فقط بل في اعقاب هذا المعرض، اقيمت معارض أخرى هي:

- معرض المخطوطات المكتوبة في العصور الوسطى، وبعض القطع المعدنية التي جمعت من مصادر أخرى. واقيم هذا المعرض في متحف حوض البحر المتوسط.

معرض المسكوكات الاسلامية في المتحف الملكي للمسكوكات، وفيه عرضت مجموعة تحتوي على بعض العملات المستعارة من مصادر عربية ومن لندن وبرلين والكويت.

- معرض النحاس الملكي، وفيه عرضت بعض القطع التي قدمت الى ملوك السويد، كالمطرزات والسجاد والأسلحة والسروج المرصعة.

- وفي المتحف الوطني للفنون نظمت ايضا معرض للسجاد التركي من القرن العاشر والخامس عشر، كذلك من مقتنيات المتحف، كتراث القصور عنهم.

- وفي أجنحة السويد سيفتح معرض في المدارس الرسمية يضم مجموعات مختارة من الشرائح السويدية، مع شرح عن الحياة الاجتماعية الاسلامية.

وفي خريف [illegible] افتتح معرض عربي - اسلامي للعلوم الفلكية في القرون الوسطى، مع بيان اثرها واهميتها بالنسبة للعلوم الفلكية الحديثة.

- وينظم المتحف الوطني تحت عنوان «الاسلام والموسيقا» برنامجا للحفلات الموسيقية تقدمها عدة فرق من مختلف الدول الاسلامية.

وينظم المركز الثقافي في استوكهولم معرضا عن الحياة التقليدية في قرية تركية ومعرضا عن الحياة واساليب العمل.

وهكذا كان - وما يزال - احتفاء علمي بحضارة اسهمت في تنوير العالم وحضرنا اهمية استكشاف اسهاماتها بالنظر والتحليل بعيدا عن قوالب العاطفة وممارسة الوجدان. □

■ اننا نستهلك ثمرات الكون ونحن أول ثماره. (عبد العزيز البشري)

استراحة العربي

مؤتمر في الصحراء

العلم والمال

محمود ماهر

كرم الكريم

حسن الاستماع

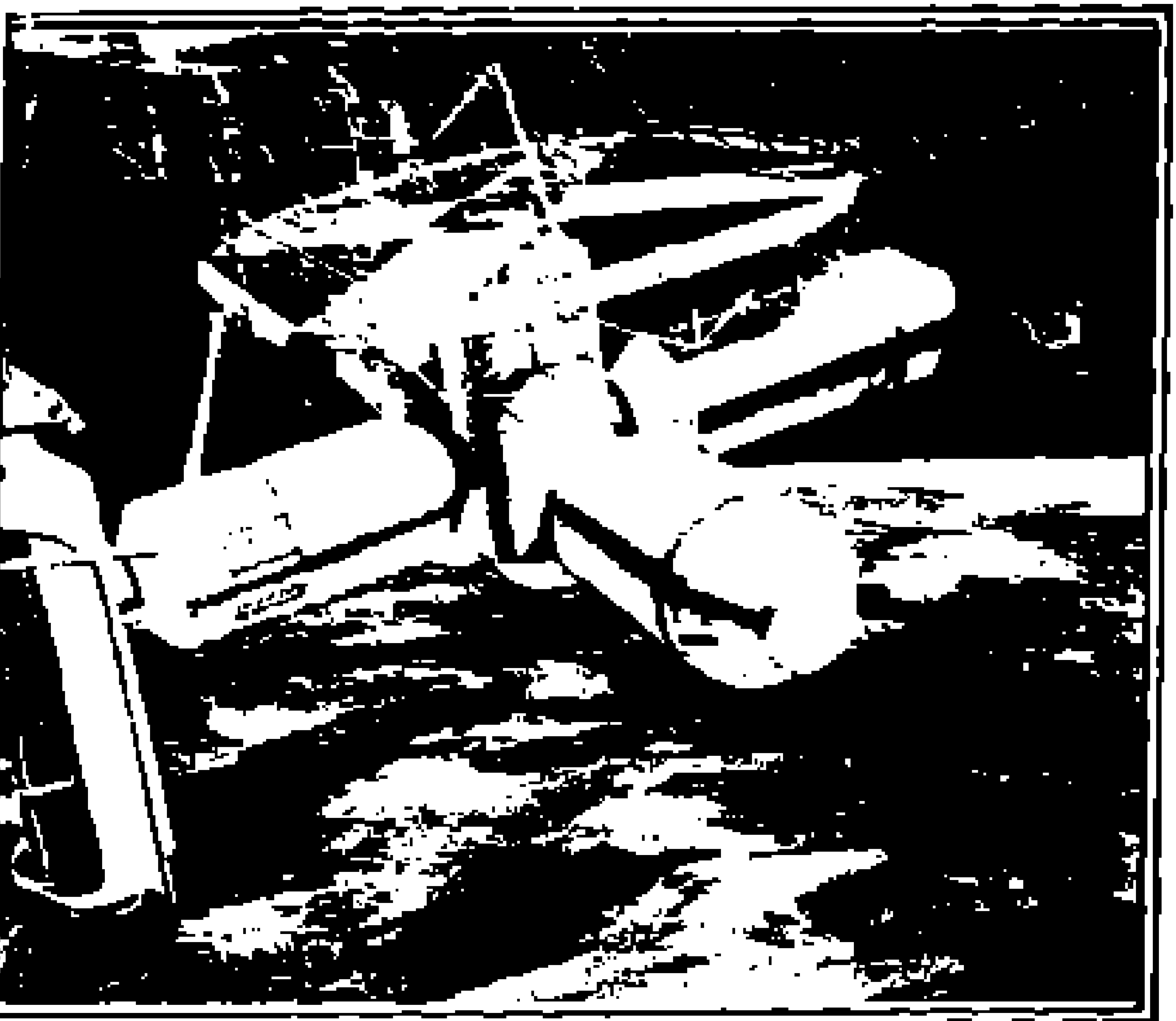

أسلحة الفضاء

رعب القرن الحادي والعشرين

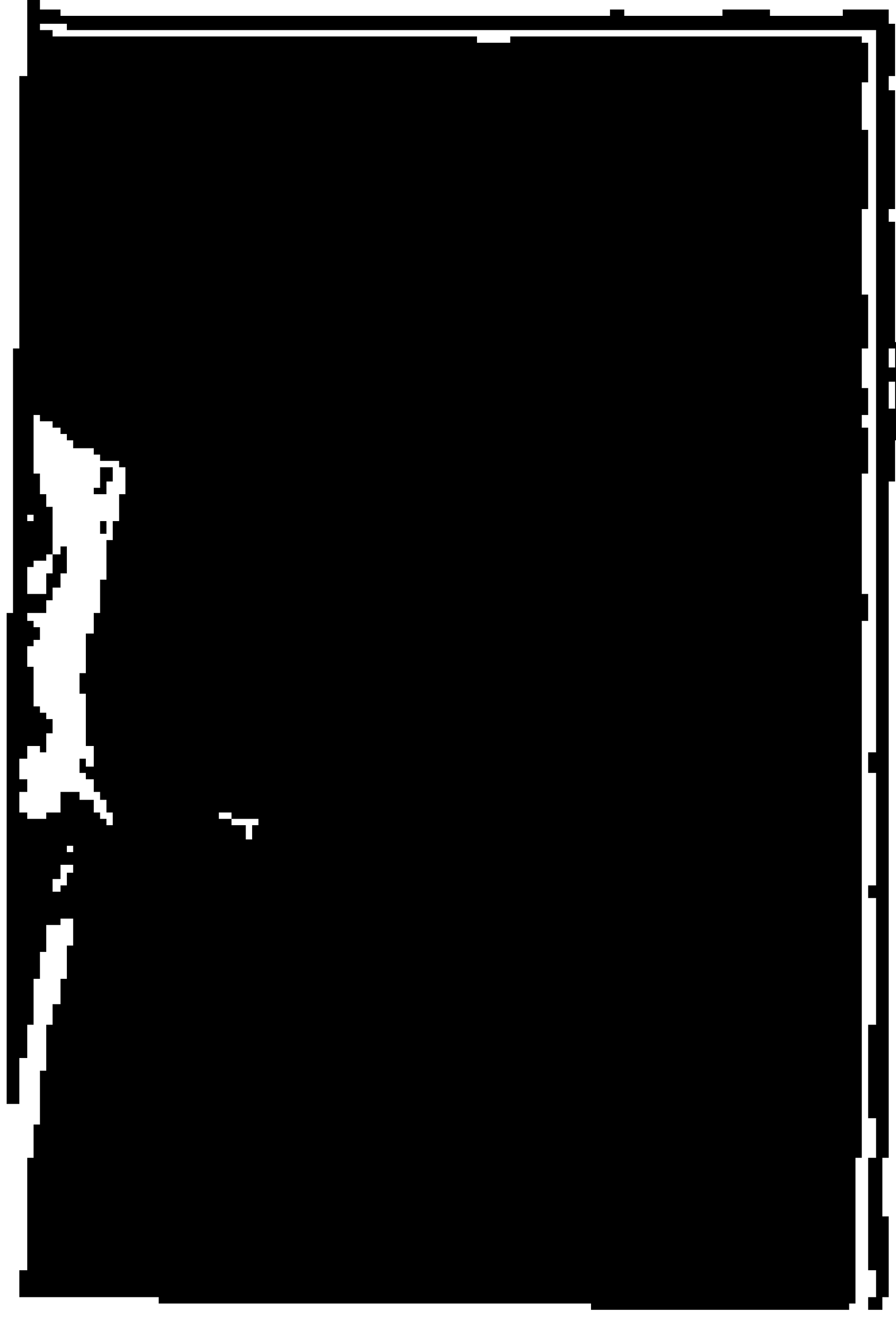

بقلم رؤوف وصفي

أطلق الخبراء العسكريون اصطلاح « حرب النجوم » على مبادرة نظام الدفاع الاستراتيجي الأمريكي التي يهدف إلى استخدام أسلحة الفضاء ، لاعتراض الصواريخ العابرة للقارات ، والأقمار الصناعية المعادية وتدميرها ، قبل أن تصل إلى أهدافها ..

إن ما كان يعتبر خيالاً علمياً منذ سنوات أصبح اليوم حقيقة واقعة ، فقد نجح العلماء في تصميم أسلحة فضاء ذات قوة تدميرية مروعة ..

أسلحة الليزر .. الأقمار الصناعية القاتلة . أسلحة الجسيمات الذرية ..

أسلحة الطاقة الحركية .. محطات الفضاء الحربية ..

هذه بعض أسلحة الفضاء التي يتوقع الخبراء استخدامها في المستقبل القريب . عندما تنتقل العمليات الحربية إلى طبقات الجو العليا .. حيث يتلوث نقاء الفضاء وطهارته ..

ما هي أسلحة الفضاء ؟ وكيف تعمل في معارك الفضاء ؟

القمر الصناعي .. عبارة عن أجهزة متطورة ، تطلق إلى الفضاء بواسطة صواريخ ضخمة ، وما إن يصل إلى الفضاء عند ارتفاع محدد حتى يتخذ له مداراً ، وليس له محرك نفاث يسيره ، بل إنه يصل وفق الجاذبية الأرضية . لقد بدأ عصر الفضاء في عام ١٩٥٧ ، عندما أطلق أول قمر صناعي « سبوتنيك » ، ومنذ هذا التاريخ انطلق إلى الفضاء ما يزيد عن ٢٠٠٠ قمر صناعي حربي ، وهذا يعني أنه بين كل أربعة أقمار صناعية يوجد ثلاثة منها للأغراض العسكرية .

ويطلق كل عام حوالي ١٠٠ قمر صناعي حربي ، منها حوالي ٨٥ قمراً صناعياً سوفيتياً ، وحوالي ١٥ قمراً صناعياً أمريكياً ، والفرق الكبير بين العددين يرجع إلى أن الأقمار الصناعية الأمريكية تبقى في الفضاء مدة أطول من الأقمار الصناعية السوفيتية . فالقمر الصناعي الأمريكي (بيج بيرد) على سبيل المثال - يمكث في الفضاء حوالي ٢٠٠ يوم ، بينما يبقى نظيره السوفيتي (كوزموس) حوالي ٣٠ يوماً فقط .

وتقوم الأقمار الصناعية بالعديد من المهمات الحربية ، منها الاستطلاع والإرصاد الجوي والملاحة والاتصالات .

وتعتبر أقمار الاستطلاع بالتصوير بمثابة « عيون » لأسلحة الفضاء ، بينما تعتبر أقمار الاستطلاع الالكتروني آذان هذه الأسلحة ، حيث انها مزودة بأجهزة الكترونية متطورة لتلتقط كل الشفرات ورسائل العدو ، واتصالاته اللاسلكية ، وحتى اتصالاته الهاتفية ، وتعتبر مهمات أقمار الاستطلاع الالكتروني ، أكثر المهمات سرية في حروب الفضاء .

كما قد تحمل الأقمار الصناعية قنابل تصيب بها الأهداف الاستراتيجية للأعداء ، بحيث تطلق فلا تتمكن أجهزة الدفاع من صدها ، ويطلق على هذه الأقمار رمز Fobs وهذه الحروف اختصار لعبارة (Fractional Orbital Bombardment System) وتعني بالعربية نظام القنابل المدارية .

وتعتمد القوات العظمى على الأقمار الصناعية الحربية في أي حرب فضاء في المستقبل ، ومن ثم تنظر

كل منهما إلى الأقمار الصناعية للطرف الآخر كأهداف حربية ، ومن ثم يعكفون على تصميم الأسلحة الكفيلة بتدميرها في أقصر وقت ممكن . وهذا النوع من الأسلحة يطلق عليه اسم (Anti) وهو اختصار لعبارة (Anti - Satellite) تعني بالعربية الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية .

وتتضمن هذه الأسلحة الأقمار الصناعية القاتلة Hunter Killer التي تطارد وتدمر الأقمار الصناعية المعادية ، وهي في الفضاء ، وأسلحة الليزر ذات الطاقة العالية التي تنطلق من محطات فضاء حربية تدور في الفضاء .

جواسيس في الفضاء

تعتمد الدولتان العظميان على أقمار الاستطلاع بالتصوير للتجسس والتعرف على الأهداف الاستراتيجية ، وتدور هذه الأقمار في مدارات على بعد حوالي ٢٠٠ كيلومتر من سطح الأرض . وحتى وقت قريب كانت تلك الأقمار مصممة بحيث توضع الأفلام بعد تصويرها داخل كبسولات معدنية ، ثم تلقى إلى مناطق محددة فوق المحيط . وما إن تقترب الكبسولة من سطح الماء حتى تفتح مظلة تخفض سرعة الهبوط ، ثم ترسل طائرة حربية خاصة لالتقاط الأفلام قبل أن تهبط في المحيط . وكانت هذه العملية تستغرق وقتا طويلا .

وحدث تطور في أجهزة أقمار الاستطلاع بالتصوير ، بحيث أمكن أن يحمض الفيلم داخل القمر الصناعي ، ثم يتم مسحه الكترونيا ، وترسل المعلومات باشارات لاسلكية إلى محطات المراقبة فوق الأرض ، فتتحول هذه الاشارات إلى صور مرة أخرى . وتتميز هذه العملية بالسرعة الفائقة إلى حد أنه يتم فحص الصور بعد أن تلتقط مباشرة .

وتستخدم هذه الأقمار نوعين من آلات التصوير ، الأول ذات مدى واسع ، وتلتقط صورا لمناطق شاسعة قد تتمركز فيها معدات أو حشود عسكرية . أما أقمار النوع الثاني فتلتقط صورا دقيقة لهدف مثل سلاح عسكري متطور .

وزودت أقمار الاستطلاع بالتصوير من الوجهة التي تقوم بالتجسس ، فهناك التفتيش والبحث عن الأهداف الحربية في المحيطات مثلا ، وهي التي تختص بمراقبة السفن الحربية بالمحيطات . وتستخدم هذه الأقمار الرادار المزود بمفاعل نووي صغير مزود بالطاقة .

التجسس على الأعداء

تعتبر أقمار الاستطلاع الالكتروني من أكثر الأقمار الصناعية تعقيدا . فهي تحوي معدات الكترونية متطورة ، وتقوم بجمع وتسجيل الاشارات اللاسلكية المتعلقة بالقوات المسلحة ، ومن أهمها تلك التي يتم تبادلها بين الوحدات العسكرية . كما تلتقط هذه الأقمار كافة الاشارات الرادارية من محطات الدفاع الجوي ، ومن السفن الحربية ، ومن نظم التحكم في القذائف وتوجيهها ، ومن نظم الانذار المبكر وغيرها .

ويكمن الهدف من إطلاق أقمار الاستطلاع الالكترونية في اكتشاف مصادر هذه الاشارات الالكترونية الصادرة عن القوات العسكرية المعادية ، وتحليل المعلومات التي تحتويها . وتفيد هذه المعلومات في تصميم أسلحة تتغلب على خطوط دفاع العدو .

وتدور أقمار الاستطلاع الالكتروني على بعد حوالي ٥٠٠ كيلومتر ، ومنها أقمار (فيلا Vela) الأمريكية ، التي تقوم بمهمة اكتشاف الانفجارات النووية في الغلاف الجوي للأرض ، وفي مدى عال في أعماق الفضاء .

الأقمار الصناعية .. القاتلة

أطلق الاتحاد السوفيتي إلى الفضاء أقمارا صناعية قاتلة ، وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تقترب من القمر الصناعي المعادي ثم تنفجر بالقرب منه فتدمره . ويقترب القمر الصناعي القاتل من هدفه بعد أن يكمل دورتين حول الأرض ، ويتلقى تعليمات من مركز المراقبة فوق الأرض ، فيقترب من هدفه ثم يستخدم الرادار للاقتراب إلى حد معين ، ثم تتم (قبلة الموت) وينفجر القمران معا . وقد قام

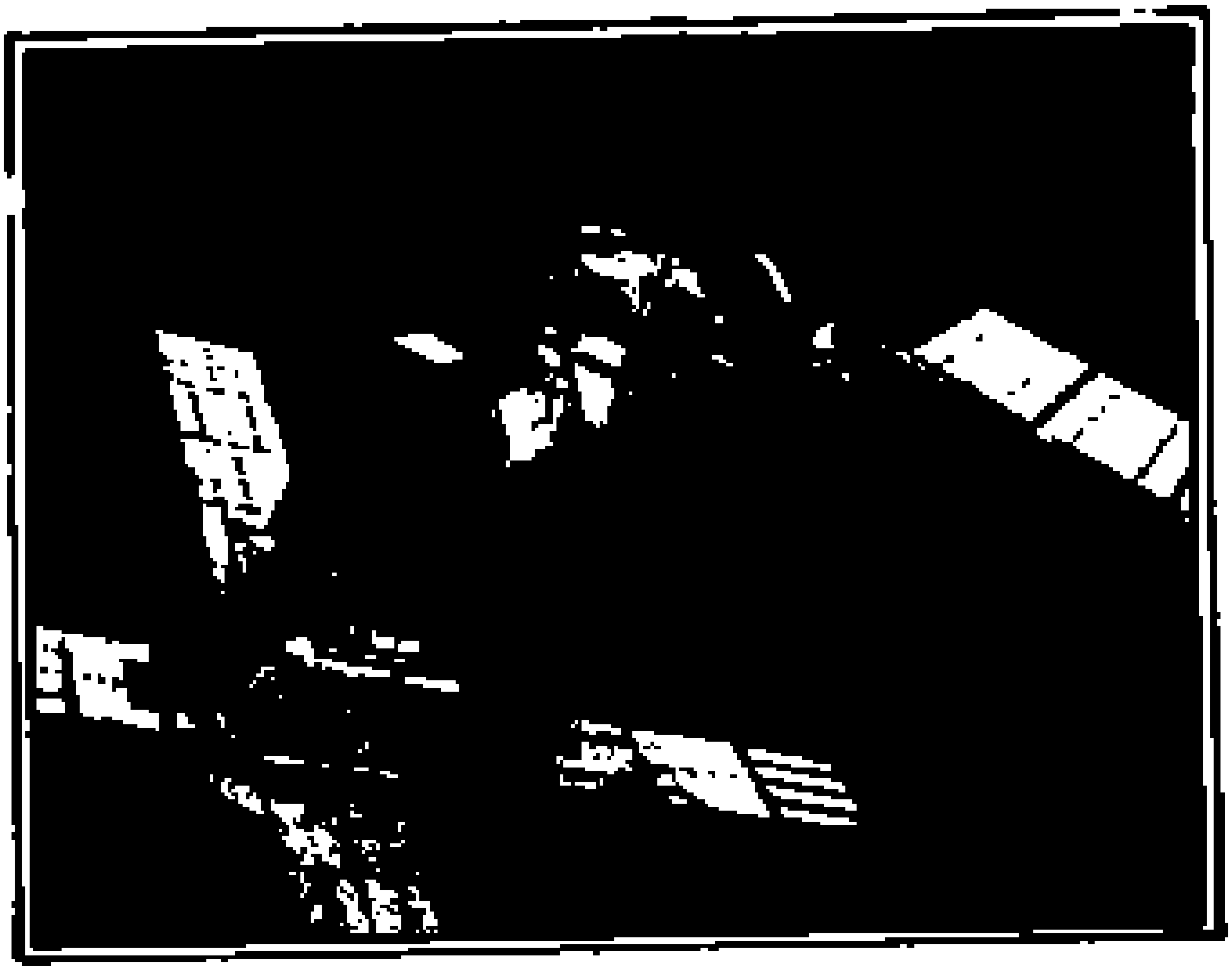

لوقع
ز الفضاء
لسلاح الليزر

سلاح
الجسيمات
الذرية

السوفييت بتجربة ناجحة للأقمار الصناعية القاتلة في يونيو ١٩٨٢ بالقمر الصناعي (كوزموس ١٣٧٩) .

أما الخبراء العسكريون في الولايات المتحدة فقد صمموا أسلحة مضادة للأقمار الصناعية تختلف عن الأسلحة السوفيتية . ويتمثل السلاح الأمريكي في قذيفة صغيرة . تحملها طائرة مقاتلة نفاثة متطورة (ف - ١٥ ايجل) وتطير على ارتفاع ٢٦ كيلو مترا . ثم تطلق القذيفة التي تحمل رأسا نوويا نحو القمر الصناعي المعادي . وبعد فترة ينفصل الرأس النووي ، ويتجه نحو الهدف ، حيث يستخدم جهاز استشعار في مقدمته ، ويكون قادرا على اقتفاء أثر الأشعة تحت الحمراء ، التي تصدر من القمر الصناعي المعادي . وهو إما يفجر قنبلته ، أو يصيبه بشكل مباشر . وفي هذه الحالة الأخيرة فإنه لا يحتاج لمواد متفجرة ليحقق هدفه ذلك . لأن الأقمار الصناعية يمكن أن تتلف ما عليها إذا اصطدم بها أي جسم متحرك بسرعة كبيرة . وقد طور الأمريكيون سلاحا جديد المواصفات ، أطلقوا عليه « الأسلحة الدقيقة القاتلة للأقمار الصناعية » .

عصر الصواريخ العابرة للقارات

بدأ عصر الصواريخ قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما اخترع الألمان سلاحا سريعا هو الصاروخ ف - ٢ ، الذي كان يلقي على أعدائه داخل انجلترا وفرنسا . وكان هذا الصاروخ يرتفع الى حوالي ١٠٠ كيلومتر في الفضاء .

وكان نجاح الصاروخ ف - ٢ حافزا للفنيين المختصين في تطوير صواريخ عابرة للقارات تحمل رؤوسا نووية ، وهي قذائف ذاتية الدفع . ويطلق عليها IBM وهذه الحروف اختصار لعبارة تعني بالعربية الصواريخ العابرة للقارات . وبينما كان مدى الصاروخ ف - ٢ حوالي ٣٠٠ كيلومتر . فإن مدى الصواريخ العابرة للقارات حوالي ١٣٠٠٠ كيلومتر . وهي ترتفع في الفضاء الى مدى يبلغ ١٦٠٠ كيلو مترا .

وتعد الصواريخ منتشرة في قواعد بالمعسكرين الشرقي والغربي . ويقدر الخبراء العسكريون عددها في العالم اليوم بأكثر من ٢٠٠٠ صاروخ .

الليزر أشعة الموت

الليزر مجرد شعاع من الضوء . إن المصباح الكهربي مثلا يضيء بتوزيع أشعته في كل الاتجاهات ، وينير الحجرة كلها ، أما الضوء الذي ينتج عن جهاز الليزر ، فهو ينطلق في اتجاه واحد فقط . ومن ثم توجد طاقة هائلة في شعاع الليزر حتى أنه يكفي لثقب لوح من الصلب سمكه عدة سنتيمترات .

ولذا لو أمكن لشعاع الليزر أن يصطدم بقذيفة عابرة للقارات أو برأسها النووي ، فإنه يتمكن من أن يفجرها أو يجعلها غير ذات فاعلية . كما يمكن لشعاع الليزر أن يصيب أهدافا للخصم وهو يطير في الفضاء . كما تزود محطات الفضاء الحربية بأشعة الليزر ليكون سلاحا فعالا ضد أي هجوم بالصواريخ أو بالأقمار الصناعية .

وقد اقترح بعض العلماء الأمريكيين خطة للدفاع ضد الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات باستخدام أشعة الليزر .

ويتلخص هذا النظام في إقامة سلاح ليزر على قمة جبل ، يرتفع عن سطح الأرض بحوالي خمسة كيلومترات أو أكثر . وتطلق إلى الفضاء ، على قمر صناعي ، مرآة هائلة تنعكس أشعة الليزر الصادرة من قمة الجبل ، لتوجه إلى الصواريخ السوفيتية العابرة للقارات لتدمرها ، وذلك عند حدوث أي معركة نووية .

ولكي يمكن لأشعة الليزر أن تؤثر في الهدف المعادي ، يجب أن تكون شديدة التركيز ، حتى تصبح طاقتها عالية ومدمرة ، ومن ثم يحتاج الأمر إلى معدات ثقيلة لتوليد مثل هذه الأشعة المركزة . ولن يكون إطلاق هذه المعدات الى الفضاء أمرا سهلا وستكون التكاليف باهظة .

ووضع سلاح الليزر على قمة جبل فوق الأرض سيكون أكثر سهولة وأقل تكلفة ، كما أنه بالطبع يمكن صيانة وإصلاح الأجهزة بشكل أفضل . ومن المشكلات التي تصاحب استخدام أشعة الليزر كسلاح في المعارك الحربية هو أن هذه الأشعة عندما تخترق طبقات الهواء الجوي تتشتت ، ومن ثم تصبح أقل فاعلية في تدمير أهدافها ، ولهذا يفضل العلماء

وضع أسلحة الليزر في محطات فضاء حربية ، وذلك لأنه لا يوجد هواء في الفضاء ، فتبقى الأشعة الليزرية مركزها وطاقتها الكبيرة .

وربما أمكن وضع هذه الأسلحة فوق قمة جبل مرتفع يخفف من شدتها بسبب تأثرها بالهواء الجوي .

أسلحة الجسيمات الذرية

تعتمد هذه الأسلحة على تدفق تيار من الجسيمات الذرية المشحونة كهربيا[1] بسرعة هائلة من مدفع خاص ، فتحرق أهداف العدو وتدمرها ، ويطلق على هذا المدفع (المسرِّع) (Accelerator) وفي المختبرات أمكن زيادة سرعة هذه الجسيمات الذرية إلى أكثر من ٩٩٪ من سرعة الضوء ،[2] بواسطة أجهزة ضخمة قد يبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلو مترات ، ومحيطها حوالي ستة كيلومترات .

لكن الأجهزة التي يمكن أن تسارع بالجسيمات الذرية إلى نصف سرعة الضوء قد يبلغ وزنها حوالي خمسمائة طن ، ومن ثم يكون من الصعب وضع مثل هذه الأسلحة في الفضاء .

كما أن الجسيمات الذرية تتأثر بالمجالات المغناطيسية والكهربية ، ومن ثم تنحرف عن أهدافها ، وحيث إنه تحيط بالكرة الأرضية مجالات مغناطيسية هائلة ، فقد وجد العلماء أنه من غير العملي وضع مثل هذه الأسلحة في مدارات حول الأرض ، ولكنهم ما يزالون يجرون التجارب للتغلب على هذه الصعوبات ، ومن أهم أسلحة الجسيمات الذرية المشحونة شعاع الالكترونات ، حيث يمكن أن يعمل في طبقات الجو العليا ، والذي تطلق عليه اسم المدمر ، ويقوم فكرة العلماء حاليا على وضع مدفع هائل فوق سطح الأرض بالقرب من الأهداف الاستراتيجية المطلوب حمايتها ، وعند اقتراب الصواريخ النووية المعادية تطلق الأشعة الالكترونية فتدمرها ، قبل أن تصل إلى أهدافها .

ويخطط الخبراء العسكريون لاستخدام مدافع تطلق أشعة كهرومغناطيسية على الأهداف المعادية فتدمرها ، خصوصا تلك المدافع التي تستخدم الموجات الدقيقة المعروفة بالمايكروويف .

أسلحة الطاقة الحركية[3]

تتكون تلك الأسلحة من قذائف سريعة جدا ، تطلق على الصواريخ النووية المعادية فتدمرها بمجرد الاصطدام بها ، وهي تعمل بفاعلية سواء عند اطلاق هذه الصواريخ من أراضي العدو أو عند عودتها ، أي العودة إلى جو الأرض بعد رحلة في الفضاء الخارجي ، ويتوقع الخبراء العسكريون أن يتم استخدام هذا النوع من الأسلحة في التسعينات من هذا القرن .

ولكن يعاب على هذه الأسلحة بأن مداها لا يتعدى الكيلومترات ، كما أن سرعتها لا تتجاوز أربعين كيلومترا في الثانية ، وبمقارنة سرعة أشعة الليزر أو أسلحة الجسيمات الذرية ، فإن أسلحة الطاقة الحركية بطيئة جدا .

ويمكن استخدام هذه الأسلحة بواسطة أقمار صناعية ذات مدارات منخفضة ، حيث تطلق صواريخها على القذائف النووية المعادية ، وتسارع تلك الصواريخ لتصل إلى قرب الأهداف المعادية ، حيث تطلق قذائف يتم توجيهها بواسطة أجهزة استشعار (Sensors) لتصطدم بالقذائف النووية وتدمرها .

كما يمكن اطلاق صواريخ من قواعد فوق الأرض إلى طبقات الجو العليا ، ويمكن لكل صاروخ اطلاق سيل من القذائف يطلق عليها اسم « الصخور الذكية

---

(١) الذرة أصغر جزء من المادة وهي تتكون أساسا من نواة مركزية تتضمن بروتونات (ذات شحنة كهربية موجبة) ونيوترونات (متعادلة الشحنة) وحول النواة تدور الالكترونات (ذات شحنات كهربية سالبة) أما الجسيمات الذرية فيقصد بها مكونات الذرة ، أي الالكترونات والبروتونات والنيوترونات .

(٢) سرعة الضوء حوالي ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية ، وبالتحديد (٢٩٩٧٩٢ كيلومترا) .

(٣) الطاقة الحركية هي الطاقة التي يكتسبها الجسم بسبب سرعته .

Smartrocks ذلك أنها عبارة عن قذائف صغيرة مزودة بأجهزة دفع ذاتية ، وتوجيهها أجهزة استشعار دقيقة جدا لتدمير الصواريخ عابرة القارات المعادية ، كما يمكن اطلاق الصخور الذكية من مدافع ضخمة مثبتة فوق محطات الفضاء الحربية .

محطات الفضاء الحربية

يقوم السوفيت منذ مدة معينة بإنشاء عدة محطات فضائية ، مستخدمين الأقمار الصناعية في نقل رواد الفضاء والمعدات بين الأرض والفضاء ، وهذه المحطات الفضائية .. تطلق عليها اسم سويوز .

وتفكر الولايات المتحدة في بناء محطة فضاء ضخمة بواسطة معدات يتم نقلها في رحلات للمكوك الفضائي .

ويمكن أن تستخدم محطات الفضاء للأغراض الحربية ، حيث يتم فيها تطوير أسلحة الفضاء وتخزينها ، بالإضافة الى اقامة أفراد القوات المسلحة . ويتوقع الخبراء العسكريون أن تصبح محطات الفضاء الحربية منتشرة في طبقات الجو العليا .. في القرن الحادي والعشرين .

مكوك الفضاء .. العسكري

يتوقع الخبراء أن تستخدم رحلات مكوك الفضاء في أغراض عسكرية . حيث يمكن أن ينقل مكوك الفضاء أفراد القوات المسلحة الى الفضاء لأداء مهمات حربية معينة في طبقات الجو العليا . كما قد يستخدم في نقل المعدات الى مدارات معينة لبناء محطات الفضاء الحربية ، ثم توصيل الأسلحة المتطورة اليها فيما بعد .

ويطير مكوك الفضاء الأمريكي في مدار مرتفع حوالي ٢٥٠ كيلو مترا في الفضاء ، وهو مجهز بحيث يمكنه أن ينتزع الأقمار الصناعية المعادية من مداراتها ، كما يتمكن من اصلاح وصيانة الأقمار الصناعية الأمريكية وهي في مداراتها .

وحيث ان مكوك الفضاء الأمريكي يمكنه أن يلتقط قمرا صناعيا سوفيتيا ، فانه يمكن اعتباره أفضل سلاح ضد الأقمار الصناعية ، الا اذا تفطن السوفيت الى هذا الأمر فوضعوا قمرا صناعيا ملغما أو كما يطلق عليه « لغم فضائي » فبمجرد أن تمتد الذراع الآلية لمكوك الفضاء نحو القمر الصناعي لالتقاطه ، سينفجر فيتمزقان معا وتتناثر اشلاؤهما في الفضاء .

حرب الفضاء

تقوم حرب الفضاء على استخدام الأسلحة المختلفة في ثلاثة خطوط للدفاع ، تمتد من سطح الكرة الأرضية حتى أعماق الفضاء .

وتبدأ المعركة على سبيل المثال برصد صاروخ سوفيتي عابر للقارات ، يحمل رأسا نوويا ، ويتجه الى هدف في الفضاء ، بعدها تأمره اول خطوط الدفاع العليا في أعماق الفضاء (خط الدفاع الأول) بمهاجمة هذا الصاروخ بمجرد اطلاقه من القاعدة السوفيتية ، أي وهو مازال في الغلاف الجوي ، قبل أن يصل الى الفضاء الخارجي ، واذا استطاع هذا الصاروخ النجاة من أسلحة خط الدفاع الأول ، فان أسلحة خط الدفاع الثاني تهاجمه ، وان لم تتمكن من تدميره ، فان خط الدفاع الثالث ، المتمركز على الأرض ، يهاجمه ويدمره عندما يهبط الصاروخ من الفضاء الخارجي الى الغلاف الجوي ، محاولا الوصول الى أهدافه .

وتتكون الأسلحة في خطي الدفاع الأول والثاني من محطات فضاء حربية تحمل أسلحة الليزر ، أما خط الدفاع الثالث فيتكون من أسلحة متطورة مضادة للصواريخ عابرة القارات ، ويجب أن تكون الأسلحة ذات سرعة فائقة حتى تتمكن من تدمير الصواريخ المهاجمة ، قبل أن تصل الى أهدافها في الولايات المتحدة .

وخلال هذه المعركة الفضائية ، يتم رصد كل تحركات الصاروخ السوفيتي بواسطة أجهزة رادار متطورة تعمل بالكمبيوتر ، كما أنها ستقوم بتوجيه اطلاق الأسلحة بدقة بالغة .

هذه ملامح بعض أسلحة ومعارك الفضاء ... فلنأمل الا تحدث وقائعها .. وأن يسود السلام فوق الأرض .. وفي الفضاء ... □

طقوس بيع وزير سابق

بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل

كانت الأندلس إبان الحكم العربي - على أيامها - مسرحاً لشتى الحاكمين والطامعين في ملكهم ، ومن هؤلاء المنافسين من كان على قدر كبير من الدهاء والحيلة في مصانعة الملوك ، والتسلل إلى تحقيق مآربه ، وفي هذه السبيل قد تتعثر خطواته ، ويستجلبه حظه من يد طغاة التصق بها ، وتصرف في أمورها .

وبأسلوب شيق نتبين ذلك في هذا الموضوع .

لم تكن هناك ريح تهب في الأندلس إلا وتحمل خبر بيع ابن عمار .. عبر السهول المنبسطة كالحلم ، والحصون التي ضاعت بلا ثمن ، والممالك التي تفتحت ثم هوت كالشهب المحترقة ، والحقول التي اختفى عطرها تحت زهور النرجس ، والجبال الصامتة تحت رذاذ المطر . كانت الريح تحمل الخبر .. لمن ظل يرغب في شرائك يا ابن عمار .. ومن ظل يملك ثمنك ؟

مشتر حقيقي .. ولكن ..!

وصل الخبر إلى ذي النون حاكم طليطلة وهو في مجلس حكمه .. حدق في الرسول مندهشا وهو يستمع إلى كلماته :

ابن عمار وقع أسيرا في يد أصحاب حصن شقورة وسوف يبيعونه لمن يدفع الثمن . تألق نور الفرح على الفور .. ما دام أسيرا فهو لا يساوي خردلة .. ثم

صمت قليلاً قبل أن يتساءل ..

- كم يطلبون ؟ ..

قال الرسول :

- سوف يطلبون مزادا في الحصن .. ومن يدفع أكثر فهو له .. فضحك ثم فكر في سخرية ..

- مزاد .. يا لها من نهاية لا تليق إلا بابن عمار ..

أما المعتمد بن عباد فقد كان نائما . وكان اليهودي الذي حمل إليه الخبر مفوضا بالدخول إليه في أي وقت مادام يحمل خبرا عن ابن عمار ، وكان المعتمد أسير كابوسه الليلي .. وعندما استيقظ ورأى اليهودي على رأس فراشه حسب أنه امتداد لهذا الكابوس . صرخ فيه :

- أنت تلاحقني ..

قال اليهودي بهدوء

- أحمل خبرا عن ابن عمار ..

وقبل أن يفيق ابن عباد كان اليهودي يواصل كلماته .. فاستمع ابن عباد وظل ينظر إلى وجه اليهودي وهو يتحدث بنوع غريب من التشفي .

- حاول أن يخدع أصحاب « شقورة » كما خدع أصحاب حصن « سرقسطة » ولكنهم أوقعوه في الفخ . فاقت حيلتهم حيله ..

وغمغم ابن عباد بغضب وهو يطرق في أسى :

- هناك أقذر من هو أذكى من ابن عمار !

رفع عينيه وقال لليهودي ..

- كنت أنت أيضا الذي أحضرت القصيدة التي يهجوني فيها ابن عمار ويهتك عرض زوجتي .. أليس كذلك ، لماذا كنت تكرهه إلى هذا الحد .. ؟

انحنى اليهودي ..

- إنني أكره كل أعدائك يا مولاي

قال ابن عباد كمن يحدث نفسه ..

- كلا .. أنت حقا تكرهه .. أما أنا .. فقد أحببته ذات يوم .. أحببته كثيرا ، قال اليهودي .. هل تشتريه ؟ ..

قال المعتمد : لنشتر الحصن كله إذا لزم الأمر ..

ووصل الخبر متأخرا إلى قرية « شلب » .. ولم يخطر ببال أحد أن في تلك القرية النائية قرب الأطلسي من يهتم بمصير الوزير ابن عمار .. ولكن المرأة العجوز التي تسكن بيتا صغيرا في أسفل التل لم تنم ليلة واحدة ، كانت جالسة أمام ثوب له .. وعندما سمعت الخبر انحدرت من عينيها دمعة وهي تغمغم :

كنت أعرف ..

ذهبت إلى السوق .. حملت كل الثياب التي قضت السنين في حياكتها . وآخر ما بقي من حليها ، وسيف الأب الذي رحل وسرج حصانه . وصحبتها عقدا وشالا مزركشا . وأحذية ومرآة وأقلاما مطعمة ومصابيح مرصعة ومباخر وسجادة للصلاة .. وأخيرا المنزل .. وظلت جالسة ثلاثة أيام متواصلة حتى باعت كل هذه الأشياء ، ولم يبق إلا ثوب واحد كانت واثقة من أنه سيرتديه ، وسافرت إلى حصن « شقورة » .

الجموع لا تشتري شيئا ..

بدأ المزاد ذات صباح بارد . وكان الحصن رابضا فوق تل صخري لا تؤدي إليه إلا طريق وعرة يصعد فيها المسافر وحيدا . أما بوابة الحصن الرئيسية فلا يدخلها أحد إلا مصعدا بالحبال ..

وقد تقرر عند المزاد استقبال الضيوف ، فلم يكن أهل الحصن يرحبون بأي غريب مهما كانت صفته . وكان الحضور كثيرين .. ثلاثة ملوك من ملوك الطوائف ، ومبعوث من ملك الفرنج . وسمسار متجول ، ويهودي صامت . وحارس سجن يحدق في سجانه ، وقائد عسكري مرتزق ، وثلاثة من البربر ، ونخاس واحد ، وبعض التجار الذين يرغبون استبدال بضاعتهم في مقابل أي سلعة ، وامرأة عجوز حضرت متأخرة قبل بداية المزاد بقليل . وظلوا جميعا واقفين في الجو البارد والريح تهب بعنف خلف الحصن الجهم بصوت أشبه بالنحيب .

في البداية هبط أصحاب الحصن في قفص خشبي . ثم اجتازوا الممر واحدا تلو الآخر .. ثم هبطوا إلى المجتمعين . كانوا ثلاثة أخوة من بني سهيل ، متشابهين تماما . رحبوا أولا بالحاكم ثم بالتحية ولم يعيروا التفاتا للبقية بعد ذلك . ثم أشاروا للحراس أن يهبطوا « بالبضاعة » .

ونزل ابن عمار من أعلى الحصن وهو مربوط من قدميه ، ورأسه إلى أسفل ، وشهقت المرأة شهقة عالية .. وصاحت « ولدي .. يا كبدي » .. ولم يلتفت إليها أحد . كانوا مشغولين به وهو يهبط مثل

مثل طويل نحيف .. وسمعوا بوضوح صوت ارتطام رأسه بالمرمر الصخري ، ثم تلقفه الحراس وانكبوا فوقه وقادوه الى اسفل .

رغم الدم الذي كان يغطي وجهه كان عمر ابن عمار دون شك ، مزيلا الشعث فلتحية كن الرائحة . حين تركه الحراس لم يستطع الوقوف وحده فانهار على الأرض وانكشفت ساقه فبدت فيها آثار القيد واضحة ، وتقدم واحد من اخوة بني سهيل وهو يقول :

ـ ها هو ابن عمار عظم الجسم وقد ارقصه الله بين ايدينا .

وكانت المرأة العجوز هي اول من اتجه للمزاد .. فقد اسرعت وارتمت تحت اقدام ابن سهيل وهي تهتف :

ـ دعه لي يامولاي .. اليك كل ما تطلب .. مائتا درهم هي كل ما املك .. سوف تنطلق معي الى « حلب » ولن يسمع احد منكم عنه بعد الآن ..

وفتح ابن عمار عينيه بصعوبة . وصوت المرأة يرن في اذنيه .. يالله .. مازالت على قيد الحياة .. حاول ان ينهض .. ان يتحرك ، ولكنه كان متعبا مقهورا . وسمع ابن سهيل وهو يضحك ، ثم بقية الضحكات وهي تتصاعد .. قال ابن سهيل :

ـ لقد افتتحت هذه المرأة المزاد دون ان تدري .. ما تم بدأنا .. مائتا درهم .. وتقدم المأمون حاكم طليطلة فقال :

ـ عشرة امثالها .. بل .. مائة ضعف .

وقبل ان يفكر احد فيما يزايد به على هذا المبلغ ، تقدم حاكم سرقسطة وقال في صوت صارخ متوتر ..

ـ الف ضعف ..

وتلألأت عيناه بعيني ابن عمار في نظرة خاطفة ، وانتفض صاحب سرقسطة كأن ابن عمار يحاصره من جديد تماما كالمرة الاولى عندما جاء بجيوش ابن عباد وفرض عليه حصارا قاسيا حتى ارغمه على ان يشرب بوله ، من يومها والرغبة الشامتة لا تفارق نفسه ..

وتقدم الحاكم الثالث وضاعف الثمن ، ووجد النخاس ان الصفقة سوف تكون ناجحة فتدخل في المزاد .. وظل يتصاعد والمرأة العجوز حائرة ، كانت قد قالت منذ اللحظة الأولى آخر رقم لديها ، كذلك تدخل الطبيب وبدا عليه التوتر الشديد ، وشارك قائد الافرنج بحظ وبدا كأنه يريده بلا ثمن .

وصرخ للمرة الأولى انه قد خدع الملك ذات مرة حين اعطاه الجزية ذهبا مزيفا . وقال شيخ الفارس المتوتر .. انه يحمل وصية رجل يحتضر تمنيه الأخيرة ان يقتل ابن عمار بيديه قبل ان يموت ، وعاد اليهودي يزيد المبلغ ، وانسحب النخاس بعد ان اخذ مقابلا مناسبا ، وكشف البربر لأول مرة اللثام عن وجوههم واخبروا يطالبون بثأر المرابطين ، وتدخل واحد من اخوة بني سهيل فجأة في المزاد واعلن انهم احق بقتله لانهم آخر من عانوا من مؤامراته .. واحضر اليهودي صفا من البغال محملة بصناديق الدراهم الفضية ، وانتهز القائد المرتزق فرصة التفرغ وتسلل الى داخل الحصن .. كذلك انتهزت المرأة العجوز الفرصة ولمست جبهة ولدها وحاولت ان تعطيه بعضا من الماء ، ولكن حارسه دفعها في خشونة . وثار ملوك الطوائف الثلاثة وقالوا انهم سيعلنون الحرب على بني سهيل .. وصرخ فيهم اليهودي .. :

من منكم احق بقتله من ابن عباد ..

فسكتوا جميعا . ورفع ابن عمار رأسه ببطء . وتقدم اليهودي وفك الصناديق في حركة سريعة فسقطت على الارض وتناثرت الدراهم وصاح بصوت عال :

ـ هذا هو الثمن .. اكبر من قيمة حصن « شقورة » بكل ما فيه ..

زمن البراءة والخوف ..

كان ابن عباد واقفا بحيث يرى بوابات قرطبة .. وحين جاءوا به لمست المعتمد الرعشة ذراعه وتلفت في رفق ..

ـ انت ترتعد يا مولاي ..

هتف في ضيق ..

ـ لم اكن اتوقع ان أراه هكذا أبدا ..

كان ابن عمار مربوطا من قدميه ومن يديه .. ومعلقا مثل صيد ثمين ، وقرطبة كلها خرجت الى الشوارع .. نفس الشوارع التي شهدت مجد انتصاراته ، شهدت كل الذين تسابقوا للسير في ركبه او لمس ذيل ثوبه او القاء التحية بين يديه ، كانوا يصيحون في همهمات خافتة ويقذفونه بالحصى والطين والقاذورات .. لا ورود .. : عندما تحل اللعنة علينا فلا ورود ..

كم لطمة لطمها على وجهه .. كم بصقة .. كانوا أكثر غضبا من ابن عباد نفسه كأنه خانهم هم .. وهجاهم هم، المدينة كلها في سعار غريب، ثلاث سنوات مرت منذ أن جلدها هكذا .. منذ أن باتت له أسوارها وترحي عليه باسم سيده ابن عباد حاكما لقرطبة وإشبيلية وما يتلي من المدن المفتحة .. وسمعته الرميكية وهو يطوف من بين أسنانه:

— لماذا خنتني يابن عمار؟ لماذا خلعت طاعتي؟..

حين افترقا للمرة الأخيرة .. كان ابن عمار على رأس جيش ضخم .. أضخم جيش جهزه ابن عباد طوال غزواته .. كان في طريقه لفتح مرسية، وحين رفعا وجهيهما لوجه رأى في عينيه نظرة غريبة ووجد نفسه يقول له:

— إن الجيش كبير يابن عمار .. أكبر من مرسية وحصونها .. وإني لمتخوف. وقال ابن عمار وهو يبتسم في صرامة:

— أنت لست خائفا .. أنت متحسر ..

كان يجب أن يعرف أنهما وصلا معا إلى نهاية الطريق، كان يجب أن يعرف أنه حين خلع طاعته بعد فتح مرسية، كان هذا أمرا طبيعيا. لقد تباعدت الطرق كثيرا يابن عمار ..

أمير أفاق .. وأفاق يطمح للإمارة .. وكانت نوازع الأسبان غريبا، والأندلس ثروة .. ومغامرة .. كل مدينة مملكة .. وكل وال ملك .. وكل من على أرضها محارب، ولا غالب إلا الله. وعندما توجه ابن عباد وهو مازال وليا للعهد ليفتح قرية، شلب، كان قدره أن يقابل ابن عمار ويرتبط مصيرهما معا .. تركا الجيش وضربا في الأرض معا .. وصلا الطريق حتى أوشكا على الموت جوعا، وعبرا النهر تخطى عليهما الحرس وتظاهرا أنهما شاعران صعلوكان، لهما جارية واحدة .. وناما على فراش واحد في حانة متربة .. وتبادلا طريقتيهما على جواد أعرج، وتقاسما جوعا مزمنا وألما لصيلة واحدة، وحين وصلا إلى أسوار إشبيلية كانا قد أصبحا شيئا واحدا، وصرخ له أبوه:

— أنت ولي عهدي وسوف ترث عرشي فابتعد عن هذا الأفاق ....

فلم يقدر، وظلا ليلة كاملة في المدينة يكتشفان سواقي الأيام المقبلة، وفي الصباح أصدر عباد أمرا بنفي ابن عمار من المدينة حتى لا يفسد ابنه

وكانت أيام المنفى طويلة على الاثنين معا. وزحف ابن عباد في العرش حتى أوشك أن يرثه لولا أن الموت عاجل الأب العجوز، وعاد ابن عمار إلى إشبيلية وزيرا. ونامت إشبيلية وهي تتحدث عن عشق ابن زيدون لولادة، واستيقظت وهي تتحدث عن حب ابن عمار. وغمزت تنجم وتكلمت النجم واحتضن ابن عباد وسادة من حرير وقال له:

— لم يجمعني على نفس الوسادة ليكون رأسك لصيق رأسي ..

كانت الوحدة صافية .. وخزامن مليئة بالراحة، ولكن لمن لك الطرف، بل لم ابن عباد وتم يستطع ابن عمار النوم .. صاح في ملتف مجهول:

— لا تغتر أيها المسكين .. سيقتلك ولو بعد حين ..

يا لها من نبوءة مريرة أيها المغامر الأندلسي، وحاول ابن عمار أن يطرده ولكن بلا جدوى، مات النوم على الوسادة الحريرية، وتحرر ابن عمار

الحرب .. لو انه نجح لتغير كل شيء، ولما اصبحت الشهادة بعد الوزارة، أهوى من ملابسه والتف في حصير الفقير، وعزم التسلل من بوابات القصر .. ولكن ابن عباد استيقظ ولم يجد وزيره فنادى الحرس وانتشروا في القصر يبحثون عنه .. وامسك ابن عباد شمعة وقادته الصدفة أو الغريزة الى الحجرة التي كان يختبئ فيها ابن عمار ملفوفا بالحصير .. ووقف يتلفت حتى سمع تنفس ابن عمار اللاهث وقال :

- اني أعرف انك مختبئ في هذا المكان .. تنفسك اللاهث دلني الى هنا .. ولم يجد ابن عمار بدا من الخروج عليها وقال دون مواربة :

- حلمت انك سوف تقتلني بيديك ..

نظر ابن عباد الى صديقه والى ارتجافه فقال وهو يضحك ..

- يا ابن عمار .. هذه اضغاث احلام .. (ثم حدق فيه قليلا وقال في جدية)

- كيف اقتلك .. لو رأيت احدا يقتل نفسه ؟

وها هي النفس قد انقسمت على نفسها يا ابن عمار .. فمن الذي غدر؟ أي سر في هذا القصر المسكون بالغرائب .. وأي شيء يخفي لمعاناتك الغريبة ... ؟

دخل الوزير ابن زيدون وقال :

- جئنا بالطبيب يا مولاي .. هل تريد ان تراه

قال ابن عباد دون ان يلتفت اليه حتى لا يلمح اختلاجات وجهه :

- ليس الآن .. اخطره على حقيقة المسألة الى الشهادة .. صورة أخرى من دورات الملاعب . عندما دخل نفس الغابة ليتسلم الوزارة، فرش الطريق من بواباتها حتى القصر بالورود والرياحين، وخرجت اجمل الفتيات يلوحن له .. وقالت له اعتماد الرميكية ضاحكة :

مرحبا أيها الوزير .. ظل زوجي يحدثني عنك حتى ظننت اني تزوجتكما معا .. فانتظريني الآن يا اشبيلية . انظري لعالمي وعملي المتكبر .. فمتى تنتهي دورة الملاعب ؟

من الذي يقتل .. ؟

كان السجن مظلما - مثل كل السجون - ولكن كل واحد منهما كان يرى الآخر بوضوح . لم يكن معهما احد .. وعندما نظر ابن عباد في عينيه .. أدرك انه طوال هذه الأيام الماضية لم يكن يزيد في عذاباته بقدر ما كان يخشى لقاءه، لقد انتظر ان يهبط اليه في هذا المكان، في هذه الساعة من الليل، بعد ليال طويلة من الأرق .. حتى ان الرميكية قالت له :

- اقتله ونم ..

ولكنه لم يقتله ولم ينم، كثيرا اراد ان يسأله في السجن، في اشد حالات الاهانة، اخيرا صرخ في وجهه يتساءل الذي آلمه طويلا :

- لماذا خنتني .. لماذا تمردت علي .. لقد اعطيتك كل شيء ... ؟

وبقي ابن عمار يحاول ان يكسب وقته بعضا من الاعتدال وان يتخلص من كثيفه لمعاناته الايام الماضية، أدرك ان ابن عباد لن يقتله .. الليلة على الاقل .. قال :

- لأنك اعطيتني الكثير .. المملكة التي تحكمها .. والمرأة التي تحبها .

أهوى ابن عباد على رأسه بالعصا التي يتوكأ عليها فشج رأسه .. جرح جديد آخر لم يطوه .. ولكنه سقط على الأرض .. وتردد ابن عباد قليلا ثم جلس بجانبه ومد يده يتحسس الجرح ..

- هل كانت مؤلمة ..

- جرح فوق جرح .. لا ادري ايهما أشد ايلاما ..

قال ابن عباد وقد انكسرت نفسه .

- أكانت «مرسية» مغرية الى هذا الحد ؟

قال ابن عمار :

- لم تغرني مرسية يا مولاي .. ولكنها اغرتنا قبل ذلك .. تحت اسوار قرطبة .

ما أبعدك يا قرطبة . كان الاستيلاء على قرطبة هو حلم المعتضد، وحلم أبيه .. ولكنها مثل غيرها من ملوك الطوائف وقفنا عاجزين امام اسوارها، كانت المدينة قد تخلصت من امثال هؤلاء الملوك وانتظرت من يضم الفضل لأهلها وفقهائها ليحكمها . وعندما جاءها ابن عمار أدرك ان هذه المدينة يجب ان تخترق من الداخل أولا . وبدأت رحلة المؤامرة بين الذين يحكمون .. والذين يملكون .. وعندما استولى على المدينة رجل واحد أدرك ان خطته قد حانت .. فتعب

إلى ذي النون حاكم طليطلة وأغراه بغزو قرطبة ، وذهب إلى حاكم قرطبة وأغراه بطلب المساعدة من ابن عباد . وفي وقت واحد جاء الجيش الذي يريد الغزو . . والجيش الذي ينوي الإغاثة . وتلاقيا أمام أسوار المدينة المغلقة . . وانخدع ذو النون الطامع أولا حين جمع جيوشه وقرر الانسحاب والتراجع . . فإذا بالجيش يحتل ويقتحم المدينة الآمنة على غرة . . وابتلعت قرطبة .

لم يكن ابن عباد يتصور أنه ينال قرطبة بهذا الثمن الرخيص ، وحينما قال لابن عمار . . لقد انتصر جيشي . . رد عليه مصححا :

- بل انتصرت حيلتي وانتصر عقلي . .

زمنا . . كانا منسجمين لدرجة لا تسمح لهما بالتناحر . . وكانت المدن تتهاوى بين أيديهما كأوراق الخريف . . والمملكة تتسع . . وكان هناك شيء يترقبه ابن عمار مع كل غزوة تنجح . . وأصبح ابن عباد الرجل الأول في الأندلس . . وظل ابن عمار الرجل الثاني . . وظل الثاني . .

هتف ابن عباد في مرارة :

- كنت تريد أن تصبح ملكا .

قال ابن عمار :

- ولم لا . . لقد جربت عقلي . . أمضى من أطراف الرماح ؟؟

عاشا معا عصرا غريبا يحتاج إلى مهارة خاصة مهارة يحملها بمقدار قطعة من ذهب مزيف لينقذا ابن المعتمد من أسر القشتيين ، وظروف جعلته يلعب الشطرنج حول مملكة ، ومهارة تجعلهما يوقعان المعاهدات بعمق ويتحللان بنفس السرعة ، وكان ابن عمار يفكر دائما . . ما دامت هذه الرقعة الصغيرة من الأرض متاحة للملوك إلى هذا الحد فلماذا لا أكون ملكا أنا الآخر . . مثلهم

قال ابن عباد :

- لكنك لعبت . . مثلك بعرضي . كتبت القصائد تهجوني فيها أنا وزوجتي . . !

قال ابن عمار :

- كانت حربا بيننا يا مولاي . . وطوال عمرنا معا لم تخض حربا شريفة واحدة .

ورفع ابن عباد العصا مرة أخرى وأهوى بها على رأسه :

- بل أنت الذي جررتني إلى ذلك . . حروبي كلها كانت شريفة قبل أن ألقاك .

تأوه ابن عمار وانسال خيط جديد من الدم وهذه المرة لم يسأل ابن عباد بل وقف غاضبا وهو يقول :

- كف عن التأوه . . في هذه الليلة مهما حاولت . . عليك أن تتطهر وأن تنقي قليلا من الدم . .

قال ابن عمار :

- وهل كنت ستتراجع عن قتلي . .

قال - لا أعرف . . لا أعرف .

وأسرع يغادر الزنزانة . وبينما يصعد الدرج فكر في أنه غير قادر بالفعل على قتله

طقوس مقتل وزير سابق . .

في صبح اليوم التالي أصدر ابن عباد أمره وأخذ أتباعه سيفه وأخرجوا ابن عمار ملطخ الجسد وعقدوا الحبل حول رقبته . ثم أخبر ابن عباد وأنه في اللحظة الأخيرة . لا يدري كيف تذكر فجأة تلك الليلة التي نام فيها رأسه على وسادة واحدة ، صعد إلى غرفة الرميكية وسلم في حجرها وكان يرتعد . تذكر رحلات الصيد . وكل القصائد التي أنشدت بينهما . وكل المؤامرات والمرات الصغيرة . قال للرميكية في صوت مشحون بالأسى :

- ماذا أفعل . . ؟ إني عاجز عن قتله . . وعن العفو عنه . .

قالت الرميكية ببطء :

- من الصعب أن تجد صديقا يا مولاي

نظر إليها في دهشة وتساءل :

- أنت تنصحينني بالعفو عنه . لقد كنت تغارين منه . . تتهمينه بأنه يأخذني منك دائما .

قالت الرميكية : ربما لأنني لم أرك تتردد من قبل يا مولاي . .

كان ابن عباد عاجزا عن التفكير ؟ ذات لحظة اعتقد أنه ملك كل شيء . . المرة الأولى حين تبعه ابن عمار . . والمرة الثانية حين قال بيتا من الشعر عجز الشعراء عن إكماله حتى جاءت اعتماد الرميكية وأكملت البيت وصارت له . وخيل إليه أنه قد ملك

الحب والصداقة والمصرفي .. ضحى لسه الى « المعتمد » من أجلها .. وضحى بكل طموحاته الشخصية من أجل ابن عمار ..

والآن ماذا يفعل ؟ .. أحيانا الشائعة وحول رأسهم الوزير الشاعر ابن زيدون يلحون في قتله ، فهو القرن أرسل له رسالة ساخرة يقول له فيها لقد كنت عاجزا من قتله أبعث لك خادماً يقتله ، حتى الافرنج يلحون .. وعندما يخرج الى الاسواق يسمع همهمات الناس كلها الرغبة .. اقتله .. اقتله .. ولكنه لم يعد يستطيع ..

بدأ ابن عمار يرسل له قصيدة كل يوم .. كل صباح يستيقظ على قصيدة جديدة .. لا يدري كيف يحصل على الورق والأقلام داخل السجن ولا حتى الكلمات المؤثرة داخل ظلمة السجن .. لا يخاطب الملك .. ولا الصديق .. انما يخاطب ذلك الشاعر الساحر الموجود في داخل ابن عباد .. المعتمد الحاضر ، والآخرون يلحون عليه ، والسياف يسمع أمر القتل ونقيضه في لحظة واحدة .. قصيدة في الصباح .. وكوابيس في الليل ..

من الصعب ان يكون لك صديق صدوق في هذا الزمان الخائن . كانت الرميكية تلح عليه أن يراه مرة أخرى ، ولم يستطع مقاومتها فأخرجه من السجن . وجاء به الى مجلسه مقيدا . نفس المجلس الذي تعود أن يدخله وزيرا ومستشارا ، الشيء المدهش أنه بكى .. تحطمت البقية الباقية من كبريائه ، لم يكن لديه رد حاضر ولا إجابة ذكية .. ونظر الى وجه الرميكية فوجدها أيضا وقد انحدرت دموعها بالدموع . ولم يتمالك ان قال له عدة كلمات .. كلمات قصيرة ولكنها ودودة .. لعلها كلمات الود الوحيدة التي سمعها ابن عمار منذ بداية محنته . وأمر بردّه الى حبسه في الصباح ، وعندما التفت الى الرميكية للمرة الثانية أدرك كلاهما ان ابن عمار قد فقد حياته .

في اليوم التالي تأخر ابن زيدون في المجيء الى القصر .. لم يلبث الا بعد ان ارسل اليه المعتمد وسأله عن سبب تأخره فانحنى قائلا :

- حسبتك قد استغنيت عن خدماتي يا مولاي ..

قال ابن عباد في دهشة ..

- ماذا تعني .. ؟

قال ابن زيدون :

- المدينة كلها تتحدث عن أنك سوف تفرج عن ابن عمار وتعيد اليه كل مناصبه .

- من الذي قال هذا .. من الذي أشاع الأمر .. ؟

- كتب بذلك ابن عمار لأحد أعوانه ..

واخرج ابن زيدون رسالة من جيبه ، نفس الخط ، ونفس ورق القصائد . كانت الرسالة تروي تفاصيل ما حدث في المجلس ليلة أمس .. ويفخر تيها بأن عجز أمس وجراحه ومفاتيح الوزارة . كان يروي له كيف بحث الرميكية في وجهه لأنها تريد بذلك دينا قديما .. حين وضعها في طريق ابن عباد .. وحين زوجها بيت الشعر التي تكمل به بيته .

يا الله .. خديعة أخيرة .. ألا تنتهي تلك الخدع أبدا يابن عمار .. ؟ حتى متى .. الوهم الذي عاشه .. تزوجها الصغيرة التي أسرت قلبه ، كانت خطأ منيرا . عندما اشتهت المشي حافية في الطين كالفلاحات .. عجن لها المسك بماء الزعفران وتركها تسير فيه .. وكان هذا اقتراحا من ابن عمار .. حين اشتاقت لتساقط الثلوج .. زرع لها أشجار اللوز على الجبال المواجهة للمدينة وبدت الأزهار البيضاء وهي تتساقط أشبه بندف الثلج .

اقتراح آخر من ابن عمار .. يا الله .. أي شيء آخر لم يكن خديعة .

كان يلهث وهو يهبط درج السجن الحجري وفي يده مطرقة ذهبية ، وقف أمامه للمرة الأخيرة .. ما أكثر أكاذيبك يا بن عمار .. حتى الشعر .. لم تبق شيئا .. أهوى على رأسه .. وحاول ابن عمار ان يتحرك .. ان يقبل قدميه .. أهوى على رأسه . تفجر الدم . أهوى .. ضربة للخداع .. وضربة للخيانة . وضربة لفقدان الثقة في كل شيء . وصرخ ابن عباد :

- اللهي طريحا ..

كان الجسم ساكنا . والملامح متورمة مكسوة بالدم . وكانت المرأة المصرة في انتظاره . لحمل الثوب الذي مزقته بيديها . لمست جسده . ومسحت الدم المتزايد .. ولفته في الثوب .. وظلت حتى حملته على ظهرها للمنزل وسارت به .. من الخيانة . □

حكايات شرق وغرب

صحوة الضمير

● عندما اقتحم اللص بيت السيدة العجوز التي اقتربت من عمرها الثمانين ، شعر لأول مرة بأن القدر قد أراد أن يعوضه عن الحرمان الذي عاش فيه طفولته التعسة . فقد كانت الغنيمة التي خرج بها من مغامرته تزيد عن مليون دراخما يونانية ... أي ما يوازي عشرة آلاف دولار أمريكي تقريبا .

وكانت المشكلة الوحيدة التي واجهت اللص أوديسوس هوغلس (١٩ سنة) هي أين يخفي هذه الثروة حتى تهدأ العاصفة . ولم يجد أمامه إلا أن يضعها في لفافة ويهيل عليها التراب . في ظلال شجرة بستان الحدائق العامة في أثينا .

ونام أوديسوس فوق الكنز ليلتين نفسه دون أن يشعر بأي عطف على السيدة العجوز ، التي جردها من كل ما تملك . فقد كانت أيام حياته من الفقر والوحدة تعيش معه ، وهو يرى منظر الثراء الذي لم يناله في موكب يمر أمامه كل يوم .

ولكن ما كادت شمس النهار تشرق في اليوم التالي حتى كان أوديسوس يجلس تحت شجرته يبكي . فقد أحس وهو يقرأ صحف الصباح التي كانت تحمل نبأ السرقة ، بأنه ارتكب أبشع جريمة يمكن أن يقدم عليها بشر .

كان قد قرر أن يقوم برحلة ممتعة في أنحاء المدينة ، وأن يشتري لنفسه بدلة جديدة ، ثم يخرج في نزهة بحرية يزور فيها جزر اليونان التي كان يشتهي أن يراها وهو صبي صغير ... ولكنه لم يفعل شيئا من هذا . فقد بقي في مكانه حتى هبط الظلام ، ثم حمل اللفافة التي تحوي النقود ، وأسرع إلى بيت العجوز التي سرق منها أموالها ، ووضعها هناك فوق الدرج ، ثم راح ينتظر في الظلام بعيدا عن البيت ، حتى رأى الباب ينفتح ، ويد العجوز تمتد إلى اللفافة وتسحبها ثم تعود بها إلى الداخل ، فسار مبتعدا عن البيت بسرعة دون أن يشعر به أحد .

ماذا حدث ؟ وماذا قرر اللص في أعماقه ؟ كيف استيقظ ضميره فجأة ؟

قال أوديسوس لرجال الشرطة الذين تمكنوا من القبض عليه بعد أن اطلعوا على رسالة الاعتذار التي بعث بها إلى صاحبة النقود دون اسمه : أحسست برأسي يدور عندما قرأت في الصحيفة أن هذه النقود كان من المقرر أن تنفقها السيدة العجوز على أحد ملاجئ الأيتام في المدينة ... وقرأت اسم الملجأ فإذا بي اكتشف أنه نفس الملجأ الذي عشت فيه طفلا صغيرا منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، عندما لقي والداي حتفهما في حادث سيارة ، ولم يظهر أحد من أقاربي ليتبناني ... لقد كان هذا الملجأ بيتي الذي وجدت فيه العطف والحنان وصداقات الأطفال من أمثالي .. ولم أحتمل مجرد التفكير في حرمانهم من مال كان من الممكن أن أنعم به مثلهم ..

وقدم أوديسوس للمحاكمة وطلب القاضي من

اعترافاته كاملة ، ثم انتقل ببصره الى حيث كان اللص الثاني يقف في قفص الاتهام ، وقد تهلل وجهه بابتسامة تحمل كل معاني الرضا والارتياح ، وقال القاضي كلمته : « ان صحوة ضميرك هي التي قد شفعت لك . ولذلك سوف نسجنك لمدة ستة أشهر ، ولكن مع وقف التنفيذ » .

وفي الخارج ، كانت مديرة الملجأ تنتظر لورينسون ، لتعرض عليه وظيفة سكرتير لتمنحه فرصة تلقي وجعله طفلا صالحا ثانيا .

عندما رق قلب القاضي

● الأطفال ثم الكلاب ، أصبح عالم المرأة السويسرية ، اقرأوا هذه القضية : وقفت الزوجة تبكي أمام قاضي محكمة الطلاق بمدينة زيوريخ عاصمة الاتحاد السويسري ، وقالت والدموع تسبق كلماتها : « لم أعد أحتمل الحياة مع هذا الرجل . انه يعاملني بقسوة ، انه رجل مريض يا سيدي القاضي .. انه لا يريد ان ننجب له طفلا ولا حيوانا ، لأنه يخاف التكفل » .

وحكم القاضي لونز شام للزوجة بالطلاق .. ولكنه ما كاد يترك قاعة المحكمة في طريقه الى مكتبه حتى فوجيء بالزوج « رولف مايز » يجلس على مقعد صغير في الردهة ، والغريب انه كان يجهش بالبكاء ، كما يبكي الأطفال . وتوقف القاضي ليقول للزوج الحزين : « اذا كنت تحبها بهذا القدر فلماذا تسيء معاملتها ؟ » .

وكانت مفاجأة عندما قال الزوج : « لا يا سيدي ، انني لا أبكي من أجلها .. ولكني أبكي حزنا على « ريكي » الصغير الذي حكمت بحضانتها له . انني لا أحتمل فراقه . لقد كنت أجد فيه دائما الصديق الوفي » .

ولم يكن ريكي هذا سوى الكلب الصغير الذي عاش مع الزوج وزوجته رغم ان زواجهما القصير جدا لم يدم لأكثر من أربع سنوات .

وراح القاضي يربت على كتف الزوج الحزين ، ويحاول أن يخفف عنه ، ثم مضى في طريقه الى مكتبه .

وفي اليوم التالي تلقى الزوج مكالمة تليفونية من مجهول يعرض فيها عليه قبول هدية صغيرة لعله يجد فيها ما يعوضه عن فقده ، وقبل « رولف مايز » الهدية .. ومضت عدة ساعات قبل أن يسمع طرقة على باب بيته ، وعندما ذهب ليفتحه فوجيء برسول يحمل سلة صغيرة ، بداخلها كلب من نفس النوع الذي حكم للزوجة بحضانته .

ولم يكن صاحب الهدية سوى القاضي نفسه الذي رق قلبه للزوج الذي حرم من صديقه وجلس يبكيه !

حدث ذات يوم منذ ٤٢ عاما

● تعرف جلاديس بيربوما لماذا وضعوها في هذا المكان الذي كان بالنسبة لها سجنا بلا قضبان .. كانت وقتها شابة في السابعة والعشرين من عمرها ، وكانت تعيش مع أسرتها في احدى مدن ولاية كونكتيكت بأمريكا ، عندما قرر الأطباء انها مصابة باضطراب عقلي ، وانها متخلفة عقليا ..

وحملوها الى احدى دور رعاية المرضى التي تشرف عليها الدولة ، وهي تقسم بين اقسامها مطروحة

للمتخلفين عقليا .. وفي هذه الدار عاشت جيلاتيس ٤٢ عاما ..

وخلال هذه الأعوام الطويلة كتبت الفتاة عدة رسائل ، تستعطف فيها المسؤولين ، مقسمة بسلامة عقلها .. وكانت كلها تحمل صرخة احتجاج تشعر بالظلم الواقع عليها . ويقول محاميها : لقد كانت بعض رسائلها قطعا أدبية رائعة ، تعبر عن كآبتها أجمل تعبير ، ومع ذلك لم تحظ بالشفقة ولم تحرك ضمير أحد من المسؤولين عن هذا السجن الذي وضعوها فيه ، حتى عندما كتبت مرة بدموعها تشكو الضرب والتعذيب الذي تتعرض له بلا سبب واضح !

ومضت الأعوام والمحامي الشاب يقف بجانبها لا يكف عن محاولاته لاطلاق سراح موكلته من سجنها الظالم ، الى أن جاء عام ١٩٧٨ ، فتنبه أكثر المسؤولين في الولاية بعد ٤٢ عاما أن جيلاتيس المسكينة لم تكن في يوم من الأيام مضطربة عقليا ولا متخلفة ذهنيا ، وقرروا أن يعيدوا إليها حريتها .. ويعيدوها الى الحياة الطبيعية التي حرمت منها .. ومع هذه الحرية حكم لها القضاء بتعويض قدره ٢٢٥ ألف دولار عن السنوات التي حرمت فيها من حقها في الحياة .

ولكن المحامي لم يعجبه هذا الحكم الجائر ، فقد رفع دعوى ضد حاكم الولاية يطالبه فيها بتعويض لموكلته قدره ١٢٥ مليون دولار ، لحرمانها من حقوقها المدنية ، وتعريضها لأبشع ألوان التعذيب والاذلال .

وقال في دعواه : « لا يجب أن ننسى أبدا أن النظام الذي حرم هذه الفتاة من أن تعيش أجمل سني عمرها .. ترى من الذي يستطيع أن يعيد لها عمرها الضائع وأربعين عاما أمضتها موكلتي في هذا السجن الكئيب .. ثم من كان سببا في ذلك . وكان من الممكن الآن أن تكون أما وجدة لعدد كبير من الأطفال والأحفاد .. لقد قتلتم جيلاتيس حية .. قتلتم روحها وشبابها وحريتها !

والدعوى تجد تأييدا كبيرا من مواطني الولاية والقضية في حد ذاتها أغرب حادثة من نوعها في أمريكا .

روميو وجوليت

● الحب الذي تحدته قلبيهما .. وكان حب بريء ، فقد كان الشابان منذ الأيام الأولى في حياتهما في الحياة .. بدأت قصة حبهما مع بداية الربيع .. قبل أن يبلغ الفتى الثامنة عشر .. وكان يحلم الاثنان في مستقبل تتحقق فيه حياة جميلة قبل أن يجمعهما عش الزوجية .. فلابد أن ينتهي من دراسته أولا .. ولا بد أن يجد الشاب عملا حتى يستطيع أن يستقل بأسرته الصغيرة .. أي آخر الطريق الذي يسير فيه كل الشباب قبل الزواج ..

ثم حدثت المفاجأة عندما علمت أسرتاهما بما يحمله كل منهما في قلبه نحو الآخر .. وكانت الأسرتان متخاصمتين وتكررت قصة روميو وجوليت .. ولكن النهاية جاءت مختلفة تماما .

لقد افترق الحبيبان الصغيران .. وذهب كل في طريقه ، ولكنه لم يكن وحده .. كان يحمل معه وفي قلبه صورة حبيبه .. وقصة الأحلام التي عاشها الحبيبان والتي لم يتح تحقيقها .

ومضى الربيع بدون شريك .. ثم ذاك الفتى في حربه العمر بعد سنين قليلة .. وتزوجت من انسان آخر .. فقد كان هو شريك الحياة المثالي الذي يؤكد أنه هو الفتاة الصغيرة التي ما زالت تحمل حبيبها في قلبها . وعرفت فيما بعد أنه سير رونالد جونز الرئيس الأسبق لأعظم شركات البترول في بريطانيا .. وكان لقبه سيرا ..

وفي حفل صغير وقف الحبيبان يحتفلان بزواجهما الذي تأخر نصف قرن من الزمان .. احتفلا به مع الكعكة الكبيرة التي كانت تحمل ثمانين شمعة .. هي عدد سني عمرهما الآن قبل الرحيل .. هذا سوف تستقر العروس شهر العسل .. وتبحث في هدوء مستقبلهما المشترك .. بعيدا عن زحام المدينة وصخبها ..

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

لقاء بين قمر صناعي أمريكي والمذنب جاكوبيني - زنر

المذنبات في الفضاء كثيرة ولا سبيل إلى حصرها .. منها مذنب هالي الذي يزداد اقترابا من الأرض يوما بعد يوم ، والذي سيلتقي في شهر مارس القادم بخمس سفن فضاء .. اثنتين باسم فيجا Vega أطلقهما الاتحاد السوفيتي .. واثنتين يابانيتين .. والخامسة أوروبية باسم جيوتو (Giotto) أطلقتها وكالة الفضاء الأوروبية ، أيسا ESA ، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة ليست بين الدول المستقبلة لمذنب هالي ... ذلك أن السلطات المعنية في واشنطن حرمت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) المخصصات المالية التي تتطلبها الاستعدادات لاستقبال هالي .. وهي كبيرة أصلا .. ولقد بحث الأمر بكثير عما من نظرا لأن طلبها جاء في أعقاب (العشرة آلاف مليون دولار) التي أنفقتها ناسا على صنع مكوك الفضاء ؟

وصعب على (ناسا) أن تكون متخلفة في نفس المجال الذي طالما تزعمت غزوه وريادته .. مجال الفضاء .. وذكر أحد مهندسيها أن ثمة مذنبا آخر غير هالي آخذا بالاقتراب من الأرض ، هو مذنب جياكوبيني - زنر Giacobini- Zinner لهذا المذنب الذي يقترب من الأرض مرة كل ٦,٥ سنوات وملتقى سابق اقترابه منها شهر سبتمبر ١٩٨٥ الماضي أي قبل اقتراب هالي من الأرض بستة شهور .. أضف إلى ذلك أن مذنب (جياكوبيني زنر) هذا أصغر بكثير من مذنب هالي ، وأنه يقترب كثيرا من الأرض حتى لا تزيد المسافة التي تفصله عنها على (٤٤) مليون ميل .. أي نحو نصف المسافة التي ستفصل بين هالي والأرض في شهر مارس القادم ..

وذكر مهندس وكالة الفضاء الأمريكية واسمه روبرت فركوهار (Farquhar) أحد الأقمار الصناعية الأمريكية العاملة في الفضاء واسمه الجديد : ICE . فهذا قمر صناعي جرى إطلاقه في ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٨ مع قمرين آخرين وذلك للقيام بدراسة الرياح الشمسية والبحث حول مجالات الأرض المغناطيسية .. وذكر أيضاً أن هذا القمر الذي أطلقوا عليه اسم (ISEE-3) في السابق قد قطع نحوا من ٣٠ بليون ميل .. وأنه صغير الحجم ولا يزيد على ٥ أقدام طولا و ٥,٥ أقدام قطرا .. وذكر المهندس أن محاولة إعادة توجيه القمر الصناعي بحيث ينطلق في مسار جديد ليلتقي بمذنب جاكوبيني في شهر سبتمبر محاولة مثيرة للغاية . ولقد لا يكتب لها النجاح نظرا للزمن الذي حل بأجهزة القمر الصناعي ، ولقد مضى على إطلاقه نحو سبع سنوات .. ولكنه فاز في النهاية

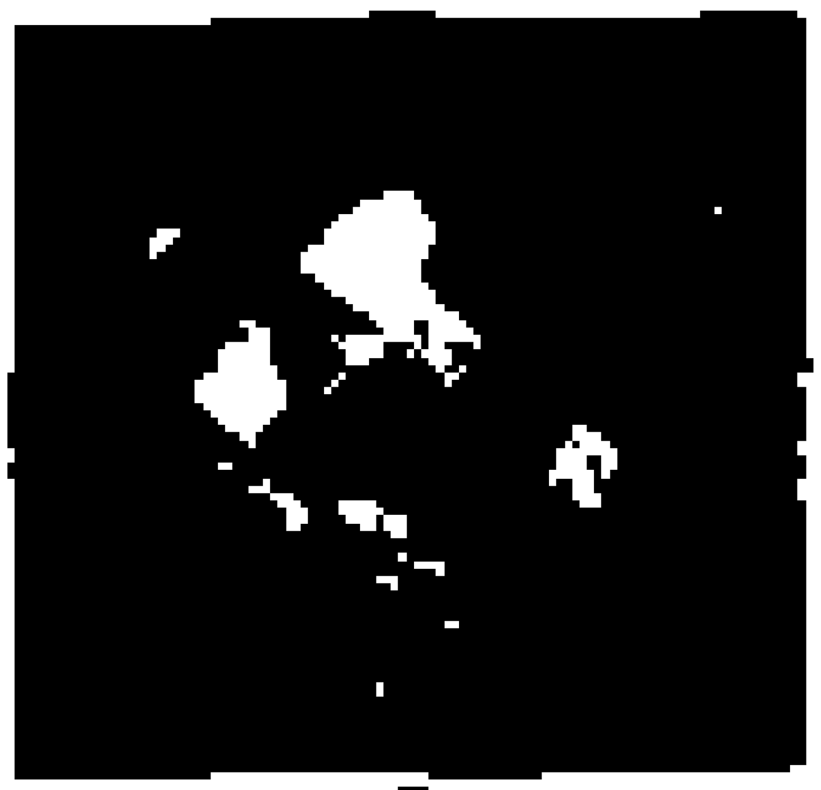

القمر الصناعي ICE

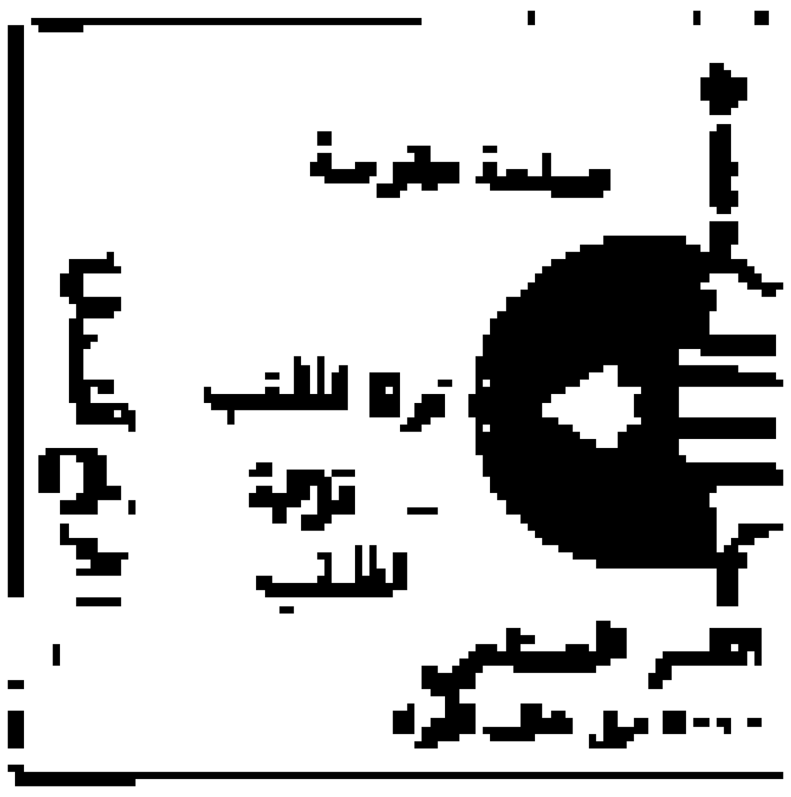

لحركة التصحيح والقيام بتلك المناورة . .

وكانت الخطوة الاولى في حزيران سنة ١٩٨٢ . فقد عمد فركوهار وزملاؤه الى اطلاق بعض الصواريخ الصغيرة التي يحملها القمر الصناعي ICE وذلك بأوامر أصدروها اليها بالكمبيوتر . . واحدثت تلك الصواريخ تحركات في مسار القمر الصناعي قربته من القمر الطبيعي ٥ مرات (انظر الرسم) . . ولم تزد المسافة التي فصلته عن القمر الصناعي في شهر ديسمبر ١٩٨٣ على ٧٥ ميلا فقط . . وهكذا نجح مهندسو الفضاء الامريكي في استغلال جاذبية القمر الطبيعي لمضاعفة سرعة القمر الصناعي ICE حتى بلغت ٤٠٠٠٠ ميل في الساعة فأصبح في مقدوره التوجه الى مذنب جاكوبيني والالتقاء به . . . .

وتم اللقاء في حوالي منتصف شهر سبتمبر الماضي . . . . . ولكن كيف جرى وما هي حصيلته . . . ؟

تسلل القمر الصناعي عبر موجة قوسية (bow wave) وهي احدى موجات الصدمات التي يطلقها المذنب لدى تصادمه في الرياح الشمسية وكان القمر على بعد ١٧٠٠٠ ميل من نواة المذنب حين اقتحم تلك الموجة .

وراح القمر الصناعي بعد ذلك يخترق ظلمة الذنب حتى اصبح على بعد ٥٠٠٠ ميل فقط من النواة . . حيث اكتشف القمر فيما اكتشف أن عرض ذنب المذنب بلغ ٢٠٠٠ ميل لا ستين ألفا كما ساد الاعتقاد سابقا . وتبين له وجود ذرات من الماء وغاز أول اكسيد الكربون وان تلك الذرات مشحونة بالكهرباء . . وأخيرا وليس آخرا ثبت للقمر الصناعي ICE أن المذنب لايعدو كونه كرة ثلجية تحيطها الغازات والغبار . .

والطريف ان مهمة هذا القمر لم تنته بعد . . وانه سيواصل رحلته حتى يقترب من مذنب هالي في شهر مارس القادم ثم ينطلق في فلك حول الارض ليقترب منها ثانية بعد ٣٠ عاما . . ويعتقد بجري استرداده الى سطح الارض في ١٠ اغسطس من سنة ٢٠١٢ على وجه التحديد . وذلك لكي يفحص العلماء الغبار الذي لابد وان يكون علق بسطح القمر الصناعي الذي اخترقه المذنب . فهذا الغبار هو بيت القصيد من اهتمام العلماء بالمذنبات عامة . وبمذنب جاكوبيني وزينر خاصة . فهم يعتقدون انه من الغبار الذي ملأ الفضاء في البدء ، وقبل أن يتم خلق المجموعة الشمسية

مكتشفون ومخترعون

الأخوان رايت Wright واختراع الطائرة

ولد ولبور رايت سنة ١٨٦٧ في مدينة ملفيل في ولاية انديانا . وولد أخوه أورفيل بعد ذلك بأربع سنوات سنة ١٨٧١ ، وذلك في مدينة دايتون بولاية أوهايو .. وكان أبوهما قسيسا ، وقد التحقا بإحدى المدارس ، ولكنهما سرعان ما طردا منها .. ولم يلتحقا بأية مدرسة أخرى بعدها .. إلا أنهما واصلا المطالعة والدراسة بالاعتماد على جهودهما الذاتية ، ودون مساعدة من عالم أو معلم . ولعل ما نجحا فيه يرجع إلى أن ما بهما من شغف بالمعرفة وإقبال على طلب العلم ليضاهي كل ما تمنحه فرصة في النفوس شتى المدارس والجامعات ..

أضف إلى ذلك ما فطر عليه الأخوان من دأب وجلد .. فقد كانا على استعداد لإعادة تجربة ما مئات المرات ، حتى يتخطيا ما وقعا فيه من خطأ .. ويتيسر لهما استكمال ما بدأ صنعه أو اختراعه على أكمل وجه .

وقد فطر الأخوان أيضا على الميل إلى صنع الآلات والأدوات .. وفكها وتركيبها .. وإصلاحها في حالة تلفها ، لا عجب إذن أن كانت صناعة آلات الطباعة هي العمل الأول الذي مارساه .. وصناعة الدراجات - فضلا عن الاتجار بها - هو العمل الثاني الذي اتخذاه سبيلا إلى طلب الرزق .

ثم كان التحول الجذري من الدراجة إلى الطائرة .. ومن صنع الدراجة إلى اختراع الطائرة .. فقد حقق العلماء الفرنسيون نجاحا في اختراع البالون ، وهو يقوم على مبدأ الطيران في الهواء بما هو أخف من الهواء .. ونجح الألمان في اختراع الطائرة الشراعية التي تطير بدون محرك معتمدة على الهواء وضغطه .. وأول الأخوان رايت هذه الطائرة الشراعية جل اهتمامهما ، فانصرفا إلى الإحاطة بأعمال ليليانتال وتجاربه .. إذ كان هذا العالم الألماني المعاصر هو رائد الطيران الشراعي ، وقد صنع ما يزيد على ألفي طائرة شراعية ، تحطمت إحداها به ، فأودت بحياته سنة ١٨٩٦ .

واتفق أن ظهر في أمريكا في تلك الأثناء كتاب بعنوان التقدم في صنع الآلات الطائرة Progress in Flying Machine .. وكان مؤلفه العالم الأمريكي المعاصر أيضا أوكتاف شانوت .. وقد بلغ من اهتمام هذا العالم بأعمال ليليانتال وتجاربه أن ضمن كتابه تفاصيل ما نجح في تحقيقه العالم الألماني ، وتفاصيل ما أخفق في تحقيقه أي الطائرة ذات المحرك ..

وأقبل الأخوان رايت على التهام ذلك الكتاب وهضم محتوياته ، واتصلا بمؤلفه ، وطلبا منه المزيد من المعلومات .. حتى إذا فرغا من ذلك الكتاب اتخذا قرارهما الخطير .. قرار اختراع الطائرة ذات المحرك .. تلك التي عجز عن صنعها الكثيرون ، والتي ظلت حلم البشرية المنشود .

وفطن الأخوان إلى ضرورة الإفادة من معلم آخر غير ليليانتال وشانوت .. ولم يكن ذلك المعلم سوى الطيور .. والصقور منها على وجه التحديد .. وهكذا انطلق أحد الأخوين (ولبور) يراقب الصقور في طيرانها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر .. وذلك سنة ١٨٩٩ . وظل يتابع مراقبتها ودراسة حركات أجنحتها حتى أدرك السر في قدرة الصقور على الاحتفاظ بتوازنها في الهواء .

وعمد الأخوان بعد ذلك إلى العمل على تنفيذ قرارهما الخطير .. وقد اتضح لهما منذ البداية أن ذلك

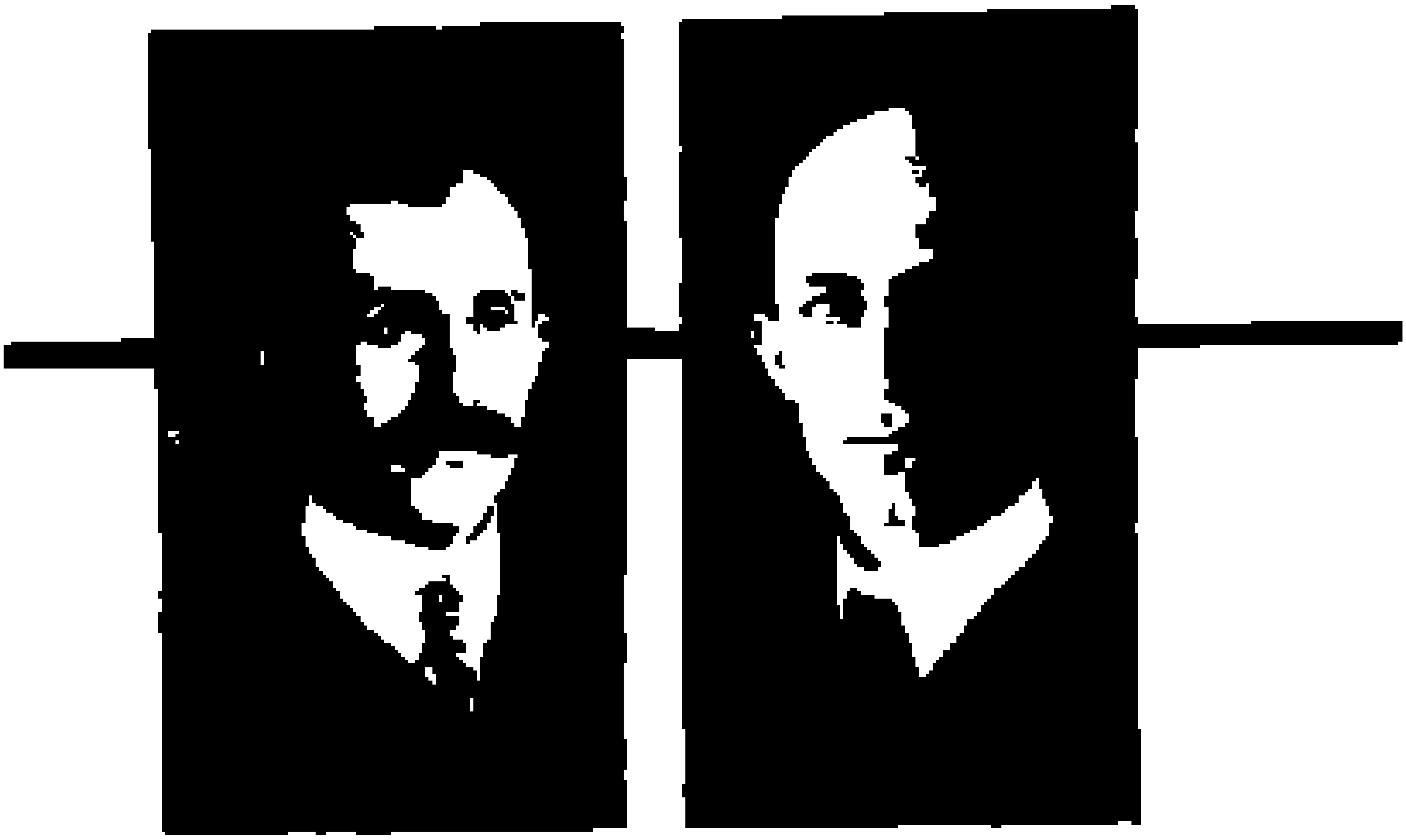

العمل ينقسم إلى مرحلتين .. مرحلة الطيران ، تجربة الطيران واستيفاء شروطه بحيث يتسنى لهما صنع طائرة شراعية متقنة (بدون محرك ومروحة) . ومرحلة المحرك والمروحة اللذين يضافان إلى تلك الطائرة ، فيضمنان لها الانطلاق في الاتجاه الذي تريد ، والسير وقطع المسافات حسبما تشاء .

واستغرقت المرحلة الأولى بضع سنوات (١٩٠٠ - ١٩٠٢) ، وقد نجح الأخوان في نهايتها بصنع طائرة شراعية مجهزة بأجنحة مزدوجة ، تكفل لها الإقلاع والهبوط ، ومزودة بدفة في الذيل تضمن للطائرة الانحراف أو الاستدارة ذات اليمين وذات اليسار ، هذا إلى جانب الرفرف في الأجنحة الذي يساعد الطائرة على التحكم بتوازنها في الهواء .

ثم كانت المرحلة الثانية .. وقد بادر الأخوان إلى صنع المحرك والمروحة اللازمين ، ولقد تعذر العثور عليها في الأسواق .. وتكللت تلك المرحلة بصنع الطائرة الأولى التي سمياها (فلاير ١) Flyer I والتي طار بها أحد الأخوين في كيتي هوك في كارولينا الشمالية بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ .

ومن طريف ما يذكر عن تلك الطائرة الرائدة أن وزنها لم يزد على ٣١٥ رطلاً انكليزياً ، وقوة محركها لا تجاوز ١٢ حصاناً ، وأن ارتفاعها في الجو لم يبلغ أكثر من (١٠) أقدام ، وأن المسافة التي قطعتها بلغت ١٢٠ قدماً فحسب .. وكانت كالطائرة الشراعية التي سبقتها ، ذات أجنحة مزدوجة علوية وسفلية وبلا دواليب .

ومهما يكن من أمر فقد كانت (فلاير ١) هي نواة الطائرات المحسنة التي صنعها الأخوان رايت بعد ذلك ، وسمياها (فلاير ٢) و (فلاير ٣) ، وكذلك نواة للطائرات الفتاكة والصواريخ وسفن الفضاء والأقمار الصناعية ، ولو ذكرنا أن تقنية الطيران لم تكن بحاجة إلى أكثر من ٦٦ عاماً ليتمكن الإنسان من الهبوط على سطح القمر سنة (١٩٦٩) لأدركنا مدى التقدم الهائل الذي أحرزته تلك التقنية .

وتجدر الإشارة إلى أن نجم طائرات الأخوين تأخر حتى سنة ١٩٠٨ ، حين وقعا عقود الشراء مع سلاح الجو الأمريكي وإحدى الشركات الفرنسية . ولعل أهم العوامل التي أدت إلى ذلك التأخر كان حرص الأخوين على التكتم على سر اختراعهما ، والامتناع عن عرض طائرتهما قبل ضمان بيعها . ومات ويلبر رايت بحمى التيفوئيد سنة ١٩١٢ ، ومات أخوه أورفيل سنة ١٩٤٨ □

سلامة البشرية من سلامة البيئة

المليون من رجال (الجرين بيس) والتجارب النووية الفرنسية في المحيط الهادي

منذ العاشر من شهر يوليو الماضي والمواجهة قائمة بين السلطات الفرنسية وبين أنصار البيئة .. فهؤلاء يصرون على ضرورة وقف التجارب الذرية والنووية ، الفرنسية وغير الفرنسية سواء كانت في المحيط الهادي .. أو في سائر المحيطات والقارات .. وأولئك يصرون على حقهم بإجراء التجارب التي يشاءون ، حيثما يشاءون من المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي .. دون السماح لأي كان بمراقبة تلك التجارب ..

وقد أدت تلك المواجهة الى غرق سفينة (ووريور WARRIOR) أي المحارب ، وموت أحد ملاحيها وكان مصورا هولندي الجنسية .. وتبين أن غرق السفينة في مياه نيوزيلندة الاقليمية ، وفي اوكلاند إحدى مرافئها بالذات كان نتيجة القنابل والمتفجرات التي وضعها في السفينة بعض رجال الاستخبارات الفرنسية .. وألقت السلطات النيوزيلندية القبض على أولئك العملاء (وكانوا رجلين وامرأة) بتهمة القتل والتآمر والتخريب .. وترتب على تلك الأحداث أزمة سياسية كبيرة في العاصمة الفرنسية شبيهة بأزمة ووترجيت الأمريكية . وأدت تلك الأزمة الى استقالة وزير الدفاع الفرنسي ، وطرد رئيس المباحث والمخابرات الفرنسية ، وتردد اسم (جرين بيس) (Green peace) أو السلام الأخضر منذ نشوب تلك الأزمة ومازال يتردد .

فما هو هذا السلام الأخضر ؟؟

انه الاسم الذي يطلق على إحدى المنظمات البيئية التي لا همَّ لها الا حماية البيئة .. وتبذل الجهود في سبيل وقف صيد الحيتان ومنع التجارب الذرية والنووية .. ومكافحة التلوث بكافة صوره .. على أن منظمة الجرين بيس تتجنب العنف ، ولا تسعى الى تحقيق أهدافها بالقوة .

والمنظمة بريطانية ومقرها الرئيسي قائم في بلدة لويس في انكلترا .. وقد تم تأسيسها قبل ١٥ سنة في كولمبيا البريطانية وفي مدينة فانكوفر بالذات .. وبلغت ميزانيتها (١٦) مليون دولار في السنة (١٩٨٥) وهي تعتمد على التبرعات ، تبرعات الأفراد ، الى حد كبير . وتعتمد أيضا وبقدر محدود ، على مداخيله من بيع السلع التي تصنع لحساب المنظمة وتحمل اسمها (الجرين بيس) . وللمنظمة فروع عديدة منتشرة في ١٥ دولة من دول العالم .. منها الولايات المتحدة ، وهي التي تمد منظمة السلام الأخضر بتبرعات تقدر بنحو ثلث ميزانيتها ... وتملك المنظمة حاليا ست سفن .. كانت سبعا ، حتى العاشر من شهر يوليو الماضي ، حين أغرقت السلطات الفرنسية سفينة المحارب السالفة الذكر ذلك أن أنشطة المنظمة تكاد تكون محصورة بالبحار والمحيطات .. فهي تسعى من أجل وقف تلوث البحار عامة ، وتلوثها بالمواد الكيماوية السامة ، بصفة خاصة .. وهي تعمل أيضا من أجل حماية الأحياء البحرية وخصوصا الحيتان . وقد تعرضت

قارب مطاطي تابع لمنظمة جرين بيس في عملية وسط مياه مع احدى السفن الحربية الفرنسية

للابادة والانقراض في مناطق معينة في الفترة الأخيرة ، وذلك بسبب صيدها العشوائي الجائر .

وتهدف منظمة السلام الأخضر كذلك الى وضع حد للأسلحة النووية ووقف تجاربها في شتى البحار والمحيطات . .

أما الجهود والاجراءات العملية التي بذلتها هذه المنظمة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية فكثيرة جدا ، ولا سبيل لحصرها . . وحسبنا الاشارة العابرة الى بعض تلك الجهود والأعمال .

● سنة ١٩٨٣ هبط فريق من أعضاء الجرين بيس في سيبريا ، وذلك بقصد لفت النظر الى تطلع عالمي الى أعمال صيد الحيتان العشوائية في تلك المنطقة التي هبطوا فيها . . وقد اعتقلتهم السلطات السوفياتية لدخولهم البلاد بصورة غير شرعية . . ثم أخلت سبيلهم بعد احتجازهم طوال ٥ أيام .

● وفي سنة ١٩٨٣ أيضا حاول بعض أعضاء المنظمة منع تصدير ٢٤ طنا من المخلفات النووية ، وذلك في ميناء شيربورغ في فرنسا . وألقت السلطات الفرنسية القبض على القارب المطاطي الذي قام بتلك المحاولة .

● وأوقفت السلطات الأمريكية (الولايات المتحدة) احدى سفن الجرين بيس في فصل الربيع الماضي (١٩٨٥) وعند شواطيء (بوينت بلزانت) في ولاية نيوجرزي . . ومنعت رجال المنظمة من القيام باغلاق أحد الأنابيب الذي كان يحمل المخلفات ويقذفها في البحر فيسبب تلوثه .

● وفي سنة ١٩٨٢ أطلقت احدى سفن المنظمة ٣٠٠٠ بالون ، وذلك أثناء رسوها في ميناء لينينغراد ، بقصد الاحتجاج على التجارب النووية التي كان السوفيات يقومون بها . . وما زالوا . .

● والآن (أي بين شهري اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥) تقف بعض سفن وقوارب منظمة الجرين بيس في عرض المحيط الهادي . وعلى بعد ١٢ ميلا من الجزر المرجانية (موروروا وفانجاتوفا) الخاضعة للنفوذ الفرنسي . وفيها تنوي السلطات الفرنسية اجراء تجاربها النووية الجديدة فيها ، جريا على عادتها . . ولا يعرف بالضبط متى ستجري هذه التجارب ، ولا ما قد يترتب على هذه المواجهة الجديدة بين الفرنسيين والبيئيين . . وأغلب الظن أن السفن الحربية الفرنسية الموجودة في المنطقة لن تتعرض لقوارب المنظمة وسفنها بسوء ، ما دامت هذه السفن والقوارب لا تتجاوز حدود المياه الاقليمية الفرنسية ، ولا تقترب من الجزر المرجانية أكثر من ١٢ ميلا . . وتجدر الاشارة الى أن البيئيين والفرنسيين تبادلوا الزيارات ، وقد قدم الضباط الفرنسيون لرجال السفن والقوارب البيئية بضعة صناديق من النبيذ الفرنسي . . □

رسالة المغرب الثقافية

أصوات روائية مغربية جديدة

بقلم: علاء الدين محسن

عام ١٩٨٥ هل هو عام الرواية في المغرب؟ لقد صدر أكثر من عشر روايات إلى الآن (أكتوبر ١٩٨٥)، وهكذا فبعد احتفال طويل بالقصة القصيرة، والنقد والتنظير وفق أحدث المدارس الغربية، يظهر أن هوس الرواية قد استبد بالكتاب المغاربة.

إن الكم لا يعني دائما مؤشرا صحيحا على حيوية مسار الحركة الثقافية وعمقها، وتنوع اتجاهاتها في بلد ما. إلا أن الملافت للانتباه أن نسبة الأعمال الجيدة وسط هذا الكم الروائي المغربي الذي صدر هذا العام، هي نسبة هامة، والملافت للانتباه أكثر أن أغلب الأعمال الروائية الجيدة تعود لكتاب يطلعون روايتهم الأولى. وهو أمر يحيلنا مباشرة إلى السؤال: هل بدأت لنا ملامح الجيل الروائي المغربي الجديد بالتبلور أو التشكل؟ ويستحق ذلك تسعى الأسطر عن التفصيل هذه الملامح.

يمكن اعتبار عبد الجبار السحيمي ومحمد زفزاف والميلودي شغموم ومحمد شكري وعز الدين التازي واحد من الأسماء التي تعتبر الأكثر إلحاحا ونشاطا طوال السبعة عشر عاما الماضية. جيل القصاصين والروائيين المغاربة، الذين ظهروا بعد عبد الكريم غلاب وعبد المجيد بنجلون والحبابي ومبارك ربيع، الذي يمكن اعتباره جسرا من جيل إلى جيل. هذه الأسماء الجديدة التي جاءت تبحث عن كتابة روائية وقصصية جديدة، مغايرة لكتابات أولئك الرواد، ظهرت بعد استقلال المغرب ١٩٥٦، وكانت انطلاقتها أساسا من الصحافة الثقافية، ويمكن لمؤرخ أدبي مدقق أن يلاحظ كيف كان ملحق جريدة العلم الثقافي خلال الستينات وبداية منتصف السبعينات يحتضن معظم هذه الأسماء الجديدة كلها. لقد كانوا في هذه المرحلة موزعين في همومهم الإبداعية والثقافية والنضالية، ولم يتشعبوا بشكلها وبعداها إلا بعد ذلك، عندما عرفت الساحة السياسية في المغرب استقطابات جديدة، وتحديات لم تكن موجودة من قبل لليسار

واليسار ، استدعت ظهور استقطابات ثقافية جديدة ، فقد ظهر ملحق جريدة المحرر الثقافي ، ومجلات ثقافية ذات توجه يساري ، ووجد عدد كبير من هذه الأسماء أنفسهم أكثر قربا من هذه المنابر الجديدة فانحازوا إليها ، حتى أصبح لكل جهة ثقافية ، وملحق ثقافي كتابه . نخلص من هذا الاستطراد إلى أنه لا يجب اعتبار القاص عبد الجبار السحيمي مثلا عندما أصدر مجموعته الأولى « مولاي » عام ١٩٦٥ من القاهرة ، ومجموعته الثانية « الممكن من المستحيل » عام ١٩٦٩ من الرباط ، إنسانا ظهر فجأة أو لا تاريخ له ، فهو قد بدأ بالنشر عام ١٩٥٧ في جريدة « العلم » مغربيا « والآداب والأديب البيروتيتان » عربيا » ، والملاحظة ذاتها يمكن ايرادها بصدد محمد زفزاف الذي صدرت مجموعته « حوار في ليل متأخر » من دمشق عام ١٩٧٠ .

أما الأسماء التي شكلت نصالها ملامح ١٩٨٥ الروائية ، فهي أسماء في غالبها ليس لها حضور ثقافي قبل إصدارها لأعمالها الأولى هذه . هل هو إذن جيل تحدى لا استوعبه المنابر الثقافية المغربية الموجودة حاليا ، والمتميزة في العمق عن اختيارات سياسية . أم هو جيل لا ترغب هذه المنابر والتجمعات الثقافية والسياسية ؟ من السابق لأوانه . ونحن إزاء ظاهرة كهذه لا تزال في طور التشكل . تقديم إجابة لائقة عن هذه الأسئلة ، فقد أصدر « نور الدين عامر » رواية « لعنة الأرض » دون أن يكون اسمه قد ظهر أو تردد في الحياة الثقافية المغربية . ولا أعلم من هو « صاحب » هي الرواية الأولى للكاتب ؛ ينشر في الصحافة الثقافية من قبل هو يوسف ياسين ، والمصطفى عبد الإله ، الذي كتب « الحاك » هو الآخر اسم يطلع إلى الساحة دون مقدمات ، وكذلك ادريس بلمليح الذي صدرت له رواية « الوردة والبحر » .

إن هذه الملاحظة قد توحي بأن هناك نوعا من القطيعة بين جيلين لم تجد طريقتين مختلفتين للظهور . ولكن هذا الإيحاء هو مجرد وهم . فالقراءة المتأملة لأعمال هذه الأسماء الجديدة الروائية تكشف عن استمرارية . مثلا نكتشف في بعض الأعمال من خلال أسماء لا تزال حاضرة من الجيل السابق ، كمحمد زفزاف وادريس الخوري . وبالطبع ، فهذه الاستمرارية وهذا الفكر ليس بالاكتشاف ولا بالأمر

المدهش ، نظرا لحداثة الإبداع القصصي المكتوب بالعربية بجملته .

إن قراءة روايات ـ هي الأعمال الأولى لكتابها ـ تشكل مغامرة ، فنحن هنا إزاء شخصية كتابية لا تزال في طور التشكل ، الأمر الذي يجعل من إصدار أحكام نقدية مسألة محفوفة بالمخاطر . إلا أن ضرورة متابعة مختلف التفاعلات والمستجدات والظواهر القائمة على الساحة الثقافية المغربية اليوم تدفع إلى خوض مثل هذه المغامرة .

لقد اخترنا هنا قراءة روايتين لكاتبين جديدين ، ورواية أخرى لكاتب ثالث ، هو محمد صوف ، سبق له أن أصدر عددا من المجاميع القصصية والروايات من قبل ، كشفا للمشترك والمغاير في كتابة جيلين ، ونشير هنا إلى أننا ـ نظرا للتحفظات والأسئلة التي وردت سابقا ، وكانت تصعب الإجابة عنها ـ سنكون فيما يلي بصدد انطباعات نطرحها أن تتطور من بعد إلى تحليل وبحث .

الوردة والبحر

يمكن لعنوان هذه الرواية لادريس بلمليح أن يذكرنا بعنوان رواية « الوركا والوردة » ـ ١٩٧٢ ـ لمحمد زفزاف ، إلا أنه تشابه يظل محصورا في إطار العنوان فقط . فبلمليح يختار كتابة روائية مختلفة عن

كتابة زلزلت، كتابة تبتعد عن مجرد الوصف الخارجي والرصد الفوتوغرافي للأحداث وشخصيات بلغة عادية باردة. ولعل شعر كتابة أصعب لتعدد بناء الواقع الروائي، وتشكيل تراكيب التفاصيل. لتوازي بالفضاء الروائي من ملامسة الواقع البسيط. ولغة ادريس بالملح مكثفة ومرصعة وذات ايقاع وتمس شعري.

ان الكتابة التي يحملها عنوان «الوردة والبحر» تتحول في الرواية الى ثنائية كثيفة: «الصحبة والبلاد». فنحن ازاء رواية تتركب من قصة شخصين تتقابلان في لحظة تكون البعد الروائي، وتتوزع من حولها عدة شخصيات أخرى ثانوية، تمتد من خلالها هذا اللقاء. عندما نكتشف أن كلا من السجين والسجان، الصحبة والبلاد، هما في سجن أكبر.

في الرواية الثانية أخرى سمعنا في الأعمال الروائية المغربية، هي ثنائية الريف والمدينة. فالمختار يهاجر من أرضه الى المدينة مع زوجته فاطمة، التي تجهض بجنين مشوه بسبب ماء ملوث تبركت به. المدينة تفترس المختار، وحول انتمائها ووحدتها وازدحامها يعجز عن العثور على عمل، وفي النهاية وعن طريق زيالي موسى من أقربائهم، يعثر على عمل كحارس في السجن، عمله يعيد اليه حريته التي استلبتها منه البطالة. ولكن المفارقة أن عمله سيكون على حساب حرية آخرين «المسجونين». يجهد ادريس بالملح لاستغلال هذه المفارقة وتصعيدها دراميا: ففي صبيحة حرر المختار على عمله الجديد تصاب زوجته ـ الذكرى الباقية من ماضيه ـ بالشلل، والترميز الى هذه القطيعة مع ماضيه يغير المختار اسمه الى بلحسن. الا أن هذه القطيعة مع الماضي لتظهر كطرح مستحيل، فبلحسن لا يمكنه الا أن يكون سجانا عاطفيا في تعامله مع مسجونيه، فهو يتعاطف معهم، يستمع اليهم ويتعلم منهم، ويرتبط بعلاقة حميمة مع احدهم، سيكون مكملا لثنائية البلاد والصحبة التي تبنى عليها الرواية. انه سجين مبهم الاسم، جاء به في الريف ايضا. فلم يبع أرضه لم يبق له سلكتها حراسة المطروق. لكنه يشتغل عن ... باشتغاله بالسياسة، التي تؤدي به الى السجن، حيث يتعرف على سجانه بلحسن. حيث

عاطفة تنمي أسوارها أيضا. وتنتقل الى سجن الكلام الخافت الليلية، حيث تسمل سالتية. صديقه يفقد احدى عينيه خلال مشاركته بمظاهرة، وفي قسوة هذه الانكسارات تظل امه ولكنه عشيقها وعشقته القمر الوحيد الآتية من عالم فيه فسحة من الطلقة. ويكرس بالملح عشيقها تحت السجون رمزا لأمل ينبثق من الظلمة التي تمور فيها أحداث روايته. فهي الفتى يقاطعها زوجة السجان، وتكون بالنسبة لها بشارة ولادة طفل جديد لها بعد طفلها الذي مات مطعونا. انه طفل يوحي بالتغيير، فنحن ازاء شخوص كالمتاهة تبحث عن رصاصها، أو كما تقول عشيقة «كتب علينا أن ننهار ونبعث لننهار ثم نبعث». دورة حياة الشخوص هذه هي نفسها دورة حياة الرواية، التي تتخذ شكلا تركيبيا متداخلا، حيث تفضي نهاية كل فصل من فصولها الى بدايتها التي تنتهي بدورها الى نهاية مفتوحة على فضاء الحياة. والرموز التي تعطلها بالملح القدرة على استنشاق هواء ونقي عموص.

الحالم

وبقدر ما كانت الوردة والبحر رواية متسعة الشخصيات وغنية بالاحداث، تتقاطع فيها مستويات الروائي وتتعدد، يختار الشيبوتي عبد الاله في عمله الأول «الحالم» كتابة رواية أحادية الشخصية، تحاول تصوير حكايتها بتسلسل وسلاسة، اضافة الى بساطة موضوعها. ان ضمير المتكلم فيها كأداة للسرد، وحميمية الشاهد من تفاصيلها يجعلها أقرب الى سيرة ذاتية.

تتحدث الحالم عن «محمد» الذي يعمل أبوه عاملا في حقول «...» في رأسه أحلام، ومنه تطلعات الى حياته التي يتصورها، تمكني في مكان آخر غير حياته اليومية التي يعيشها. انه يحلم بعبور عالمه ... ويعيش الحلم والرواية ومعاناة الباطلة. الا أن موت أبيه يجعله يعيش قسوة الواقع، ويترك أحلام التزعم ليلتحق للدراسة في «تطوان» في مركز تكوين المعلمين.

وفي هذه المدينة يعيش تجربته العاطفية الأولى التي يطلقها خطيا، عندما تتزوج زميلته التي لا تبادله حبه

من أسلافنا . وتستغرق قصة حبه هذه عددا كبيرا من صفحات الرواية القليلة العدد في الأساس وتلك المقاطع الصغير ، وبعد تخرجه يشتغل محمد معلما في قرية معزولة عن العالم . على لسان جبلي ، يقول له المدير وهو يسلمه قرار تعيينه : « بيني وبينك مائة كلمة : ثلاثون منها بين جبال شاهقة ، حسبك من الطباشير لمدة سنة . لا يمكن أن أزورك أبدا . وضميرك هو مديرك . أنت أول معلم في التاريخ سيصل إلى قبيلة « بني مرطين » .

ويشكل هذا الجزء من الرواية الذي يتناول تفاصيل حياة بطلها في قريته المعزولة الجزء الأكثر جمالية وغنى في رواية الحالم . إنه يتحدث بشكل عن علاقته من سكان العالم الجديد الذي دخله : « كانت علاقتي بسكان القبيلة تتميز بنوع من الجفاء والقطيعة ، ولم يكن ذلك ناتجا عن عداوة أو حقد ، وإنما لكوني أشعر بالملل ، وأنا أسايرهم لمعاييرهم المتحجرة المتكررة ، التي تنتهي عادة بالمرحلة الحيث بالملل . كنت أجد دائما مفرا لأمارس هواياتي ، حيث أتيه بين الجبال ، لأتطلع الأشجار والأحجار والطيور » . أبطالها الرجل وحكاياته . وكانت الفراغ القاتل الذي يخيم على حياة البطل يجعل عليها بمقابلة أي شخص متمدن ، وربما أن هذا الشخص غير موجود ، فقد توجب على عقله . إلا أن علاقته السلبية بمحيطه الذي يبعد مائة كيلومتر عن أقرب حضري متمدن ، تتحول نحو الإيجاب ، عندما يمرض رئيس وموظف سكان القرية المتساقطين معه في أزمته . فيبدأ بالانفتاح في حياة القبيلة ، يحل مشاكلهم البسيطة ، ويقدم لهم إرشادات صحية ، ويضع حدا لموت أبناء الأبناء والبنات . وتنتشر شعبيته وسط السكان حتى شيخ القبيلة الذي يدبر له مؤامرة يحال بسببها على التحقيق ويوقف عن عمله ، يعود إلى تطوان مثقلا ، ليجد امرأة بمعتقدها حبيبته القديمة ، تصحب طفلا . أحس محمد أن ذلك الطفل كان يجب أن يكون طفله . بل اعتبره فعلا . طفله الذي سرق منه ، كما سرقت أحلامه في أن يكون زوجا صالحا . وبلا شعور يحس كأنه مجهولة مرول نحو الطفل ورفعه من عربته واحتضنه بقوة مدهشة ، حتى أن أمه من فرط الصدمة صرخت صرخة مدوية ، جعلت جحافل المارين تهب مسرعة متسائلة لتحيط بالمرأة التي تبكي بحرقة ، وتحاول نزع طفلها من حضن رجل غريب ، وهو كمجنون فار من « الرحمان » . وعند هذا المشهد تنتهي رواية « الحالم » .

إنها رواية بسيطة وسلسة . ولعل في هذا يكمن تميزها . فهي تحمل عبق الاعترافات التي تتابع بتلقائية . وينبغي أن ترجمة العنها خاصة إلى لغة الحالم التي حافظ عليها المسرحي عبد الإله ، وهي يلخص لمعاناة الجيل المغربي الشاب بعد الاستقلال ثقافة ونفسيا .

السنوات العجاف

طبعت رواية « السنوات العجاف » عام ١٩٨٤ ، إلا أنها وزعت خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٨٥ . ويولد مؤلفها محمد صوف عام ١٩٥٠ . وبدأ النشر أواخر الستينات ، إلا أن أول مجموعاته القصصية صدرت عام ١٩٧٨ بعنوان البهلوان ، وكان عنوانها « الزلزال » ، ثم أصدر بعدها مجموعتين قصصيتين وروايتين . نحن إذن أمام كاتب غزير الإنتاج ،

ومعروف في الكتابة القصصية والروائية .

« السنوات العجاف » هي روايته الثالثة . إلا أن الكثير للأسف أن أعماله نادرا ما حظيت بعناية النقاد والدارسين المغاربة ، والنتيجة أنه يكاد أن لا يكون معروفا خارج المغرب ، رغم أنه من جيل أسماء أصبحت نجوما إلى حد ما ، كمحمد شكري وزفزاف والخوري والمديني . والمثير للأسف أكثر أن هذا التجاهل يحصل رغم التميز بين جيله المغاربة ، على صعيد تقنيات الكتابة والموضوعات التي تشكل عالم قصصه ورواياته .

يفتتح محمد صوف سنواته العجاف بمشهد ولادتين : في كوخ الضاحية تولد مسعودة التي يلعنها عمها لتربيها زوجته التي لا تنجب ، وفي منزل عتيق تولد ابتسام التي تحضرها القابلة والزغاريد . وتسير الرواية في متابعة هاتين الولادتين في عالمين مختلفين طبقيا : مسعودة تتعذب على يد زوجة العم ، وابتسام تدرس الفرنسية وتسافر لإكمال دراستها في باريس . نحن الآن في مغرب ما قبل الاستقلال . عم مسعودة يعمل مع الوطنيين ضد الاستعمار . القرية تشتعل بدوي الرصاص ، وتتعلم الصغيرة أول دروس الوطنية عندما يعود العم من معتقله وقد فقد إحدى عينيه . تترك المدرسة ويزوجها أهلها من معلم لا تحبه . فيما تعيش ابتسام حياة الطبقة الراقية المليئة بعلاقات من نوع آخر . مسعودة تربطها علاقة ثلاثية : تحب الحسين شقيق زوجها ، ومصطفى الشقيق الآخر تزوج بها . إلا أن الحسين يرحل إلى فرنسا . أما مسعودة فتصر أن تتعلم القراءة والكتابة . في باريس تلتقي ابتسام بالحسين الذي بدأ يناضل من أجل التعريف بقضية استقلال المغرب . إن العالمين اللذين ظهرا منفصلين وسارا في الرواية بتواز إلى أن يلتقيا بالأحداث . وقد استقل المغرب الآن ، ويموت زوج مسعودة في موجة التصفيات التي سادت بين فرق الوطنيين غداة الاستقلال . ويعود الحسين مغادرا باريس والمتجه للوطن لإعالة عائلته ، وهو بذلك يغامر بأصل حبه مع ابتسام في بدايتها . في وطنه يمضي الحسين وقتها كالكثيرين ، فهو مطالب بالثأر لأخيه الذي لا يعرف لماذا قتل ومن قتله ؟ ، ولكن الحسين يعرف أنه لا يستطيع تصفية أحد خصومهم . وفي وطنه أيضا يتعرف على « التراكل »

التي يتحول حب إليها بدلا من ابتسام التي تعود في زيارة للمغرب مع صديقتها ، على أمل الالتقاء بالحسين الذي لا يحضر في استقبالهم بالمطار : لقد ذهب للثأر لأخيه . ذلك الثأر الذي لا يريده ، ولكنه وجد نفسه مجبرا على القيام به . وإلا اعتبر جبانا وخائنا . نهايته هي الموت المنتظر الذي لا تصرح به الرواية ، ولكن نهايتها المفتوحة توحي به .

السنوات العجاف التي يتناولها محمد صوف روائيا إذن هي تلك السنوات التي تلت استقلال وطنه ، وحفلت بتصفيات سياسية لم تقدم حولها وجهة نظر محايدة إلى الآن . وهي بذلك تنضم إلى مجموعات روايات مغربية تناولت المرحلة والموضوع نفسه . وتميز صوف هنا هو في معالجته التعامل الروائي مع موضوع صعب وسهل في نفس الآن . سهل لأنه يتناول مرحلة قريبة من تاريخ المغرب ، غنية بالأحداث والتفاصيل ، وصعب لأنه موضوع يتضمن جوانب سياسية لا تخفى ، يمكن أن تلعب بالعمل الروائي باتجاه معالجة أيديولوجية مباشرة . إلا أن السنوات العجاف هي قصص حب شفافة ومتداخلة نجحت بالمرور متحديا استطاعت الإحاطة منها بتساؤلات شخوص هذه المرحلة الحساسة في تاريخ المغرب المعاصر ، دون السقوط في لغة الشعارات الصحف أو في مجرد التوثيق . □

قصة

الكتابة فن ولكنها أنبل الفنون وأخطرها

بقلم : الدكتور أديب نصور

جاء في قول سقراط قبل أن يتجرع كأس السم : «إن حياة لا تنتقد ولا تفحص غير جديرة بأن تعاش .. وأنا كالذبابة التي تلسعكم ، وهذه اللسعات ضرورية لخيركم ولخير المدينة» .

فهل الكتابة لسع فقط ؟ لنقرأ معا هذه القضية .

«عندما كنت شابا ، كنت أكتب لأعيش . والآن أكتب لكي لا أموت . مثل شهرزاد ، أستمر في الحياة ما دامت لديّ قصة أخرى تروى .»

ذلك اعتراف الكاتب البرازيلي كارلوس فوينتس ، هناك الكتابة كعمل لتحصيل الرزق . وهناك الكتابة من أجل الحياة ، أو كسبيل للبقاء على قيد الحياة .

والتفرغ ، منذ البدء ، من الدافع الملحّ ، والمتصبر للتفوق في الموضوع ينطبق أكثر ما ينطبق على الكاتب المحترف . مثل ممارسة الطب أو الهندسة . قد تكون الكتابة صناعة أو احترافا . ولما كان الكاتب يتقاضى أجرا كبيرا على عمله فذلك مما يدفعه إلى الكتابة ويشجعه على الإنتاج .

بعد الحرب العالمية الثانية كان ونستون تشرشل يتقاضى دولارا على كل كلمة تنشر له في الصحافة الأميركية ، كما دعا الزعيم العمالي موريسون الذي يطول في مجلس العموم - جيدا في المناقشة - في البرلمان المحترم - زعيم المعارضة بوستاك - هو أكثر عمل للنقد الساخر في بريطانيا» . ولا يزال بعضا من الشخصيات السياسية في الولايات المتحدة اليوم يأخذ نحو أربعة عشر ألف دولار على محاضرة واحدة لساعة من زمان . فذلك هو هنري كيسنجر ، وزير الخارجية للرئيس نكسون والرئيس فورد ، وكذلك غيره ما تدرّ عليه مذكراته من ملايين .

أما الكتابة للأدب والفن والجمال ، أما الكتابة

فيلسوف لبناني ، وكاتب عربي سوري له العديد من المؤلفات منها : «وطنيون ووطن» ، قبل فوات الأوان ، الحكمة والسلطة ، رجل الدولة وغيرها .

للبحث والتفكير . أما الكتابة للسياسة وللقضايا الحسان في الدولة ، فلها شأن آخر .

الكاتب أسير فنه

ويخيل إليّ أن الكاتب الأصيل ليس مطلق الحرية في أن يكتب أو لا يكتب . إنه لا يملك وحده كل أمره ، وإنما « موهبة » و « الحالة » هي التي تملك عليه الأمر كله ... وربما تقتحم عليه وهو في غير موعده المحترم . على الكاتب أن يكتب كما على الطائر أن يطير بجناحيه ، وكما على النحل أن يجني ليحق عليه الحديث الشريف :

« كل ميسر لما خلق له » .

أرسل مكيافللي ، صاحب كتاب « الأمير » و « المطارحات » ، رسالة إلى صديق يقول فيها ، بعد أن صرفته حكومة فلورنسا من خدمتها والسفارة لها : « إني لا أحسن تجارة الصوف أو الحرير ، فإما أن أكتب في السياسة أو أنتحر » .

ثم إنه في كل زمان جو فكري أو روحي يغشى البلاد ، وفكرة كبرى أو فكرة رئيسية تهيمن على العصر . في هذه الحالة لابد للفكرة الغالبة من أن تجد لها تعبيرا ، ومن يجد لها أو يشرحها للناس . فكرة الحرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا وأمريكا ، والديمقراطية البرلمانية أو التمثيلية ، والفكرة القومية ، والدستور المكتوب ، وسيادة القانون : فكر ومبادىء تطوعت لها أقلام كبار المفكرين السياسيين ، من لوك الانكليزي ، إلى جفرسن الأمريكي إلى جان جاك روسو مواطن جنيف الفرنسي .

تلك الأفكار سبقت ، أو رافقت ، الثورات الثلاث الكبرى في انكلترا وأمريكا وفرنسا .

وقد يكون الكاتب أكثر من معبر بليغ عن أفكار العصر . في المنعطفات التاريخية الكبرى يكون مفكرا مبدعا أو موجها رائدا ، يعالج قضايا العصر ومشاكل البلاد ، كأنه أول من فكر أو عالج أو كتب . ويسهم في نقل الحالة الاجتماعية من طور إلى طور ، والوضع السياسي العام من مرحلة إلى مرحلة ، متقدمة أو متخلفة ...

وفي بعض الأحيان يدفع الكاتب وكأنه قسيم للشعب أو الأمة ، وينسى « حين » الانكسار قلوب كثيرة ، « يقاتل ويقسم ويوجه ويجود بالرأي والبيان » .

في أيام نابليون بونابرت والهيمنة الفرنسية على القارة الأوروبية ، وجد في ألمانيا مفكر سياسي - استراتيجي اسمه فردريك فون غانتز كان يعد من أحسن العقول وأقدر الكتاب في أوروبا . وكان يحظى الرأي العام والصحف عند الخاصة من الأوروبيين . وقد سجّل عن نفسه ما يلي : « أود أن أقول ، وأستطيع القول بدون خيلاء ، إني واحد من الذين يقودون العقل العام في القرن الحاضر ... » .

بروسي الأصل ولد في برسلو سنة ١٧٦٤ وبدأ دراسته في برلين وأكملها في جامعة كونيغزبرغ حيث تتلمذ على الفيلسوف (كانت) ، ولسد حاجته للإصلاحات العسكرية التي أحرزتها الثورة الفرنسية ، وأقام في فيينا منذ سنة ١٨٠٢ ليستحثها على سياسة بروسيا المتحالفة مع فرنسا . وبرز بكتاباته ضد امبراطورية نابليون ، كواحد من أقدر الكتاب السياسيين في أوروبا كلها ، إن لم يكن أقدرهم على الإطلاق . وقيل في تحيته أنه رفع تأليف الرسائل السياسية والتعليقات الصحفية إلى مستوى الفن ، وقيل إنه كان يصرخ ويصقل التقارير أو المذكرات السياسية كما لو كانت قصيدة شعر .

« مصير دول عصره »

لم يكن لغانتز سلطان سياسي ، ولا كان يحتل في الدولة منصبا رفيعا . أقصى ما بلغه في الحكومة النمساوية أنه كان سكرتيرا للمستشار الشهير مترنيخ . إنما استطاع وتلميذ (كانت) أن يحلل تحليلا عميقا الواقع الأوروبي ، ويقدر تقديرا صحيحا خطر نابليون والامبراطورية الفرنسية على حريات أوروبا واستقلال دولها . وكان يرى أن فرنسا الثورة وسيفها نابليون قد قلبا موازين القوى في أوروبا . وأن على دول أوروبا أن تتحالف ضد العدو المشترك لترد التوازن الدولي إلى نصابه . وقام بحملة قلمية متواصلة إلى أن تألف الحلف الكبير الذي هزم نابليون . ولم يخف امبراطور الفرنسيين حنقه على « هذا الشقي ومنشوراته ... » .

وفي مؤتمر فيينا (١٨١٤ - ١٨١٥) غدا مفكر

أوروبا كلها ميدانا لجميع الدول ، وعرف بسكرتير أوروبا . ونال أعلى وسام روسي مع كتاب من القيصر إسكندر الأول أطلق عليه فيه لقب (حارس أوروبا) . واقترح مرة الوزير الفرنسي تاليران أن تؤسس أكاديمية أوروبية دائمة في فيينا ، وأن يعهد إلى غنتز بإدارتها . وكتب عنه مؤلف معروف يقول : « غنتز فكر أفكار زمانه . كانت له مسحة من العظمة ، وربما من العبقرية . هنا كان ميترنيخ الأوروبي وعلمه كانت سياسته . »

وليس غنتز ذلك النموذج الفظ دون تكليف من أسرار القلم عند نبالة تلزم صاحبها كنبالة الفرسان أو نبالة الرهبان . لأصحاب السيف وأصحاب الوشاح . ألم يتحدث المستشرقون عند العرب عن أرباب السيف وأرباب القلم !

بهذا المعنى كان على الكاتب واجب ومسؤولية مثل واجب الطبيب نحو المرضى والجندي على حدود الوطن يدافع عن الأرض والأهل والكرامة .

وعلى الكاتب أن يمضي في أداء الواجب فلا يهرب من القيام بما خلق له . فإن الواجب لا تخطئ الكي تهلم . وقال عنها كاتب يقتضي نفسه ، تقوم بوظيفة اجتماعية لا بد منها . كأنها القدر .

حرية النقد .. في أثينا

عندما رأت أثينا (المدينة - الدولة) أن أسئلة سقراط أحدثت اضطرابا في المدينة و« تفسد الشباب » وتنال من آلهة الدولة ، أرادت أن يرحل عنها سقراط أو يبقى فيه . فلما أبى اشترطت عليه الصمت ، فلما أبى أتاحت له فرصة الهرب من السجن ، فلما أبى تلك حكمت عليه بالإعدام . وشرب سقراط السم طائعا ، احتراما للقوانين . قال لقضاته : « إن حياة لا تنقد ولا تمتحن غير جديرة بأن تعاش ، والموت أحب إليّ من الهجرة إلى بلد غريب . ولئن كنتم أنتم أهل مدينتي العظيمة لا تطيقون كلامي فكيف يحتمله الآخرون ؟ وإنما كالذبابة التي تلسعكم . ولعل اللسعات ضرورية لحركتكم ويقظتكم للمدينة . » ورأى سقراط أنها أمام محكمة الشعب بعد محكومة أثينا ويسطر من رجالها ، في معرض الدفاع عن آرائه .. كان ذلك

الكاتب شاهد على عصره وشهيد . ليس له أن يصمت في موضع الكلام . ليس له أن يتجنب الخطر ويهرب عندما يكون الخطر قضية موت أو حياة ، حرفيا ، بالنسبة إلى قومه وبلاده .

هناك من يتكلم أو يموت بالصمت، وهناك من يتكلم أو يموتون بالصمود . « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون » .

في سنة ثلاثمائة وثلاثين قبل الميلاد ألقى ديموستين خطبة التاج أمام الجمهور الأثيني صاحب السيادة في الدولة مدافعا عن سياسته في مقاومة الملك فيليب المكدوني . ومهاجما منافسه أسخينيس وكان الخطيب الذي بين خطباء أثينا الذي طالب بحرمان ديموستين من تقدير الشعب الأثيني . ويعتبر النقاد خطبة التاج لديموستين خطبة لأعظم خطيب في التاريخ .

وكان الخطيب عند الإغريق رجل دولة ، مثل (الملوه) عند العرب (سيد القوم وخطيبهم) .

وكانت الخطابة تدرس عندهم كما يدرس القانون وعلم السياسة في زماننا ، وموضوعها الأجل هو الدولة والشأن العام . ورسالة ديموستين أنه بينما كانت جميع المدن اليونانية ضد توسع فيليب ، وبينما كانت تعد الجيوش للدفاع عن حرية أثينا واليونان . كان أسخينيس غالبا متواريا لم تتعرض بتراب » : لمنافذ أمر جاري له لغير الشعب ؟ أسخينيس أخرس لكم أيضا . لمناك نعتا ، أزمة ، أو كارثة ؟ إلى الأمام يتقدم أسخينيس ، شأنه شأن الجراثيم تنشط عندما يضعف جسم الإنسان . »

وبعد انتصار فيليب المقدوني ، انتحر ديموستين لكي لا يقع في يد الأعداء .

الكتابة .. سبيل إلى البقاء والخلود

ويعلم الكاتب أن كلامه تقسم بالمسؤولية ، فالكلام بالمعنى ليس مجرد كلمات . وإنما هو فعل من الأفعال . كان كلام شارل ديغول مقدمة للفعل ، أو هو الفعل التاريخي ، أو وسيلة رجل الدولة في الحرب والسلم جميعا . ورجل الدولة العصري يخطب ويكتب ويقرأ ويدرس مثلما كان تشرشل في الحرب العالمية الثانية ، وهو رئيس الوزراء في بريطانيا ، ومثل جواهرلال نهرو في الهند بعد

استغلالها .

وهناك مثلا أكثر من طريقة واحدة لقول الشيء الواحد . وعند العرب ترفع الأدباء عن الألفاظ النابية والمبتذل ، وذلك بالقواعد القرآنية المختلفة ، والحث على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة « وجادلهم بالتي هي أحسن . » ولعل أول تعليمات « دبلوماسية » معروفة ، ولقد ورد فيها نص ، لخطبت لموسى وهارون أخيه : « اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى . »

ولعرف الفلاسفة ، وتعرف الآداب العالمية ، كُتّابا لم تتح لهم فرصة العمل في الحياة العامة . أو لم يكن لهم سلطان ، أو أنهم لم يحسموا دولة . فلجأوا إلى الوسيلة الباقية لهم وهي الكتابة والتأليف . يقول لهم جان جاك روسو حيث كتب : « يقولون لي أأنت ملك أم أنت أمير حتى تكتب في السياسة . وأجيب لو كنت أميرا لما أضعت وقتي في الكتابة ، ولكنت عملت بدل أن أقول . »

وفي القرن الرابع قبل الميلاد وجد أفلاطون أن أحوال أثينا لا تعجبه ، بعد إعدام معلمه سقراط ، فانصرف عن السياسة ، ترفعا وحنقا بنفسه ، وأنشأ الأكاديمية ، أول جامعة في التاريخ ، وراح يكتب ويعلّم .

ثم لا ننسى أن فريقا من الكتاب والشعراء ، في عصور مختلفة ومن حضارات شتى وجدوا في الكتابة طريقة للتغلب على الموت بالأثر الباقي ، ونوعا من الخلود .

وفي المثل اللاتيني القديم « الكلمات المكتوبة تبقى وتدوم » ولقد تردد هذا المعنى في الشعر العربي بصيغ مختلفة ، مثل قول أحدهم :

وكاتبة مثل حق السنان
تبلى ، ويذهب من قالها

لكن المتنبي لخطابهم جميعا على طريقته :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وأخيرا ، فإن في الكلمات المكتوبة تحملها الصحف ، وفي الكلمات المسجلة المحكية تحملها موجات الأثير ، صفة مثل النسيم العليل وريح الصبا التي كانت تحمل التحيات والأشواق عبر المسافات والحدود ، فتبلغ أهل الحي أن المحب « حي » وأنه مازال « على العهد . »

إن الذي كان يصف بحق : « أوتيت جدلا » « وأعطيت جوامع الكلم » ، هو الذي استطاع في خطبة الوداع أن يرسل الكلمات الخالدة المدوية في التاريخ : « ألا هل بلغت ؟

... اللهم فاشهد »

منتدى العربي
تعقيبات

قسطنطين الأفريقي ١٠٢٠ - ١٠٨٧م

قرأت مقال : « سالرنو ... جسر عبرته المعارف الطبية الإسلامية إلى أوروبا » بقلم الدكتور حسن فريد أبو غزالة في العدد ٣١٩ من « العربي » لشهر حزيران ١٩٨٥ (ص ١١٩-١٢٦)

ولقد استغربت كيف أن الأستاذ الباحث لم يف قسطنطين الأفريقي حقه في تأسيس مدرسة سالرنو الطبية ، مع أنه كان العمدة في تأسيسها ، ولولاه لما كانت مدرسة طبية في سالرنو . واستغربت كذلك

من اضطراب وغموض للجملة التي أوردتها الموسوعة البريطانية عنه فلم يكن « مغامرا » بالمعنى الذي قصدته الموسوعة علماً بأن هناك بعض الأساتذة والباحثين في الجامعات البريطانية ممن يرجعون لهذه « الموسوعة البريطانية » كمرجع في الدراسات العلمية وكتابة البحوث للدرجات الأكاديمية، وربما كان السبب هو اعتمادهم على امثال هذه المغالطات في كتاباتها !.

لقد كان قسطنطين رجلاً عربيا من تونس ، اشتغل بالتجارة ، وقيل انه كان في الأصل مسلما ، فاعتنق المسيحية ، وتسمى بقسطنطين الافريقي ، ولم نعثر على اسمه الحقيقي يوم كان مسلما ، وربما كان « عبد الله » أو « عطاء الله » على ما ورد في بعض الروايات ، وكلا الاسمين شائع في الشمال الافريقي ، وانخرط قسطنطين في سلك الرهبان البندكتيين .

واعتكف في صومعة في « مونتي كاسينو » وبقي هذا الدير الى الحرب العالمية الثانية ، حيث هدمته قنابل الالمان ، أثناء المعارك التي جرت في المنطقة . ومع ذلك فانا أشك في انه مرتد عن الاسلام ، كما يحلو للمستشرقين أن يزعموا ، بل انه في الأصل من مسيحيي العراق المهاجرين الى الشمال الافريقي ، وعمله تاجرا للتجارة الى جنوب ايطاليا ، ولكنه احتفظ باسمه العربي لسبب لم نعرفه لترويج أعماله في الغرب ، على نحو ما يفعل بعض العرب الذين هاجروا الى الولايات المتحدة فتأمركوا ، وتأمركت ، معهم أسماؤهم العربية . وعندما استبدل قسطنطين باسمه العربي لسبب لانه تحت الوهم بالباحثين الغربيين الى انه كان مسلما فتنصر ؟.

ولما وجد قسطنطين أن الاوروبيين متخلفون طبيا ، عاد الى الشرق العربي لدرس الطب لسنوات في بغداد وحلب وجمع العديد من المخطوطات الطبية ، وانتقل راجعا الى سالرنو . وفي طريقه البحرية هبت أعاصير أتلفت العديد من كنوز المخطوطات التي جمعها ، ومع ذلك فإن ما تبقى منها كان كافيا لايجاد نهضة طبية في جنوبي ايطاليا ، وبالتالي في أوروبا برمتها ، وقيل انه ترجم ٦٧ كتابا الى اللاتينية التي كان يتقنها ، بالاضافة الى اليونانية ، وقد نسب الى الكثير مما ترجمه من مؤلفات ابن سينا والرازي خاصة ، وقد عاش فترة في صقلية ، وتقول بعض الروايات انه من مواليد قرطاجنة بتونس ، وهو ما نستبعده ، ونرجح كونه من مسيحيي المشرق اصلا ، وربما مولدا أيضا ، وان كانت ثمة روايات مضادة كما سنذكر فيما بعد .

ولعل ما وقع فيه الدكتور أبو غزالة من استصغار شأنه بعض الشيء يرجع الى المستشرقة زيغفريد هونكة ، التي جعلته رابع أربعة في تأسيس المدرسة الطبية بسالرنو ، مع أنه كان شيخهم ومرشدهم جميعا .

ولكن يبدو لي أن الأستاذ قد فاته ذكر الاسم الكامل لمؤلف كتاب « كامل الصناعة » الذي ترجمه قسطنطين الافريقي ، وهو علي بن العباس وليس غيره « المجوسي » ، مما يوحي للقارىء انه لم يكن مسلما ، وقد أعطى الاستاذ أبو غزالة – سامحه الله – المؤلف أهمية أقل من قسطنطين في المرتبة ، من حيث الاطلاع وتدريس الموضوعات السريرية .

وقد أشاد المستشرق العلامة ادوارد براون بذكر قسطنطين الافريقي في كتابه الشهير « الطب العربي » .

(المطبوع بكمبردج سنة ١٩٢١) فقال في الصفحة ٦٨ ما يلي :

« عندما كان ابن سينا في ذروة شبابه ولد في شمال افريقيا وربما في تونس ، رجل لا نعرف الا القليل من تاريخ حياته ، ولكنه قيض له أن يصبح مشهورا باسم قسطنطين الافريقي . فكان أول من عرّف أوروبا الغربية على علوم العرب عن طريق اللغة اللاتينية ، وقد التحق بمدرسة طب سالرنو الشهيرة ، وتوفي في مونتي كاسينو بعد حياة حافلة بالنشاطات العلمية ، وذلك حوالي سنة ١٠٨٧ ، قبل ظهور المترجم جيراردو كريمونا بقرن كامل بالضبط ، والى هذين الاثنين والى الطبيب فرج بن سالم الذي أكمل ترجمة « الحاوي » للرازي سنة ١٢٧٩ ، تدين أوروبا في القرون الوسطى بصورة خاصة بمعلوماتها عن الطب العربي » .

وباعتقادي أنه بقدر ما يمكننا أن نقول ان الحضارة العربية مدينة لترجمة حنين بن اسحق للطب اليوناني الى العربية فان الحضارة الأوروبية مدينة لترجمة قسطنطين الافريقي للطب العربي الى اللاتينية .

وقد أشار اليه الدكتور عبد اللطيف البدري في

كتابه « العلم و الطب عند العرب » ما يلي :

وقيل انه تاجر من قرطاجنة موهوب في الطب وفق الروايات ، اتصاله بمدرسة سالرنو . اكمل دراسته في الطب في وطنه ، وجمع كتبا كثيرة تتعلق بذلك » . . . . ولا ندري بالضبط ما يقصد الدكتور البدري بالتفاف « وطنه » .

هل يقصد « قرطاجنة » التي قيل انه ولد فيها ، أو بغداد التي (على الأرجح) هاجر إليه منها . لأن قرطاجنة يومذاك لم تكن مشهورة بالطب فلم يقصد وحلب اللتين درس فيهما قسطنطين ، ولعله يقصد بالكتب الكثيرة تلك المخطوطات التي ابتاعها من بغداد وحلب ويستأنف البدري كلامه فيقول :

« ثم ابحر الى جنوب ايطاليا آخذا معه الشحنة الغنية من المخطوطات ، الا ان عاصفة هوجاء صادفته في البحر فاغرقت قسما من كنوزه الادبية ، فلما قدم الى سالرنو اعتكف في الدير البندكتي في مدينة مونتي كاسينو ، وسمى نفسه قسطنطين ، وانهمك في ترجمة ما تبقى معه من العربية الى اللاتينية ولبث فيه للأمير . ولا شك في ان عمل هذا التاجر كان تتويجا لمدرسة سالرنو الطبية . التي اتجهت فجأة الى دراسة الطب العربي . فحصلت بسببه على شهرة أكبر من ذي قبل ، ودفعت بجميع مدارس الطب الأخرى الى التجديد » .

لم تكن مدرسة سالرنو الطبية موجودة في اعتقادنا قبل قدوم قسطنطين الى ايطاليا ، فهو الذي وضع اسسها ، وانشأها من العدم ، لذلك بدأت بداية عربية ، ولم تتجه فجأة الى دراسة الطب العربي ، ونستبعد جدا وجود مدارس طب أخرى يومذاك في اوروبا لتندفع معها الى التجديد ، بل نشأت بعدها وعلى غرارها .

ويستأنف الدكتور البدري بحثه القيم فيقول :

« لقد ذكر ان قسطنطين ترجم قسما كبيرا من (الكتاب الملكي) لعلي بن العباس ، وكتاب (المسافرين) لابن الجزار ، وكتاب (طب العيون) لحنين بن اسحق ، وكثيرا من كتب اسحق في (البول) و (الحميات) والحمية و (الادوية المفردة) . كما ترجم من العربية كتبا ذات أصل يوناني ، مثل تقدمة المعرفة والصناعة الكبيرة والاشارة ، وذكر بطرس دياكونس ٢١ كتابا طبيا آخر من ترجمة قسطنطين .

وقد اثر قسطنطين في احد تلامذته (يوحنا الفلسي) وهو من أصل عربي أيضا ، فساعده في ترجمة (الكتاب الملكي) وفي نوحته بلاسيريوس الأصغر ، فصنف كتاب (الصناعة الصغيرة) و (تفسير البول)

ومن تأثير العرب في مدرسة سالرنو الطبية اعتماد كتاب (العرض التشريحي للحيوان) وكتاب (التشريح) وهما من ترجمة قسطنطين أيضا .

لقد مضينا في ذكر رأينا وراي الآخرين في قسطنطين الافريقي ، مع ابداء بعض الملاحظات والتعليقات ، وما ذلك الا لقرب حلول ذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاته ، وذلك في سنة ١٩٨٧ . ويعود الفضل في ذلك الى الدكتور حسن فريد ابو غزالة ، الذي حفزنا بمقاله القيم على التعليق والتفنيد . □

الدكتور صفاء خلوصي

العجلة أم الندامة

قال بعض الحكماء : اياك والعجلة ، فان العرب كانت تكنيها أم الندامة ، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد الا صحب الندامة واعتزل السلامة

قصة قصيرة

وأخير

للكاتب الليتواني* : جيوزاس بالتوسيس

ترجمة : المحامي سهيل أيوب

كانت قد بلغت من الكبر عتياً . واستوت هنالك جالسة على مقعد مريح بسطت عليها فرو سنجاب . واستغرقت في غفوة

ـ ماذا يمكن أن أفعل من أجلك ؟

أخبرتها أني أصبت بمرض عضال منذ زمن مديد ، وأني عرفت أن هنالك في المدينة امرأة مسنة في نجالي ، وأني سمعت عنها الكثير الكثير . هي التي مارست الطب على مدى ستين عاماً . وأني جئت استشارتها .

قالت :

ـ كففتُ عن ممارسة الطب . انقطعتُ عن ذلك من طويل زمن . أنا اليوم متقاعدة . أفما عرفت ذلك ؟

ـ بلى . عرفتُ ، لكنها الطبيبة . ولكنني لا أرغب في الموت . لا أرغب فيه وأنا عارفة أن هنالك من يمكن أن يمدّ لي يد العون .

أطرقت شفتاها عن بسمة . واسترسلت ، وقد غلب على صوتها الوقار :

ـ ثمة وفرة من الأطباء هذه الأيام . وثمة عدد كبير من العيادات والمستشفيات والمستوصفات . وكذلك

• ليتوانيا إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي تقع على بحر البلطيق وعاصمتها مدينة فيلنوس .

جئت لتراني أنا . فلماذا ؟

جهلت ما أقول ، وكيف أشرح لها الأمور . وجنحت ، هي الأخرى ، إلى الصمت . وبقيت على مستلقي ملتحفا . كانت لها جبهة بارزة شاهقة ، وشعر أبيض كالثلج ، وعينان زرقاوان صافيتان لم تمسهما الشيخوخة ، وهي تشبه أخيلات إلى وطنها ظهورها . ليس ثمة خطورة بل وقار . ارتعشت نفسي في جهد على التمريض ، وانعطفت ناحية الباب .

نبرت :

— حسبك من تعجل . قل لي ماذا كان تشخيص الطبيب .

— ذبحة صدرية حادة .

— حادة ؟

— نعم ، أيتها الطبيبة .

أطلقت ضحكة .

— يشخص عدد الناس بالمتخصصين في أمور الطب هذه الأيام . هلا ناولتني عصاي ، رجاء .

كانت العصا في زاوية الغرفة ، نحيفة كثيرة العقد مصنوعة من خشب الصنوبر . اتكأت عليها متأملة وحشي نظراتها .

— تفضل بخلع قميصك .

راحت تدور حولي ، مستندة على عصاها ، قارعة بها الأرض مع كل خطوة من خطواتها . لمست إلى قلبي ، ورئتي ، ونقرت على صدري وظهري ، وجست نبضي ، وجعلتني أقف ، وأجلس ، وأستلقي ، وأنهض من جديد ، وأشد من قامتي ، وأسترخي .

— لك أن تعاود ارتداء قميصك الآن .

اختفت في غرفة مجاورة وهي تضرب الأرض بعصاها ، وغسلت يديها وتناولت بعض الأوراق الخاصة بها وعادت . والتفت ضاحكة متشحة بالحمرة مثلها أبدًا .

قلت ، وأنا أحاول التظاهر باللامبالاة :

— أيتها الطبيبة . . . لن أموت ، أليس كذلك ؟

— بل ، ستموت .

— أموت ؟

— نعم .

كنت أعرف أنني لو كنت في صحة أخرى لكنت أصاب بنوبة ، نوبة أخرى من تلك النوبات المرعبة التي لا تطاق . والتي تسلمني إلى شفير الموت . وشعرت في الوقت ذاته بغضب مفاجئ ضد هذه المرأة . ألم تكن تعرف ، وهي الطبيبة الخبيرة ، أن

المريض مرغب في كتم الحقيقة المريرة عنه؟ ما أهمية أن أكون مصاباً بمرض عضال ميؤوس منه، والموت نفسه يشحذ منجله وراء ظهري؟ وأنت، أيتها الطبيبة، ستبقين على الدوام لن تقولي إنني سرعان ما تمسي حالتي من جديد، وإن عمري سيكون مديداً. وبعد هذا كله، ما أسهل أن أموت وأنت على من الإيمان كله إلى آخر لحظة أنك ستبقى على قيد الحياة. ألا تعرف هي هذا؟

أصابت القول، وكأنها حدست ما يطوف في خلدي:

- بلى، لسوف أموت.
- لكن، أيتها الطبيبة...
- جميعنا صائرون إلى الموت.

رجعت إلى مقعدها، وعقدت يديها على صدرها مرة أخرى:

- ليس هنالك من يموت بدلاً منك، أو بدلاً مني.

جنحت إلى الصمت برهة، ثم تساءلت:

- اذهب الآن وارجع إليّ بعد أسبوع. أحتاج إلى وقت للتفكير.
- للتفكير؟
- نعم. فالأطباء يفكرون أحياناً. ولديّ متسع من الزمن أفكر فيه. لا تنس أن تحضر معك جميع التحاليل ومخطط القلب. أريد أن ألقي عليها نظرة. الأطباء لا يفكرون وحسب. أحياناً هم ينظرون أيضاً.
- لكن، أيتها الطبيبة، أفلا تؤمنين بالأطباء الآخرين؟
- أتؤمن أنت بهم؟

وابتسمت، وهي تشاهد ارتباكي.

- كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئاً، كما قال ذات مرة سقراط أو حكيم آخر. يجب أن ألقي نظرة بنفسي. فالطبيب إنسان أيضاً، وهو بدوره يمكن أن يرتكب الأخطاء.

على هذا القرار تفارقنا. بعد أسبوع درست جميع وصفاتي الطبية دراسة متمعنة، وقرأت جميع نتائج الاختبارات مرات عديدة. وفي النهاية كوّمتها بعضها فوق بعض، وأعلنت:

- تستطيع أن تضعها إلى جانبك وتستعملها بالأسلوب الذي يطيب لك.
- لكن، يا دكتورة...

أعلنت، وهي ترفع إصبعها:

- مهلاً لحظة. لنوضحنّ بجلاء شيئاً واحداً منذ البداية. ففي ممارستنا الطبية نجد على الدوام مثلثاً: المريض، ومرضه، والطبيب. فإذا وحّد المريض والطبيب قواهما يتغلبان على المرض. أما حيث يعارض المريض الطبيب وينحاز إلى جانب مرضه، فسوف يبقى الطبيب وحيداً. وعندها تغدو مرهقة كلها عليه. وما أطلب معرفته هو في جانب من تقف أنت. في جانبي، أم في جانب مرضك؟

- يا له من سؤال! تكلمي وحسب. سأفعل كل ما تبغين مني.
- رائع. لتتناولنّ جرعة إذن.
- جرعة؟

وذهبت بي الأفكار مذاهب شتى.

- هذا أول شرط من شروطي قبل أن نشرع في علاجنا.

لم أستطع أن أستدل لغزي.

كان هنالك مجموعة من اثني عشر درجة توصل إلى شقتها في الطبقة الثانية من بناء عتيق من طابقين، وكان عليّ أن أتوقف أربع مرات خلال صعودي لألتقط أنفاسي اللاهثة. وكان قلبي يخفق، وجعلت دوائر سود تسبح أمام عينيّ.

- أتريدينني أن أموت، أيتها الطبيبة؟
- أبداً لا أحب سماع مثل هذا الحديث

تهكمت، وضربت الأرض بعصاها. ودلفت إلى الحجرة الأخرى. وسرعان ما أتت حاملة فنجانين صغيرين من البلور الصافي، ثم عادت بزجاجة من الخمرة وقليل من البسكويت في طبق. صبت السائل المخضر في الفنجانين. ورفعت كأسها، وقالت:

- والآن، لنقرعنّ كأسينا ونشرب.
- أيتها الطبيبة، أواثقة أنت أن ما تفعل هو عين الصواب؟ لا بدّ أن أبقى مستلقياً على ظهري كلما نهلت جرعة.
- اشرب ما في قدحك.

بدا أن ترقيمة قدحنا تظل معلقة في الهواء.

والتقت إلى حافة القدح شفتي.

من دون ريب نهلت حينها! انتشر في جسدي دفء

للهند ، وما أسرع أن طافت في ذهني مرة بيوم كنت لا أبرح فيه أحسن حال ، حين كنت أقضي أيام العطلة مع أصدقائي . أشرب نخب المستقبل . نخب حياة طويلة ، رائعة ، عامرة بالفرح والمغامرة . وشعرت متعبا ، على حين غرة ، أن هاتيك الأيام قد رحلت بعيداً لا يمكن تعويضها .

- أيتها الطبيبة ، ساحرة أنت !

- والآن ينبغي أن تعشق !

- ماذا ؟

- هذا هو ثاني شرط من شروطي قبل أن نبدأ علاجنا .

تحدثت في هدوء ، وشككت أن بسمة ملتفة ارتسمت على شفتيها ، لكنها لم تكن تمزح . كانت عيناها الخضراوان تنظران إليّ باستقامة . ولم تكن هيئتها تنطق إلا بخير الرغبة في كلماتها .

- لكنني ، أيتها الطبيبة ، لكنني رجل متزوج .

- لا علاقة لزواجك بالموضوع . هذا ما كان ينبغي أن يكون . لكنه ينبغي أن تعشق من جديد .

واسترسلت قائلة :

- وليعش الطفل ، أيتها الطبيبة . ثلاثة أطفال .

- هذه أول مرة أسمع فيها أن الأطفال يكونون حجر عثرة في طريق سقوط المرء في الحب .

فقدت كل قدرة على الكلام . فهذه المرأة لا تشبه في شيء أي طبيب عرفت . أو أي إنسان آخر ووسائلها في العلاج لم تكن أبداً غير مألوفة .

- وفضلاً عن ذلك ، فإن قلبي ضعيف . ولا يفترض فيّ أن أثور عاطفياً . لا يحق لي ذلك .

- ليس قلبك ما يوجعك .

- ليس قلبي ؟ ولكنني مصاب بذبحة صدرية .

طافت على شفتيها بسمة .

- يتضخم عدد الناس المصابين في القلب هذه الأيام !

لم أستطع الامتناع عن الابتسام لسماعي هذه الكلمات .

- لنكن صريحين ، يا دكتورة .

فقالت :

- هذا هو السبيل الوحيد الذي يتيح لنا متابعة العمل .

- لنفترض أني اتبعت نصيحتك وعشقت .

- أجل . افعل هذا .

- لكن من هي الفتاة التي يمكن أن تعشقني ؟ فقط لم أكن وسيم الطلعة ، وها أنا الآن مريض وهزيل العود . وقد تخطيت سن الشباب وتجاوزت الخمسين كما تعرفين .

- لا أفهم بالضبط أي فتاة تقصد ؟

- حسناً ، لنقل إني عثرت على .... لنقل إني عملت بنصيحتك وعثرت على من تستهويني . لكن ، ماذا بشأنها ؟ أيمكن أن تحبني هي أيضاً ؟

- لكنني لم أشر إلى فتاة معينة .

- لم تفعل ذلك ؟

- تحدثت عن الحب وحسب . يجب أن تعشق .

- ومن أعشق ؟

- تلك هي مشكلتك .

- أوه !

- ولا يحتاج مشكلتك أن تجد من يبادلك وداً بود . ما الطريقة المثلى في النظر إلى الأمور : أعطيك شيئاً ويجب أن تعطيني شيئاً مقابله . أنت من ينبغي أن يعشق . وهذا كاف .

وهكذا بدأ علاجها طويلاً . كان منفصلاً لا يصدق . وكلما تكلمنا فيه ازدادت الوصفات تعقيداً . غيّرت بالفرض أسلوب حياتي ، وعاداتي ، وجدول أعمالي . وألقت من النافذة بنظام حميتي .

- كل ما تشتهي وتستطيب . وبقدر ما يروق لك أن تأكل .

قالت إنه يجب أن أكون حيوياً قدر المستطاع ، وأن أمشي قدر ما أشعر أن العمل في طوقي . طبيعي أنه يجب عليّ أن ألجأ إلى الراحة بين حين وحين ، وأن أقوم بجميع التمرينات في الهواء الطلق . يجب أن أستنشق هواءً نقياً على مدى ست ساعات في كل يوم . وأن أنام والنوافذ مفتوحة .

- ولكن النوافذ تقفل في الشتاء .

- افتحها . هل تقوم بالألعاب الجمبازية في الصباح ؟

- لا يمكن أن تكوني جادة ؟

- سيكون لدينا متسع من الوقت للنزاع فيما بعد . وفي هذه الأثناء ينبغي أن تقوم بالتمرينات كل صباح . ابدأ بخمس دقائق وزدها تدريجياً إلى عشر . وسأخبرك بالتمرينات التي تقوم بها .

- لكن يا دكتورة .. لا يفترض في أن أرفع صوتي أعلى من تفكيري .

- هذا صحيح تماماً . يجب أن ترفعيه أعلى من تفكيرك . ستشرع في ذلك بالتدريج . وستبدأ ذلك في مستوصف العلاج النفسي في مليليا . وعند ذلك أبلغك أنك سمعته .

تحدثت في صوت لا يمكن الاعتراض عليه أو الارتياب فيه . ثم تحولت إلى وصفات . ولكنها دلت على ترجمة مجموعات الأدوية التي وصفها الطبيب عيروك قبلك .

- الجسد البشري يعرف كيف يدافع عن نفسه ضد المرض . لكن الجسد يجب أن يمد بالعون . أن يمد بالعون . لا أن يحشى بمجموعات مختلفة من الأدوية . من ما يبدو أن بعض الأطباء يرونه ضرورياً . فهم يجربون أحد الأدوية ويضعون ستة أخرى !

- لكن هذا ما يقوله ويفعله الأطباء . أليس كذلك ؟

قاطعتني قائلة :

- وهكذا ترى الواجهة كبيراً من الناس متسلطين في تجاه هذه الأدوية ! لا تحمسي أنت .. المداواة الكلية .. ثمة شيء جيد في هذا العلم القديم .

- أنا آسف

- هل تكرهين أن يفحص أعضاءك طبيب

قلت . في كل مرة أزورها . تمسد إلى جسمي مسداً متواصلا . وتمشي حوالي . فطرقة الأرض بعصاها . وتأمرني عند الفراق :

- ارجعي في غضون أسبوع .

رجعت . وفي كل مرة كنت أجد تلك العجوز فرحتها عشية جنيسة في صلوة على مقعدها . يداها على [illegible] كانت الغرفة بسيطة الأثاث رثة ورفوف ملأى بالكتب على الجدران . وعصابة وطاولة للقهوة تتوزع بصحف ومجلات عربية وأجنبية [illegible] لم تجد منها لشغلت . مثل كثير من الأطباء . كما أنها قارئة نشيطة . مثقفة لكثير من الكتب التي قرأت . [illegible] المشية تمضي إلى المطبخ أو تشاهد التلفاز . ولقد حلت لي يوماً لبنة يابانيا من الصيني كان مخلوقاً غريب الطلعة : صغير الحجم . له طلعة حيوان ضخم مرعب . وأنيابه الطفلة تبرز من قمة الفم . في حين انطلقت فيه إلى الوراء .

صالتي مرة .. وعيناي تتحاشى النظر إليه

- أتضايقك هذه الفتيات ؟

سحت في شيء من الرفض

- صدأ .. على الأطلاق ؟

- يسرني أنه لا يضايقك

وأضحكت بعد برهة من الصمت

- ثم لبث شيئين نحب .

إذ عليها الصمت مرة أخرى . كنت لن أعتقد في شيء من عضب مكتوم

- من أكل ما يستوجب الصمت !

ثم باغتني سائلة :

- هل عثرت على فتاة ؟

- فتاة ؟ لكن .. يا دكتورة . ألست تعرفين .

- كنت ينبغي أن تفعلي

وأضافت في حدة .

- إنك لا تستطيع العثور على امرأة مناسبة . فاعثر على فتاة في مقتبل العمر

وتحولت وجهها المتسائلة بعد هنيهة

- ينبغي أن تستمعي مرضاي بين فترة وأخرى

وهكذا انقضى شهر كامل . وأعقبه أسبوعان آخران . وذات يوم جلست في عيادتي بعد أن فحصتني فحصاً شاملا دون أن تنبس بحرف . ثم رأيت عينيها ترقب الرجفة الخفيفة . وجعلة تتجمع في عيناي تلك للطيف معنى .

- ثمة تبدل نحو الأفضل

كنت مستمعاً إليك [illegible] إنه تبدل طفيف . ولكنه موجود . حين مثلما ما من أصابعي . ولعله في الأوعية ثمة شيء جديد يتحرك ويشرع في التطور . شيء غير عضي يحصد وسمه في كلمات [illegible] فكان أشبه بمزح مرح . أشبه بالخلاص من سلسلة طويلة [illegible] وفتح في داخل رغبة في الحركة . في العمل . رغبة قوية في الاختلاط بالناس ومخالطتهم من جديد

بعثت . وضربت بعصاها الأرض ضربة قوية . وأطالت التحديق في عيني من جديد [illegible] صرخت :

- ارجع في غضون أسبوع .

ورجعت . ضحكت على هذه الحال أسابيع طويلة . كنت أحسد كل مرة قلبي [illegible] أسرع حتى قلبها . ووجد أن نمطاً جديداً يتفتق في شراييني . وأن قلبي

ينطفئ بصورة منتظمة . وأن عيني تزدادان إشراقاً ولمعاناً .

- أيتها الطيبة . أنا في أحسن حال كثيراً !

- أرجع بعد أسبوع .

- ولكني أحسن . أيتها الطيبة . ألا تفهمين ، إني أحسن !

- وهكذا فإن كثيراً كثيراً من الناس مضطرون في أمور كهذه هذه الأيام .

ومهما يكن الأمر ، فقد اقترح أخيراً اليوم الذي بدت فيه ، بقدرها على شيء من شجاعة . قالت :

- لنشربنّ قدحاً من القهوة .

- بكل سرور . لكن ، هل يفترض أن تتناول القهوة ؟ إنها تسيء إلى القلب .

- أوه . أهي كذلك ؟ قط . . لم ألحظ هذا الأمر . كنت أشربها طوال حياتي ، غير أنني لم ألحظ هذا الأمر قبلاً .

وما أسرع أن وُضع فنجانان من القهوة على الطاولة . صبت لي قدحاً وصبت لنفسها قدحاً . لاحظت أنها ترتدي بلوزة بيضاء لم يسبق لي أن رأيتها ، وأن شعرها الأبيض مُجمّع بصورة خفيفة يمسك به مشط صدفي . صبت القهوة في الفنجانين وأسندت وجنتها على يدها وابتسمت في ابتسامة ظاهرة تبعث على البشر . لن يصدق أحد أن هذه امرأة تعرفت على الثمانين وودعت منذ زمن طويل جميع أصدقائها إلى قبورهم ، وإنها تعرف أن اليوم الذي سترحل فيه إلى الأبد عن هذا العالم لم يعد بعيداً . وبدا كأن ما ينشر النور في كل مكان ليس شعرها الأبيض وابتسامتها وحدها ، بل عيناها الزرقاوان الصافيتان ، وجسدها بأسره صار متجهاً للفجر . بدت فيه الطفلة ، جميلة السيماء ، خجولاً كصبية في ريعان الشباب .

- أرجع بعد أسبوع . لا تنسي .

مرت سنة كاملة . تسبب كثيراً أني اضطررت مرة للتوقف والتقاط أنفاسي على درجها العالي . لقد تعب قلبي للشيء الرهيب حيث كل نوبة تصحبني بالذعر ، وتعرّفني كم ليس لقلبي من خير . وأن الموت يتربص بي في كل مكان ، وأنني أحمله في صدري . وهذا كله بسبب من هذه المرأة . هذه المرأة الغريبة الوحيدة اللطيفة .

قالت مبتسمة :

- هذا ليس صحيحاً . أنت نفسك رغبت في الحياة . هذا هو المطلوب .

- أفلا يرغب كل إنسان في الحياة .

- لا .

- أنا لم أكن ، مرة واحدة ممن لم يرغب في الحياة .

- وأنا أتفقت . ولعلها كبيرة أيضاً .

مرت سحابة على وجهها . أدمت حدقتها على يدها وغرقت في لجة من الصمت .

استرسلت تقول مستغرقة في التفكير ، وكأنها تخاطب نفسها :

- ما إن يعبروا عن الطريق حتى يحملوا بقية حياتهم .

- من يفعل ذلك ؟

قالت في أسى :

- الناس . يحضرون ويشربون أكثر من المألوف ، ويعملون في الليل ، وينامون في النهار ، ويأكلون بسرعة ، ولا يبالون بما يأكلون ، يكلمهم أنه مجرد طعام . ويتحسرون جميعاً ؟

- لكن . . .

قالت ، بلهجة حقيقية ، وفي صوتها رنة الغضب :

- وأنت واحد منهم . بل أنت أسوأ واحد فيهم .

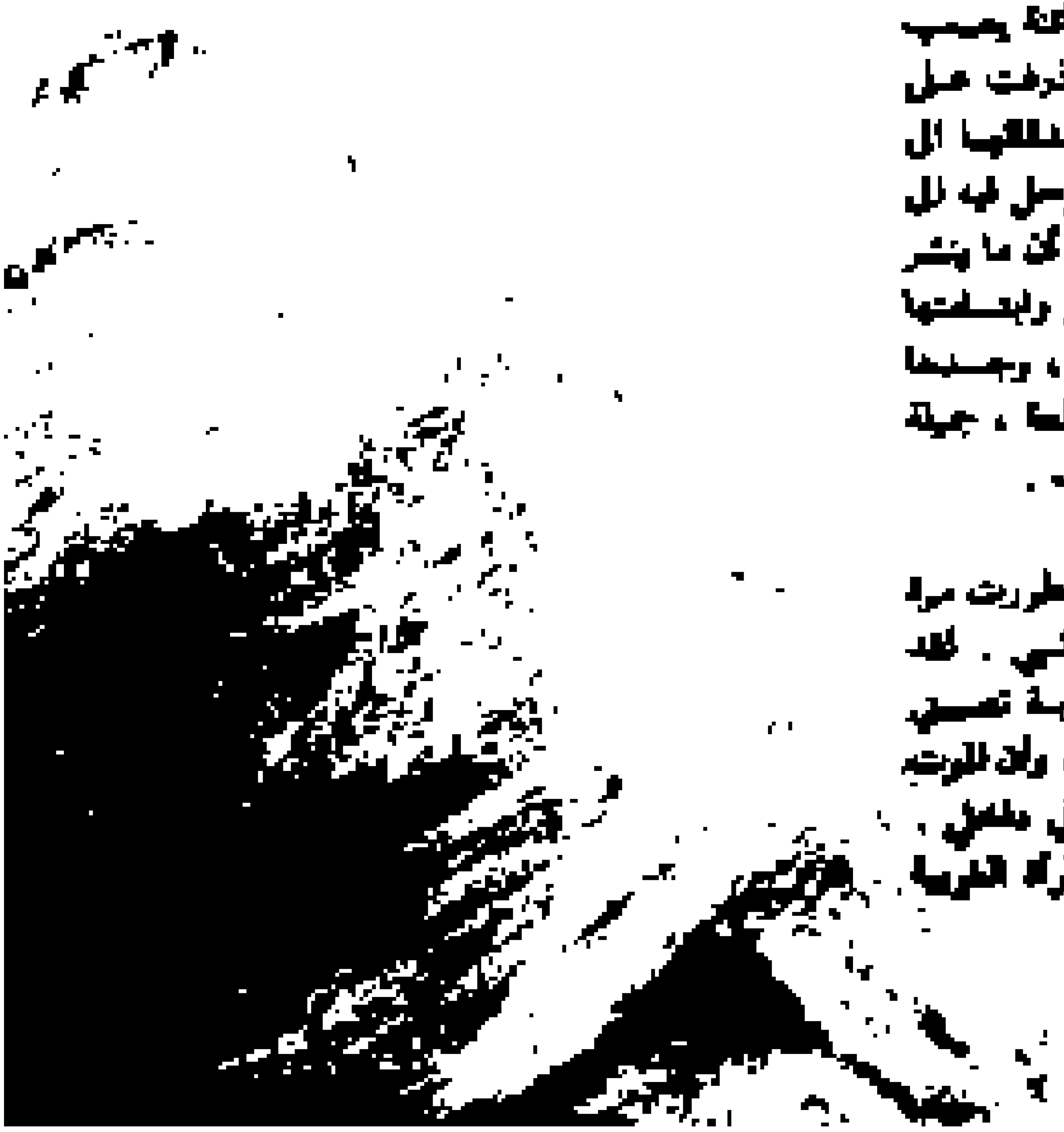

أنت رفضت أن تعيش .

- هذا ليس صحيحاً .

- هل تذكرك إلى الماضي . يوم جئت إليّ للمرة الأولى كنت هزيلاً مرعوباً . وأسوأ من هذا كله لم يكن قد تبقى لديك شيء من الحب لأولئك البشر . بل لنفسك . وكان من الجلي أنك - إذ لم تفعل - صائر إلى الموت . وفي خلال فترة قصيرة من الزمن

أكملنا حديثنا . ومكثت في صمت زمناً طويلاً . وفرقعاتها - مثلها أبداً - برتابات على المقعد . وأخيراً أضافت في نبرة رقيقة :

- الموت يفتش دائماً عن أمثال هؤلاء الناس . يفتش عن أولئك الذين فقدوا الرغبة في الحياة . هذا هو الوقود الذي يدفعه إلى التحرك

وأضافت وقد نهضت لا في صمت أثر على ملامح وجهها :

- تستطيع أن تجيء مرتين في الأسبوع إن أتيح لك ذلك

- أفعل هذا بكل سرور . ولكني كنت أشعر بالحسرة مضطراً في أنه لم تعد هنالك حاجة لإضاعة مزيد من أوقاتك .

- أنت لا تضيع أوقاتي . يسعدني أن تعمل ذلك مثلك . هذا ضرورة له .

ورنتني بنظرة :

نهضت من مقعدها ، وجعلت عصاها على الأرض مضروبة ثرية

في كل مرة كنت أزورها أجد غلاية القهوة تغلي بإبريق تحت غطاء كثيف من القماش . وأجد هنالك طبقاً صغيراً من البسكوت وطبقاً آخر من الفواكه . وأجدها جالسة إلى المنضدة وقد ارتدت أبهى ثيابها ، وارتسم الجميل في صباحها . لم تكن تنظر إليّ مباشرة ، بل تشرع في صب القهوة . وكنا نتبادل الحديث . فقد كانت ثمة أمور كثيرة نتحدث عنها وكائنة ما كانت موضوع للحديث فهي تعلن عن وجهات نظرها بخصوصه بصورة حاسمة . ولكن هنالك موضوع واحد لم نتطرق إليه على الإطلاق . حياتها الخاصة . ماضيها . كانت تدعى ناتاليا ترافيليفنا - ولها اسم روسي - وسألتها مرة :

- أروسية أنت ؟

- وهل هذا مهم ؟

وحين لمحت ارتباكي . أضافت :

- اشرب قليلاً من القهوة . والبسكوت لذيذ . سأنتظرك يوم الثلاثاء أيضاً . هل تجيء ؟

كان الطبيب على وقت لزورها فيه بوحدة صحية بالنسبة إليّ . لقد استعدت عودتي الأولى . انقطعت عن أصدقائي القدماء بسبب المعرّ في العمل ، ووجدت أشياء كثيرة ينبغي انجازها في هذه الأيام . أشبه كثيراً ما أحبها . ووصل عيادتي لتشخيص جديد وعلاوة أصدقاء للمرضى . وواصلت عادتي لزيارة الطبيب تدريجياً وبصورة ملحة . وبإمكانيت مرة أخرى والمستقبل يخبرني أن أول ما يخطر على بال المريض المتعافي الذي أخرجت نفسه هي الطبيب التي أبله من مرضه . ولكنها ترغب دوماً . في صمت . وفي صبر . وهي على الدوام ترتدي أبهى ثيابها ، وتحتفي إلى جانب غلاية القهوة وطبقي البسكوت والفواكه .

قالت مرة بعد أن تحدثت معها زمناً طويلاً :

- تعبت مني كل شيء . وقد بردت القهوة للمرة الأخرى .

لم أستطع تذكر الحديث في ذلك النهار . وعمر أصبح . وأسوء أصبح ، حيث أني بحاجة في الوقت لنهاية تلك المرأة . التي أنارت لي طريق العودة إلى الحياة مجدداً ؟

في النهاية حل الربيع . وتفتحت أشجار الزيزفون كلها في ملابس بأوراق خضر لطيفة . وتفتحت الحدائق والساحات بشباب رقيق أخضر . وراح المعلم يعمل في الساحة المركزية ، وبدت السيدة سابلة منطلقة فوق المنصة . وبدت النسوة جميعاً جميلات في ثيابهن الربيعية . وكان الربيع يخطر عبر الشوارع والساحات ، يمسح كل ما كان موحشاً وكئيباً ، ويملأ حالياً ضحكات الأطفال وابتسامات الشرح ، مرتفعاً في فؤاد كل إنسان موجات من الفرح .

في مثل ذلك النهار طرقت بابي امرأة غريبة . ووقفت في منتصف الغرفة ، وأسدلت نظرها إليّ صريحة الوجه ، وقالت :

- تطلب إليك ناتاليا ترافيليفنا أن تزورها إن استطعت .

ولم أسمع كنت انتظر شخصاً لم أقع عليه هنالك

زمناً طويلاً ، وبتأكد لديك على نحو ما أنك تنظر الى غريب ، الى شخص لا يرتبط بأي رباط بالشخص الذي تعرفه ، الشخص الذي كان صديقك ، الشخص الذي جئت لرؤيته ، وهذا ما جرى معي .

صعدت الدرج الخشبي فرأيت امرأة عجوزاً يحمل وجهها ظلال الموت السوداء . حدقت في عينيها الرماديتين المتعبتين وهمست :

ـ شكراً .

ضحكت ، وقد هزني منظرها :

ـ أيتها الطيبة ، أرجو أن تخففي عني .

حركت أصابعها وكأنها تقول : لا ضرورة لأي تفسيرات .

تناولت صفحتين من الورق عن الطاولة كانتا مغطاتين بالكتابة . وقالت ، وشفتاها لا تكادان تتحركان خلال حديثها :

ـ كتبت هنا كل شيء . اذا رجعت مرة من وقت مطرائك تعرف ما ينبغي أن تعمل .

ـ لا ، لا ، أيتها الطيبة . لست في حاجة الى هذه التعليمات . سوف أجيء مرة أخرى ... واستشيرك .

خضعت بعد الكلمات سريعاً حدقت من نافذة في عينيه الطريتين النحيلتين تحت بريق ... وأجابته :

ـ من تجيء مرة أخرى .

ـ لماذا ؟ لماذا لا تجيء ؟

صمتت لمدة طويلة لتفكير في شيء ، كمن يصغي الى هاتف داخلي ، واستوضحت لي بعطل :

ـ تستطيع ... أن تقبلني ؟

انحنيت وقبلت جبينها ووجنتيها وشفتيها الشاحبتين فرفقاً وحناناً ولطفاً .

قالت ، وقد ارتجفت شفتها على نحو ما عاطفي :

ـ تذهب الآن ، وشكراً لك ... شكراً على كل شيء .

ـ تشكريني ؟

ـ تذهب .

لم يكن المرء يقوى على عصيان أمرها . حينما وصلت الى الوصيد شعرت أن علي أن أعود . كانت عيناها تراقبانني تنظر الي ، وعلوت بسمة خفيفة لكن تبدو لعينيها طريقاً خلال الظل الأشهب المنير بالوهيد للنرجس على وجهها . صرخت :

ـ تذكريني !

ـ تذهب !

هبطت من الدرج ، هذا الدرج ذاته الذي ما أكثر ما عانيت من الصعود عليه في المرة الأولى . وتوقفت لحظة . وقد سيطر علي ضعف غريب ، وجهلت ما اذا كان علي الاستمرار في الهبوط أم العودة اليها حينما الي صوت واهن ضعيف من الأعلى :

ـ لا أستطيع سماع خطواتك . أريد أن أسمع خطوات رحيلك ... اذهب

ذهبت .

في تلك السهرة ، السهار المشبع برائحة التكر والزهر والشمس المنحسرة عن التلال ، زارتني تلك المرأة العجوز مرة أخرى . تخطرت الى في جبهتها مثلها قبلاً ، عند أن خففت بحرقة ، ثم ناولتني ورقة صغيرة وقالت :

ـ هذه لك .

صحبت الورقة ... كانت عبارة عن إيصال بتلك الشقة ... الأثاث ، الأعباء ... وكانت معه رسالة بخط مألوف تقول :

« أعطاني هذه الشقة قبل سنين عديدة رجل شيخ ... مثل الآن ... عند عودة الاخرين ... وطلب مني أن أعطيها الى شخص الاخرين ، الشخص الذي أحبه ... شيء العمر الذي ... وقد أعطيها بدوري ... أعطيت الشقة ، بعد مهمته الى شخص ... ، بعد ... الى شخص الأخير . اني اعرف شخصين في حياتك جعلاك ترغب في الحياة ، والعمل ، والحب ... وليرافقنا مثل هذا الفرح من جيل الى جيل مثلما ترافقنا الشمس ونسائم الربيع والأنهار والجبال » .

رفعت عيني ... كانت المرأة العجوز قد ... ولم يبق أمامي غير البيت ، بيت غريب ، هادئ ، يحوي البحر .

وحينها عرفت أني سأفقد رهبة ثقالها . وأني في يوم من الأيام سأعطي البيت الى شخص آخر . لسوف يكون هنالك من أعطيه اياه ، ذلك أن الحياة لا تبرح عاملة أعمالي ، بطيورها وشجرها ، بسماواتها وجبالها ، وبأحزانها .

كل شيء لا يبرح منبهاً أعمالي . □

سليمان الشيخ

في فلسطين من شهر حزيران سنة ١٩٨٢ حرب الجنوب
الاسرائيلية لبنان وحقق ال ... المقاومة فيها مما ال اهدافها فلم استطاعت
احتلال الجنوب اللبناني الا ان المقاومة لم تسكن وحققت ما الاسرائيليين
سابقا الى ان اجبرتهم على الانسحاب من منطقة مدينة صيدا الى الشريط الحدودي
في سنة ١٩٨٥

فكيف عاش الناس تحت الاحتلال؟

وكيف كانت المقاومة؟

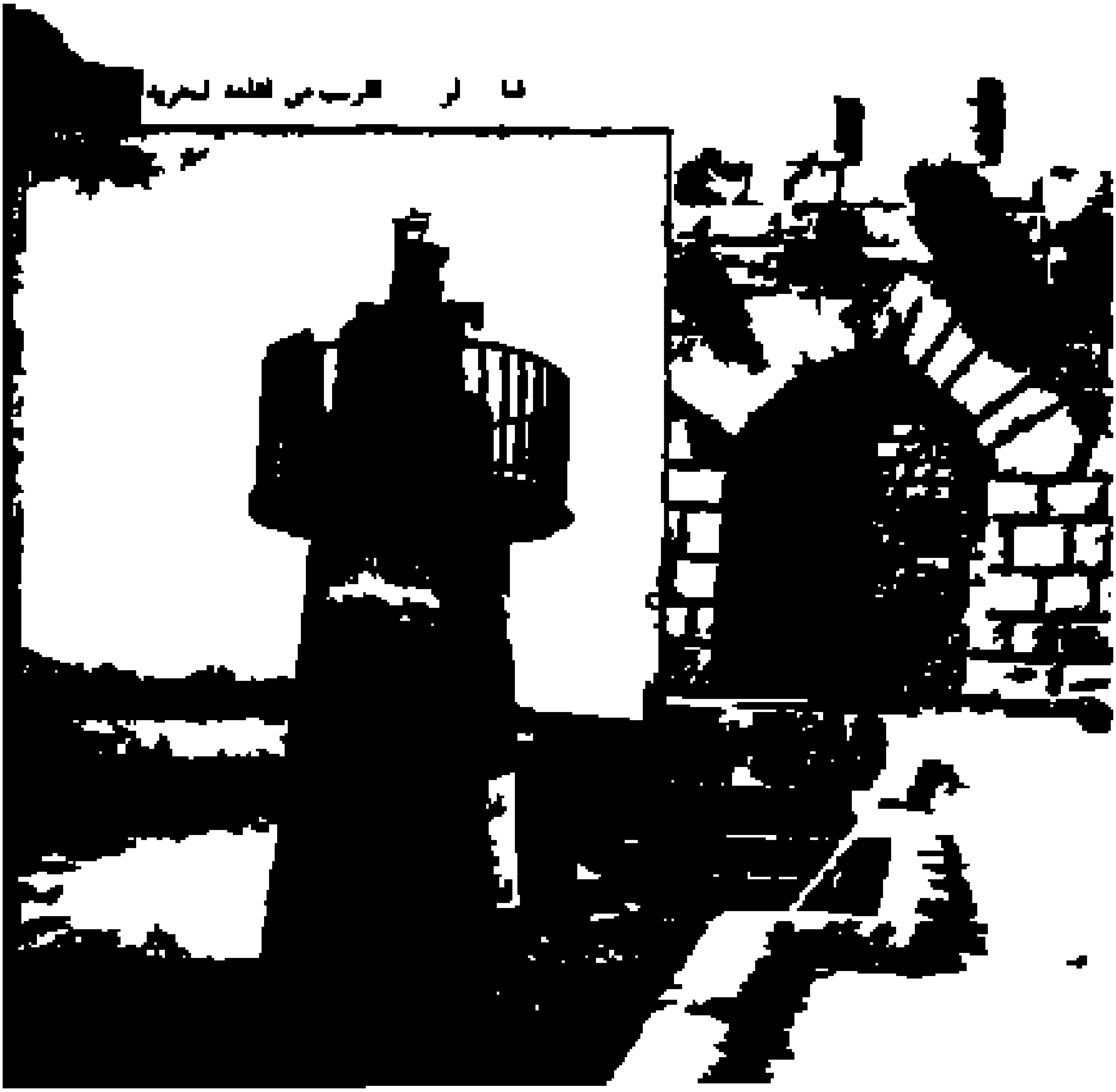

منا الى ... العرب من القلعة البحرية

«ما يبقى في الوادي إلا حجاره»

أي لا يبقى في الأودية بعد السيل إلا حجارته.

هكذا يتنزل الأمر، وكتبه الكاتب الجزائري (الطاهر وطار) في روايته الشهيرة «اللاز».

وهذا القول يفيد بأنه مهما تجبر المستعمر وظلم ومارس كل صنوف الإرهاب، فإنه سيجلو عن الأرض مهما طال الزمن، وإنما ستبقى لأبنائها... وحجارتها ومقاومات أبنائها وأبناء أرضها. وإن سيله مهما تعاظم وحارب ودمر، فإنه سيمضي ويزول ويبقى حجارة الوادي التي تبقى وتستمر!

تذكرت الرواية، وعند الجملة بالذات وأنا في قلب «وادي جهنم» في بقايا معسكر «أنصار» الذي كان مدرسة للكثيرين من مناضلي الشعب اللبناني والفلسطيني وغيرهم (تم الاتجاه من القادة للمعسكر الرئيسيين على أرض بلدة أنصار بتاريخ ٢٨/٦/١٩٨٢. وأنصار تقع في منطقة النبطية في الجنوب اللبناني، وتبعد عن بيروت ٨٠ كم. وقد أزيل المعسكر بتاريخ ٣/٤/١٩٨٥).

لم يبق من آثارهم إلا الأسلاك الشائكة، وكتابات عبرية على بعض الصخور والملاجئ، وأرض حرثتها الجرارات «والبلدوزرات» كي يتم إخفاء معالم المعسكر الرهيب، الذي حشر فيه الآلاف من المناضلين، منذ الغزو الصهيوني للبنان في شهر يونيو - حزيران من عام ١٩٨٢ إلى نهاية الربع الأول من سنة ١٩٨٥ م.

● سألت عمر سكيني، المسؤول العسكري في التنظيم الشعبي الناصري، الذي يتخذ من مدينة صيدا قاعدة له، عما تبقى من الغزو الإسرائيلي.

- حجارة.

لقد تركوا بصمة جرافاتهم وبصمات تعذيب على أجساد آلاف الشبان، وقهرا وحقدا وإصرارا على المقاومة في نفوسنا، وخرابا في الاقتصاد، وإرهابا علينا يلوحون به - كالفزاعة كل يوم اسمه «جيش لبنان الجنوبي» عملاؤهم وصنيعة احتلالهم. وتركوا أيضا كتابات على بعض المباني ومفارق الطرق، كي ترشد قواتهم خوفا من أن يضلوا الطريق ويقعوا في كمائن المقاومة.

● وغير ذلك؟

- بياننا أكيداً بتحرير كل شبر احتلوه ودنسوه.

لقد مضى على انسحاب الإسرائيليين حوالي ست من مدينة صيدا والمنطقة التي تحيط بها (انسحبت القوات الإسرائيلية بتاريخ ١٨/٢/١٩٨٥ من المدينة).

ومن حق صيدا عاصمة الجنوب اللبناني علينا متابعة رحلة نضالها وكفاحها ضد الغزاة، ومحاولة استرجاع أيام وأشهر السنوات الثلاث التي أمضتها الناس تحت كابوس ونير الاحتلال.

نزهة لم تستمر!

اعتقدوا في البداية أنها نزهة... لكنهم لاقوا أهوالا من الرعب. وتوقفت طائراتهم «الهليكوبتر» لتنقل قتلاهم وجرحاهم. صحيح أنهم احتلوا صيدا. لكنهم دفعوا ثمنا غاليا، واضطروا أخيرا للخروج منها.

هكذا قال لنا الدكتور نبيل الراعي سكرتير اللجنة المركزية للتنظيم الشعبي الناصري في صيدا.

ويضيف: اقرأ جيدا شهاداتهم، وستجد

الأحزاب لا تنقصهم الصراحة والوضوح ... في كتبهم . الصحافيان الأمريكيان جيري ... عبد الصمد حبيب الصوفي ...

« الراشدية » حق « من » سلاح المشروع أصبح مشروع خطيئة في صيدا . بعض هذه المعارك عبرة معارك الشوارع التي دارت داخل صيدا كتبت صفحات مجيدة جدا . أكثر بلدة وأنا وجدتها ... لقد شاركت في عدة حروب وأعمال عسكرية في الماضي . لكن هذه كانت أول حرب أخوض فيها قتالا في مناطق مأهولة » .

ويعلق الدكتور الراضي ميلوف .

صحيح أن القوات المشتركة الفلسطينية واللبنانية أبدى بعضها استبسالا فائقا . إلا أن المدينة سقطت أخيرا في قبضة العدو . وسيق الكثير من شبابها وفتيانها وشيبها إلى المعتقلات ، واضطر بعضهم إلى مغادرة البلدة .

تحرك الإسرائيليون في الأيام التالية بسرعة ، واندفعوا في تمشيط المدينة ، وتابعوا حصارهم للمخيمات الفلسطينية التي بلغت فيها معاني المقاومة ، بل إن الإسرائيليين المنتشين جاءوا بالسيارات الكبيرة كسياح . وأخذوا يتنقلون من مكان أثري إلى آخر ، معتقدين أن الأمر قد استتب لهم تماما . . .

لكن الصفحة ، أعني صفحة الاحتلال وقمعه وجبروته ، كانت هناك من يحاول تجاوزها ، ويلتقط الأنفاس من جديد . . .

جاء في كتاب « المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني » لمجموعة من الكتاب ما يلي :

« في ٨ تموز نقل مراسل وكالة رويتر فيفيان ريجز تقريرا من صيدا عنوانه « معاناة » جنود الاحتلال من السكان المحليين . جاء فيه : « بعد شهر من احتلال الجنوب تجد القوات الإسرائيلية المحتلة أن وجودها كجيش احتلال في هذه المنطقة التي تتواجد فيها فئات مختلفة ، هو أمر مرهق . بل إنه مثير للأعصاب .

ويروي روجرز حادثة يقول إنه شاهدها بأم العين هي : عندما كان الرقيب الإسرائيلي بقوة شاحنة ضخمة من نوع لايلاند . أصيب بحجر بينما كان يمر إلى جانب إحدى محطات المحروقات ، وعندما سأل عن سبب رجمه ومن فعل ذلك ؟ أجيب : لا أحد من الناس

صيدا عاصمة الجنوب اللبناني في خريطة ملونة بالعمران

يمكن أن تكون إسرائيليا . . . أما القاتل ، فهو مجهول » .

الحرق لا التسليم !

تعتبر صيدا من أهم المدن الفينيقية . ولعبت دورا مهما في التاريخ القديم . ويقال إنها أول مدينة أسسها الفينيقيون سنة ٢٨٠٠ ق . م .

والفينيقيون من الشعوب السامية التي انطلقت شرقي صحرائها من اليمن والجزيرة العربية والجزر العربية ، ابتداء من ٣٥٠٠ ق . م .

وقد تعاقبت على صيدا خلال حقب التاريخ غزوات كثيرة ، فكان كثير من الفينيقيين وحكام صيدا يناضلون ويدحرون غزاتهم ويحافظون على حريتهم من محتل وشعوب . وفي أحيان أخرى فإنهم كانوا يتقهقرون للقوة الغاصبة ، ويوظفون مهاراتهم التجارية والبحرية في خدمة تلك القوى .

لكن التاريخ يسجل للمدينة موقفاً يجدر بنا ذكره .

الزمان زمان الغزو الفارسي المنطلق من الهضبة الإيرانية في القرن السادس قبل الميلاد . والفينيقيون خضعوا كغيرهم لهذه القوة الكاسحة التي وصلت سيطرتها إلى مصر .

إلا أن بعض ولاة الفرس أساءوا معاملة الشعوب التي حكموها .

والفينيقيون كانوا من بين تلك الشعوب . كما أن الفرس أخذوا يستريبون بالشعوب التي حكموها ، ومنهم الفينيقيون الذين شكوا بهم ، واتهموهم بأنهم لم يلعبوا الدور الكافي في حربهم ضد أثينا فأخذوا يضيقون عليهم ويسومونهم سوء العذاب .

وقد أعلن ملك صيدون استراتون الأول استقلاله التام عن الدولة الفارسية سنة ٣٦٢ق.م وشكل قوة حربية أطلق عليها اسم « جيوش التحرير » .

كما أعلنت مصر استقلالها أيضاً ، عندئذ اضطر الفرس إلى تجريد حملة لإخضاع الولايات الثائرة . فترأس ملك الفرس أرتحشتا الثالث الحملة ، ونوى الانتقام من صيدا شر انتقام .

وبينما كان الصيداويون يتدربون ، ويدربون حتى أطفالهم الصغار على فنون القتال ، فإن مليكهم كان يعد خطة الاستسلام ، إلا أن الملك الفارسي لم يقبل استسلام المدينة ، وقتل خمسمائة من وجهائها ، جاءوا يتفاوضون لأجل تقديم الطاعة .

عند ذلك ، وعندما رأى الصيداويون الخطر المحدق بهم وأن خيانة مليكهم جعلتهم فريسة لأعدائهم ، أقسموا الموت بأيديهم وفضلوه على الموت بيد المستعمر الغازي ، فبادروا بإحراق سفنهم حتى لا يتمكن أحد منهم أن يهرب فيها ، ثم اجتمعوا ودخل كل في بيته بنسائه وأولاده وأمواله ، وأشعلوا النار ، فماتوا بها حرقاً بعد أن صارت المدينة أتوناً من النار المتقدة ، واحترق فيها زهاء أربعين ألف نسمة مع كنوزهم وأموالهم . فكانت هذه الملحمة الانتحارية أعظم ما دونه التاريخ في صفحاته المجيدة لبطولة شعب ، كما جاء في كتاب منير الخوري « صيدا عبر حقب التاريخ » .

حصلت هذه الواقعة سنة ٣٥٠ ق.م وبعدها لم يعمر الفرس في البلاد ، فجاءهم غاز آخر هو الإسكندر المقدوني ، فسقطت دولة الفرس أمام جحافله ، ودانت له الولايات التي كانت تابعة لها .

ومواجهات أخرى

ويختزل حمزة عليان في كتاب « المقاومة الوطنية في الجنوب اللبناني » تاريخ المدينة اللاحق على تلك الفترة فيقول :

استسلمت للإسكندر المقدوني الكبير سنة ٣٣٢ ق.م ، ثم حكمها البطالسة والرومان والبيزنطيون .

استولى عليها يزيد بن أبي سفيان بلا عناء ، وفتحها العرب سنة ٦٣٨م ، واعتبروها جند دمشق ، وكانت الميناء العسكري لهذا الإقليم .

استولى عليها الصليبيون عام ١١١١م. واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م ، ثم استولى عليها الصليبيون ثانية سنة ١٢٢٨م. وفي سنة ١٢٥١م ملكها لويس التاسع ملك فرنسا ، وحصن قلاعها وحصونها ، « وأطلق اسم لويس على القلعة البرية بعد أن رممها . وكانت فيها معاقل تعرف باسم قلعة المعز نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي ، الذي حصن القلعة ورممها في زمن سابق » .

استعادها المسلمون عام ١٢٩١ لآخر مرة بعد سقوط مدينة عكا ، ودمروا تحصيناتها وجعلوها على الأرض قاعاً .

أعاد بناءها الأمير فخر الدين المعني الكبير (بعد أن سيطرت على الشرق الدولة العثمانية ، اعتباراً من سنة ١٥١٦م .)

وفي هذا القرن

ويضيف حمزة عليان في استعراضه لتاريخ المدينة فيذكر صوراً بعض رجالاتها فيقول :

« شهدت صيدا في بداية القرن العشرين مواقف وطنية وقومية إزاء النكبات التي تعرضت لها السلطنة العثمانية ودخول الانتداب الفرنسي ، وبرز فيها رجال وطنيون عرفوا بمواقفهم ونضالاتهم العلنية

معروف سعد — د. نزيه البزري

والوطنية ، تتذكر مليم لوصق الجاط (الذي شنقه جمال باشا السفاح في ساحة البرج مع غيره من وطنيي بلاد الشام الذين طالبوا بحرية واستقلال العرب من الدولة العثمانية سنة ١٩١٦م) .

والشيخ أحمد عارف الزين الذي انشأ فيها مجلة العرفان سنة ١٩٠٩ (ما زالت تصدر حتى الآن) وكان من الذين نشروا الوعي العربي واليقظة الوطنية من خلال كتاباته ، ورضا الصلح ووالده رياض أول من رفع العلم العربي على سارية الحكومة للوطنية للثورة العربية الشريف حسين أمير مكة (رأس حكومة الدولة العربية في المدينة حوالي ٨ أيام قبل أن يسيطر عليها الفرنسيون وأصبح رئيساً لوزراء لبنان بعد الاستقلال) وقامت فيها مظاهرات وطنية تهتف نضالاً باستقلال سوريا وتتويج فيصل ملكاً عليها وتطالب بجلاء الفرنسيين عن البلاد . والنداء إعلان الجنرال غورو دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ وضم الأقضية الأربعة الى الدولة ، رفضت صيدا مع بقية الأقضية هذا الالحاق مطالبة بالعودة للوحدة السورية .

وقامت المظاهرات الصيداوية في الأعوام ١٩٢٦ و ١٩٣٦ تجاوباً مع الشعب الفلسطيني ، وتأكيداً على مواقفها القومية ، حيث خرجت المسيرات تهتف وتؤيد الشعب العربي وانتفاضته ضد الانجليز واليهود .

وتابعت صيدا مواقفها القومية والوطنية ، فشارك بعض رجالاتها وعلى رأسهم معروف سعد في ثورة سنة ١٩٣٦ ، عن طريق منع الشاحنات من الخروج من لبنان لنجدة اليهود . وفي حرب ١٩٤٨ شارك سعد في معركة المالكية مع الشهيد محمد زغيب وغيره من المناضلين .

وتابعت المدينة وأبناؤها بعد ذلك تجاوبها مع كل معارك التحرير العربية ، في قناة السويس - وحروب التحرير الجزائرية ، ونضالات الثورة الفلسطينية ، وسقط قائدها الشعبي معروف سعد شهيداً بتاريخ ١٩٧٥/٣/٦ ، بعد أن أطلقت عليه النار قبل ذلك بحوالي ستة أيام ، أي بتاريخ ١٩٧٥/٢/٢٦ ، وهو على رأس مظاهرة لصيادي الأسماك ، كانت تحتج على منع احتكار شركة البروتين لصيد السمك ، ومصادرتها لأرزاقهم (لصاحبها من كبار المتمولين في لبنان) .

وقد كانت الرصاصات التي أطلقت على هذا القائد هي الشرارة الأولى لقيام الحرب الأهلية ، التي لم تخمد أوارها حتى الآن في لبنان .

رحلة في المكان

تقع مدينة صيدا خلف رأس تمتد في البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وتبعد عن مدينة بيروت حوالي ٤٥ كيلومتراً ، وتشتهر بساتينها الغنية بالبرتقال والليمون والأسكدنيا والموز والحمضيات ، وتشتهر بصناعة الحلويات وماء الزهر والمقروطات ، وتعليب الفاكهة وتصديرها ، وصناعة السفن الصغيرة ، كما يشتهر مينائها بتصدير الحمضيات والزجاج والخضار والأسماك وغيرها من منتوجات الجنوب ، ويكرر البترول السعودي في ميناء الزهراني الذي يبعد حوالي عشرة كيلومترات عن المدينة ، ويستقبل ميناء صيدا مواد البناء والسيارات والقمح وغيرها ، وقد أخذ الميناء بعد أن لحقت مدينة صيدا ، باستقبال السفن متوسطة الحجم ، بعد أن تم بناء جزء من كاسر للأمواج قرب القلعة البحرية ، والحركة ناشطة لبناء ميناء ثان جنوب المدينة .

من أشهر الأماكن الأثرية في المدينة ، القلعة البرية والقلعة البحرية ، ويوجد بالقرب من الأخيرة جزيرة صغيرة يطلق عليها اسم « الزيرة » أي تصغير جزيرة .

تطل عليها مقاهي المدينة ، وهي غير مسكونة وتعتبر مقصداً لبعض صائدي الأسماك وعشاق السباحة أيام الصيف .

وتذكر المصادر أن القلعة البحرية يعود تاريخها الى عصور قديمة ، قام مكانها في الماضي هيكل الاله ملكارت الفينيقي ، وقد أقام عليها الصليبيون قلعة سنة ١١٢٧ .

ورثها بعد ذلك المماليك سنة ١٢٩٠م ، وأضافوا اليها البرج الذي ما زال قائماً حتى الآن ، وأصلحها الأمير فخر الدين المعني ، وأضاف اليها مسجداً في القرن السابع عشر ما زالت قبته قائمة حتى الآن فيها .

شوارع المدينة القديمة ، وعلى الأخص سككها ضيقة وملتوية ، ويتداخل بعضها مع البعض الآخر ، وتفضي الى بعض الساحات المكشوفة ، وهي مغطاة فلا تصل اليها الشمس ، وبيوتها متلاصقة ومتشابكة ومتلاصقة تتخللها قناطر وعقود ، عجز الاسرائيليون عن احكام سيطرتهم عليها في البداية ، الا أنهم وقفوا جنودهم لمراقبتها ، ومع ذلك فان المقاومة الوطنية عندما اشتد ساعدها ، سيطرت على هذا القطاع من المدينة خصوصاً في الليل .

يحد المدينة من الشمال نهر الأولي ، وينبع من مرتفعات جبال الباروك ، وطوله ٣٥ كيلومتراً ، ويحدها من الجنوب نهر سينيق ، وهو من الأنهار الصغيرة التي تجف في الصيف ، وهناك أنهار أو جداول صغيرة في شمال المدينة وجنوبها مثل « البرغوت والقملة » . عدد سكانها يصل الى حوالي مائتي ألف نسمة .

عودة الى الزمان

يقول الدكتور نبيل الراعي : هل تصدق أن العدو كان يخشى حتى أعشاش الطيور على رؤوس الأشجار بل يخشى الأشجار نفسها . لقد كان يخشاها خيفة أن تكون ملغمة بالقنابل !

وهل تصدق أنه كان يخشى أية كومة تراب ، خوفاً من أن تكون كميناً . . لذلك فإنه كان . . وبالجرافة الاسرائيلية يبدأ صباح كل يوم بإطلاق النار على طول شارع معروف سعد . . . . وقد هدم بعض أقسامها من جراء هذا الاجراء الغريب ، كما أنه جرف الكثير من البساتين وخربها ، كي لا تكون ملاذاً لرجال المقاومة . ومع أنه جند القوى الانعزالية في المنطقة ، واشترى بعض ضعاف النفوس في المدينة ، وجندهم تحت اسم الحرس الوطني ، واعتقل آلاف الشبان وفرزهم على شاطىء البحر ، وحقق معهم في معمل صفا ثم نقل الكثير منهم الى معتقل أنصار ، أو حتى الى فلسطين المحتلة . مع ذلك فان دورياته كانت هدفاً سهلاً لرجال المقاومة .

لقد ركزت المقاومة على ضرب أفراد الجيش الاسرائيلي ، لأنهم هم العصب الموجع فيها ، وأخذت حصيلتها مع العملاء الى ما قبل خروج الاسرائيليين بأشهر قليلة .

ومع أنها تجربة ، لذلك فان العدو او عملاءه أرادوا حرمان صيدا من أبنائها وطاقاتها ، خصوصاً انهم عاشوا المحن للقوات الانعزالية بشن حرب على المدينة بعد خروجهم منها . فوضعوا سيارة مفخخة أمام بيت الأمين العام للتنظيم الشعبي الناصري المهندس مصطفى معروف سعد ، بعد أن أزعجهم كثيراً باستعداداته وتحليلاته المذكورة عن معظم القيادات الصيداوية التي كانت متواجدة في المدينة أثناء الاحتلال ، ففجروا السيارة قبل خروجهم بأسابيع قليلة (في ١٩٨٥/١/٢١ أي قبل خروجهم بحوالي شهرين) .

صحيح أن نجا القائد أصيباً واستشهدت ابنته ناتاشا ، وأصيبت زوجته . . لكن الله سلم وها هو قد عاد الى ممارسة أعماله النضالية ضمن تنظيمه وضمن المجلس السياسي لمدينة صيدا ، الذي يرأسه نائب صيدا الدكتور نزيه البزري ، والذي يضم كل القوى والتنظيمات العاملة في المدينة .

وهذه التجربة ، أي تجربة العمل السياسي للمدينة ، ووجود جيش موحد فيها ، من التجارب التي تفخر بها مدينة صيدا ، وهي التي جنبتها حتى الآن المعارك الداخلية ، وجعلت جيشها ، جيش التحرير الشعبي - قوات الشهيد معروف سعد يفخر

المعركة مع القوى الانعزالية التي هجمت على شرق صيدا في نهاية شهر آذار مارس وبداية شهر ابريل نيسان سنة ١٩٨٥ ، وقد استطاع دحرها بمساعدة الحلفاء ليتوقف عند حدود قريتي لبعا وعين المير بوابة القرى الانعزالية والصهيونية المتمركزة في كفر فالوس ، وقد تم التوقف عند هذه المواقع لاتاحة الفرصة لحل مشكلة بلدة جزين وجوارها سلمياً ، إلا أن الانعزاليين ومن ورائهم الاسرائيليين ، لا يريدون حل الأمور بالطرق السلمية .

بعض الوقائع

■ في ١٩٨٢/٩/٢٦ أي بعد الاحتلال بحوالي ثلاثة أشهر وعشرين يوماً شهدت مدينة صيدا تظاهرة نسائية هي الثانية منذ الاجتياح ، انطلقت من مخيم عين الحلوة ، وضمت أمهات وزوجات المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين في معتقل أنصار ، وقد حاولت التعرض للحواجز الاسرائيلية .. فما كان من عناصرها ـ أي عناصر الحواجز ـ إلا أن أطلقت عليهن القنابل المسيلة للدموع ، واعتدت بالضرب على من استطاعت النيل منهن .

■ في ١٩٨٣/٣/١٧ انطلقت داخل شوارع صيدا تظاهرة ضمت ألف امرأة وطالب ، وعدداً من الشيوخ رددوا شعار « لا إله إلا الله نصر من الله » وقد أطلق جنود الاحتلال النار على المتظاهرين ، مما أوقع سبعة جرحى من بينهم .

■ نقلت وكالة فرانس برس الفرنسية أن القوات الاسرائيلية اعتقلت أكثر من مئة لبناني وفلسطيني ، بالاضافة الى اعتقال ٥٠ امرأة في سجن النساء في النبطية ، وقد ربطت الوكالة بين حملة الاعتقالات ، وتصاعد العمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال التي اعترفت بتعرضها لثلاث وثلاثين عملية عسكرية خلال شهر مايو « أيار » من سنة ١٩٨٣ ، ادت الى مقتل ٨ جنود وجرح ٢٣ آخرين .

■ بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٣ ، ورداً على الاجراءات القمعية التي تمارسها قوات الاحتلال ، وتعبيراً عن الرفض المطلق لوجودها ، أعلن الاضراب العام في صيدا والجنوب ، واستمر لمدة يومين ، رافقه مهرجان شعبي أكد على مقاومة الاحتلال .

■ بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٩ نفذت مدينة صيدا إضراباً عاماً شجباً للاعتقالات وتنديداً بمراكز العملاء ، وحداداً على شهداء ملحمتها البطولية ، الشهداء جمال والشريف وزهرة الذين سقطوا في معركة خاضوها وجهاً لوجه مع قوات الاحتلال في أحد شوارع مدينة صيدا الرئيسية .

والجدير بالذكر أن مدينة صيدا عاشت منذ ١٢/٢٢ وحتى ١٩٨٣/١٢/٣١ حالة غليان شديدة ، كما شهدت عدة عمليات عسكرية ضد قوات الاحتلال .

■ ظهر يوم ١٩٨٤/٦/١٩ وفي شارع رئيسي من شوارع صيدا تصدى الفتى نزيه القبرصلي (١٤ سنة) برشاشه لقوات الاحتلال فقتل منها وقُتل .

■ أعلنت جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية أن مجموعاتها المقاتلة في الجنوب والبقاع الغربي نفذت خلال شهر آذار ـ مارس ـ من سنة ١٩٨٤ ، ٣٩ عملية فدائية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي ، أدت الى إصابة ٥٧ جندياً بين قتيل وجريح ، اعترف العدو بـ ٣٦ منهم .

■ اعترف الناطق الرسمي باسم العدو الاسرائيلي أن المقاومة الوطنية نفذت ٨٩٢ عملية عسكرية ضد مواقعها في الجنوب اللبناني ، وذلك في سنة ١٩٨٤ ، أما عدد القتلى الاسرائيليين منذ الغزو حتى خروجها من منطقة صيدا فقد بلغوا ٧٣٢ قتيلاً اسرائيلياً .

شهادات حية

الشيخ يوسف مسلماني أمين سر لجنة معتقلي أنصار في مدينة صيدا الذي اعتقلته القوات الاسرائيلية مرتين : الأولى بعد غزوها مباشرة ، ولمضي حوالي سنة وأربعة أشهر في معتقل أنصار .

وأطلق سراحه مع آلاف المعتقلين الذين تم تحريرهم بعد عملية تبادل الأسرى التي تمت بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٤ .

ثم تم اعتقاله بعد ذلك ولبث في المعتقل حوالي سنة وشهرين ، وأفرج عنه بتاريخ ١٩٨٥/٤/١٨ من معتقل عتليت في فلسطين المحتلة .

كتب الشيخ في إحدى رسائله التي وصلت الى أهله وذويه عن طريق الصليب الأحمر والزوجة في

القلعة البحرية هاجمتها الطائرات الاسرائيلية اكثر من مرة .. وبقيت صامدة .

البطل الشهيد القائد معروف سعد

كتابات عربية .. وسطور محروقة .. هذا ما تبقى من معسكر أنصار

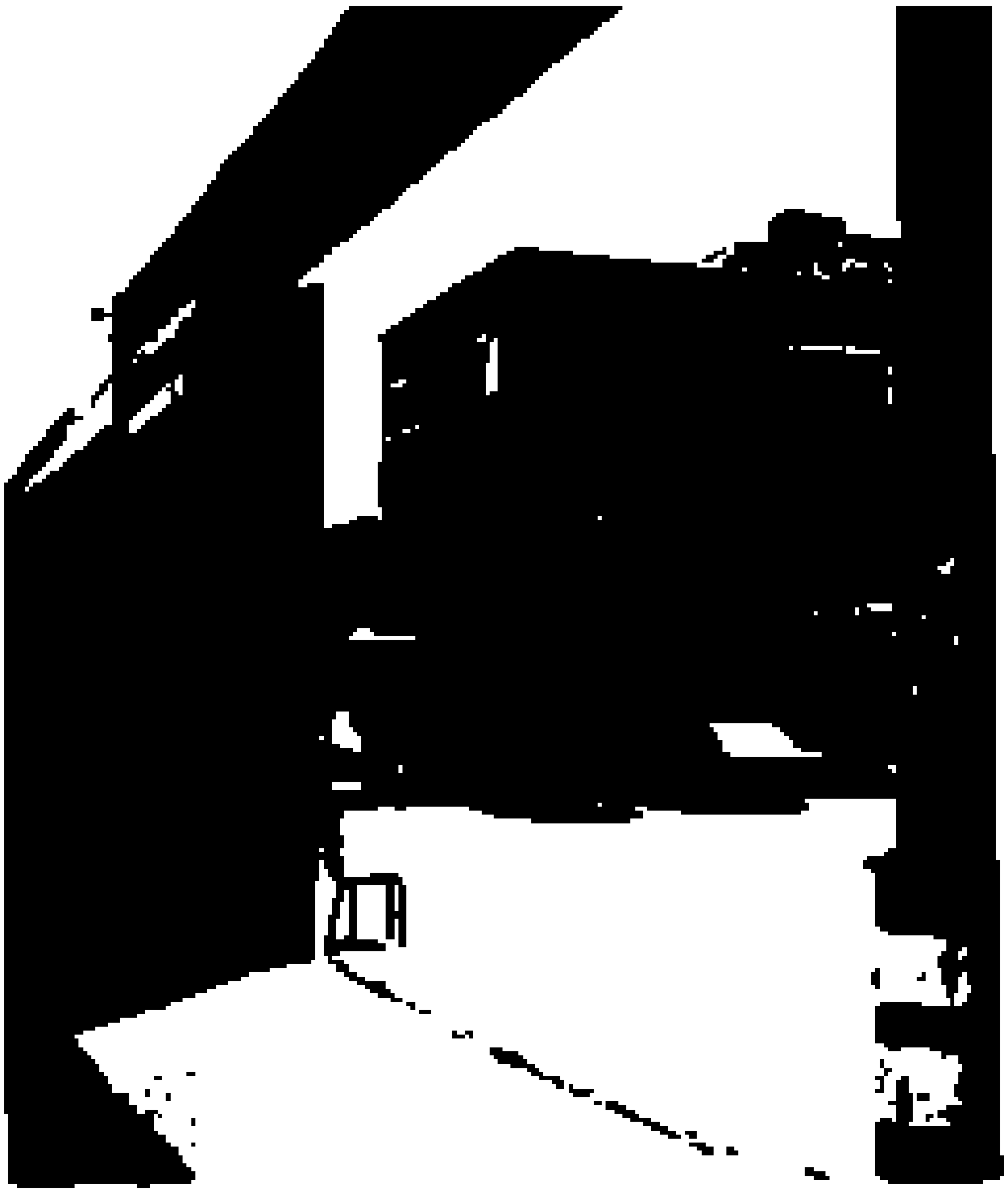

معمل صغير للمعلبات .. كان مركزاً لاعتقال الفلسطينيين .

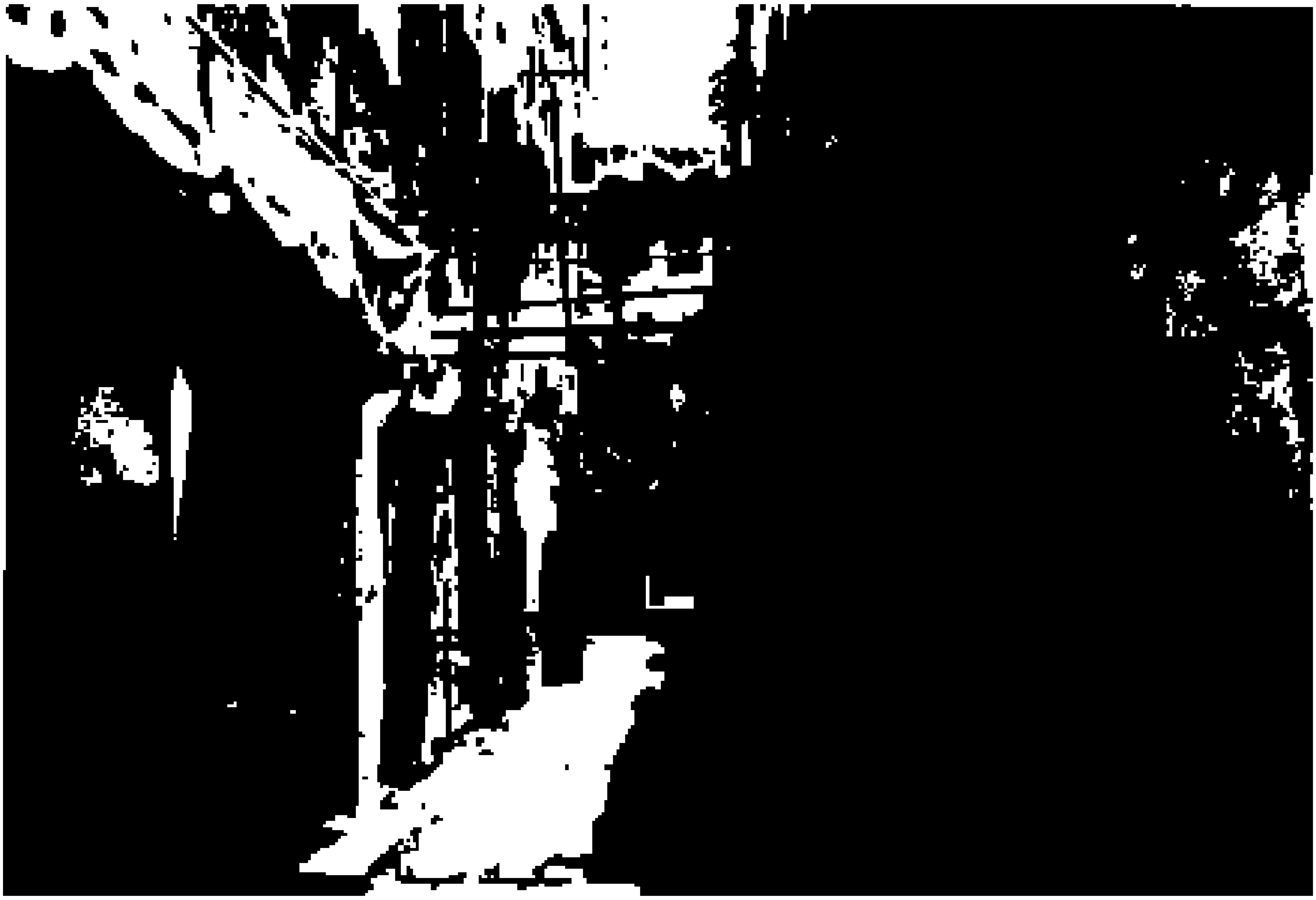

٢٨/٦/١٩٨٢ ما في :

« أيها الأحبة ، إن الدم الذي سال ويسيل من أبناء شعبنا هو الضريبة التي سندفعها للحرية والعودة والاستقلال والمستقبل . وهو النور الذي يضيء الطريق للأجيال القادمة . لقد تحول معتقل أنصار إلى مدرسة لرفض الذل والهوان . وعيد الشبان في أنصار معتقل الكرامة والشرف قد أرضعوا قوة في التحدي ، وصلابة في مواقفهم ، وسموا في معنوياتهم .

إن طريقنا التي نسير عليها صعبة ومليئة بالأشواك ، وطريق النضال والكفاح والتحرير كانت هكذا عبر التاريخ » .

سألت الحاج خليل صاحب محل الكهربائيات المواجه للخبرة عما حدث بالضبط .... قال : هي أيام تذكر .. وأرجو أن لا تعود .. كانوا كالكوابيس .... وأيامهم كانت أيام رعب حقيقي .... لا أذكر متى حدثت العملية الفدائية بالضبط ، لكنها ربما حدثت قبل خروجهم بأسابيع ....

لم أره ..... ربما كانوا أكثر من واحد ، المهم أنه في ظهيرة ذلك اليوم خرج أحدهم أو ربما خرجوا من بين البيوت المواجهة ، وأطلقوا النار على دورية إسرائيلية تتكون من ... من السيارة صريعا بجثته ، وظل الثاني قتيلا فيها .. أما الثالث فإنه ظل يصيح من خلال جهاز بيده . أصيبت المنطقة برعب وارتباك .... وأخذ الإسرائيلي الثالث يطلق النار كيفما اتفق .... لم أستطع ملاحقة الفدائي للحظة عرفنا من جهة ما .. فليت صدرا في زاوية المحل . إلى أن جاءت مجموعة من الجنود الإسرائيليين فجمعوا كل من وجدوه في المنطقة ، وأركعونا وأيدينا إلى فوق بالقرب من جدار الخبرة الذي تراه ... اعترض طبيب أعرفه يعاني من مرض في القلب ، فما كان من الجنود إلا أن أوسعوه ركلا وشتما ، وأجبروه على الركوع في منتصف الشارع ... كانوا مسعورين ومتوحشين ومستفزين ... لكنهم ..... خرجوا وأيامهم تذكر ... لكن أرجو ألا تعود

هكذا تتابعت العمليات الفدائية ، وتتابعت ثورات القرى في الجنوب واحدة تلو الأخرى ، كل مع بعضها البعض ، وهكذا ... حجارة الأرض تقاوم يسول جيش الاحتلال لنفسه ... وظيفة احتلالها !

عين الحلوة .. وطائر الفينيق

طائر الفينيق هو طائر خرافي تقول عنه الحكايات إنه كلما احترق ، فإن رماد موته يجدد حياته من جديد

وعين الحلوة .. أكبر مخيم ... عين الحلوة فيه بعض صفات طائر الفينيق .

لقد دكت الطائرات والزوارق البحرية والدبابات الإسرائيلية ، اعتبارا من يوم ٦/٦/١٩٨٢ بآلاف الأطنان من القنابل . وتذكر المصادر أن أكثر من ٨٠٪ من بيوت المخيم لم يبق فيها حجر على حجر .

مع ذلك فإن هذا المخيم لم تنته فيه مقاومة بعض الشبان الذين ردوا الإسرائيليين ببعض النار التي كانوا يقاتلون بها المخيم .

ولقد بثت إذاعة الجيش الإسرائيلي بتاريخ ١٦/٦/١٩٨٢ الخبر التالي .. حسب ما جاء في كتاب المقاتل الأرنب - جبر المولود ذكره من قبل .

« الحريف ... وهو مصاب بجروح وحروق يقول محللا عن المعارك التي دارت قرب صيدا .

« في البداية قيل لنا بأنهم يجلسون في مخيمات اللاجئين ... داخل المخيم - المقصود هو عين الحلوة - كان ذلك خلال القصف العشوائي على المخيم من الجو والأرض ، ولم يكن أحد منا يعلم بالضبط كم كان عدد رجالهم ، إلا أن بعض رفاقي الجنود سمعوا من القائد بأن هناك ما يزيد على الألف فلسطيني مسلح ما زالوا يتحصنون داخل اللاجئين ، ولكن حين دخلنا المخيم واصطدمنا معهم وجها لوجه كان عددهم أقل كثيرا مما قيل ، لذا كنت تسألني هنا كان هؤلاء الفلسطينيون قد قاتلوا فأعلم أن القائد كان واهما ، لقد كانوا جميعا من المحاربين الجيدين وكل الاحترام للمحارب الجيد ! » .

واستمر الكر والفر .... وتماسك المخيم في المكافحة حتى تاريخ ٢٤/٦/١٩٨٢ .

أرسلوا من يتوسط بالاستسلام ، أو حتى الخروج من المخيم دون استسلام ، المهم أن يخرجوا ...

فكان الجواب : « لولا أنكم كبار في السن .. لكنت أبدتكم كما أبيدهم » .

استعملوا الحروب النفسية بواسطة المناشير ومكبرات الصوت ...... « إلا أن ذلك لم يجد في شيء » . فساق المحتل وشيخ زاد البشر والسلاح ، فبلعتهم الأرض في شوارعها وأزقتها .. فحاولوا بعد ذلك أن يجعلوا من المخيم مجرد ركام تساقط على الكثير من الجثث ؟

ومن بين الشظايا والركام نبت مع الأيام أسد تحسس طريقه الى الظلام ...... وتقاوم ، ساقوا جميع من تبقى حيا الى شاطيء البحر ، وبدأت عمليات الفرز ... هذا « مخرب » من هذا التنظيم ... ومن ذلك ... ومن غيره ... هكذا كانت هزة رأس المخبر العميل تلعب بمصائر الآلاف الشبان والكهول الى المعتقلات والسجون . في أحد الأيام .... يحدث ... كان العميل جالساً بين الاسرائيليين ليدل على الناس وهو ملثم ، لما كان من امرأة من المخيم بعد أن غلى الدم في عروقها الا أن هجمت عليه وكشفت لثامه وبصقت عليه . صحيح أنه نال ... وتحطم .... لكن العميل سقط مضرجا بدمه بعد أيام .

احتضن حياً طمرتها الأطفال والنساء

قالت امرأة من عين الحلوة لأحد الصحفيين

« يريدون منا العودة الى الخيام كالحيوانات .. حتى الحيوانات لا تقبلها اليوم ، نريد منازل كمنازلنا التي دمرت ، لقد شيدناها بعرق وكد رجالنا وأبنائنا » .

شيء من الجغرافيا والتاريخ

يقع مخيم عين الحلوة جنوب شرق مدينة صيدا على مسافة لا تتجاوز ٥ كيلو مترات ، ويبلغ عدد سكانه حوالي أربعين ألفا . علماً وانه استقبل بعض سكان المخيمات الفلسطينية اثر مجازر تل الزعتر وصبرا وشاتيلا ، أو الاعتداءات الاسرائيلية على المخيمات الفلسطينية بالقرب من مدينتي النبطية وصور . أنشيء المخيم سنة ١٩٤٩ ، ومعظم سكانه من قرى وبلدات الشمال الفلسطيني ، الذين أجبرتهم القوات الصهيونية على النزوح من أرضهم وديارهم . تولت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين انشاءه لأسباب تتعلق بالاشراف على المخيم ، ووزعت الوكالة الخيام على الناس في البداية وسكنوها فترة

إلا أن الخيام كانت قلما تصمد في مواجهة حر الصيف أو برد الشتاء . فلجأ سكانه الى بناء بيوت من طين ، وصولاً الى البناء بحجر الباطون ومسقوفة بألواح « الزينكو » ، ثم لجأ البعض الى سقف بيوته بالباطون ، فجاءت القوات الاسرائيلية لتدمره فوق رؤوسهم . جاء في صحيفة علهمشمار بعد أن رافق مراسلها القوات الصهيونية أثناء الغزو سنة ١٩٨٢م ما يلي : « من يعرف كم من المقاتلين قتلت في هذا المخيم يقدر حجم الكارثة ؟ والآن لقد أصبحت الجرافات والبلدوزرات الكبيرة الضخمة تكمل هدم ما تبقى من مخيم عين الحلوة ، في عملية دمار واحدة منظمة » .

لكن ذلك زمن مضى وانقضى ، صحيح أنه يمكنك أن ترى بعض البيوت المهدمة حتى الآن في المخيم ، خاصة وأن القصف الاسرائيلي استمر في قصفه ، بل حاولت الكتائب بعد انسحاب الاسرائيليين في ١٨/٢/١٩٨٥ ... مع ذلك فان « طائر الفينيق » خرج من رماد دماره وانتفض وأعاد بناء الكثير مما تم تدميره .

حصل الكثير من سكانه في المرحلة الأولى على عملهم في البساتين المحيطة أو في البناء ، ثم عملوا في بعض الورش الصناعية الصغيرة في مدينة صيدا .

شارك سكان المخيم في شتى النضالات الوطنية والقومية ، ونشأت في المخيم تنظيمات وطنية فلسطينية ، أو فروع لتنظيمات عربية لعبت دورها في شتى مراحل حياة المخيم . ونبتت مطالب سكان المخيم الحياتية وصولاً الى امتشاق السلاح ، والمشاركة في العمل الفدائي ، خصوصاً بعد اتفاقية القاهرة الموقعة سنة ١٩٦٩م ، بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، التي ولدت في مؤتمر القمة العربي الأول الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٦٤ ، قد نصت في بنودها على تنظيم العلاقة بين الطرفين ، وتنظيم حمل السلاح خاصة .

جانب من مخيم عين الحلوة (لاحظ مخلفات الدمار التي خلفها الاجتياح الاسرائيلي)

[illegible] مرتزق لحدي ما بعد الغزو

ما زال الدمار شاهدا على وحشية ما حدث

القادة والشهداء .. رموز المرحلة

بعد الغزو

قال لي الكثير من سكان المخيم الذين التقيت بهم من النساء والأطفال والرجال: كانت كل شيء على الأرض، ولم يبق في المخيم أحد. معظم الرجال في المعتقلات (حوالي ٥ آلاف شاب وفتاة) ومن بقي حياً من النساء والأطفال والشيوخ توزعوا على المناطق المحيطة، كقرية الغازية، ومدينة صيدا وحارة صيدا، وهيم على وجوههم ..... وصلوا إلى قرى إقليم الخروب أو الشوف .... اللاجئين.

ضاعت معالم المخيم وغطتها الركام، لكن عاد الفلسطينيون فوق الركام .... لترميمها.

عادت بعض النسوة إلى المخيم .... والأطفال والشيوخ وبعض الكهول من الرجال ....

أحضروا لهم بعض الخيام، فسكنتها الأطفال والنسوة، قالوا نريد رجالنا وشبابنا.

أحضروا لهم بيوتاً خشبية جاهزة .. رفضوها هي أيضاً. ثم انطلقوا إلى مدينة صيدا يهتفون بالهتاف: «نريد شبابنا ورجالنا» فأطلقت على بعضهم النيران.

وسلط عليهم العدو الصهيوني القوات الانعزالية، فحرضوا على بعضهم القتل، ومنعوهم من مغادرة المخيم، وطلبوا من كل الفلسطينيين في المنطقة المحيطة إلى المخيم حتى لو كانت لهم ممتلكاتهم الشخصية خارجه. بل تم قتل من لم يستجب للأوامر:

جاء في تقرير نشر في شهر آذار - مارس - من سنة ١٩٨٣، أنه تم العثور على ١٥ جثة لفلسطينيين من أبناء عين الحلوة، وجدوا مقتولين في مناطق تحيط بالمخيم في شهر شباط - فبراير - من عام ١٩٨٣».

ونصب العدو أيضاً حرساً وطنياً من بين ضعاف النفوس من الفلسطينيين واللبنانيين داخل المخيم .. فاعتقل كل من وجد فيه أنه ينتمي للمقاومة، ثم لجأ إلى النهب والسلب ... وحتى الاعتداء على الأعراض!

انتفض [illegible] فأطلقت النيران بحرية على

دورية إسرائيلية راجلة .... تم استدعاء من عاد من شبان وكهول المخيم للتحقيق وتم اعتقال بعضهم .

في ليل الخامس والعشرين من شهر تموز - يوليو - من سنة ١٩٨٢ انطلق الرصاص على فيصل أبو سليم المعروف بأبي عاصم .. ووزع بيان يومها جاء فيه أن أبا عاصم كان عميلاً للإسرائيليين .

اختفى العملاء في جحورهم ... وتخلوا عن تسلطهم . وازدادت دوريات الاستخباريين والصهاينة .

انطلق مجهولون النار على دورية إسرائيلية في جهة المخيم الغربية . ثم تم تفجير عبوة ناسفة موجهة لاسلكيا أثناء مرور دورية للعدو عند مدخل عين الحلوة ....

تزايدت العمليات .. وكثرت المظاهرات والاضرابات .

خرج أفراد الحرس الوطني « عملاء الصهاينة » من المخيم ليسكنوا بحماية كفلائهم في الليل .

نشط بعض الجواسيس السريين لكشف أخبار حركة المقاومة في الداخل .

ثم قتل الأول والثاني والثالث من العملاء .... وتوالى بعد ذلك قتلهم .

ليل المقاومة

أصبح الليل ليل المقاومة .... في إطار التنظيم والتخطيط ، وعمليات قليلة أو نادرة .. نظراً لكثافة الدوريات الإسرائيلية . وفي الليل .. ما أروع تلك الليالي .. هكذا قال لي الكثير من الذين التقيت بهم

- لماذا هي رائعة ؟

هل تُصدّق أننا كنا نجتمع في حي صفوري حسب أوامر المقاومة التي كانت تعلنها بالميكروفونات ، لنبدأ بالغناء وترديد الأهازيج وعقد الدبكات .

عدم التصديق ظاهر في عينيك ... صدقني أن ذلك حدث وعشرات الناس على ذلك شهود ومشاركون .. هكذا أكد محدثي .

كان أفراد المقاومة يلبسون أزياء غريبة ويتلثمون ، يخفون أسماءهم وشكلهم ، قسم منهم كان يشارك الغناء والدبكة ، وآخرون كانوا يرصدون أية حركة غريبة وسلاحهم الواضح !

والإسرائيليون والاستخباريون والعملاء ؟

كانوا لا يجرؤون على التدخل . وإلا فإن معركة كبيرة ستقع !

ولقد ازدادت قوة المقاومة بعد أن خرج معتقلو أنصار بتاريخ ٢٤/١١/١٩٨٣ ... وعاد الشبان ليمارسوا مسيرة الكفاح والنضال .

لقد قمنا بمظاهرات مختلفة يرسمها المسؤولون أي مسؤولو المقاومة المنتشرون في المخيم بمناسبات كثيرة .. منها :

- المطالبة بإطلاق المعتقلين .
- رفض الحكم وعمل الكتائب بالقوة .
- الاحتجاج على ممارسات العملاء والشرطة .
- المطالبة بتأمين ما يكفي من مؤن .
- وأخيرا الاحتفال بمناسبة انطلاق الثورة . أو ذكرى وعد بلفور ، أو ذكرى التقسيم ، أو حتى الذكرى للنزوح الأول والثانية للغزو الإسرائيلي . أتدري أن الأهل كانوا يذكرون أبناءهم إذا ما استشهدوا ؟

تحدثت لإحدى الأسرات المنكوبة ... أسألها ، صارحتنا :

تلك أيام الأشهر الأولى من الاحتلال .. ولنضرب لك مثلا :-

جرى انفجار كبير في إحدى ليالي الشتاء ... لم يجرؤ أحد على الوصول إلى المكان ... وفي صباح اليوم التالي .. كانت جثة مطروحة قرب إحدى البيوت ... بقيت على وضعها إلى ما تزيد على ست ساعات .... والإسرائيليون ينظرون ، والعملاء يتحسسون ، ويبحثون معلومات عن الشاب

● ما هي حكاية ذلك الشاب ؟

- تلك قصة يمكن أن نرويها الآن لكنها بقيت غامضة في تلك الأيام .

وملخصها ذهب الشاب مع أحد زملائه لتفخيخ سيارة أحد العملاء ، إلا أن المتفجرة انفجرت بالشاب فقتلته وانطلق زميله . إلا أنه في صباح اليوم التالي .. خرجت امرأة متوسطة العمر .... تروح وتجيء بالقرب من ذلك المكان ، كانت تتلمس النظر إلى جثة كأنها ابنها .. ولا تقوى على الاقتراب منها !

يومها كانت الرعب والموت ينتظران قاطنيها على المخيم .... ولمجرد الإشارة إلى أن أحدا له علاقة بالمقاومة فإن البيت كان ينسف ، ويتم اعتقال أهله للتحقيق ثم يحولونهم إلى السجن .

لقد عرفنا فيما بعد ... أنها كانت أمه ... فصور مأساوية للحدث وللمنظر والواقعة !

أبو حيط

جعلت منه وكالات الأنباء الأجنبية أسطورة ، صوّرته وصوّرت مجموعاته .... وهم يزحفون ويتسلقون ، بل وهم ملثمون أيضا ويحملون «الكلاشنكوفات» .

لم يكن ذلك في زمن ما قبل الغزو ، ولا في زمن ما بعد الانسحاب الإسرائيلي ، بل كان في زحمة زمن الاحتلال . فكيف حدث ذلك ؟ ولماذا ؟ وهل هو مسلح ويتعاون مع القوات الإسرائيلية أم هي حالة جديدة من حالات الأشباح التي تتميز بها «طائر الفينيق» ؟

جاء وعلى ثيابه بقع من تراب البناء .... وعلى جبينه عرق وغبار ، فإن لوحت يداه وشعره الملتهبة شمس المخيم ، فأعطته لونا فيه سمرة البرونز ، جعلني مندهشا ! رحبت به وقدمت إليه ملبسا ...... فيه شكرا وتفحصت الهم الذي يحمل ملامح الرجولة قبل مبكرا ، قال : إنني أساعد بعض الأقارب في بناء ما هدمه الأعداء . سألت :

هل قرأت ما كتبته عنك الصحافة الأجنبية ، وما ترجمته الصحافة العربية عنها ، وهل رأيت صورك وصور مجموعاتك ؟

ارتسمت ملامح الخجل على جبينه وتكاثف العرق .

- قال : لم أقرأ ذلك ... بل قيل لي .

- وقلنا : لم تقرأ ؟

- ارتبك ثم قال : لقد أنهيت علاقتي بالمدرسة بعد الصف الثالث ابتدائي ، وها أنا أكمل بيدي نحتا على ذلك . عملت مساعدا للسيارات وحلم أن أكسب في ورش هنا .

كبير صغيرا !

كنا من مواليد سنة ١٩٧٠ .... والقصة تحتاج إلى كد .

● لماذا لم تلتحق بالمقاومة قبل الغزو .

- كنت صغيرا !

- ما هي حكايتك مع المجموعات التي كنت تدربها في قلب المخيم أو خارجه ، مع أن الإسرائيليين والعملاء موجودون ؟

حاول التهرب من السؤال ، حرك الكرسي الذي يجلس عليه شبك كفيه على مؤخرة رأسه ، ولمحت في شرود عينيه تمردا يزيده حيرة وعجلة .. كان يريد التملص وعدم الإجابة ، كررت السؤال .... وبدا بعض الحصر يذكره ببعض الأهوال .

سرح قليلا .... تأمل .... ثم قال :-

- كنت صبيا .

● ضحكت .. وقلت : لا زلت كذلك !

- قال ... نعم لكنني كنت أصغر .. كان عمري ١٢ عاما عندما حدث الغزو الإسرائيلي ....

- قطعت عليه ما كان ينوي قوله وسألته : ما هي حكاية اسم «أبو حيط» .. هذه ؟

- قال : اسمي جمال مطيع علاء الدين من أسرة صيداوية في النضال الفلسطيني .

● وأين أبو حيط في هذا الاسم ؟

- أجاب : كانت أمي متزوجة قبل أبي من رجل آخر ينتمي إلى عائلة «أبو حيط» ، وعندما توفي ، تزوجها والدي فجاءت ومعها ولد من زوجها السابق ، وعندما ولدت أنا وكبرنا معا أنا وأخي من أمي التحق بالمقاومة ، وبعد الغزو الإسرائيلي قتل ، فبقي اسم عائلته ملتصقا بي لأننا كنا دائما معا ، وعرفنا نحن الاثنين باسم عائلته .

● وحكايتك مع المجموعات ؟

- اقتاد الإسرائيليون شبان المخيم إلى السجون ، ولم يبق إلا القليل منهم في المخيم ، بيوت المخيم تهدمت ، والقليل منها بقي صامدا ، ونشروا الخوف والرعب فيه .. يومها .. فكرت .... ولعبت في حارتنا فبكيت عليها .. ثم قررت أن أفعل شيئا ...

وجدت لعبة كبيرة فأخذتها وتخطيت أسوار فيها بالمخيم جمعتها حول صبيانه وأتباعه الصغيرات .... أوله منهم ولكنه . للحزن ، وللطرف كنا سيفا مسلطا على الرقاب .... قلت في نفسي : لماذا لا

أريد من الناس رؤية هذا المسجد !؟

عزيزي القارئ .... إن ما تسجله تلك الليالي هي حقيقة . وربما هنا لم أتدخل الآن في صياغة الجمل والألفاظ فقط .

المتمردون الصغار

● وبعد ذلك يا جمال ؟

- وجدت بين الأنقاض زجاجات كثيرة صغيرة وكبيرة ، فأصلحت بعضها وجمعتها .. ثم وزعت ما وجدته على بعض أطفال حينا ، وأطلعت أهلهم عليها .

● هل أصبحت الزجاجات صالحة ؟

- لا .. كانت عبثا وجهدا مضللا .

● لماذا فعلت ذلك ؟

- كما قلت لك ... أريد أن أعيد بعض الثقة للناس .

- أعدت السؤال كي أتأكد من الجواب .

● فأعاد التأكيد على الجواب وأضاف .. ثم بدأت أخرج بالأطفال والفتيات إلى شوارع السوق .. فيجتمع الناس ويضحكون . وبعضهم كان يحسبني بلا عقل ذلك خوفا من أذى الإسرائيليين وعملائهم .

● ماذا فعلت بعد ذلك ؟

- لبست القناع وليه أطفال غيري ... وخرجنا للعب خارج المخيم .

● والإسرائيليون ؟

- جاءوني في إحدى الليالي .. طرقوا الباب وسألوا والدي عني فأجاب : هو صبي نائم .. أزاحوه من فراشي ، واكتشفوا عن الغطاء فأمسكت مرتعشا ، وسألوني عن اسمي .. فذكرته لهم .

- ثم سألوني : ألست أنت أبو سمط ؟

● قلت : نعم هو أنا .

- نظر بعضهم إلى بعض ... وقال أحدهم : هو طفل .... وخرجوا .

● وماذا فعلت أيضا ؟

- اتصل بي بعض رجال المقاومة ، وأصبحوا يطلبون مني المساعدة في العمل إلى الاشتراكات والمظاهرات في أيام يحددونها لي .

● والصلاة والإسرائيليون .. ألم تكن تصلهم التقارير عنك ؟

- جاءوني مرة ثانية وفي الليل أيضاً .. وكرروا نفس ما فعلوه في المرة السابقة .... فوجدوني طفلا أيضاً .

● كم عدد الأطفال الذين كنت تتعامل معهم ؟

- عشرة ربما عشرين أو ثلاثين ... وفي أحيان أخرى أكثر من ذلك .

● هل تقتصر نشاطاتكم على ما ذكرت فقط ؟

- كنا نقتنع بتخفيف الصلاة في الليل ، إلى درجة أننا أصبحنا في إحدى الليالي بدورية إسرائيلية ، فأطلقت النار علينا وقتلت أحد الفتيان .

● وغير ذلك ؟

- كنا نقوم بتوزيع المنشورات وتهريب بعض المنشورات للمعتقلين ، أو توصيل بعض الرسائل لرجال المقاومة ، وغيرها من الأعمال .

ولقد ساهمنا في رد هجمة الإسرائيليين التي تعرض فيها أطفال المخيم بعد خروج الإسرائيليين ، صحيح أن السلاح كان قليلا أو معدوما بين أيدينا . لكن الشباب والفتيات خرجوا بكل ما يملكون لمواجهة القوة المعتدية . وكنا من بينهم . فانتصرت القوة الطاهرة وتخلص المخيم من كابوسهم .

● ما هي حكاية الحمار الذي ركبته بالمقلوب ودرت فيه بالمخيم ؟

- ضج الحضور بالضحك ... شاركهم جمال ، ثم قال ...

● أحببت أن أخرج من هموم الناس .... فامتطيت الحمار بالمقلوب وكتبت على يافطة وضعتها عليه : تراث الأجداد .... فضج الناس بالضحك وتبعني أطفال كثيرون .

● والآن يا جمال ؟ .. ماذا تفعل .. بعد أن كبرت ؟

● إنني أسعى لاستعادة ما فاتني من تعليم ، كما أنني أصبحت عضوا في إحدى المنظمات الشبابية .

● عزيزي القارئ ... في الأساطير حكايات ... من طائر يشق جنبات الأفق وأحيانا ما يحترق ... أما كما هي حكاية المخيم الفلسطيني التي أرويها في هذه الأيام فتلك لن تصلك إلا وهي ستكون فقط كلاما ورقيا وصدقنا ! ....

تجميد سريع.
مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.
DIRECT COOL
نظافة مستمرة.
مع غسالة Toshiba الكبيرة جداً.
VH 1300
TOSHIBA

وتسألني؟

شعر: جهاد السالم

وتسألني طفلةٌ حلوةٌ
وتبحثُ بين دفاتر الفصول
وتكتبُ اسمي بحبر الجمال
وتسمعُ يرفضُ صراخَ الطفولة
كطيفكِ للباب : إنّ الهوى
لأنكِ أنتِ مثل هيكل الوجود
ولستُ أرى للحبّ أشكالها
فكم أشتكي للحبِّ بعضَ الظروف
فذا الشوقُ الذي مثلُ السحاب
وإن كنتُ أعدو إلى الربوة
بعيدٌ عن المرءِ كيف الحياة
وكلُّ سعيدٍ بهذا الوجود
نهايةُ أحلامنا حفرة
فهيّا إذ نمتنا إلى حولها
أنيروا مصابيحَ على القلوب
لذا ما غنى الحبُّ من كوننا

أُمدّكِ . مثل الشجر . الندى
وتضحكُ كالطير لو غرّدا
وتُرسلني حبّنا جنّتنا
وقد تفرحُ الأبيضَ الأسودا
وقلبُ الهمومِ وجسمٌ شكى
به الحلمُ والحبُّ قد عمّدا
ولا للحلمِ أهلٌ ولا أحدا
وكم ألبسَ الحلمُ كم أفسدا
سكنتُ لتلك المعاني البدا
رجاهُ للمحبِّ تبيكُ الرّدا
لذا كان كثرُ الورى أبعدا
يكونُ الوجودُ به أسعدا
ظلامُ الليالي لديها علو
سيحتلُّ فيها الظلامُ الغدا
بحبٍّ واذكروا بها للرّدى
لقد تقرّبُ الحبُّ المبتدا

أول فبراير ١٩٨٦

موعدك مع

مجلة العربي الصغير

للفتيان والفتيات العرب

٦٤ صفحة بالألوان

مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار

تصدر أول كل شهر

احجز نسختك من الآن لأبنائك

لا تدفع أكثر من ٢٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها للنسخة الواحدة

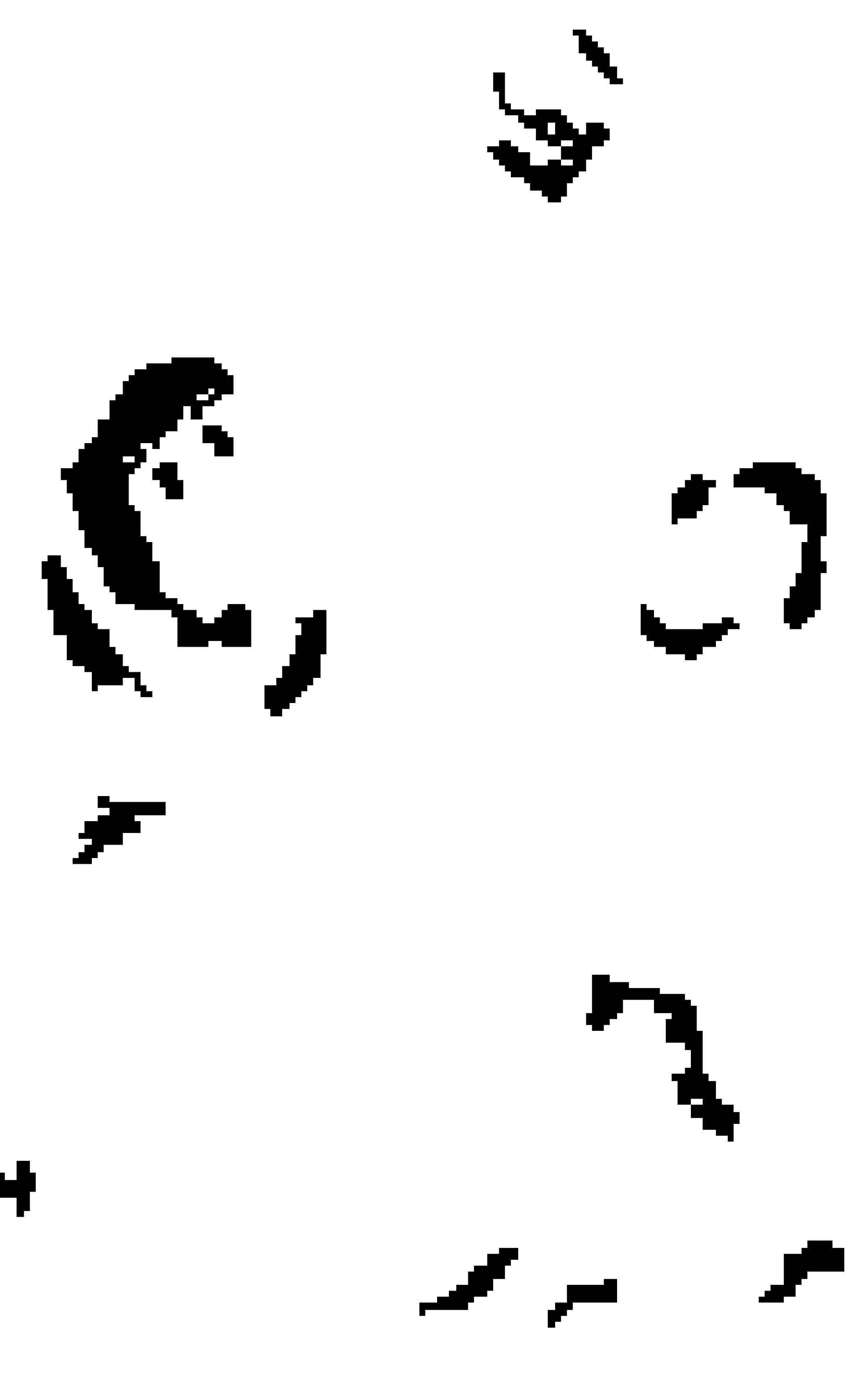

١٠٠ جائزة قيمة تنتظر طفلك شهريا في مسابقة العربي الصغير

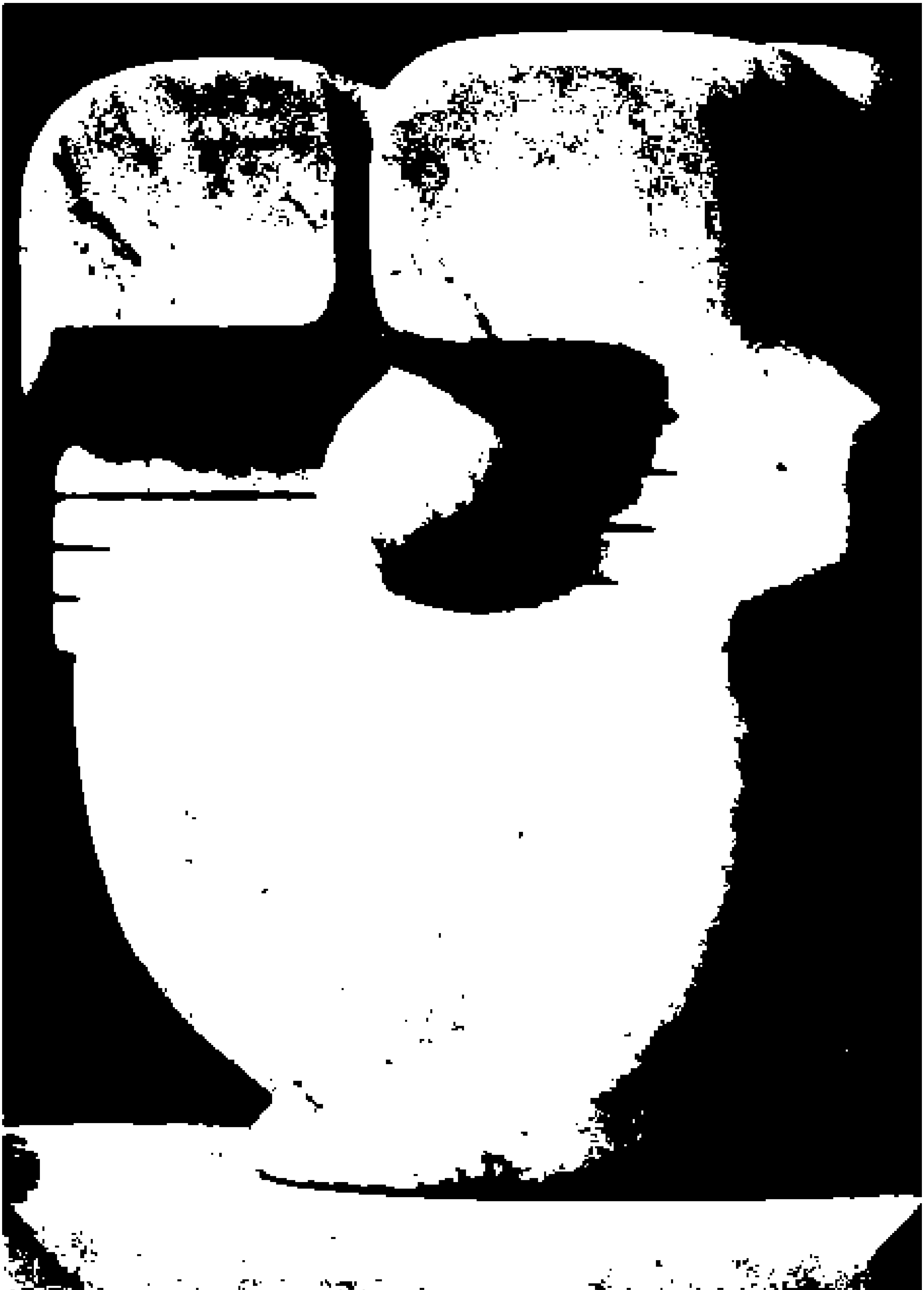

منى السعودي:

الفنانة التي كشفت سر الحجر

بقلم صلاح حزين

منذ عشرين عاماً [illegible] منى السعودي [illegible]
[illegible]
[illegible]
عليها

[illegible] منى السعودي [illegible] الحجر [illegible]

[illegible]

فجر ـ ١٩٨٣ ـ جرانيت ـ ارتفاع ٠,٧٥ م

المركز الثقافي ـ عمان

ويدهش مشاهد منحوتات منى السعودي من عضوية مفرداتها الفنية والتشكيلية وتفاعلها الفني في الوقت نفسه. إنما قصة العلاقة بين الفنانة والحجر الذي تصوغ منه أعمالها النحتية تعود الى عشرين سنة مضت، عندما ذهبت منى السعودي الى باريس لتدرس الفن ولتكتشف سر الحجارة.

في معظم معارضها تحرص الفنانة منى السعودي أن تعرض بعض لوحاتها الى جانب أعمالها النحتية التي تنتشر بانتظام فسيح داخل قاعة العرض. وعند النظر الى مجموع تلك الأعمال يتكون لدى المشاهد الانطباع الفوري بأنه أمام نحات، فمعظم اللوحات المعروضة تبدو كأنها تخطيطات لأعمال نحتية قادمة.

الفجر الأسود :

ومن بين أعمالها جميعا يلفت النظر ذلك العمل النحتي المصنوع من الرخام الأسود بحجمه الصغير الذي يميز أعمال الفنانة كما ذكرنا، وبتلك الخطوط البسيطة التي تخترق الجسم الأملس للمكعب بخفة. وقد أعطت الفنانة لذلك التزيج الفني اسم (الفجر الأسود).

تدور معظم أعمال منى السعودي حول فكرة مركزة واحدة هي فكرة الأمومة التي تشمل أفكارا فرعية أخرى مثل النماء والإخصاب والانبلاج، وهي تعتقد بأن أسماء اللوحات لا تعني الكثير بالنسبة للعمل الفني، إلا أنها تعترف أن الأسماء التي تتراوح بين الأمومة والأرض هي تنويعات على فكرة الخصب التي هي أصل كل شيء. وهي في هذا مرتجعة الى حد كبير من حيث عضوية مفرداتها. فهذه المفردات الكلاسيكية المختصرة هي جزء من محاولات منى لاختزال العالم المحيط الى مفردات حية منطقها المنطق الفني، فتخرج على شكل خط منحني أو دائري، ولكن ليس متعرجا. وهذه الخطوط تأخذ أشكالها المختلفة للسطوح في الوقت نفسه، وتتوزع على جسم العمل، ثم تتبادل أمكنتها واتجاهاتها وتتوازن على أجسام الأعمال الأخرى، وهكذا تتمكن منى من اختزال العالم عبر مفرداتها الفنية هذه بحيث يبقى محافظا على تكامله وانسجامه وثباته. وتفسر منى السعودي ذلك بقولها: «ان لكل فنان مفرداته الخاصة وعناصره التشكيلية، التي قد يعمل عليها طوال حياته. قد تتجدد، وقد تختلف بطريقة ما، لكنها تبقى لتعطي للفنان خصوصيته وشخصيته».

الدائرة والخط المنحني

ولكن لماذا الخط المنحني والدائرة، وليس الزوايا أو الخطوط المستقيمة المباشرة الحادة؟ تجيب منى: «الخط المنحني، الذي أحول في أعمالي الأخيرة الى مقارنة متكاملة مع محاولة من جانبي للوصول الى مطلق

الاختصار ، وبطلق البساطة ، وهذا لا يكون إلا من خلال الخط البسيط » .

والخطوط الكثيفة والمتصالبة المتوترة والمتواترة المكثفة التي تبدو وكأنها تلملم جسم المنحوتة بدلاً أن تطلقه في الفضاء الرحب ، تتكامل وتتفاعل مع الحجم الصغير لمعظم التماثيل في المعرض . لكن الوحدة والتداخل بين اتجاه الخطوط ومساحاتها المطلقة وبين حجم المنحوتة هي لمختصر آخر لمفهوم الشكل والمضمون ، الظاهر والجوهر وما إلى ذلك من أسئلة تطلق على هذه المشكلة الفنية ، وليس التكثيف على الكتلة وتكورها وصولاً إلى الرحم ، رغم أن أي تفسير لتلك الخطوط لا يمكن أن يهمل هذه الجوانب ، ويتلوك من معنى التساؤل الذي لم يوجه إليها مباشرة ، ولعب « الانحناءة في الأعمال الصغيرة الحجم نتيجة منطقية للطابع الحميمي لتلك الأعمال ، إنها ليست من تلك الأعمال الضخمة الكبيرة ، التي تنتصب في الشوارع والساحات والحدائق العامة . بل ربما كان أفضل مكان لها هو حديقة خاصة ، تشعر الخرجه عليها بالراحة والاسترخاء » . ونضيف « لعلني تطورا حدث كثيرا على أعمالي لمعنى تغيرا في الأسلوب نفسه . وقد بدأ ذلك عندما خرجت أعمالي إلى الشارع ، ووضعت في أماكن أخرى . وطبيعة المكان الذي تعرض فيه الأعمال مهم جداً في التكوين الفني لعمل النحت »

وهكذا ويظل بساطة أعمال منى السعودي ، ومن خلالها نجد أنفسنا ننتقل من تلك الملاحظة العابرة لندخل في محاولة حل المشكلة الأزلية لفن النحت ، مشكلة تناسب حجم المنحوتة مع الفراغ . الفضاء فسيح ممتد ، والمنحوتة عالم مختصر ضمن هذا الفضاء الفراغي

ليس هناك أبلغ من العبارة الشهيرة القائلة (كلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة) هذا ما قالته منى وهي تطل على هذه المسألة في مكان بارز من مرسمها في عمان بالأردن .

بين الساحات العامة والمتاحف

ورغم اعتزاز منى بأعمالها النحتية الصغيرة هذه ، فإننا نرى فيها ما يشبه المقدمات لأعمال كبيرة الحجم ، تنتصب في الساحات والشوارع والأماكن العامة . وقد كان أحد أحلامها على الدوام أن ترى أعمالها تلك في الأماكن التي ذكرناها . وعلى أي حال فإن هذا في الواقع من طموحها لفن النحت ، إلى أن يكون العمل نصباً كبير الحجم ، يسهم بخلق نوع من التواصل مع المشاهد الذي قد يكون عابرا أو متسكعا أو طالبا لبعض الراحة . « اعتقد أن أفضل معرض للأعمال النحتية هو الشارع ، وليس المتحف أو المعرض الذي قد يضفي على الأعمال الفنية نوعا من القداسة ، لكن وجودها في الأماكن العامة يعطي نوعا من تحميم الجمال والفن ويدمج فني نفسها وجماليها الكبير » .

وترى منى أن هذا الانتقال من مرحلة الأعمال الصغيرة لمشيها تلك الانحناءات الشعرية الدائرة باتجاه مركز العمل ، إلى الأعمال الكبيرة تتطلب تغيرا في الأسلوب وفي المعالجة . لقد بدأت مرحلتها الجديدة منذ شهرين . عندما نصب العمل الأول

تكوين ، ١٩٨٤ ، حجر وطني

لها في المعرض السادس في العاصمة الأردنية كما قلت . ولم يكن صدفة أن هذا العمل كان تكبيرا لنموذج صغير من أعمالها الأولى . وكان في ذلك تأكيد لعنصر الاستمرارية ، ونفيا لأي انقطاع بين المرحلتين .

لكن التغير في الأسلوب والمعالجة يتطلب بالضرورة تغيرا في المفردات الشكلية والفنية . وهكذا نخرج من إطار اللوحات الحجمية الصخرية ذات الأسماء الموحية مثل (أمومة) و (أمومة الأرض) إلى أعمال مثل (النهر) و (نمو) التي تأخذ فيها الخطوط المنحنية أبعادها . وتشكل أجزاؤها المتوازنة مشروع حوار مع الفضاء . منطلقة من حالة الالتحام التي تميز معظم أعمالها .

سر الحجر

لقد كشفت منى السعودي سر الحجر ، بعد أن اكتشفت سر النحت . واعتبرته هو الأساس ، فليس في الحجر أسرار كما تقول « السر في النحت ، وعندما تكتشف سر النحت تكتشف أمامك أسرار الحجر بمختلف أنواعه » .

وربما كان من عناصر المفارقة أن هذا الفن يتنامى ويتعاظم دوره في حياتنا ، كلما تقدم الزمن وتطورت الحياة لتمكن الوصول إليه من خلال تقدم الأدوات التي

منى السعودي ـ وشغف سر الحجر

تصنعها الآن ، وهي الأزميل والمطرقة . أما مادة ذلك الفن فهي الحجر القديم نفسه . الذي صنع منه المصريون تماثيلهم وعرائسهم ، كما صنع منه الآشوريون والكلدانيون آلهتهم ذات الرؤوس الحيوانية والأطراف المجنحة . تقول منى السعودي « الأزميل والمطرقة اليدوية والحجر هي عناصر النحت الأساسية ، وحتى المطرقة الكهربائية التي تعمل بالهواء المضغوط تقوم على فكرة المطرقة اليدوية القديمة . أما مراحل الحفر الأخرى فكلها مراحل مساعدة ، وحدث أحيانا أن أصنع عملا نحتيا بكامله مستخدمة الأزميل نفسه دون أن أغيره » .

علاقة حارة مع الجماد

ولاحظت في أثناء حديثي مع الفنانة منى السعودي أنها تتحدث عن تلك الكتل الصماء الصلبة بحرارة غريبة . وأسأل عن سر تلك العلاقة وروايتها لها . وتحدثت منى بمعرفة عن مادة عملها الحجرية ، « الحجر هو أقدم مادة وأصلبها . ورغم اختلاف الحجارة فإن لكل منها خصوصيته وجماله . وعندما يأخذ الفنان تلك الكتلة الأرضية التي يمكن العثور عليها في أي مكان ، يبدأ بينهما نوع من العلاقة الحميمة . فقد يضع الفنان الحجر في مكان ما من مرسمه فترة من الزمن يمر به ويراه ويتأمله كل يوم قبل أن يبدأ العمل به . وعندما تبدأ مرحلة جديدة من العلاقة مع الحجر نفسه . يأخذ الفنان ويضع فيه كل تجربته الفنية والفكرية السابقة . وربما العاطفية ، ويصبح للحجر هيئة خاصة به ويبدأ له تاريخ جديد ، ويختلف معي ، ولا تنتهي العلاقة هنا ، بل يصبح الحجر جسرا للتواصل بين الفنان والناس من خلال حوارهم الذي ترك انطباعات مختلفة ، وتعيد اكتشافه كل يوم وتكرر عملية الخلق التي حملته إلى ما هو عليه » .

هكذا تحدثت منى السعودي ، الفنانة التي ولدت في عمان بالأردن ، ثم رحلت إلى باريس لتدرس فن النحت ، وعاشت في بيروت سنوات حرب لبنان ، وعاشت تجربة الحصار عام ١٩٨٢ ، وبعدها عادت إلى عمان ، إلى حيث انطلقت قبل عشرين سنة تصنع التماثيل من الحجارة التي أحبت أن تطاوعها لتكشف سرها الخفي . □

مكتبة الاسرة والمجتمع

التدخين

اختـــراع نســـائي

بقلم الدكتور ابراهيم ابو طلحوت

سهل من ان لنا هو ترك التدخين بعد كل ما يقال من حول الأضرار عن ما ناله من الحملات والتحذيرات المكثفة الكثيرة التي تبين خطورته على صحة متعاطيه بالمعلومات من حيث ضرره للصحة التي تنشرها الصحف والمجلات والاذاعة.

ويعتبر التدخين مركبا الآن من اخطر انواع سرطان الرئة والمعدة والقصبة الهوائية والمرئ حتى اصبح من المسببات لمشاكل واضطرابات القلب والاوعية الدموية حتى ان عدد الاصابات بالحالات هو في تزايد.

ثم ان مرضى القلب والذين يعانون والذين يصابون بالامراض التي تصيب القلب في حاجة للعلاج لان الكثير منهم يعود الى التدخين الذي يعتبر من الاسباب الرئيسية للامراض مطلقا حكومة بلاده بوضع برنامج للدعاية للتدخين.

وقد كانت الاحصاءات في السابق التي تصدرها الجهات الصحية والمؤسسات الاجتماعية تدل على ان اكثر من ٣٧ شخصا يموتون كل يوم بشكل مبكر بسبب الامراض الناتجة عن تعاطيهم التدخين.

لكن هل من السهل ترك التدخين بهذه السهولة لا يستطيع المدخن ان يترك التدخين بسهولة بل انه كثيرا ما يعود اليه بعد تركه لفترة قصيرة بسبب عدم قدرته على مقاومة الرغبة في التدخين الذي يعتبر مثل الادمان.

وبالنسبة للمدخن ان يتعاطى ما يفعله خلال الحياة اليومية.

ما تقوم به الانسان بعد ان يقرر ان يتوقف عن التدخين هو ان يسعى الى شيء كان قد تعود عليه في كل يوم من ايامه لفترة طويلة من الزمن (التدخين) ويعتبر في بداية التوقف من اصعب المراحل.

خلال المرحلة الاولى من تلك المرحلة (الانسحاب) تحصل المدخن على التي تحتوي على نسبة عالية من النيكوتين (الشوكولاتة والحلويات) او الحلويات والاطعمة التي تحتوي على السكر والطرشي والمعجنات التي تحتوي على الملح وكل انواع الحلويات والمأكولات التي تحتوي من الدهون والزبدة.

وقد تعرضت حاجته للطعام الى التهام الماكولات الدسمة بشكل كبير مما يجعله يكسب كثيرا من الوزن والسمنة حتى من غير ذلك.

وهي من الامور التي تجعل بعض المدخنين يعتقد انه لا يستطيع ترك التدخين بسبب الوزن الزائد وحتى لا تؤدي الى مشاكل صحية اخرى في هذا الوقت لكن ذلك بسبب الطعام والاطعمة الدسمة وما يلحقها اكثر

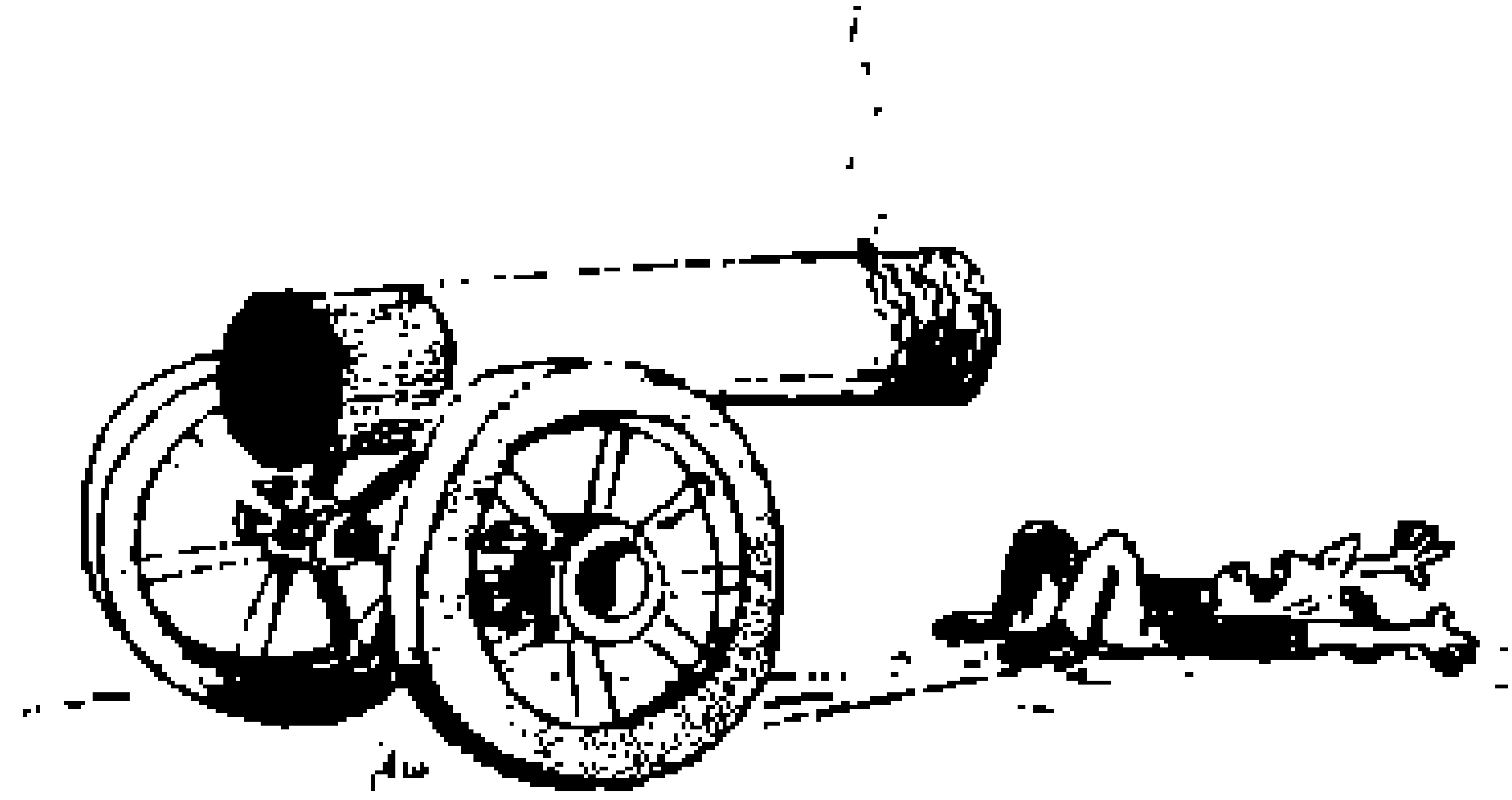

للمضغ لوقت وكثير من الفاكهة

وخلال تلك الأيام التي ستحاول فيها ترك التدخين ستشعر بالعصبية ، القلق ، الملل والاكتئاب ، الدوخة ، الأرق ، وتغير النكهة .

كذلك فقد تشعر بالتغير وآلام العضلات ، التعب ، الإرهاق ، النعاس ، والرغبة في التدخين .

والشيء الذي يجب أن يثير قلقنا هو نتائج الإحصائيات والاستفتاءات الأخيرة التي أثبتت أن النساء يتفوقن على الرجال في معدلات التدخين (بينما في الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ كانت نسبة المدخنات منهن ١٠ ـ ١٥٪ بينما كانت نسبة المدخنين من الرجال ٥٠٪) وهنا علينا أن لا ننسى أن لعنة التدخين هي انحراف تسلل . وقد قدرت بعض الأبحاث أن كمية ما يستنشقه المدخن من سيجارة واحدة تعادل نفس كمية المواد الكيميائية المسرطنة التي كان يمكن أن يستنشقها لأسبوع أو أسبوعين في أحد المدن الكبرى الملوثة ، وهو ما يعني أن من يدخن ٢٠ سيجارة يوميا يستنشق يوميا مثل ما يستنشقه خلال شهر كامل في احدى المدن الملوثة .

ويحتوي دخان السيجارة الذي يستنشقه المدخن على أكثر من ٢٠٠٠ مركب كيماوي ومسرطن مثل : أول أكسيد الكربون ، النيكوتين ، أكاسيد الهيروين ، البترول وغيرها

وفي اليابان فقد ارتفع معدل تدخين الفرد من ١٧٠٠ سيجارة سنة ١٩٦٠ (لمن هم فوق سن الخامسة عشرة) ليصل إلى ٣٦٠٠ سيجارة سنة ١٩٨٣ . أما في النرويج وبعد عشر سنوات من تنظيم حملات للمكافحة فقد هبط استهلاك السجائر بمعدل ٢٥٠٠ سيجارة للفرد الواحد ، ونفس الأمر يسري على الولايات المتحدة حيث هبطت نسبة المدخنين من ٤١٪ سنة ١٩٦٤ إلى ٣٢,٦٪ سنة ١٩٨٠ ، بينما سجل هبوط عام في الاستهلاك بمعدل ١٥٪ كذلك ثبت بأن احتمال تدخين الأبناء في حالة تدخين أحد الأبوين يصل إلى ٥٠٪ ، بينما يرتفع حتى ٧٠٪ في حالة تدخين كلا الأبوين .

وهكذا فلم تكن مصادفة العبارة التي كتبت في إعلانات سيارات الأجرة في الولايات المتحدة ، والتي تقول : حريتك تنتهي حيث يبدأ أنفي .

وقد أثبتت الأبحاث بأن التدخين السلبي أو الثانوي أي الاستنشاق غير الإرادي لدخان المدخنين يخلف كذلك عواقب سلبية وخيمة على الصحة تصل حتى حدود سرطان الرئة .

وحتى لا يكون كلامنا مبالغا فيه نوضح هنا بأن المدخن يستنشق خلال تدخينه لسيجارة واحدة فقط ما

بمفرده ٣٠ ثانية ، لكن الدخان وسحبه تتجول في الهواء لعشر دقائق كاملة ، وهو أمر يعني أن الدخان المتسرب يخرق المنفس بكثير .

ولقد أثبتت أبحاث أجريت في اليونان . بأن الدخان السلبي يحتوي على كمية أكبر من المواد التي تعتبر ضارة ، وخصوصا النتروسامين التي تعتبر أكثر مادة مسببة للسرطان ، حيث يزداد تركيزها في الدخان السلبي بمقدار ٥٠ مرة لمن يعملون أو يحشرون مع المدخنين » .

وبالطبع فذلك يعتمد على عوامل أخرى مثل المسافة التي يبعدها الشخص المعرض للدخان وحجم تهوية المكان . وتقدر الأبحاث تقريبا التي أعدتها دائرة حماية البيئة في واشنطن التي قدرت بأن ٥٠٠ - ٥٠٠٠ شخص من غير المدخنين يموتون سنويا في الولايات المتحدة من سرطان الرئة الذي يسببه التدخين غير المباشر ، بينما يموت ١٠٠٠ شخص ويقضي نحبه سنويا في بريطانيا ، كما أعلن ذلك البروفيسور مايكل راشيل .

ولقد أكد بحث أجري في بريطانيا على أن خطر الإصابة بالسرطان يزداد لكل شخص بازدياد أعضاء العائلة الذين يدخنون في منزله . وبالنسبة للأطفال فالتدخين يسبب عندهم أمراضا تنفسية والتهاباً بالاصابة بأورام الأطفال وسرطان الرئتين .

كذلك فالخطر كبير على البالغين للإصابة بنفس الأمراض . لتعرضهم خلال سني طفولتهم لتدخين أعضاء عائلتهم . كذلك من الجدير بالملاحظة هنا ذكر القابلية الكبيرة للإصابة بهذه الأمراض للأجنة ، من كانت أمهاتهم يدخن خلال فترة الحمل ، وذلك لأن المواد السرطانية يمكنها اختراق المشيمة .

وقد خلصت هذه الأبحاث للقول : « إذا كان المدخن السلبي يستقبل كميات أقل من الدخان من تلك للمدخن الفعال إلا أنه مع ذلك يتعرض لمواد دخانية أكثر . ولقد عثر على بعض مشتقات الدخان في دم ولعاب وبول الأطفال والبالغين والأجنة من تعرضوا لدخان الآخرين » .

وبالطبع فالشقاق بين المدخنين وغير المدخنين يعتبر حتميا ، في الوقت الذي يطالب فيه الأولون من خصومهم في تسمهم «التفهم» - يرفض الآخرون التفكير وعواقبه . ولا حل لهذه المشكلة حتى الآن . وأحد المواقف غير المتوقعة بهذا الشأن كان ذلك الذي نشرته الصحافة حول قيام إحدى طائرات « أمتراك » بهبوط اضطراري خلال رحلة لها بين نيويورك وواشنطن ، بسبب خلاف نشب على متنها بين الركاب ، وقد ابتدأ الإشكال حين اضطر أحد الراكبين ممن لم يعثر له على مقعد « ممنوع التدخين » للجلوس مع المدخنين ، حيث طالبهم بعدم إشعال سجائرهم فكان ما كان .

وأحد المواقف الأخرى ، أن الأمريكي جيرار بيتركي طلب من مكتب الموظفين الفيدراليين تعويضا له على أضرار لحقت بصحته ، وعجل تقاعده بسبب ، واضطرابات في الرئة بسبب أدائه لعمله بين موظفين جميعهم من المدخنين ، ولأول مرة في التاريخ فقد دفع المكتب مبلغ ٧٨٠ دولارا من الخمسة عشر يوما .

ومثل هذه المحاكمات قد أجريت في السويد ، لدرجة أن الخطوط الجوية السويدية قد نظمت رحلات داخلية خصوصا لغير المدخنين ، كذلك فالحكومة السويدية هي الأولى في العالم التي وصفت التدخين بأنه خطر عام ، وبالطبع فقد سنت القوانين الصارمة بحق من يدخنون في الأماكن العامة ، وكان من نتائج الإجراءات في السويد هبوط نسبة المدخنين من ٣٠٪ سنة ١٩٦٣ إلى ٢٠٪ الآن .

ولنفس السبب تقوم بعض الشركات الأمريكية بتقديم « بريم » لموظفيها الذين يقلعون عن التدخين ، بينما تحتوي المطاعم على قاعات خاصة بغير المدخنين . ومن المعروف أن نقطتين من النيكوتين تكفيان لموت الإنسان ، بسبب شلل يحدثه في مركز التنفس ، وأن دخان علبة سجائر يحتوي على غرام واحد من النيكوتين ، يبقى منه ٣٦٪ في علب السجائر ، بينما يمتص المدخن ٢٨٪ منه ، ويتوزع الباقي ١٦٪ في الهواء الجوي .

وهذا الأمر دليل على أن التدخين لا يسبب مشكلة لمن يجاورونه بإرادتهم فقط . □

البدانة

صحة .. أم مرض ؟

بقلم الدكتور سامي محمود علي

• مشكلة .. لا يخلو حديث من ذكر أخبارها .. والكل يسأل ويبحث عن علاج : ترى ماهي أسباب السمنة وهل هي صحة أم مرض ؟.

هل يمكننا اعتبار البدانة مرضا ؟ . وإذا كانت مرضا فكيف يمكن للمرء أن يشفى من أعراضه التي تثير الاشمئزاز وقلق الكثيرين ؟ .. في الواقع أن هناك جانباً ضئيلاً من البدانة يمكن اعتباره مرضيا . ولكننا دون أي مغالاة نقول ان الجانب الأكبر من البدانة لا يعدو أكثر من كونه استعمالا غير صحيح لآلة الجسم ، بالإضافة الى التعرض الكثيف لطرق التغذية . ومن الأبحاث التي اجراها « بريل » وجد أن نسبة الوفيات قبل سن الخامسة والعشرين تكون متساوية عند البدينين وغير البدينين ، ولكنها تزداد عند البدينين الذين تتراوح أعمارهم مابين ٣٥ و ٤٠ سنة .. لذا يمكن وضع النتيجة بتلخيص شديد ، ان ازدياد الوزن بعد سن الخامسة والعشرين ينذر بالخطر . فكلما تقدم الانسان في السن زاد الخطر من ازدياد وزنه .. كما أن البدين عرضة أكثر من غيره للاصابة بمرض السكر .. بالطبع نحن لن نستطرد في ذكر هذه المخاطر التي مفادها أن البدانة شر لابد من التخلص منه .. ولكن نتساءل ماهي البدانة وما هي أهم أسبابها ؟ .. وما هي طرق معالجتها ؟ .. وماذا من الوصفات الشعبية التي تعالج البدانة .. ؟ .. الحقيقة انها أسئلة كثيرة تتردد لدى الكثيرين ، وسنحاول هنا الاجابة عنها جميعا ..

أسباب البدانة

البدانة هي زيادة في شحوم البدن ، خصوصا في النسيج الخلوي تحت الجلد ، وكما يبدو ذلك واضحا في تراكم الشحوم تحت جلد البطن ، فيما نسميه « الكرش » كذلك تزداد الشحوم في المسافات بين الخضرية وحول أعضاء الجسم الداخلية كالكلية والقلب ..

أما أسباب البدانة فقد ظهرت في الآونة الأخيرة عدة بحوث تحدد الأسباب التي تنجم عنها الاصابة بالبدانة ، ولعل من أبرز هذه الدراسات تلك الدراسة التي قام بها دكتور « جون هريكنز » بالاشتراك مع الدكتورة « ماريا سيمونسون » صاحبة كتاب « علاقة الصحة بالوزن » .. وفي هذه الدراسة نلمح بوضوح الأثر النفسي الذي يدفع البعض الى

تناول الطعام بشراهة ، فيؤدي بالتالي الى زيادة الوزن .. فالمرأة الحامل التي تتناول المزيد من الطعام ، خوفا من اصابة الجنين بالضعف ، وكذلك المرأة في سن اليأس التي تعاني من اضطرابات نفسية نتيجة انقطاع الدورة الشهرية ، فتلتهم الطعام بشراهة كنوع من التعويض .. أيضا الرجال الذين يفرطون في تناول الأطعمة في فترة حمل زوجاتهم ، كنوع من أنواع التعبير عن الاستياء والاحساس من [illegible] الزوجات .. كذلك أوضحت هذه الدراسة [illegible] وبعض حالات الموظفين التي تدفع البعض الى الراحة مدة طويلة تقلل من نشاطهم ، في الوقت [illegible] يزيد فيه التهامهم للطعام ، مما يصل بهم في نهاية [illegible] الى الاصابة بالبدانة ، [illegible] البعض الذي يقبل على تناول الأطعمة في [illegible] في فترة الاسترخاء امام التليفزيون [illegible] هي الأسباب التي أوردتها الدراسة المسببة للبدانة . الا اننا يجب ألا ننسى الأثر الوراثي في البدانة . فالطفل يولد لأبوين بدينين [illegible] من أصحاب الأوزان الثقيلة . [illegible] بعض العائلات التي يحتل الطعام [illegible] مكانة كبرى . فينشأ افراد هذه العائلات وهم يعانون من البدانة ..

لقد أمكننا وضع كل هذه الأسباب في جملة واحدة هي .. أن السبب الجوهري للبدانة هو افراط شديد في تناول الطعام ، خصوصا الأطعمة النشوية والسكرية ، وذلك في مقابل نشاط أقل وفترات راحة طويلة .

قبل أن تبدأ العلاج ..

أولا قبل أن نشرح طرق علاج البدانة علينا أن نعرف أن العلاج لن يكون في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة وكفاح مستمرين .. ان التخلص من الوزن سوف يهبط في بداية العلاج بسرعة ، ولكنه سيظل ثابتا لفترة طويلة قبل أن يبدأ مرة أخرى في الانخفاض . لذلك علينا ألا نصاب باليأس فنقلع عن علاجنا . ونحن نشير بالمناسبة الى أن فقدان وزن الجسم في أثناء العلاج يجب أن يكون كل أسبوع لا كل يوم كما يفعل البعض .. وفي الحقيقة أن العلاج يقوم أساسا على الكمية ونوعية الطعام ، وهو لا يهدف فقط الى انقاص وزن الجسم ، ولكن أيضا الى تعديل العادات الغذائية للمريض .. وهناك نصائح عامة نوردها لكل بدين ..

- يجب أن يكون الانسان البدين نشيطا كي يحرك جسمه ، ويجب عليه أن يمشي مسافة معينة في كل يوم .
- تحديد أوقات الطعام وتحديد كمية الطعام في كل مرة .
- يستحسن عدم النوم بعد الطعام مباشرة .
- تخفيض نسبة السكريات والنشويات وملح الطعام في الغذاء .. مع ملاحظة أن الامتناع التام عن تناول السكريات والنشويات وملح الطعام له ضرره الخاص ، وهو شيء غير مرغوب فيه ، فالمطلوب اذن التقليل فقط من هذه المواد .
- الأطعمة البروتينية كاللحوم والأسماك يمكن أن يتناول منها حوالي ٢٠٠ جرام يوميا ، فهي أقل الأطعمة تحولا الى شحوم .

كيف تتخلص من البدانة ..؟

ان علاج البدانة والتخلص منها يعتمد في الأساس على طريقة التغذية ونوعية الطعام . وهناك نظام تغذية يشمل وجبات الطعام في الافطار والغداء والعشاء وهو كالآتي ..

الافطار : عصير الجريب فروت من أجل فيتامين ج ، والتمتع فيه ، وعند الشعور بالجوع تناول بيضة نصف مسلوقة .

وفي منتصف النهار يتناول البدين قطعة من الجبن للتزويد بالدسم وكوب زبادي .

الغداء : سلطة خضراء ، شوربة خضار بدون ملح ، ويضاف اليها عصير الليمون .. كما يمكن تناول كوب من الزبادي عند الساعة [illegible] مساء .

العشاء : فرخة كاملة مسلوقة مع الجزر والبصل بدون ملح أو أي مادة دسمة ، ويمكن تناول بدلا من ذلك كيلو ونصف من السمك ، أو ما يعادل ذلك من

أي نوع من البروتين (البقوليات كالفول والعدس يمكنها أن تحل محل اللحوم ، بشرط عدم استخدام الملح ، أو أي مادة دسمة كالزيت أو السمن) .

● قبل النوم : كوب من اللبن ٤ مرات في الأسبوع .

كما يمكن ملاحظة الآتي :

- تناول كوب من الماء كل نصف ساعة .

● - يجب أن يخصص يوم للصيام مرة شهريا ، ويومين أو ثلاثة يتناول فيها الفاكهة فقط .. كما يمكن تناول ملعقة عسل نحل خلال أيام تناول الفاكهة فقط .

أما اذا كان الشخص يريد انقاص عدد قليل من الكيلوات فقط من وزنه ، فيمكن اضافة الفاكهة الى وجبة الافطار أو الغداء ، لكن بشرط تناولها بعد ثلاث ساعات من تناول وجبة البروتين ، وانتظار ساعتين قبل تناول أي نوع من أنواع الأطعمة الأخرى .

وصفات شعبية تعالج البدانة ..

حاول الانسان أن يجد من الطبيعة ما يعالج به بدانته هو بالوصفات ويمسه على الطبيعة ، وركونه الى الكسل والدعة . والحقيقة أن الطبيعة لم ترحمه لا يستقل على الدوام بتقديم ما يمكنها به من صحة الانسان وشفائه . ومن يمكن أن نذكر أن معظم المعالجين كوصفات نافعة للبدانة ينكرون الفروق بأن العلاج لن يؤتي ثماره في يوم وليلة ، بل هو يحتاج الى مثابرة ومداومة ، فكما أن البدانة لم تظهر فجأة بل تراكمت يوما بعد يوم ، فإن العلاج كذلك سوف يستغرق وقتا للتخلص منها . والوصفات هنا ..

● ورق العنب : يغلى ٥٠ جراما من الأوراق اليابسة في لتر من الماء البارد ، ثم يوضع على النار حتى يغلي لمدة نصف دقيقة ، ثم يترك لمدة ١٥ دقيقة قبل أن يصفى ويحلى ، ويؤخذ بمعدل ثلاثة فناجين في اليوم قبل الطعام ، ويمكن تناول كمية محدودة من العنب في الصباح حتى يرتفع تدريجيا ، وصولا لخسرين الى كيلو واحد .

● خل التفاح : يستخدم خل التفاح لانقاص الوزن ، وذلك بشرب ملعقتين صغيرتين من الخل في كوب ماء مع كل وجبة طعام . أما اذا تعذر شرب مزيج الخل مع كل وجبة طعام لأي سبب يتعلق بالعمل اليومي ، فيمكن شرب كوبين من المزيج يوميا .. الأول في الصباح بعد النهوض من الفراش والثاني مساء قبل الذهاب الى النوم .. فالخل هنا يحرق الدهن الزائد في الجسم ويمنع تراكمه . أما طريقة اعداد خل التفاح فيتم بتقطيع ثمار التفاح دون نزع الجلد ، ثم وضعها في قدح وتركها مدة أيام الى أن يتم التخمر ، ثم تصفى ، ويستخدم الخل الناتج من التصفية بالطريقة التي شرحناها ... □

همـو....

بلا أسرار

أصبحت حياتي جحيما ، وصارت أيامي دارا مهجورا ومنبرا مفضوحا ، فالجميع ينتهك أسرارها وينتقد خصوصيتها ، الأنوف تتدخل لتبحث عن أسراري ، كل الألسنة تتناول مشاكلي وحياتي .

صحيح أني السبب في البداية ، ولكنني فتحت بابا لم أكن أظن أنه سيجلب الملامة ، ولن تكون عواقبه بهذه الأشكال التي تقلب حياتي وتفسدها .

كنت صغرى شقيقاتي الثلاث لأم هي أكبر شقيقاتها ، ومن هنا فقد كنا نحن الشقيقات الثلاث بمثابة الصديقات طيلة حياتنا ، نشأنا معا وتربينا معا ، كانت بيننا علاقة أقرب إلى الصداقة منها إلى القرابة .

وتزوجت .. وكانت فرحتهن بي لا توصف ، وبدأت حياتي مع زوجي ، وبدأت زياراتهن لي .. شقيقاتي وخالاتي .. ولأنني أنا الصغرى .. للعرية والحب .. فقد كانت الاستشارات المجانية تقدم لي دون طلب .. والملاحظات تنهال علي .. واحدة تمد لي طعاما وترسله .. والأخرى تدخل المطبخ وتأخذ مكاني .. والثالثة ترتب معي المنزل .. وحينما نجلس تبدأ الأسئلة والنصائح والملاحظات ، وأعترف بأنني كنت سعيدة غاية السعادة بهذه القلوب التي أحاطت بي .. فرحة بأن الآخرين يشعرون بحبهم ويرشدونني بخبرتهم فطالما يكتشفون لي نتائج وحلول مشاكلهم كي أتجنبها .. ولكن بعد فترة اكتشفت أنني أصبحت كعروس في مسرح عرائس .. أصبحت يحركني خيط .. كم ننفق وكم ندخر .. وكم علينا من ديون .. وكم لنا .. وماذا سنشتري ، ومن أين ، وبكم ، وماذا نأكل ، وماذا نحب وماذا نكره .. ولماذا نؤجل الإنجاب الآن ، وأي وسيلة منع حمل نستخدم .. اكتشفت أن حياتي منتهكة .. وسري مشاع .. وخصوصيتي مفقودة .. ووجدت أنني لم أستطع أن أوقف هذا التدخل .. وأنا في منتصف البحر لا أستطيع العودة .. ولا أستطيع أن أتخذ موقفا حاسما .. فهم أهلي .. ولا أشك في حبهم لي .. وأنا حريصة على علاقتي معهم ، ولكني أصبحت أضيق من الانتهاك . أعرف أن الحل الوحيد هو أن أقف يوما وأطلب منهم جميعا أن يكفوا عن نصائحهم وتدخلاتهم ، ولكن هذا موقف لا أتحمل عواقبه .

الأزمة أن زوجي طرف في اللعبة ، وكثيرا ما يثور لتدخلاتهم .. هم يدافعون عن آرائهم ووجهة نظرهم ، وهو يثور ويشرح أفكاره ، ولماذا نفعل كذا .. ولم نفعل كذا ، وضاع حلم الاستقلال والخصوصية والحياة الآمنة .. صارت الحياة مشاعا ومسلكا لكل العيون والأنوف .

هيّا ....

إقتحام

منذ أول يوم وأنا أدرك خطورة الاقتراب الشديد ، وحاولت أن أنطلق من حياتنا دون أن أمس مشاعرها أو أسبب لها إحساساً بأن هناك موقفاً من أهلها .

وكانت فكرتي بسيطة أن كل علاقة انسانية لها تاريخها الخاص ، وأن التجارب الانسانية ليست متماثلة ، ولو وضعنا شخصين في نفس الظروف والبيئة ، وعرضناهما لذات العلاقات ، والمواقف ، لجاءت النتائج مختلفة لأننا في النهاية بشر ، بيننا فروق واختلافات ، ولا يوجد في هذا العالم اثنان متطابقان في العقل والثقافة والميول النفسية والوجدان والوعي .. وعديد من الفروق بيننا نحن البشر .

وقلت لها طالما كنت أمينة معي ، وكانت لي أنا أيضاً الرغبة الصادقة ، في أن نصنع حياتنا بتراثها حية فجعلنا نسيج أهلنا رغم ما نرى ، ستكون هناك أخطاء .. فليكن ، ولكنها ستظل أخطاءنا نحن .. ونتعلم منها ، ونستفيد ، ليلاقي ، ويلمسنا أكثر تجاربنا وأخطائنا .. وأنسوا ما في الحياة لصالح البعض للبعض ، فالتصالح كشمس الشتاء تشع نوراً ولكنها لا تشع دفئاً ، وحاولت كثيراً .. جعلنا من أوائلهم ، والتزمي بقدر من الصمت وقدر من الذكاء في توجيه العلاقة بعيداً عنا لا تخيين ، وكانت تصغي لها وتبتلعها ولكن دون جدوى . تحركت الأمور كما تلم .. فالشروخ تصبح تدخلاً .. والنصح يصبح اقتحاماً .. ووجدت نفسي في وسط لعبة أرفضها واحتفظ عليها .. صارت المناقشات تعد معي لماذا لم تفعل كذا ، لم أنتظر كذا ، لماذا لا تحبهم كيف وكيف و ....

وغير منطقي أن أرد بالصمت ، وسيل الكلمات يحيط بي ، وهذا خطأ وذلك صواب .. تحاصرني .. ولم يكن من البساطة أن أرد ردماً جاهلاً . وهكذا استدرجت إلى اللعبة وصرت طرفاً فيها ..

صارت الحياة مشتركة بيننا ، زوجتي وأنا وأقاربها .. ومن يعلم ؟! فقد تعد كثير الأصدقاء والصديقات والمعارف .. والإدراكي لمطلب ألا يكون الإنسان بلا خصوصية وبلا ذاتية ، حاولت كثيراً مع زوجتي أن تتخذ موقفاً حاسماً تنقذ به حياتنا من هذا الاقتحام وتخلصني من كل أسباب المواقف من قبل أو رفض لي . ولكنها رغم ضيقها تخشى على أحاسيسهم ومشاعرهم وصلتها بهم .... قبل أن تخشى على حياتنا من التصدع .

هدى

من الحياة

وخفق قلبه بحب الدنيا والناس !

بقلم : منير نصيف

امتلأ قلبه بالحقد .. كان يحقد على الناس وعلى المجتمع .. ثم اكتشف فجأة أجمل وأعظم عاطفة في الحياة .. اكتشف الحب !

نحن نعيش في عالم ممتلئ بالأحقاد .. لقد أصبح الحقد مرضا من أمراض هذا العصر .. نحن نحقد لأننا لم نأخذ حقنا .. ونحقد لأننا فقدنا طعم الحياة .. ونحقد لأننا نشعر بأن الناس الذين يحيطون [illegible] بنا لا يقدرون « التضحيات » التي نبذلها من أجلهم .. ونحقد لأن أحدا أهاننا ، أو أحرجنا في حياتنا .. ونحقد بعد هذا لأي سبب ولأتفه سبب . وأسوأ أنواع الحقد هو ذلك الذي يملأ صدر المرء رجلا كان أو امرأة ، بلا سبب . أو ربما لأنه يشعر بأنه ما زال صغيرا !

وهذه قصة زوج عرف الحقد وتعلم الحب

• • •

كان يحيى يحس بعد أن هجرته زوجته التي شاركته حياته سنوات طويلة ، في معاناة مستمرة مع ذلك الشعور الغريب بالحقد ، الذي كان يملأ قلبه .. الحقد على الناس وعلى الحياة ، وعلى كل رجل يعرفه أو لا يعرفه لمجرد أنه يعلم أنه سعيد في حياته ، وأنه حقق قدرا من النجاح في عمله ..

ولم يكن هو فاشلا .. كان موفقا في حياته وفي عمله .. وكانت زوجته الشابة تتألم وهي ترى الحقد في عينيه ، وفي صوته وفي تصرفاته ، كلما جلس اليها يحدثها عن هؤلاء الذين يتقدمون ويطيرون [illegible] في الحياة .. ولكنها كانت تشفق عليه ، فقد كانت تراه يحترق أمامها ، ولكن لا [illegible] تعرف الطريق الى قلبه . الطريق ! كانت تحس أنه يذوب في بحر من الظلام الذي يسبح فيه وحده ، مع تلك الانفعالات التي تمزقه [illegible] خلال ساعات النهار .. فإذا جاء الليل تحولت الى كابوس يطل عليه الهرب في نومه ؟!

وعبثا حاولت الزوجة أن تنتزع هذا الشعور من رأسه المضطرب وتفكيره المريض ، الذي كان يصور له

العالم كله . كما لو كان عبثا من الأحداث التي يشهدونها ، ويستغلون الفرصة للانقضاض عليه ، رغم أن أحدا من كل هؤلاء الذين عرفهم لم يحاول مرة واحدة أن يسيء إليه . لم يخف في الطريق الذي يسير فيه ، والذي اختطه لنفسه وحده !

وحملت الزوجة للسكينة معاناتها ، وقصدت طبيبا في الأمراض النفسية تسأله النصح والمشورة ، وكانت قد قررت أمرا .. لا بد أن تتغيب عن حياته شيئا ، تتركه فيها يعيش وحده . فربما ينجح في اكتشاف أسباب المرض الذي يعتريه ، بعد أن عجزت هي عن أن تضع أصبعها على موطن هذا الداء !

وحكت الزوجة قصتها : « سألنا أكمل بها سهلي .. ؟ لم أكمل الحياة مع رجل يحقد على الناس ويغضبها وعلى كل ما حوله وكل ما له .. ! إننا لسنا فقراء ، ولا يعوزنا المال ، وهو يشغل وظيفة محترمة ، ولكنه غير قانع برزقه . إنه يتحسر على … ويحقد على كل رجل غني استطاع أن يصل إلى هدفه بسرعة وبجهده ! إنه لا يحتمل أن يرى إنسانا سعيدا مبتهجا ، غير عابئ بالراحة الكبرى في الاستماع إلى شكاوى الحسد والتشاؤم !!

وقال الطبيب : « إن زوجك مريض يا سيدتي ، إنه يعاني من عقدة نفسية لازمته منذ طفولته .. ربما يكون قد تعرض في صغره لحرمان … بالحقد والكراهية عندما كان طفلا صغيرا ، لم يتمكن معه من رؤية الجانب الآخر المضيء .. الحياة التي تحليه بالحب والتعاطف مع الآخرين ..

وإن الشعور بالحقد الأعمى مشكلة نفسية ، إنه يولد … حصيلة … من الضغينة ، ويتكرر … يتصور رائعة ما يمكن أن تعرض له من إذلال ومهانة !

قد تندهشين يا سيدتي إذا قلت لك إن الباحثين درسوا حالات الطلاق في عام واحد ، فوجدوا أن أكثر من نصفها كان نتيجة لأن الزوج لا يريد ولا يستطيع أن يطرد من نفسه الأحاسيس التي أدت إلى وقوع الخلاف بينه وبين زوجته ، ورغم رغبة الزوجة المخلصة في تناسي ما حدث ، ومحاولتها رأب الصدع الذي أصاب حياتها مع زوجها ، من أجل أطفالها الذين أحبتهم ، وبيتها الذي لا تريد أن تتحول عنه !

زوجك يا سيدتي يقضي حياته في التفكير في أحداث ومشاكل ما زالت يحملها حقدا في رأسه ، ولو أنه طواها كما يطوي المرء صفحات الكتاب الذي فرغ من قراءته ، لاستطاع أن يتخلص من هذا الشعور الذي يحرق منه طوال ساعات يومه ! » .

وماذا أصنع الآن ؟

اتركيه مع نفسه بعض الوقت ، حتى … والتي … جميعا .. فإنه يكتشف من وحدته … ، ربما ينجح في تحويل تلك الطاقة الضخمة التي … في الحقد على الناس ، إلى مسار آخر … بالحب الذي … ؟!

● ● ●

ومرت بضعة أعوام والزوج يعيش في وحدته مع هذا الشعور الذي يلازمه في كل تصرف يصدر عنه .. في كل عمل يقوم به مع نفسه ومع الآخرين ..

إلى أن جاء يوم سقط فيه الرجل مريضاً .. وحملوه إلى المستشفى لاسعافه بالعلاج .. كان في غيبوبة عندما وصل الغرفة التي أعدوها له .. وعندما فتح عينيه وبدأ يستعيد وعيه .. نظر حوله فوجد مجموعة من أطباء المستشفى والممرضات يحيطون بفراشه .. واحتفل واستبد به القلق .. ما هذا ؟ من كل هؤلاء .. لماذا جاءوا به إلى هذا المكان ، وكيف عرفوا بمرضه الذي أخفاه عن كل من له علاقة به ؟ .

وعرف القصة .. لقد كانت القصة رحلته التي أكملت حياته ، فقد ذهب في غيبوبة منذ ثلاثة أيام .. وحاول زملاؤه في العمل الاتصال به تليفونيا ، للاطمئنان عليه .. فقد كانوا يعلمون أن الرجل يعيش في أزمة منذ أن تركته زوجته ورحلت ، لتعيش بعيداً عنه مع صغارها .. وعندما لم يتلقوا رداً ، ذهبوا إليه في بيته ، وكان الباب موصداً ، فاستعانوا برجال الشرطة ، وفتحوا باب البيت ، وفي غرفة نومه وجدوه راقداً على فراشه بلا حراك !

• • •

وبدأت رحلة العلاج الطويلة .. كانت رحلة صعبة مليئة بالشكوك والحيرة .. لقد لا يشعر بالاطمئنان على نفسه بين هذه الأيدي الممدودة إليه ، وهو راقد على فراش المرض .. فكيف يطمئن إليها وهو الذي امتلأ قلبه بالحقد على كل الناس ؟!

كان ينظر إلى الأطباء الذين يشرفون على علاجه نظرته إلى الأعداء الذين يتربصون به للقضاء عليه .. حتى الممرضات بملابسهن البيضاء كان يصرخ فيهن ، ويطردهن بالابتعاد عن فراشه .! ولكنهن كن يستقبلن تصرفاته الشاذة بابتسامة لا تخلو من عطف القلوب الكبيرة .

وعندما قرر الأطباء في نهاية الأمر إجراء العملية الجراحية التي كانوا يعدونه لها ، صرخ في ذعر : لا .. لن أسمح لأحد منكم بأن يقترب مني . لن أسلم نفسي لكم ، لكي تمزقوا جسدي بمشارطكم .. أريد أن أعود إلى بيتي لأموت على فراشي في هدوء !

ولكنهم لم يتركوه .. كانوا يدركون أنهم أمام حالة شاذة لا بد من علاجها بحكمة .. وانتظروا حتى ذهب في النعاس ثم حقنوه بالمخدر ونام ، وحملوه إلى غرفة العمليات .. وأجريت له الجراحة بنجاح ..

وبقى الرجل تحت تأثير المخدر ثلاثة أيام .. فقد حرص الأطباء على ألا يتركوه يعود إلى حالته الطبيعية قبل أن يطمئنوا على الجرح حتى لا تحدث أية مضاعفات .. كانوا يخشون أن يقدم المريض على غلطة قد تؤدي إلى عدم التئام جراحه ..

وصحا الرجل من نومه أخيراً .. وعاد ينظر حوله من جديد .. ولكن بوجه آخر وبعينين تحملان معاني جديدة لم يعرفها من قبل ، ولم يعهدها من قبل في نفسه .. وراح يتفحص الوجوه التي أحاطت به وهو راقد في فراشه .. لقد ذهبت الآلام التي كانت تمزقه في صمت وبلا رحمة في نومه .. بدأ يشعر بالحياة تدب في أوصاله من جديد .. القلب المريض صار يخفق بمشاعر لم يعرفها قبل اليوم ..

وسأله الطبيب : كيف حالك اليوم ؟ .

ولم يجب .. أسرع يقترب بشفتيه محاولاً أن يلثم اليد التي كانت قريبة منه .. ثم قال في همس : « أشكرك يا سيدي .. أنا لا أعرف كيف أرد لكم هذا الصنيع . لقد أعطيتموني أكثر مما أستحق ، أرجو أن تصفحوا عني ، فلقد رأيت أنني قد أسأت إليكم جميعاً . أين زوجتي .. أين أبنائي الصغار .. أتوسل إليك يا سيدي أن ترسل في استدعائهم .. إنني في لهفة على لقائهم ! »

وجاءت الزوجة تحمل صغارها إلى المستشفى .. جاءوا لزيارة الزوج والأب الذي استعاد صحته واستعاد معها ثقته بالحياة ..

كان وهو يدعوها إلى الاقتراب منه ويطبع قبلة على يدها التي راحت تداعب رأسه :

« سامحيني يا حبيبتي .. اصفحي عني . فلقد أسأت إليك وإليهم !

وبكت .. ولكنها أحست أنها تبكي في هذه المرة فرحاً ، لأنها استعادت زوجها !

وخرج الأب والزوج من المستشفى .. خرج وقد امتلأ قلبه بحب الدنيا والناس .. كل الناس ! □

طبيب الأسرة

الصّيدليّة المنزليّة

محتوياتها وتنظيمها ورعايتها

بقلم : الدكتور عبدالكريم ابو شويرب

• لا يخلو بيت من خزانة للدواء .. أو على الأقل من بعض الأدويـة والمطهرات ، ورغم أهمية الصيدلية في المنزل إلا أن أحدنا لم يقل صادقا يجب أن تحتوي ؟ وكيف ترتب ؟ وهذا ما يحاول هذا الموضوع الاجابة عنه ؟

لا يوجد في الموسوعات الطبية أية معلومات حول الصيدلية المنزلية وبالتالي فنحن لا نعرف أول من أنشأ صيدلية منزلية ، أو وضع لها شروطا ومواصفات . ولكن ربما كان الأمر مجرد شكل من الحاجات المتعارف عليها وبالتقليد كل أسرة كان تخصص ركنا في المنزل للأدوية التي يستعملها الكبار والأطفال في تلك البيوت .

والخطوة الطبيعية التي تلت ذلك هي تخصيص خزانة أنيقة ذات رفوف أنيقة لوضع الأدوية والمعدات الطبية بداخلها ، كما أنه قام صاحب البيت بتوزيع هذه المحتويات حسب أنواعها : أي وركن للحبوب وآخر للمراهم أو الأشربة أو القطرات مثلا ، فإن ذلك يدل على ذوق رفيع واهتمام خاص من رب أو ربة البيت .

وربما أدرك أهمية صيدلية المنزل كل من ألم به مغص مفاجيء في إحدى الليالي أو وجد أحد أطفاله يشكو من سخونة وصعود الزئبق الأحمر في الليل وغيرها من الحالات الطارئة المفاجئة . أو حتى الأعراض البسيطة التي لا تستلزم استدعاء الطبيب . وفي هذه الحالات تبرز لنا أهمية صيدلية المنزل . وما يجب أن تضم من أدوية ومستلزمات أولية حتى يتسنى مراجعة أو حضور الطبيب .

إعداد الصيدلية المنزلية وتنظيمها :

فإذا قام رب البيت بتجهيز مكان ملائم في بيته ووضع فيها كل ما يستلزمه من أدوية مهما كان نوعها بعيدا عن حجرة النوم والمكتب وحجرة الجلوس والمطبخ بحيث خزانة

لحرارة الخانقة ، فإن الصيدلية تكون بصورة لا تليق بها من الأدوية التي تحتاج للفرز واستخلاص الصالح منها للاستعمال ، وهو ما سيكون ثروة لصيدلية المنزل .

وطبعا لابد من رمي الأدوية المجهولة الاسم أو الشكل ، أو تلك التي لا تعلم استعمالاتها ، وبعد ذلك أن يجد صاحب البيت خزانة متوسطة الحجم ويجد لها مكانا مناسبا في المنزل ، في بعيدا ومرتفعا عن متناول الأطفال وأقرب إلى حجرات الكبار في المنزل .

يفضل ترتيب أرفف صغيرة داخل هذه الخزانة وترتيب الأدوية بها حسب نوعها : حبوب ، أشربة ، مراهم ، قطرات ، كبسولات ، حقن ... . الخ ووضع المعدات الطبية كالقطن والضمادات في أسفل الرف ، كما توضع المواد السامة كالكحول وصبغة اليود مثلا في أعلى هذه الأرفف لتفادي استعمالها من قبل الأطفال .

ويستطيع رب البيت كتابة بعض التسميات على زجاجات الأدوية نفسها وتضم هذه التسميات : اسم المريض ، اسم صاحب الوصفة ، تاريخ الصرف ، وعدد الجرعات في اليوم ومدة استعماله ، كما توضع بطاقة حمراء عليها العلامة الدولية للسموم ، وتلصق على الزجاجات أو علب الأدوية السامة أو الخطيرة .

ونفهم من ذلك أن استعمال هذه الصيدلية سيكون من قبل الأبوين أو الأبناء الكبار ممن يستطيعون القراءة ، وبذلك تتميز علاج كل فرد في الأسرة عن الآخر . ونود الإشارة إلى أن كثيرا من شركات الأدوية تستخدم ألوانا وخطوطا معينة على كل منتجاتها لما يحدث ارتباكا عند من لا يستطيع قراءة اسم كل علاج على حدة ، ويحتفظ كثير من كبار السن بأدويتهم في حقائب صغيرة قرب أسرّتهم وهذا أمر طبيعي لأنهم يستعملونها كل بضع ساعات من اليوم ، وربما تحتوي أدوية خاصة حسبما تستوجب حالتهم ويمكن أن تقوم صيدلية المنزل بدور تخزين الاحتياطي من أدوية كبار السن حتى تتوفر لهم متطلباتهم عند الضرورة .

محتويات الصيدلية المنزلية :

قد تختلف المحتويات من بيت لآخر أو حي من منطقة لأخرى ولكن عموما يمكن أن نقسم كل المحتويات إلى نوعين :

أولا : الأدوية التي تستعمل للحالات الطارئة كالسخونة أو القيء ، أو السعال أو مغص البطن أو الإسهال الحاد أو وجع الرأس أو أوجاع المفاصل ، ومعظم هذه الأدوية يمكن أن تشترى من الصيدلية حتى بدون وصفة طبية . ولكننا نعلم جميعا أننا قد نحتاج إلى استشارة الطبيب في حالة عدم تحسن الحالة في اليوم التالي .

يجب أن ننبه هنا إلى أن هذه الأدوية رغم كونها عادية وشائعة الاستعمال ، ولكن يجب أن نفرق بين أدوية الكبار وتلك المخصصة للأطفال حتى لو كانت لنفس الأعراض كالسعال مثلا . وكذلك التفريق بين الأدوية الخاصة بالآلام : كآلام المعدة ومغص الكلية ووجع المفاصل حيث أن الأدوية قد تزيد آلام المعدة إذا أعطيت خطأ لتسكين آلام المفاصل .

وتعتبر تحاميل الأطفال التي تستعمل لعلاج ارتفاع حرارتهم من ضروريات الصيدلية المنزلية ، ولكن يفضل حفظها في الثلاجة نظرا لكون هذه التحاميل تلين إذا بقيت مدة طويلة خارج الثلاجة .

ثانيا : الأدوية التي تستعمل للحالات المرضية المزمنة والتي تستوجب من المرضى تناولها بجرعات معينة وتحت إشراف طبي مستمر ، كالأدوية التي يتناولها مرضى القلب والشرايين بجرع ثابتة أو الأنسولين لمرضى داء السكر أو ارتفاع ضغط الدم وغيره من الأمراض المزمنة .

وتقوم صيدلية المنزل هنا بوظيفة حفظ وتخزين الاحتياطي اللازم لمدة أسبوع أو شهر من هذه الأدوية وكذلك توفير نسخة جديدة منها إذا احتجنا لها أو قاربت على الانتهاء .

وكذلك تعتبر بعض المعدات الطبية من مستلزمات صيدلية المنزل نظرا للحاجة لها في الحالات العاجلة كالجروح والحروق وغيرها من الإصابات المنزلية .

ومن هذه المعدات نذكر : القطن ، الضمادات والشاش المعقم ، أو من الآلات : المقص والملقط وجهاز قياس درجة الحرارة (ترمومتر) ومحاقن الحقن المعقمة .

وتطهير الجروح والحروق الجلدية تحتاج لبعض السوائل المطهرة كالكحول وصبغة اليود ، بالإضافة الى المراهم المخصصة لهذه الحالات .

وظائف أخرى لصيدلية المنزل :

تعتبر أهم وظيفة لصيدلية المنزل هي تقديم الإسعاف الأولي اللازم للحالات الطارئة كحوادث المنزل وأهمها جروح الجلد بالآلات الحادة والحروق وتوقيف النزيف أو رعاف الأنف أو الفسخ على المفاصل والالتواءات الصغيرة . ومن الوظائف الأخرى المهمة هنا هي إسعاف الإصابات المفاجئة كأزمات القلب أو الربو الصدري أو النوبات أو التشنجات العصبية .

كما أنها مكان لتجميع كل أدوية البيت والتي تستعمل باستمرار كحبوب منع الحمل مثلا أو تلك الخاصة بمرضى الصرع أو الأعصاب .

طرق العناية بصيدلية المنزل :

الدواء كالغذاء هناك فترة زمنية لتناوله ثم يصبح بعدها عديم الفائدة ، وربما ضارا ، ولهذا يجب تفقد الصيدلية المنزلية من فترة لأخرى وفرز محتوياتها علبة علبة ، ورمي ما فسد منها ، وذلك بقراءة مدة صلاحية استعمال العلاج كما هو موضح على غلافه ، كذلك التخلص من زجاجات أشربة الأدوية التي استعملنا جزءا منها واحتفظنا بالباقي .

وخلال هذا الكشف الدوري على صيدلية المنزل يمكن أن نتعرف على الأدوية التي استهلكت ، والضرورية اللازمة منها ، وذلك لتعويض نقصها والاحتفاظ به طوال السنة .

☆☆☆

طبيب الأسرة

ردود سريعة :

● السيد أ . ب . ج . الزرقاء - الأردن .

- إن قصر القامة يعود إلى أسباب وراثية أصلا ، وربما كان للتغذية والنشاط دور فيها ، كما أن اضطراب الغدد يصاحبه أعراض أخرى لا تخفى على عين الطبيب ، فلا حاجة به إلى علاج هرموني نظرا لخطورته .

● السيد أبو أيمن - عمان - سلطنة :

- من الأجدر عرض الأمر على طبيب مختص في الأمراض الجلدية للأطفال .

● السيد ممدوح مطاوع - حلب :

- إذا كان البيض والمعجنات يؤذيان المعدة فلا تأكلهما ، والنصيحة هي إجراء فحص للمعدة .

● السيد م . م . س . القاهرة :

- لا بد من معرفة السبب في التهاب المفاصل ، وهذا يتم بالفحص الطبي والتحليلات ، والمختصون في الأمراض المفصلية موجودون في القاهرة ، وننصحك بمراجعة أحدهم بسرعة .

● السيد عبد اللطيف محمد - مدينة الرشيد - المغرب :

- من الأفضل عرض ابنتك على طبيب مختص آخر ، ما دام طبيبك الأول قد فشل في العلاج بالرغم من مرور ثلاث سنوات على علاجه . □

أصدقاء المقعد

شق طريقه في الحياة بسرعة غير عادية ، اجتاز كل الحواجز والعقبات ، بدأ مشوار الحياة العملية مع عدد من زملائه وأبناء جيله ، ولكنه تفوق عليهم جميعا ، وأثبت تميزا مهنيا وأداء غير عادي ، بالإضافة إلى موهبة متوقدة لامعة .

ولم يكن التميز على مستوى عمله فقط ، بل امتد ليشمل صفاته الأخلاقية ، فقد كان أمينا .. عفيفا .. شهما .. ذا مواقف متميزة مع أصدقائه يتحمل معهم وعنهم .

وكان حضوره في أي مكان كفيلا بأن يضفي عليه وعلى الجميع الكثير من المرح والبهجة . وكانت فكاهته رغم صغر سنه علامة فارقة .

ومع الوقت أن التميز كان على كل المستويات ، ومن التميز هذا بدأت بدايات مشكلاته ، فقد بدأ كل الفاشلين والعجزة والتافهين المرضى في إطلاق سيل من الشائعات والحملات من الهجوم عليه ، وتكالبت الاتجاهات بدءاً من تحميل غيره مسؤولية فشله وإهماله ، واتهامه بفقد كل ما يتمتع به من صفات ومواهب وإبعاده عنها .

وظلت الحياة تسير به .. كثير من الهجوم وقليل من الصد ، إلى أن جاء يوم أصبح مسؤولا في جريدة عربية يومية متخصصة ، وربما كانت الدنيا انقلبت رأسا على عقب فقد ازداد عدد المهاجمين .. وكثر عدد المنافقين ، وأبرع كثير منهم بأن يصبحوا عونا له وتآلفا على الآخرين ، وتطوع كثير ليوقعوا بينه وبين أصدقائه القدامى .. وكلما ازداد تألقه ونجاحه ، زاد العاجزون من نقدهم وتطاولهم ، وزادت بطانة السوء في عرض خدماتها ، إلا أنه على الرغم من كل شيء ... كان يقول : إنني أزداد نجاحاً كلما زاد العاجزون من نقد صعودهم ، وكلما تطوع أصدقائه للصعب ، وليس لسؤالي من أتعلم سوء مشروعهم في ؟؟ ولا أعرف أين أنهم عجز هؤلاء ومرض أولاء وأسير وأرضي .. لكن إلى متى ؟ .. قلت له : هذه الضريبة يجب أن تدفعها .. إنها ضريبة نجاحك وتفوقك .. ولن يكف الناس عنك حتى تنقسم الهمم إلى طابور العجزة والفاشلين ! وإنها فقط سيكفون عنك .. وسيتخلى معهما عنك كل أصدقائك للمصب . لكن طالما أنك متألق وناجح ، فإن عليك أن تدفع ثمن النجاح والتميز والتفوق !

محمود عبد الوهاب

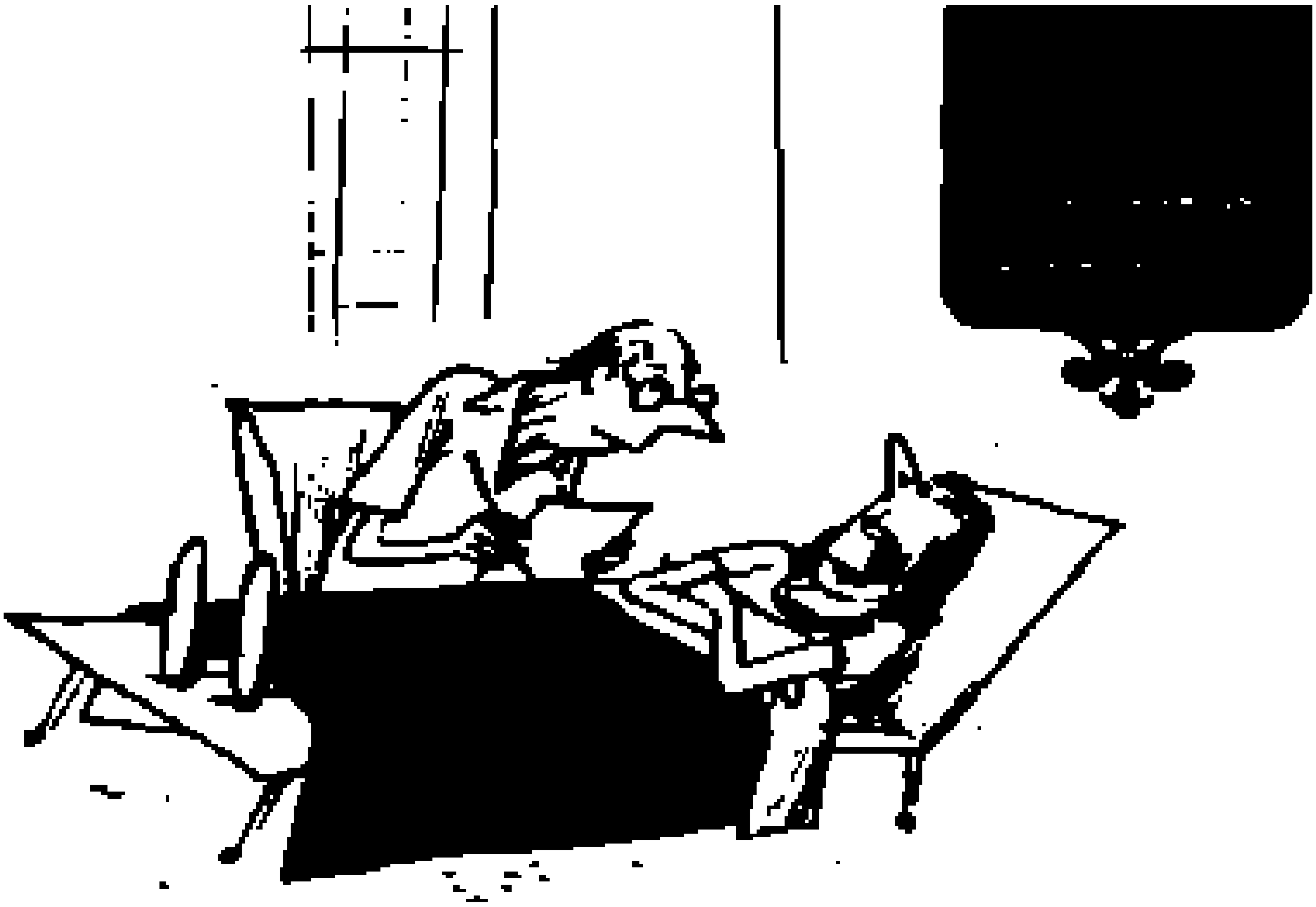

النفس الأخرى

بقلم : الدكتور عبد الرؤوف ثابت

جاءتني سيدة فاضلة ، وشكت لي من حال زوجها .. قالت : « منذ عام وأنا لا أدري ما جرى له . تغير مزاجه وتغير حاله ، لم يتغير في ظاهره ، ولكن في داخله شيء قد تغير ولا أعرفه . هو زوجي الذي عاشرته ثلاثين عاماً . ولكن .. ليس هو زوجي الذي شعرت به حياتي . غريب وفي نفس الوقت بعيد ، حاضر وغائب . لا يبدو عليه مرض أو هم ولا شكا منه . لم يعد نشاطه أو اضطرب نومه - ولم يهمل عمله ، بل على العكس زاد اهتمامه به . خشيت أن تكون في حياته امرأة . ولكني واثقة أنه لا توجد امرأة أخرى .

وبعد أن أخبرتني بحال زوجها ثم طلبت مني أن أزوره لأتبين ما جرى له .

وقابلته في بيته .. كنت أسمع عنه ، فهو مشهور في مهنته ، وله مكتب معروف بحسن سمعته ،

ورحب بي في ود غير متكلف . قال إنه يسمع عني ويكاد يعرفني : أنت الدكتور الكاتب ، وشكرته على عمله ويطلقه مزاحه : أصابع صفقاً .... ولبح الكلام بقلبي .

وجلسنا ..

ثم دخلت في الموضوع وشرحت له السبب من زيارتي - ولم يعترض ولم يجد حرجاً من صراحتي . قال :

أنا مقدر لشعور زوجتي - ولكني أؤكد لك أنه لا أساس لظنونها ، ولكنك على علم أكثر مني لا أحس شعوره ، فلعله يعجز من اكتشاف مراهقته ، وخصوصاً مراهقة متأخرة .

سألته اذا كان مكتئباً ، فمتوسطو العمر أحياناً يصابون بنوع من الاكتئاب فلا يحسون به .. وبالتالي لا يشكون منه ! داء دفين .. شديد الخفاء ، وبعض الأطباء يزاحم الله على اجتهادهم يطلقون على من يصاب به ، المكتئب المبتسم .

قال : إنه لا يعتقد .

وابتسم .. ولكن ابتسامته لم تتناسب مع رعشة في عينيه .

أعجبت زيارتي هذا الطبيب .. واستأذنت منه راجياً أن يزورني اذا شاء ، ومر شهران ثم فوجئت به في العيادة .

قال ان زوجته تلح .. ولكن .. صدقني اني لست مريضاً ولا أشكو من هم أو غم . ولست في حاجة الى علاج .

أدهشك .. اذا كان ذلك كذلك ، فلماذا تطلب زوجتك معالجتك ؟

ضحك ، ثم قال مسترسلاً ؟

- وما هو المطلوب مني الآن حتى تتحقق من مرضي . هذا اذا كنت مريضاً حقاً .

- أن تفتح لي قلبك . وتعبر عما في نفسك . هذا اذا أمكنك .

- التحليل النفسي ؟

- نعــــم .

واتفقنا على العلاج .

الجلسة الرابعــــة .

قال ملخصاً الجلسات السابقة :

عجيب أن تسلم الناس بالتحليل النفسي لكي تصل الى سر مرضهم . وكأنه الوسيلة التي تبرر الغاية . والأعجب منه كيف تعينهم على فهم رموز ما يحصل في نفوسهم ، وهو العلاج النفسي ، ليس كما يظن الكثير خضوع واستسلام ، بل هو أسلوب في المصادقة والحب غير المشروط ، ليقول المريض لطبيبه أي شيء يخطر على باله ، دون تردد أو مقاومة ..

والحب كما تقول ، أهل مراتب الصداقة . وليس أن تجد الحلول وعوائق الأزمة طلقاً ما تستطيع تلقائياً .. وبعطاء شامل .

وأنت تعتقد أن في كل انسان نفسين . يعرف عن واحدة ويجهل تماماً عن الأخرى ، وأن النفس المظلمة

الجاهل تحمل خصالاً هي عكس خصال النفس الظاهرة ، لذلك يجب النظر في غور نفسه الأخرى .. وأنا أتذكرها منه لم أعترض عليها قلت : هو ذاك .. تقريباً .

وسألته : كيف حالك ؟ قال :

افترض أن أسألك أنا عن حالي !

وضحكنــــا .

في تلك الجلسة عرفنا سر شقائه . قال :

كان لي صديق طول الحياة . وما أكثر من علم ، رحل عن الدنيا فجأة . فأحسست من رحيله بفراغ في حياتي . كنا متلازمين بالحب الذي نعته بالصداقة ، لم تخفت مشاعرنا أو تخمد سورتنا .

جمعنا منذ الصغر حي واحد في السكن . كنا - ونحن طفلان - نلعب ونمرح معاً تحت الأرجوحة في الطرقات . ونتسلق ونقلد الأولاد الكبار . كنا نسرق الفاكهة من حدائق الجيران في الصيف ، ليحميني من سلطة الجيران الأجلاف .

كان شجاعاً وكنت جباناً .. أتخوف من خيالي .

ذهبنا الى مدرسة واحدة .. ابتدائي وثانوي .. فلما بلغنا مرحلة المراهقة والشباب كنت الطالب الحالم ، وكان الطالب اللاهي . كنت قصير النظر ، شديد الحساسية ، وكان حاد النظر واسع الصدر . كنت منطوياً على نفسي ، وكان هو منبسطاً مرحاً . كنت أخجل من البنات والمعلمين ، وكان يخرج بهن ويأنسن له .

كان طبيعياً أن تفرقنا السبل الى ساحات الرياضة وأماكن اللهو . وباعدت الجامعة بيننا ، واختار كل منا طريقة مختلفة ، والتحقت أخرى بجانبه مدة ، ولم نبتعد . وإن ظل يلتمس الثقافة والمرح ، وألتمس القراءة والجد . إذا اجتمعنا والشلة ذكرت (لاميرونزر) وما سلف وما خلف . وكان هو نكتة أو ملحة أو إشاعة .

وتخرجنا في الجامعة فلم يفرق بيننا العمل . واتصلت صداقتنا وتعمقت . لم أعرف في حياتي امرأة غير زوجتي . وكانت في حياته نساء كثيرات ، تزوج من واحدة تصغره بعشرين ، ثم لم يلبث أن طلقها . فارت عليه من حياته ومن الشلة .

وكنت لا أسعى الى الشلة لأرى الأصحاب إلا نادراً . فكان ينقل اليهم أخباري ، وينقل الي أخبارهم ، فكان كل يوم في بيت صديق .. وما أكثر البيوت وأكرمها معه . حتى صار يلمع من البيت والشلة ، ولقد اتخذ حياة الترف والأبهة . زين لي شرب الخمر ولم أشربها ، وحبب لي لعب القمار ولم ألعبه .

نصحني بالحرص على المال وأنا صاحب عيال ، فلم أحرص عليه .

وشرب هو ، وقامر ، وجمع مالاً وينفقه على ملذاته .. ولن يقصد - أصاب مني ما لم أصبه في نفسي .. وألفت منه ما لم يألفه في نفسه ، وكبرنا وأدركنا أصول الحياة . وكبر رصيد صداقتنا وإن قلت لقاءاتنا ، فكان كل منا يسعى الى الآخر لسويعات قليلة متباعدة نختلسها من الزمن ، قدر ما تسمح به شواغلنا . ومن العجيب أننا كنا نتصالح .. ونتخاصم لنتصالح ، فكان ينصحني فلا أعمل بنصائحه ، وإن وددت أن أعمل بها . ولنصحه ليعتدل في حياته زاد كبراً وترهلاً ، وأصيب بالضغط والسكر ، وكان يعتد على رشده أصبح صريع الطبيب فيقول :

- من منك وصياً علي ؟

وظل هذا حالنا حتى جاءني خبره . وكنت أترقب زيارته .

وهنا بكى المريض - لم يبك أبداً . ثم قال :

- كان مرآة نفسي .. وكان وجهي الذي وددت أن أكونه ، فلما رحل فقدت نفسي بعده .

ثم قال متعباً :

الويل لمن مات له عزيز .. وكان نصفه الآخر .

واستمرت الجلسات .. ولكنها لم تطل . □

بالقراءة والمطالعة

يقول أندريه موروا الكاتب الفرنسي : ان الحضارة الانسانية إنما هي مجموعة للمعارف والذكريات التي تجمعت وتراكمت على مر الأجيال ، وان الانتساب اليها والاسهام فيها لا يكون الا بالتفاعل بها والتجاوب معها ، والتزود بما تنطوي عليه الحضارة من أفكار السلف .

وان السبيل الوحيد الى ذلك الانتساب وذاك الاسهام وهذا التفاعل والتجاوب انما هو القراءة والمطالعة .

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

تمييز الفاعل من المفعول

تمييز الفاعل من المفعول سهل غالبا ، ونعني أن يتضح بينهما اشتباه ، فالفاعل يدل على من فعل الفعل ، أو من وقع منه الفعل ، كقول شاعر كان يطارده حاكم ظالم ، فهرب إلى الصحراء خوفا على نفسه :

عوى الذئبُ ، فاستأنستُ بالذئب إذ عوى
وصوّت إنسانٌ ، فكدت أطير

فالفاعل هنا « الذئب » و « إنسان » .

وقد يدل الفاعل على من اتصف بالفعل ، مثل : « هلك الكلبُ » ، « طلع القمرُ » ، « وأزهر البستان » ، و « أضاء القمر » ، فالفاعل ، هنا « الكلب » لأنه اتصف بالهلاك ، و « القمر » لأنه اتصف بالطلوع وهكذا « البستان » و « القمر » .

وأما المفعول فهو الذي يقع عليه فعل الفاعل كما في قولنا « يكرمُ العربُ الضيفَ » ، فالمفعول هنا « الضيف » لأن الإكرام وقع عليه ، ولم يقع منه .

ولا بد في تمييز الفاعل من المفعول حين يحتملان في جملة واحدة أن نلتزم قرينة عقلية ، وقد نحتاج معها إلى قرينة أو أكثر سواها ، كما في الآية « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ » ، فالفاعل « هنا العلماء » ، والقرينة عقلية ، لأن العلماء - بفضل علمهم - هم الذين يخشون الله ، أو يقع منهم الخشية له ، وهو - لكماله - منزهٌ عن خشية أحد .

وكذلك الآية « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمهنّ » ، فالمفعول هنا « إبراهيم » لأن الابتلاء (الامتحان) وقع عليه ، و « ربه » فاعل مؤخر ، لأن الابتلاء واقع منه ، وهو منزه عن أن يمتحنه أحد .

ومن المجازات اللغوية في العربية الاعتمادُ على القرينة العقلية مع إهمال الإعراب ، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب ، ولكن قد يعكس بعض العرب ذلك شذوذا ، ومن أمثلة ذلك قولهم « خرق الثوبُ المسمارَ » ، مع أن المسمار هو الخارق ، والثوب هو المخروق . ومن شعر الفرزدق في هجائه قوم قوله :

مثل القنافذ هدّاجون ، قد بلغت
نجرانَ ، أو بلغت سوآتِهم هجرُ

ومثال ذلك ما قاله العلامة ابن جني « فإنهم كانوا يحتبرون المعاني ، فإذا حصّلوها تساهلوا في العبارة عنها » . والمعيار للمعنى هو القرينة العقلية . ومثل هذا لا تخلو منه لغتنا الدارجة ، فنحن نقول مثلا : « وضعت القفاز في يدي » و « وضعت الجورب في رجلي » مع أن اليد هي التي توضع في القفاز ، والرِّجل هي التي توضع في الجورب ، بل هما يدان توضعان في قفازين ، ورجلان توضعان في جوربين . ولكن المعروف في عبارتنا الدارجة وفي الفصحى يستعمل كالتي ، فيفهم المقصود .

وهناك أفعال المشاركة التي تقع بين طرفين أو أكثر ، مثل « صاحَبَ » في قولنا « صاحب محمود سعيدا في الرحلة » ، فكل منهما صاحَبَ الآخرَ ، فهو فاعل ومفعول . ولهذا يجوز أن نقدم أيَّ واحد منهما أو نؤخره ، مع رفع أحدهما ونصب الآخر . فيحدد الفاعل قرينة الإعراب ، وهي واضحة ، فالمرفوع هو الفاعل ، والمنصوب هو المفعول ، فالإعراب هنا صنعة شكلية ، لمجاراة نظام اللغة نحويا .

وقد يكون أحد الطرفين أرفع أو أفضل مقاما ، فمن اللائق أن نجعل المفضول فاعلا ، والفاضل مفعولا ، مثل : « صاحب الوزيرُ الأميرَ » أو « صاحب الابنُ الأبَ » سواء تقدم في الكلام أو تأخر ، لأن الفاعل تابع ، والمفعول متبوع .

وقد ينعكس وضع الطرفين لنكتة بلاغية مقصودة ، كما في القصة الآتية : في نحو سنة ١٩٣٠ قام أحمد فؤاد ملك مصر برحلة إلى أوروبا ، ومعه - كما ينبغي - وزير خارجيته محمد محمود باشا الذي كان يعتز بنفسه ، وبمجد أسرته ولاسيما أبيه محمود سليمان باشا الذي كان الإنجليز قد عرضوا عليه ملك مصر فرفضه ، قبل الملك أحمد فؤاد . وعند السفر من الإسكندرية سأل صحفي بريطاني الوزير : « هل تصاحب الملك في الرحلة ؟ » فأجابه : « بل يصاحبني الملك » .

وقد يتساوى الطرفان في الفعل ، فأيهما جعلته فاعلا صلح لذلك ، ويكون الطرف الثاني مفعولا ، مثل « تزوج حاتمٌ هندًا » أو « تزوج هندًا حاتمٌ » .

ولكن قد تأتي قرينة لفظية تحدد الفاعل والمفعول ، مثل « تزوجت هندٌ حاتما » أو « تزوجت حاتما هندٌ » لاقتران الفعل بتاء التأنيث .

ولكن قد يقع الاشتباه بين الطرفين في غير أفعال المشاركة ، ومن أمثلة هذه الأفعال : سرّ ، وأفرح ، وهمّ (وأهمّ) وأسعد ، وشاق ، وأعجب ، ووسِعَ ، وعاود ، وساء . فإذا قلنا : « سرّ الرجلَ الفوزُ » أو « سرّ الفوزَ الرجلُ » حدث الاشتباه ، فأيهما الفاعل ، ويكون الآخر مفعولا ؟

إن أيا من الطرفين يمكن أن نضع مكانه أحد ضمائر النصب المتصلة ، فيستقيم المعنى معه ، ويكون هو المفعول ، ويكون الطرف الآخر هو الفاعل ، فنقول في الجملة السابقة مثلا : « سرّني الفوزُ » أو « سرّه الفوزُ » أو « سرّهم الفوزُ » ، فالفاعل هو « الفوزُ » ، وهكذا مع بقية الأفعال السابقة ، فنقول « أفرحني النصرُ » و « همّني الأمرُ » و « أسعدني النجاحُ » و « شاقني الحنانُ » و « أعجبني الكتابُ » و « وسعني الكرسيُّ » و « عاودني المرضُ » و « ساءني الفشلُ » .

ولكن إذا عكسنا الوضع ، فجعلنا بدلا من هذا الطرف ضمير رفع متصلا لم يستقم المعنى ، فلا يصح حينئذ جعل هذا الطرف فاعلا ، ولذلك لا يجوز أن نقول : « وسعتُ الكرسيَّ » ولا « عاودتُ المرضَ » ولا « ساءتُ الفشلَ » .

وهناك أفعال مثل : أدرك ، وأصاب ، وأخطأ ، يصلح أن نضع معها مكان أحد الطرفين ضمير نصب متصلا ، فيستقيم المعنى ، فنقول « أدركني الحظ » و « أصابني الفوز » و « أخطأني الصواب » ، كما يصلح أن نضع مكان هذا الطرف ضمير رفع متصلا ، فيستقيم المعنى أيضا ، فنقول : « أدركتُ الحظَّ » و « أصبتُ الفوزَ » و « أخطأتُ الصوابَ » .

ونقول أخيرا - مما يدخل في نطاق موضوعنا هذا - إن العرب يستعملون أحيانا صيغة الفاعل للمفعول فيقولون « بيتٌ عامرٌ » أو « مكانٌ آهلٌ » أي معمورٌ ومأهولٌ ، وفي القرآن الكريم « عيشة راضية » أي مرضية ، و « لا عاصم اليوم من أمر الله » أي لا معصوم . وقد يستعملون صيغة المفعول للفاعل ، كما في القرآن « إنه كان وعده مأتيًا » أي آتيا ، و « حجابا مستورا » أي ساترا .

جمال العربية

رثاء الأندلس

« لأبي البقاء الرندي »

أبيات هذه القصيدة الأندلسية ٤٢ في الأصل (نفح الطيب للمقري) ، وهي أشهر القصائد العربية في رثاء الدول ، وبها وحدها اشتهر صاحبها ، وهو أبو البقاء أو أبو الطيب الرندي (٦٠١ ـ ٦٨٤هـ) (نسبة إلى رندة من بلاد الأندلس ، وبها ولد ونشأ) ، وقد عاش في عصر اضطراب وفتنة ، إذ تمزقت فيه الأندلس دولاً ، ووثب على كل منها أحد المغامرين مالكاً على الشطط ، وتلك التي عرفت في التاريخ بـ« ملوك الطوائف » ، وكان بعضهم ، وكلهم عرب مسلمون ، يقاتل بعضهم لانتزاع ملكه منه ، ولا يبالي أن يحالف بعض ملوك القوط المسيحيين ضد أخيه العربي المسلم ، حتى سقطت كلها في يد القوط بعد أن ملكها المسلمون أكثر من ثمانية قرون (٩٢ ـ ٨٩٨هـ) ، وكان آخرها سقوطاً مملكة غرناطة في الجنوب ، ومن قبلها [illegible] ، وفيما بين سنة ٦٢٥ وسنة ٦٤٦ سقطت من قواعدها الكبرى قرطبة وإشبيلية وبلنسية ومرسية وشاطبة وجيان وغيرها . . . والشاعر يصور في أبياته هذه الأندلس الإسلامية قبل سقوطها نهائياً .

لكل شيءٍ إذا ما تمّ نُقصانُ ... فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ

هي الأمور كما شاهدتها دُولٌ ... من سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدار لا تُبقي على أحدٍ ... ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ

وأين ما حازه قارونُ من ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدّادٌ وقحطانُ

دار الزمان على دارا وقاتله   وأم كسرى، فما آواه إيوان
أتى على الكل أمر لا مرد له   حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك   كما حكى عن خيال الطيف وسنان
فجائع الدهر أنواع منوعة   وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها   وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له   هوى له أحد، وانهد ثهلان(١)
أصابها العين في الإسلام فارتزأت   حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية   وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم، فكم   من عالم قد سما فيها، له شان
وأين حمص وما تحويه من نزه   ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد، فما   عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف   كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية   قد أقفرت، ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما   فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة   حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلا، وله في الدهر موعظة   إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه   أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها   وما لها مع طول الدهر نسيان
وراتعين وراء البحر في دعة   لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس؟   فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم   قتلى وأسرى، فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم   وأنتم - يا عباد الله - إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم   أما على الخير أنصار وأعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم   أحال حالهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم   واليوم، هم في بلاد الكفر عبدان(٢)
فلو تراهم حيارى، لا دليل لهم   عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم   لهالك الأمر، واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما   كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت   كأنما هي ياقوت ومرجان(٣)
يقودها العلج عند السبي مكرهة   والعين باكية، والقلب حيران(٤)
لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان

---

(١) أحد وثهلان : جبلان بالحجاز ٢ ـ عبدان : عبيد . ٣ ـ طفلة : بنت ناعمة . ٤ ـ العلج : الأعجمي

إنهم يخطفون الأدباء!

آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي

بقلم : عبدالقادر عقيل

هل عرفت آخر وأسوأ الأنباء عن هارولدو كونتي الكاتب الأرجنتيني المخطوف ؟ ماذا حدث له ؟ وكيف كانت نهايته ؟ وهل استطاع «الإنسان» أن يقرر بنفسه مصيره ؟

يقول الأديب الأرجنتيني جابرييل جارسيا ماركيز الذي تابع موضوع هارولدو كونتي انه تلقى منه وهو في بوجوتا بكولومبيا رسالة يصف فيها حالة الأرجنتين في تلك الفترة ويقول فيها : «عملياً نعيش - مثلنا مثل الآخرين - كاللصوص .. نخفي تحركاتنا ، وأماكن إقامتنا ، ونتكلم بالرموز» . ويذكر في نهاية رسالته : «إن البيت هنا سيظل مفتوحاً أمامك» والعنوان كان «١٢٠٥ كالي فتروري ، فيلا كريسبو» . وهو البيت الذي استأجره ليواصل العيش فيه دون أية حراسة حتى اقتحم بواسطة ستة من المخابرات المسلحين في منتصف الليل بعد مضي تسعة شهور من الشهر الأول . لقد أخذوه معهم معصوب العينين ، موثوق اليدين والرجلين ، وجعلوه يختفي إلى الأبد .

كان هارولدو كونتي آنذاك يناهز الخمسين من العمر . وخلال هذه السنوات أصدر سبعة كتب ممتازة ، ولم يكن يخجل أبداً من الجهر بحبه الكبير للحياة . بيته في المدينة كان ذا طابع ريفي : يعج بالقطط والحمام والكلاب والأطفال ، ويزرع الخضروات والزهور في قطعة أرض صغيرة . ومثل كثير من كتاب جيلنا كان تلميذاً مخلصاً لهمنجواي الذي تعلم منه الكثير . فكره السياسي كان واضحاً ومعروفاً ، سواء عبر عنه بالكلمة المطبوعة أو بالكتابة في «لا أبيرتيا» (كبرى الجرائد اليومية الأرجنتينية) . أما تعاطفه مع الثورة الكوبية فلم يكن سراً يخفى على أحد .

الإنسان يقرر مصيره

منذ أول تعارفنا كان يحلم بالذهاب إلى الاكوادور ، ولكنه فضل أن يبقى في وطنه . وكتب إلى صديقه جابرييل جارسيا قائلا : «إن الإنسان هو الذي يقرر مصيره» . ولقد كانت حجته طريفة إذ كان يقول أن زوجته حامل في شهرها السابع ولن يسمح لها بصعود الطائرة . ولكن الحقيقة هي أنه لم يرد أن يخرج من

بلادي : « سأبقى مادمت حيا » . وبعد ذلك سيكون الأمر بيد الله » « وسأتوقف عن كل شيء ما عدا الكتابة - ولكنني لا أكون جيدا فيها - لكني لا أعرف كيف أعمل شيئا آخر » .

في فبراير ١٩٧٦ أنجبت مارتا طفلا أسمياه أرنستو . وبعد ولادته وضع هارولدو كونتي ملاحظة في مواجهة مكتبه تقول : « هنا مكان الكتابة ، ولا يمكن أن أتزحزح من هنا » . لكن الذين اختطفوه لم يعرفوا أبدا مانطوق الملاحظة لأنها كتبت باللغة اللاتينية .

في ٥ مايو ١٩٧٦ مضى هارولدو كونتي الصباح في حجرة الدراسة منهمكا في « اليمين » التي كتبها في اليوم السابق . يرتدي معطفه ورابطة عنقه ليصحب الأطفال لدروس في مدرسة محلية . يعود الى البيت قبل الساعة السادسة . يغير ملابسه في حين يبدأ الظلام في الانتشار . يساعد مارتا على وضع ستار جديد في حجرة الدراسة . يلعب مع ابنه الذي يبلغ ثلاثة شهور . يساعد مريام ، إحدى بنات مارتا من زوجها السابق ، في أداء واجباتها المدرسية . في العاشرة يتناول مع مارتا قطعة من اللحم المشوي . يذهبان لمشاهدة فيلم « الأب الروحي » - الجزء الثاني - ، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يذهبان فيها الى السينما منذ ستة شهور . أما الطفلان فقد تركا في رعاية صديق كان قد وصل في تلك الظهيرة من قرطبة .

وقت الاختطاف

عندما رجعا ، في الثانية عشرة وخمس دقائق ، وجدا رجلا مسلحا يرتدي ثيابا مدنيا يفتح لهما الباب . ووجدا بالداخل خمسة رجال آخرين ، مسلحين أيضا . وبدأوا في ضربهما بكعاب البنادق حتى سقطا على الأرض فاقدي الوعي . شاهدته كالذبيح على الأرض فاقد الوعي ، معصوب العينين ، موثق اليدين ، ووجهه كان قد تشوه بفعل الضربات التي تلقاها . أما الطفلان فقد كانا في حجرة نومهما لا يعرفان شيئا عما حدث لأنهما صغيرا

هارولدو ومارتا أدخلا الى حجرتين منفصلتين ، بينما نهب اللصوص كل شيء ثمين في البيت ، ثمن

لم يقوموا باستجوابها بطريقة وحشية . مارتا ، التي لاتزال تتذكر تلك الليلة المرعبة بكل تفاصيلها المؤلمة ، كانت تصغي الى الأسئلة التي تطرح على زوجها في الحجرة التالية - كل الأسئلة كانت تدور حول رحلتين قام بهما الى هافانا . وهو بالفعل كان قد سافر الى هناك مرتين - في ١٩٧٠ و ١٩٧٤ - أما في كلتا الحالتين كان مشاركا كعضو في لجنة تحكيم لمسابقة منح جوائز « كاسا دي لاس أمريكاس » الأدبية . ولكن الذين كانوا يحققون معه توقعوا استخدام هاتين الرحلتين كذريعة لاثبات ان هارولدو كونتي كان عميلا كوبيا .

كان زوجها قد ضرب حتى فقد القدرة على الوقوف ، وفقد العديد من أسنانه ، وبدا كما لو أنه معصوب العينين فقد كان يلوح لصحبهم من قرابة بينما كان آخر يرافقه ويسأله ساخرا : « هل أنت ذاهب للرقص مع نسيلة ؟؟ » . قبل هارولدو مارتا قبلة الوداع ، وحين فعل ذلك أدركت مارتا أنه لم يكن معصوب العينين ولكن الاحساس الذي أرعبها هو أنها كانت تعرف بأن هؤلاء الذين سيرسلون للموت يسمح لهم بمشاهدة وجوه معذبيهم . لقد كانت تلك هي المرة الأخيرة التي يكونان فيها معا .

بعد مرور ستة شهور على الاختطاف ، والانتقال من مكان سري الى آخر مع طفلها الصغير . التجأت مارتا الى السفارة المكسيكية وهناك أمضت عاما ونصف بانتظار حصولها على جواز المرور . ولم يتحقق لها ذلك الا بتدخل الجنرال البنمي عمر توريخوس الذي التمس من الأميرال ايميليو ماسيرا السماح لها بمغادرة البلاد .

بعد أسبوعين من الاختطاف دعا الجنرال جورج فيديلا أربعة من كبار الكتاب الارجنتينيين لتناول غداء في قصره . وقبل هذه الدعوة كل من جورج لويس بورجيس ، وارنستو ساباتو ، وارنستو راتي (رئيس رابطة الكتاب الارجنتينيين) ، والقس ليوبولد كاستيلاني . وهؤلاء الأربعة تساءلوا ، كل بطريقته المختلفة ، طالبات لاثارة مسألة هارولدو كونتي مع فيديلا .

الا أن التوضيح الرسمي الأول الذي جاء على لسان الجنرال فيديلا هو أن كونتي قد مات !!

مكتبة العربي

كتاب الشهر

مفاهيم الحرب

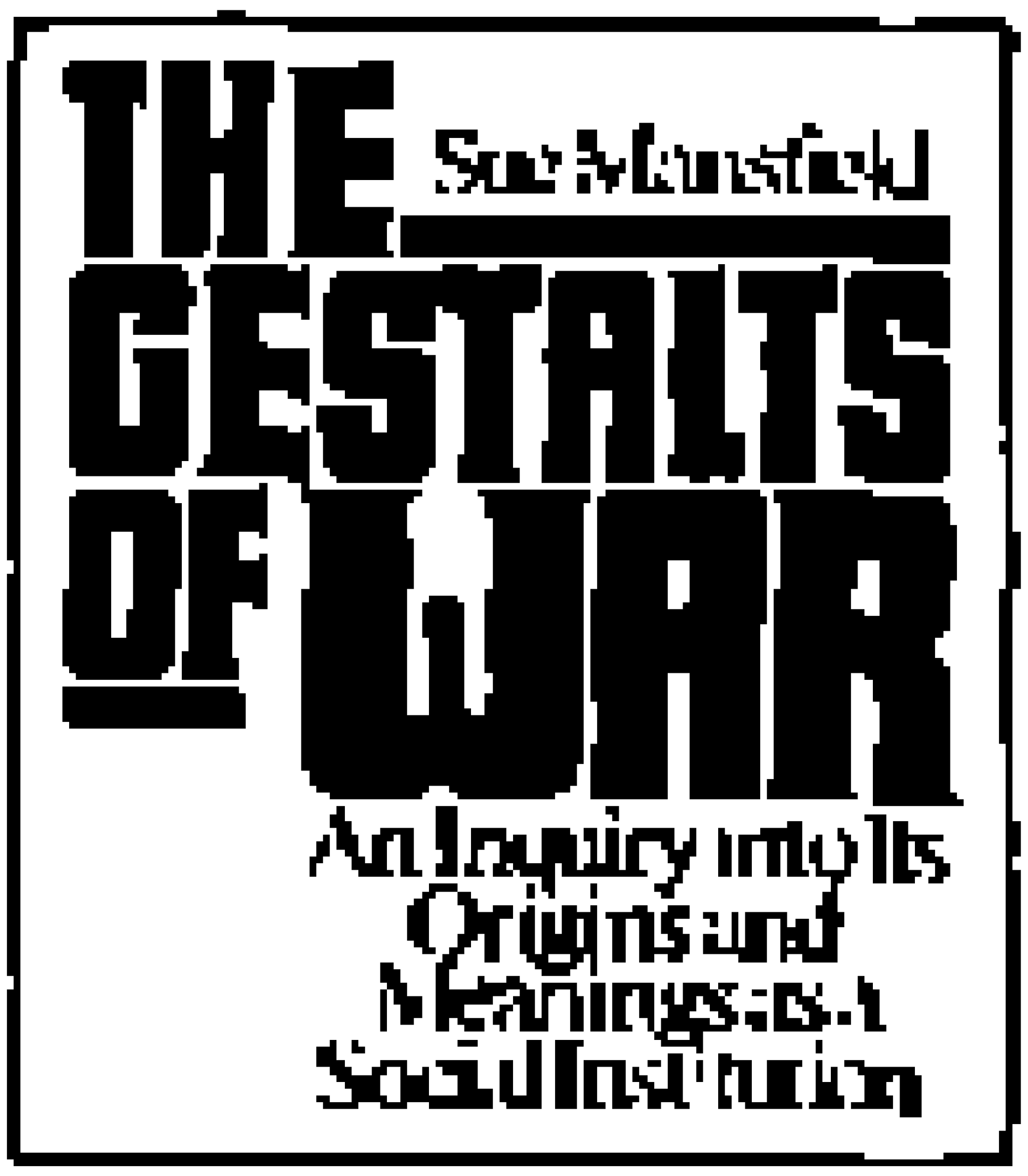

دراسة في أسباب الحرب ومغزاها كمؤسسة اجتماعية

في ضوء نظريات "الجشطلت"

تأليف : سو مانسفيلد

عرض وتلخيص : بيومي قنديل

كثيرون كتبوا ضد الحرب باعتبارها آفة تطحن البشر، ويحاول آخرون التنظير لها باعتبارها فعلا بشريا ملازما لتاريخ الانسان، أو باعتبارها فنا له قواعده وأصوله. لكن هذا الكتاب ينطلق من نقطة أخرى ترى الحرب مؤسسة ظهرت في مرحلة محددة من مراحل النشاط الانساني، وهو نشاط منظم يحظى بقبول اجتماعي وله أهدافه المحددة. فماذا يقول هذا الكتاب ؟

تبدأ البروفيسورة « مانسفيلد » بتحديد معنى الحرب كمصطلح عندما تقول : « الحرب نشاط - منظم متعمد - مقبول اجتماعيا - تقوم به جماعات معينة من الرجال ، في اطار عمليات معقدة نسبيا من الهجوم والدفاع ، وتستمر فيه بشكل منطقي لاحراز أهداف معينة . ولكن هذا لا يعني أن الحرب لا تنطوي على أخطاء ، مثلما هو الحال في سائر أشكال الأنشطة الانسانية . بيد أن الاتجاه العام ينحو بكل تأكيد نحو شن الحرب بشكل منطقي ووظيفي ، بغية رفع فرص احراز هدف الحرب المنشود الى أقصى حد ممكن .

وتمضي البروفيسورة « مانسفيلد » فتقول ان القبول الاجتماعي العام الذي يكسب الحرب صفة تقليدية هو حقيقة تاريخية . وهذا القبول ينطوي على الحياة بالطبع - حيث انه يعتمد عليها والا لما عد حربا » . ولهذا السبب على وجه الخصوص لم يكن الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون يقصد المعنى الحرفي من لفظ الحرب في وصفه لبرامجه الداخلية بأنها « حرب على الفقر » بل كان يعول على القبول العام الذي يصاحب اللفظ في كسب التأييد لهذه البرامج على الصعيدين السياسي والاجتماعي . وتضيف « مانسفيلد » ان القول الذي يذهب الى أن الحرب ليست سوى « قتل جماعي » يغفل أمرا أساسيا ألا وهو هدف الحرب الذي لا يحتم أن يكون فرض ارادة طرف على طرف آخر ، وليس مجرد القتل في حد ذاته .

فطرة . . . أم غريزة

وحول موضوع حتمية الحرب تقول « مانسفيلد » انه يثير مشاكل عديدة ، على رأسها بطبيعة الحال ما اذا كان الانسان مفطورا على شن الحرب . فلفظ « فطرة » غامض للغاية ، ويستخدم عادة بطريقة عشوائية . ثم تتناول « مانسفيلد » لفظ « غريزة » وتصفه بأنه أكثر غموضا ، فضلا عن أنه مصطلح « وصفي » محض ويحمل في طياته هالة الهيبة العلمية وجدارة الاحترام . ومع ذلك تحذر « مانسفيلد » من مغبة الخلط من استخدام هذا اللفظ في مجال الحرب ، تقول : حتى « كونراد لورنز » العالم الكبير في طبائع الشعوب لدى قاعدة واسعة من القراء للقول بوجود « غريزة عدوانية » (بمعنى نزعة أو دافع) ورثها الجنس البشري عن ماضيه في سلسلة التطور . ويؤكد « لورنز » أن مثل هذه النزعة تلقائية - وتسعى بصفة دائمة الى الانطلاق والتحقق - وتشتمل على ما يسميه « بالحماس المتحزب » الذي يعد أقوى دافع غريزي يحمل الانسان على خوض غمار الحرب . الا أنها تصف رغم أن أغلبية الحضارات في الأحقاب التاريخية صاحبت الحروب ، فإن أغلبية السكان في تلك الحضارات لم تشترك في الحروب . وتقارن « مانسفيلد » بين نسبة الجنود ونسبة المدنيين « ضحايا » ويلات الحرب ، وتؤكد أن نسبة المدنيين ترتفع باطراد منذ عام ١٩٤٥ ، أي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن ، تتجاوز على نطاق العالم واحدا الى ثلاثة على أكثر تقدير .

الحرب والبورصة والكتيبة

وتناقش « مانسفيلد » العلاقة بين غريزة العدوان والحرب ، تقول : ليس ثمة حيوان قط يستطيع البقاء على سطح المعمورة سواء كفرد أو كنوع بدون القدرة على العدوان . ما دامت هذه القدرة ضرورية ، على الأقل ، في طلب مأكله (حفاظا على الفرد) وتزاوجه (حفاظا على النوع) ، فضلا عن أن عدوانية الجنس البشري ، عبرت عن هذين الهدفين الأساسيين . كانت في الأصل ، تتخطى هذين الهدفين : الحفاظ الأكال بنفسه واصطياد الرجل الآخر ، والدفاع عن النفس ضد سائر الحيوانات الأخرى ، ونهوض البقاء . ومع ذلك ، تعلم الجنس البشري تحت أشكال ثقافية واجتماعية ، في سبيل تشكيل الأدوات ، حتى أمكنه أن يصنع آلة تصويبات غير مميزة ، التي يشغلها للوصول الى هدفه في سبيل خلق الرموز والأنماط القيمية المختلفة . وأدت عملية التطورات الحضارية الى ترسيخ تطلق قدرته على الخلق والتركيب واكتشاف علاقات جديدة بين الأشياء والظواهر) . ويتعلم هذا فإنه على الرغم من أن النوع البشري ليس أكثر الأنواع عدوانية من الناحية

كتاب الشهر

طبيعية . فإن بني الإنسان هم الذين استخدموا ، على وجه اليقين ، وبأوسع نطاق من الوسائل المتنوعة التي يتوصلون خلالها إلى العدوان . ويقول البروفيسور أن الشيء لم يعد أحد يرغب في استعمال القدرات العدوانية للجنس البشري ، وإلا فإنه لن يستطيع مستقبلا أن يبني المساجد أو يقاوم الأمراض أو يصوغ النظريات العلمية . ولكن الطرق التي يستخدم بها الإنسان هذه القدرات في الوصول إلى ما يريد أو الكيفية التي يحدد بها ما يريد هي التي لا تزال موضع جدل . فالطاقة العدوانية لدى الإنسان يمكن استعمالها في شق قناة في قلب الصخر . مثلما يمكن تسخيرها لبناء مصنع ، أو شن حرب ضروس . ويعود البروفيسور « ستيفنسون » فيلاحظ أن ترجمة الطاقة العدوانية والإنسانية نحو مجال الاقتتال لم يكن عملا سهلا في كافة الأحوال ، حتى باعتراف القادة العسكريين أنفسهم . ولما كان البشر يختلفون عن المخلوقات الدنيا ، فإن المهم الأكبر لأي جيش هو تدريب الجنود على الانضباط الذي يصل حد الطاعة العمياء . ولكن عادات البشر تظل باستمرار غير مواتية للقتال ، فهم يعرفون أن القتل خطيئة ، وفي هذا الصدد يشير البريجادير جنرال امريكي « ا . مارشال » في كتابه « الإنسان والنار » إلى أن الجندي العادي يميل إلى إطلاق الرصاص على حائط أو شجرة أكثر من ميله لإطلاقه على الإنسان ، ويذكر الكثيرون ممن شهدوا الحرب العالمية الثانية ، أن خوف الجنود من إزهاق الروح الإنسانية وليس خوفهم من الموت هو الذي يقف وراء خسارة المعارك . ويخلص البروفيسور « سو » من وراء ذلك إلى هذه النتيجة : قد يكون البشر عدوانيون بالفطرة والاحتمال ، ولكنهم ليسوا محاربين بالفطرة والضرورة .

والحرب ليست ، في واقع الأمر ، طبيعية ، بل هي ظاهرة حضارية أخرى ومؤسسة لإشباع حاجات يصنعها المجتمع سلفا ، وهي في هذا تتشابه مع سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالدولة والبورصة والكنيسة .

طقوس الحرب

يتعين على كل محاولة جادة لفهم أسباب الحرب ، ومنزلقها أن تبدأ بالاعتراف بحقيقة أن هذه المؤسسة (الحرب) ظهرت في مرحلة محددة من مراحل التطور الإنساني ، وفي إطار بيئي معين . فرغم أن البشر حازوا ودون جدال « القدرة » على قتل كل الآخرين بسهولة نسبية ، بعد أن اخترعوا في مطلع العصر الباليوليثي الأوسط (منذ حوالي ١٠٠ ألف عام) أدوات الصيد مثل البلطة الحجرية والعصي ، ورغم أنهم امتلكوا القدرة على قتل الآخر بقدر من الأمان والسهولة ، بعد أن اخترعوا خلال المراحل المتأخرة من العصر الباليوليثي الأعلى (أي منذ حوالي ٣٥ ألف عام) القوس والسهم والحراب ذات الرؤوس الحجرية المدببة ، فإننا لا نملك دليلا حاسما على أنهم كانوا قد شرعوا في تلك الحقبة في صنع الأسلحة بصورة منهجية (أي أدوات مصنوعة ومصممة بشكل خاص للاستخدام ضد بني البشر) . وبعبارة أخرى حاز الإنسان ـ الصياد لمدة تصل إلى ١٩٠ ألف عام على الأقل القدرة التقنية لصنع (أسلحة الاقتحام) ، كما حاز لمدة تصل إلى ٢٦ ألف عام القدرة على صنع (أسلحة القذف) ولكن فصيلة البشر لم تصنع ـ في ضوء ما ملكت أيدينا من معلومات ـ أيا من هذه الأدوات بصورة منهجية لشن الحرب خلال تلك العهود الطويلة من عمر التطور الإنساني ، رغم إمكانية استخدام أدوات الصيد هذه في بعض الأحيان في قتل الغرماء .

على أن التقسيم المفصل يضعه لنا علم الآثار (الاركيولوجيا) والانثروبولوجيا يكشف لنا أن الحرب لم تبدأ في التحول إلى مؤسسة اجتماعية إلا

عندما هجرت الجماعات البشرية القنص والجمع كنمط للمعيشة، وتحولت الى الزراعة والفلاحة. ولكن الحرب ظلت في تلك العهود متجذرة في أعماق الزمن، بمثابة معارك يخوضها محاربون لا جنود، على حد تعبير المؤرخ الروماني الشهير «تاسيتوس»، فلقد افتقرت معظم المجتمعات البدائية للهياكل الاقتصادية والسياسية التي تعطي الحرب خصائصها المحددة كمؤسسة اجتماعية: قيادة عسكرية، تجنيد اجباري، انضباط صارم واعالة منتظمة.

ويضيف «بير» أن الحرب لم تستهدف أهدافا سياسية في معظم مجتمعات العصر الحجري الحديث (النيوليتي)، فلم تكن تلك المجتمعات تمتلك أي هيكل سياسي، من أي نوع فضلا عن هيكل سياسي تستطيع فرضه على الجماعات البشرية التي تلحق بها الهزيمة، وفي نفس الوقت لم تكن الحرب تستهدف أهدافا اقتصادية. وليس أدل على ذلك من أن الأطفال والنساء الذين كانوا يقعون في الأسر، كانوا يواجهون مصيرين لا ثالث لهما، اما القتل واما التبني داخل القبيلة الغالبة. بمعنى أنهم لم يكونوا يواجهون عملية التحويل الى عبيد منتجين، مثلما حدث في عهود لاحقة. ولكن لماذا تحولت الحرب الى مؤسسة اجتماعية؟

يقدم «بير» وصفا لحرب بدائية، تعرف بما قبل الاقدام على أي عمل من أعمال العنف. تقيم القبيلة احتفالا طقسيا يشمل تقليد المحاربين أنواعا مختلفة من الحيوانات، وأداء رقصات معينة مصحوبة بالغناء، وربما عند هذه النقطة التزم أبناء القبيلة المعنية بعدد من المحرمات على بعض أنواع الطعام والشراب، وقد تمتد هذه المحرمات في غالب الأحيان لتشمل اتصال الرجال بالنساء. وعندئذ يتوجه المحاربون الى ميدان القتال، يتقدمهم شيخ مقدس وفي وقت لاحق تحتدم المعركة. أما المعركة فانها لا تزيد عن غارة أو كمين أو التحام وجها لوجه. وما ان يقتل المحاربون أحد الأعداء بصرف النظر عما اذا كان رجلا أم امرأة، عجوزا أم صبيا، يقفلون عائدين الى ديارهم. وهنا تنخرط القبيلة التي انكبت بالموت في طقوس الحداد الطويلة، بينما تقيم القبيلة التي ألحقت الموت احتفالا شعائريا حول الجسد الميت، قد يتضمن التمثيل طويلا به، أو أكله أو تحويل جمجمته الى موضوع شعائري.

ويخلص «بير» من هذا الوصف الى أن الحرب كانت لدى البدائيين طقسا من الطقوس، ويؤكد أن مغزى هذا الطقس يكمن في موضوعي «الموت والخصب»، حيث يسيطر الموضوع الأول على الخطوات الأولى والوسطى من الطقس، ثم يظهر الموضوع الثاني - الخصب - ليسيطر على النهاية.

انتظام العصر الحجري

لا يستطيع البدائيون أن يفرقوا بين النشاطات الطقسية وغير الطقسية، فالبدائيون لا يفكرون في التفكير فيما يحيط بهم من واقع، ولا يؤسسون عنه النظريات، ويكتفون بممارسة النشاطات الطقسية لأنهم تلقائيون طبيعيون، بمعنى أنهم غير منفصلين عن الطبيعة. وهم لا يفكرون في هذه النشاطات بل يعيشونها. ويرجعون هذه الظاهرة «الحرب» الى غضب الغول والحاجة الى الانتقام الطقسي ضد الغضب، وبذلك يزعمون - كما يذهب عليه الانثروبولوجي بين الأصناف الابستمولوجية والطقسية، والوظائفيون من هؤلاء العلماء يميلون الى تفسير هذه الحروب بصفتها وسائل لفرض القانون، بالمقارنة مع النظم القضائية التي تعرفها المجتمعات المتحضرة، ومن هذا المنظور تعد الحرب بمثابة جزء من النظام القانوني، أي الوسيلة الموجهة لفرض القواعد التي تبنتها مجتمعات لا تزال تفتقر الى سلطة مركزية قوية.

ولكن هذا التفسير ينطوي على أن الانتقام يعادل العقاب أو الردع، وهو بذلك يتجاهل فروقا جوهرية بين هذا وذلك. فالردع يقتضي حتى يؤدي وظيفته ويحقق وجه التحديد تماما أنه يتحتم على رد الفعل ازاء عمل ما، أن يكون الحاق تكدير كاف، أو تقليل تعزيز كاف بالتصرف المعني، ولدى مخالف محتمل آخر، حتى يمنعها من الوقوع فيه. أما الانتقام فيولي جل اهتمامه للارتياح الشخصي الذي يشعر به طالب الأذى لدى مستحقه خلال لحظة التوازن المتحقق بين الغبطة والألم. وفي المقام الثاني نجد أن المجتمعات البدائية نادرا ما تهتم بفكرة الردع أو تلقين الطرف الآخر أي درس من الدروس.

كتاب الشهر

نعيم الفرحي

تصف الأساطير التي ينسجها الخيال حول الحرب، بصورة حسية، عوامل الشر ومرجع الاعتداء. واختلفت آن المناقشة والعقل ... قصص تكشف جميعا عن وحدة شعورية التماسك بين أبناء القبيلة الواحدة، تجمعهم عليها سائر المجتمعات الأكثر تقدما والأكثر ديمقراطية وجماعية في العصر الحديث.

يحكي شعب « يانومامو » وهو شعب معروف بعدوانيته الشديدة، يعيش في أمريكا اللاتينية، أصل الحرب في أسطورة، ويعطي منها صورا لتحديد حياته الاجتماعية، هذه القصة حول نشأة هذا الشعب ذاته، ونشأة الحرب في آن واحد.

في البدء لم يكن هناك سوى كائنات أصيلة، وهي التي أنشأت معظم النباتات والحيوانات والأشياء. وبعد أن اكتسح الفيضان معظم هذه الكائنات الأصيلة لم يبق سوى « بيريبو » الذي نزل فهبط إلى الأرض، كي يلتهم الأجزاء الروحية من الأطفال. وكان قد أكل طفلا لدى أول هبوط له، وبذلك يكون وضع روحه بين شطرين من خبز « الكاساقا » وتناوله. وعندما في المرة الثانية ليأكل طفلا آخر بنفس الطريقة السابقة. وأخيرا وفي المرة الثالثة استبد الغضب بكل من « أوديا » و « سوهيرينا » وهما شقيقان، وصمما على قتله. فما « أوديا » أخفق الأخير بإرسال سهامه، ولكنه أصابه. ثم أتى « سوهيرينا » فالتقط سهما مدببا بريش من خشب البرص وأطلقه نحو « بيريبو » في اللحظة التي كان يطير فوق رأسه تماما فأصابه في بطنه. اخترق السهم جسم « بيريبو » بالكاد. ولكن الدم تدفق بغزارة وسقط حول « هوتيري » بالقرب من الجبال المعروفة باسم « يو » ومن ثم سرعان ما تحولت قطرات الدم إلى أناس يحبون ويمجدون استراتيجيا بالخراب. الأمر الذي أدى إلى انبثاق عدد هائل من البشر هم شعب « يانومامو ».

وتعلق البروفيسورة « [illegible] » قائلة إن الأسطورة تذهب إلى أن الطبيعة الإنسانية يدفعها ويحيي من أعماق العنف. وبواسطة هذا العمل تمت السيطرة على المرض أو الموت غير الطبيعي وغير المتوقع. ولذا كان لابد أن يبحث في هذه القصة عن مغزى تاريخي - موضوعي أو بيولوجي، وإن بحثه يعد ضربة من ضروب العبث، ولكنها تنطوي مع ذلك على تصوير تعبيري - أسطوري خليقة مثيرة. فالأسطورة تشير إلى انبثاق شعب « يانومامو » بالاعتماد المتبادل بين الحياة والموت. والاعتقاد بأن أعمالا عنيفة معينة يأتيها البشر، تستطيع السيطرة على الاعتماد الموضوعي لهذا الاعتماد المتبادل. وتضيف « [illegible] » إلى هناك أسطورة مماثلة سائدة في قارة أخرى بعيدة هي قارة أفريقيا بين شعب « [illegible] » وهو شعب رعوي محارب في منطقة أفريقيا الشرقية. وتستطرد « [illegible] » إن كل هذا يعني، دون شك، أن الإنسان صاغ نمط الحرب الطقسية منذ وقت طويل، وأن الإنسان هو بطل الحضارة الأول الذي قام بتفكيك بنية الفوضى والتدمير، وجعلها خاضعة لمشيئته، ومن خلاله انبثقت المؤسسات والقواعد الاجتماعية حياتها.

والمهم « [illegible] » إلى القول بأن الرومان أحالوا الأساطير إلى تاريخ، وبذلك نقلوا الفكر الإنساني من الزمن غير المحدود إلى الزمن المحدد. وتؤكد « [illegible] » أنه في اللحظة التي انطلقت فيها الحرب من حدودها الطقسية واكتسبت هدفا ماديا مباشرا، أصبح من المستحيل أن تقتصر على نمط غير متغير. ولم تعد نتائجها تنطوي على خسائر ضخمة في الأرواح والممتلكات فحسب، بل انطوت على تغييرات في التنظيم الاجتماعي والسياسي، بالإضافة إلى نزوح شعوب جديدة وثقافات جديدة. ولم تعد الحرب، من ثم، تأكيدا متكررا على الطابع الرجعي اللازمني

للواقع ، بل أصبحت عرضا من بلك واحدة من أعظم تجارب الإنسان الأشد حيوية من التحول والتغير والانقلاب .

حدود القوة

كافة الحيوانات بما فيها فصيلة البشر ، تملك قدرات عدوانية تنمية كوسائل في سبيل الحفاظ على البقاء والدفاع عن الفرد والنوع . . وعلاوة على هذا فإن البشر على وجه الخصوص ، وبسبب طول مرحلة الطفولة لديهم ، والحاجة إلى الخلق ونقل الثقافة ، لديهم نزعة غالبة على عوامل وراثية . فالعدوان هو فصيل هذه القدرة العدوانية من المشاعر والحاجات السيكولوجية البسيطة والواقع أن كافة المجتمعات البشرية تعرض تحريمات على بعض أنواع الاطعمة ، والعلاقات الجنسية وتوزيع الملكية ، وبالتالي تكبح ، بشكل جزئي ، إطار الطاقة العدوانية للبالغين . وفي نفس الوقت تحفز هذه المجتمعات ، صورا كلية ومشتطنة ، محددة تقود القدرة العدوانية نحو أهداف رمزية ونفعية ترى هذه المجتمعات انها تخلق صالحها ككل . ولأن العقل الانساني قابل للتعلم من التعليم الى حد كبير ، ويستمد رغبة كبيرة من تدريبه عبر التقاليد ، فإنه حينما تصبح التحريمات الاجتماعية والأهداف التي تحددها الثقافة السائدة كجزء من بنائه النفسي الأساسي ليعتبر جزءا لا يتجزأ من فطرة النوع الانساني على البقاء . وفي حالة تغذية الطاقة العدوانية في اتجاه محدد ، أو الزعم الذاتي بالاستقلال الذاتي من العنف والرغبة والتحقق بعض الضرر بالفرد ، فإنه يكون وظيفيا بالنسبة للجماعة

ولعله أمر مثير للدهشة حقا أن معظم المجتمعات تعتبر الحروب مشاريع صحة اجتماعيا . ورغم المخاطر التي تنطوي عليها بالنسبة للأفراد . ومثل هذا الحكم على الحرب يستند الى مصادر تصنيفين من سمات النوع الانساني ، فمن جهة الأولى ، نرى أن النوع الانساني ينطوي على استعداد للعنف ، لكنه يخلق من المعلومات المتنوعة التي تتلقاها عرضا عن الحياة اليومية ، أنماطا تفرض النظم أو البناء الفعلي على عرض الواقع المطلق بالأحلام والطقوس والرموز واللغة والأسطورة (بما في ذلك الدين) والأدب والموسيقى والنظريات العلمية) كل ذلك يشهد على قوة هذه الاستعداد والأعراض الجنسية والنائمة التي يضمها .

ويبدو أن الحرب ليست واحدة من هذه الخبرات الأكثر الحاحا والأوسع قسمة بين البشر ، أي الحاجة للحب والجنس والطعام والشراب ، ولكنها أيضا واحدة من الأعمال التي يستطيع الانسان أن يواجهها بصورة محددة ، الرعب وعدم التوازن الراهنين ، فالذين يتعاملون مع الموت والدمار يعيشون بحالة دون ستتبع الحذر . فالانسان ينظر إلى الحرب منذ بدايتها الأولى في العصر الحجري الحديث باعتبارها نشاطا هاما في سبيل إعادة التوازن الى العلاقات بين القوة غير البشرية والجماعة الانسانية . حتى هذا يتعرض له البشر ، سواء أكانوا أفرادا أو أعضاء منظمين في مجتمعات لعصر بداية الاعصار الألفية التي تبدو متقشرة للسعد وحلوا من النفس ، ونهضت الحرب كمحاولة منه لاتخاذ خط محدد ثابتا عن طريق رد هذه التقريبات ، وبناء عليه فإن الطابع التناقضي بالضرورة ، في التوازن والاحتمال ، والتوصل بالتحرك للتجربة الحية يكتسب نشاطه واتصالا وتوازنا . وقد لا ينتهي الرعب والتحطيم ، ولكنهما يصبحان مستقرين ، نسقا أو مخططا ، حتى يستطيع العقل الانساني أن يحيط بهما

أمبيدوكليس وفرويد

بشأن العالم ، حاول عراقي ، من ذلك تحول له صاحب كلا من الفيلسوف الاغريقي ، أمبيدوكليس (القرن الخامس ق . م) ، وسيجموند فرويد ، في تصورهما أن الصراع والموت ينبثقان من القوة والاندفاع منذ الحب والجنس لدى البشر . والجنس من الناحية الفسيولوجية ولكن النفس الجنسية القاتلة ليست نفسية متوازنة ، اذ تتكشف عن شخصية مركبة ، تهيمن فيها القدرة العدوانية والعصبية على قدرة الخلق والتواصل مع الآخرين بل تزيحها كلية . وفي صورة نظرية ، ابتشفلت ، فإن الدوافع العدوانية لدى هؤلاء الأفراد القاتلة قد انكشفت وارتبطت بحسد الذات ، بحيث تحرمهم من القدرة على ، تلبيك من أن يجد أي متعة في – لن يكون نشاطها عاطفيا أو

كتاب الشهر

متوحدا مع الآخر. هؤلاء الجنود يريدون، في حقيقة الأمر، أن تحيق بهم الهزيمة، فالرغبة في تدمير كافة المخلوقات ليست سوى انعكاس غير واع لكراهية الذات الراسخة في الأعماق. ومثل هذا المقاتل ليس سوى رجل انتحاري عاجز عن توليد إحساس مناسب بالحدود التي تفصل ذاته عما يحيط به من بيئة بشرية. ومثلما يكون بعض الأفراد انتحاريين تكون أيضا بعض المجتمعات. وعند هذا الحد الذي يبدأ فيه العدوان الاجتماعي في التهديد بالرجحان على الخلق الاجتماعي يكف العنف الإنساني، دون جدال، عن أن يكون شكلا من أشكال التعديل التكيفي، ويصبح مرذولا ودون قيمة اجتماعية أو بيولوجية. ولسنا نعرف على وجه اليقين عدد المجتمعات الإنسانية التي لم تحصن نفسها في مثل هذه المعضلات الشبيهة في الماضي. ولكن ثمة ما ينبئ دلالة واضحة على أن ذلك حدث فعلا. ومع الأسف يبدو أن مجتمعنا المعاصر المتحكم على الحضارة قد ولد مثل هذا الاتجاه الانتحاري، في وقت بلغت فيه القدرة التدميرية شأوا هائلا، يتمثل في استطاعتنا أن ندمر الجنس البشري، بل وأن نقضي على كافة أشكال الحياة على ظهر المعمورة في كارثة نووية مروعة.

وتردف البروفيسورة سيلد أن كافة طقوس الحرب التي تناولتها بالتحليل في كتابها هذا تنطوي على محاولة، سواء على صعيد عدم الوعي أو الوعي الكامل، للسيطرة على الطبيعة في سبيل سعادة الإنسان، والطرد الفناء. وبناء عليه فإن أجدادنا الذين عاشوا في العصر الحجري الحديث اعتقدوا أنهم يستطيعون خلال الحرب أن يعيدوا بناء الفاعلية المنظمة لرحم الخلق الأصلي، ومن ثم يستطيعون قهر الموت على لزوم قواه المرطوبة، المنافية.

ولعل ما يدعو للأسف أن انهيار الحوار يؤدي إلى فقدان أي إحساس بالحدود، وبالتالي بحقيقة الواقع المحيط بنا. وهكذا يصور، صامويل بيكيت، الكاتب المسرحي الشهير، الإنسان كأسير للانتظار اللاشعوري على مسرح خيالي، حيث لم يعد للإرادة الإنسانية أو الفكر الحر أي وجود حقيقي. وفي ضوء مصطلح الفسيولوجيا ثمة ذاتيا محدود من ناحية للكيان العضوي، ويتداخل من ناحية أخرى مع هذا الكيان، والبيئة المحيطة، فالفرد في نفس الوقت، كيان موحد جسديا وفسيولوجيا، وعملية ناشئة، تأخذ الاستكمالات الحسية والهواء والغذاء، وتخرج المشاعر والزفير والفضلات، وبدون هاتين العمليتين تفقد الحياة صفتها المعروفة متسلسلة.

جنود .. أم محاربون

وفي ختام الفصل الأخير تردف البروفيسورة سيلد بالقول: إذا كان تحليلي التاريخي صحيحا، وكان كذلك المنهج المنطلق، فإن مخططا علاجيا إصلاحيا، سوف يطرح نفسه مع ذلك، وكرد فعل، في سبيل نزع السلاح النووي. فحقيقة الأمر أن الرجال والنساء الذين يصرون ويؤيدون تلك الترسانات النووية الضخمة ما هم إلا أفراد يستشعرون الخوف في أعماقهم، ويحتمون من الأمان خلف هذا الدرع الصناعي، وكلما شعروا باقتراب الهجوم عليهم يحصنون على وجه الاحتمال مصالحهم التي يتخيلون حدود رؤيتها الضيقة، هي رؤيا التمزق، وفقدان معنى الأشياء. وإذا كنا لا نستطيع أن نأمل في تفكيك الرؤوس النووية فورا، فينبغي لنا أن نحاول على الأقل إعادة تنظيم الجيش، بصورة تسمح خلال حقبة الحروب أن تصطبغ بأسلوب أكثر واقعية. أسلوب يقوم على تحويل الجنود مرة أخرى إلى محاربين بدلا من الوجود المخيف للترسانات النووية التي تملأ البحار والمحيطات من حولنا. ولكن البروفيسورة ساسيلد، تستدرك إلى القول بأن الحل الأمثل ليس نزع السلاح النووي في حد ذاته، بل كيفية إزالة المؤسسات والأيديولوجيات العسكرية التي استقرت في أعماق ثقافتنا وأعماق نفوسنا.

حكايات من مصر

صلاح عيسى

عرض وتعليق : عبد الرحمن أبو عوف

حكايات من مصر وهوامش المقريزي جزءان من كتاب واحد ، عمل اسم الجزء الاول المؤرخ الفنان صلاح عيسى وقد اختار المؤلف من تاريخ مصر الثري الطويل ما رأته عينا الفنان فيه ، وصاغها بطريقة تمزج بين جلال التاريخ وجمال العمل الفني .

حكايات من مصر ، الجزء الأول و (هوامش المقريزي) ، وهي المجموعة الثانية من (حكايات من مصر) للمؤرخ الفنان (صلاح عيسى) ، عمل تاريخي أدبي له تفرده وصوته الخاص ، يثير قضية علاقة التاريخ بالفن ، كيف يصبح المؤرخ قادرا على استعادة الحدث التاريخي من الماضي نظريا ، كي كان فعلا أو نظريا كما كان ، وبقدر ما يتمكن المؤرخ من تقديم أو إعادة لتركيب الصورة التاريخية للحدث التاريخي كما حدث فعلا بقدر ما يكون علميا ، أي يعني أن المؤرخ عليه ذاتيا أن يرصد

تلك هي السؤال الذي يعالج فكر المؤرخ الألماني الكبير (ليوبولد رانكه) كيف « تصبح » البحث التاريخي مهمته أن يوصل الباحث بالأدوات العلمية التي يقدمها إلى الإجابة عن هذا السؤال : كيف حدث التاريخ بالفعل ؟

ولكننا هنا أمام ، مؤرخ وفنان ، اختار في السرد لغة روائية ، تبحث في الحدث المجهولة ، وترسم الشخصيات متعددة جوانبها ، وتستلهم من جزئياته سرعة الشائعة العالم ، وهو قادرة الصراع بين الشعب والطغاة ، والكشف عن أصالة المقهورين

وقدراتهم التي لا تنفد في الدفاع عن حقوقهم ، مهما سقط منهم الشهداء ، وهزمتهم شراسة قوى الصراع الطبقي والاستعماري.

الرواية الوثائقية

لقد ساهم صلاح عيسى في تقديم شكل من الرواية الوثائقية ، وقد كانت أبرزها روايته (مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا) وهي تستحق نقدا خاصا.

يعترف (صلاح عيسى) ، أنه ومنذ تكوينه ، كان التاريخ بؤرة اهتمامه ومثار شوقه ، فهو المعجب وقرأ للمؤرخين مصر الكبار : ابن تغري بردي ، وابن إياس والجبرتي خاصة ، والمقريزي كذلك . ويعجب حتى في تحت الآباط عن كتاب أحمد بهاء الدين (أيام لها تاريخ) المنهمه في فترة ثورية (كان التاريخ في هذا الكتاب شيئا آخر تماما ، غير الذي كان يستعرض القصص المصورة بحكمه وتعليقها على جدران مصري السلطة ، كنوع من العقوبة لمرتكبيها ، كان تاريخا حيا ينبض وحياة ، أحببت رجالا ، أعرفهم حقا ، ويكتب عن مصير مصيرهم ، وأثبت سرا وقلقا والمشاكل ، وأن تاريخ الآخرين هم يواجهون التخلف ويتحدونه ، ويصنعون فرص ويصنعون الفجر في الشارع والسجون) ، إن صلاح عيسى من جيل عاصر انهيار النظام الملكي في سنواته الأخيرة ، ووعى بالمرارة وفرحه بالأسرية مأساة حرب التوقف ، ثم قامت الثورة ، وعاش نوعيتها منجزاتها وانتصاراتها وانكساراتها ، ودفع من حريته ثمنا غاليا ، ليدرك قانون التوحد بين الكاتب والتاريخ والمؤرخ ... السياسي الملتزم برؤية فكرية تنتمي للشعب وعلمية كان التاريخ يكتب من وجهة نظر الحكام ، كما فعل كرومر في كتابه (مصر الحديثة) ، ثم ... ثم يكتب من وجهة نظر البرجوازية ، ثم ... موسوعة المؤرخ الكبير (عبد الرحمن الرافعي) ولكنه لا يحيط بحيز تاريخ الوطني وعلى الأخص في أحداث الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ أي وجهة نظر ... الوطني ، وظل عارض الاطلاع على مدارس أخرى تشكل صرحا (مدرسة التاريخ الوثائقي) ثم (مدرسة التاريخ الاجتماعي العلمي) لمحمد أنيس ، ثم استقر على وجهة نظر الاشتراكية العلمية في تفسير التاريخ وتغييره ، وقدم عملا متكاملا يعتبر انجازا جديدا في تفسير العرابية وتوثيقها ومرجعا موثقا عن هذه الثورة الخطيرة في حياتنا .

ثم اكتشف نفسه في كتابه (حكايات من مصر) الجزء الأول سنة ١٩٧٣ و (هوامش المقريزي) ، حكايات من مصر الجزء الثاني سنة ١٩٨٣ ، وقد كتب حكاياته بين ١٩٧١ - ١٩٧٥ واضطر الكاتب للتوقف فترة ثم عاد في الجزء الثاني .

لكن المجموعتين تختلفان من حيث الشكل ، فقد اختارت المجموعة الأولى حكايات أكثر تعبيرا وأطول نسبيا ، بينما تلتقط الثانية ومضات تاريخية قصيرة ومركزة ومكثفة تمر بسرعة ، ولكنها لا تختفي قبل أن تعطي للقارئ من يقرؤها بوعي بكل دلالات عصرها ، ولكن كلتا المجموعتين موضوعهما واحد ، فهما تكشفان تلك الحركات الصغيرة التي تصب في مجرى التاريخ ، وتتشكل منها قوانين تطوره .

حكايات من مصر

وتتميز المجموعة الأولى بحكايات غريبة ربما سترها تراكم الزمن ، غير أنها أثرت في مجرى أحداث تاريخ مصر المعاصر أبلغ تأثير - وهي تقدم بشكل روائي في نبرة شاعرية تسخر أحيانا - وتخفي دلالاته ومغزاه ، وتكشف عن عمق في دراسة كتب تاريخية ووثائق مطولة ، عانى صاحبها حتى يقدمها لمتعة القارئ والأحداث من حوله .

الأمير سيف الذي يحاول اغتيال أحمد عرابي ، مقتل ... على فهمي برصاص زوجته الفرنسية ، ست جيوش تثير أزمة في السياسة المصرية ، مؤامرة ضد زعيم الأغلبية مصطفى النحاس ، مغامرات عبد الله النديم في منفاه ، محاكمة ابراهيم الهلباوي جلاد دنشواي ، البطريرك في الشمس ، السلطان والحرب وفلسفة الشرع ، محكمة الأحد الدامي .

إنها ملحمة تراجيدية وكوميدية ، فيها تختلط الفضيلة بالرذيلة ، الخسة بالنذالة ، الخيانة بالوطنية ، الشهامة بالجبن ، منها صنعة الاحتلال في سنواته الأولى ، وعلاقة الشعب المصري بمصيره وقدرته على الصمود ، تبهر القارئ وتؤكد أن معدن الشعب

الوطني تصهره المآسي ، وتصلبه الأحزان ، وتحمله حالما ناظرا إلى كرم في انتظار الخلاص .

زيادة على ذلك فالأشياء مركبة ، فمجموعة الوثائق تحتوي حججا من الدلالة لا ينفد لأنه تشكل عددا غير محدود من الأسئلة تنبض عنه الوثائق للإجابة عنها . كذلك مفهوم الابتكار عند المؤرخ على اكتشاف الانحراف الذي تكون عليه مجموعة معينة من الوثائق من قبل اعتقاد الانتفاع بها حيثما يمكن أن يكون منطلقا من نشره سؤال جديد .

ونختار من الحكايات أربعة تمثل هذا الجو التاريخي الحي ، ودلالته الأساسية على تطور الحركة الوطنية المصرية .

مأساة جلاد دنشواي

كانت حياة إبراهيم الهلباوي ، وهو واحد من أعظم المحامين الذين أنجبتهم مصر إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق ، تراجيديا مصرية نموذجية ، تروي للبطل الذي يحقق مسيرة رائعة تتوج به خطيئة ، ويظل يجاهد العمر كله لكي يحصل على الغفران ، فيرفض الشعب قلبه حتى موته ولا يرق له رغم طيبة الشعب الذي طالما غفر لكثيرين . وكانت خطيئته التاريخية التي ظلت نقطة سوداء لم يغفرها ضمير الشعب ، أنه قبل أن يصبح المدعي العمومي الذي يثبت التهمة على فلاحي دنشواي ، ويلف المشنقة حول أعناقهم ، بعد أن كلفه رئيس الوزراء مصطفى فهمي الذي تعاون مع اللورد كرومر مدة طويلة وهو (أبو زوجة سعد زغلول) . لقد استغله - وهو المصري فلاحين وابن البرجوازية الصغيرة والفلاح البسيط - فلاحون بسطاء . استخدمه الإنجليز ومثلهم في شنق الفلاحين وتعذيبهم أبناء على قريتهم وهم : زهران ، ودرويش ويوسف ومحمد أسماؤها لم تمح .

ولكن كيف نشأ الهلباوي ؟ وكيف تمت عملية الصعود ؟ ككل الأجيال ، ولد الهلباوي في أسرة (مستورة) . كان والده مغربي الأصل ، لمصر وأقام ببلدة (المحلة) بمديرية البحيرة ، وفي الثانية عشرة من عمره ذهب إلى مركز العلم في هذا العصر (الأزهر) ، حتى بداية السبعينات من القرن الماضي مرت قهوة (مثلث) حيث يجلس شيخ غريب (يوزع السعوط بيمينه والشروات بيسراه) يجلس حوله رجال ، تغير فيهم بعد أن يلعبوا أخطر الأدوار في تاريخ مصر ، منهم أحمد عرابي ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم وسعد زغلول وغيرهم . وفي سنوات وهو يتعلم من الأساتذة الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والسياسة وتنظيم الأمم ومتطورها ، والسنوات لم يؤجل دخول الامتحان بالأزهر . وفجأة يترك الأزهر ، في تلك السنة حين الخديوي إسماعيل عن العرش بأوامر الدول الأوروبية ، وتولى (الخديوي توفيق أريكة الخديوية) وأصبح رئيس الوزراء (مصطفى رياض) بعد شهور من نفي الأفغاني قرارا بتعيين الشيخ محمد عبده في منصب رئيس تحرير الوقائع المصرية ، ويختار الشيخ عددا من مريدي الأفغاني ليساعدوه منهم : عبد الكريم سلمان ، وسعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوي . ويكتب فيها الهلباوي ، ولكنه بعد فترة يثير الكاتب بحجة مقالة مرثية بالتعمية شرب سعد زغلول ، ويترك العمل ويذهب إلى قريته . ويقرأ الهلباوي ويهتم بالعمل في التجارة ، ثم يكتب مقالة ملتهبة عن رفضه استغلال نعرة الرق القديمة ، ويرسلها إلى جريدة التجارة . وهاج رياض باشا وقبض عليه ، واستطاع باستخدام الذكاء بالحيلة والمنطق أن يتخلص من تهمة السب في الحكومة التي كانت تؤدي به إلى السجن .

المحامي لنفسه

ويسقط رياض في مظاهرة ١٨٨١ ، ويقضي مصر طوال عام وتضطرب بشائر الثورة العرابية للحكومة ، ويحكم الشعب ، ويطرق في الحق ويعرف ، أين الهلباوي الطويل الفصاحة ، تلميذ الأفغاني ؟ لا أحد يعلم أنه ابتعد سالفا . ولكن ، هناك المغرضون ، وبعضهم تنكروا له وتجاوزوا عنه حال وقت الحد ، كان الهلباوي حذرا في البداية ، إنه حدد موقفه من البداية ، إنه مع نفسه فقط ، وكما يقول عبد الحليم الجندي (كان كالملك في العشرين ليس مع الثوار ولا مع خصوم الثورة بل مع نفسه . كان كذلك في العشرين وفي الخمسين وفي الستين والثمانين يوم مات .. ليس مع أحد وقد يكون معه كل الناس) .

ويقتل الثورة. والغريب أن الذي قبض عليه هم الثوار، وعند الهزيمة جاء في السجن عن طريق الخيانة لكي يستشهدوا به على أن الثوار عذبوه في السجن، وخرج منه بسرعة، وتنقل في وظائف كثيرة، سكرتير السلطان للخاقان الأكبر، ثم سكرتير للبرنس حسين كامل فيما بعد. وفي يناير ١٨٨٦ وهو في الثامنة والعشرين احترف الهلباوي المحاماة. لقد كان الأمر مصادفة، فصله البرنس من عمله فوكل محاميا عنه، وبينما هو في مقاعد المتفرجين قرر مصيره خلفه، إذ سيدخل ببلاغته وطول لسانه وأن يصبح قبلة الأنظار، فاحتقر المحاماة مهنة. وفي تلك السنوات كانت المحاماة مهنة السفهاء، وكان اسم المحامي مساويا للمزور، لدرجة أن (سعد زغلول) قال في إحدى خطبه بعد سنوات (إني اشتغلت بالمحاماة متنكرا من أهلي وأصحابي، وكلما سألني سائل عن صنعتي أقول معلم خط، آن أكون اليوم محامين). الغريب أنه عمل مع سعد زغلول، صديقه اللدود، في المحاماة، واشتبك مصير الرجلين سنوات، وتقاطعت سيرتاهما في طريقهما إلى المجد والشهرة، فطريق سعد طريق الثورة، وطريق الهلباوي أن يصبح أسبق المحامين، لدرجة أن شهرته وصلت إلى أن يقول الناس (والله لا يخلصك إلا الهلباوي). ومع الاحتلال للسلطة والقصر واضطربت الحياة وظهرت شخصيات جديدة، واحتفظ الأخير بالمصري في محاكمات الجنايات، ولمع الهلباوي، وقضى الشعب حتى سقط البطل، وراح يستعمل كل ما تعلمه من حقوق ودفاعه عن بلده (الأفغاني) في الجنايات الحرة عن فلاحي دنشواي، فلاحي دنشواي، غير أنه دمع الشعب عاليا، ولم يغفر الشعب له، سقط بعده في مستنقع شك وذاع صيته، فقد ظل الهلباوي شعب كله، وبعدها بدأ رحلة التوبة، وفي مذكراته التي أملاها عام ١٩٣٩ ولكن لم تنشر، حاول أن يرفع لومه، ويدعي أنه كان ينوي الدفاع عن فلاحي دنشواي لولا ضغط تعرض له من بطرس غالي رئيس المحكمة، ولم تكف الصحافة الوطنية عن الهجوم على جلاد دنشواي. وفي سنة ١٩١٠ حاول أن يكفر عن جريمته، فتقدم للدفاع عن إبراهيم الورداني الذي قتل بطرس باشا غالي، رئيس الوزراء ورئيس محكمة دنشواي سابقا. وفي المحكمة صاح الهلباوي وجهه، واتهم بطرس باشا غالي بالعمالة للإنجليز. وفي عام ١٩١٢ دافع عن المتهمين في قضية مقتل السردار. ثم ظل طوال هذه المدة من طلب الغفران من الشعب والشعب يرفض. ولم يبق من ذكرى الهلباوي كما صورها بعض حتى سخرية مرة (ألا إن يصبح للهلباوي الأتوبيس في خط النيل عابه المقبرة، وهو بعد المحطات قبيل محطة الهلباوي).

هوامش المقريزي

تلك كتاب مصري يجمع بين التاريخ والقص في أرقى صوره. والهوامش ما يسقط تلخيص فكري في هذا المجال تتغير لحظات هذا الأكثر السياسية والاجتماعية والأخلاقية من فترات حكم الولاة العباسيين، والدولة الطولونية، والدولة الإخشيدية، والخلافة الفاطمية والدولة الأيوبية والمملوكية والعثمانية. ثم الحملة الفرنسية ودولة محمد علي حتى ثورة ١٩١٩، حيث تفجر الشعب المصري في أعظم ثورة شعبية طوحه لتسترد فيها جزءا من حقوقه. وهذا الركام الهرمي من الحكايات والقصص من هذه الفترات التقطها (صلاح عيسى) وهو من كبار المؤرخين: كالمسعودي وابن تغري بردي وابن إياس والجبرتي والمقريزي. وعند طرحه ركن ركب أخرى ووثائق ومخطوطات كانت تغرق في التراب، حتى يستخلصها ويقدمها للقارئ كدليل على أن روح النضال لم تمت، وأن قانون الصراع يأخذ طرقا عديدة، ولكن ظل الشعب هو المنتصر في النهاية. وهذه المجلدات في التاريخ ليست سيرة للطغاة والسلاطين، وربما تقرؤها الطغاة، ولكن الشعب الكادح لا تهمه إلا من هذه صفحاتها. □

يقول شيشا سيتري: لا يوجد في العالم من هو مخطئ على الدوام، فحتى الساعة الواقفة تكون على حق مرتين في اليوم الواحد.

مكتبة العربي

الكتاب : في الحرية والمساواة
المؤلف : د. حازم الببلاوي
الناشر : دار الشروق - القاهرة
عدد الصفحات : ٢٦٠ من القطع المتوسط

تحت هذا العنوان اختار عدد من الأصدقاء د. حازم الببلاوي أن ينشر بعض مقالاته عن الاقتصاد التي نشر أغلبها في الصحف والمجلات العربية. ويشكل مضمون الكتاب أهم المشكلات التنموية والاقتصاد العالمي ومشكلة الاقتصاد العربي. فالعلاقات العربية موضوع الكتاب الذي يعتبر مؤلفه بأنها الخطورة في المنطقة العربية الراهنة، وهي محاولة للبحث عن الهوية السياسية الثالثة.

الكتاب : ملاحظات حول قضية المرأة والحركة النسائية في الأردن.
المؤلفة : سهير سلطي التل
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عدد الصفحات : ١٩٥ صفحة من القطع المتوسط

تحاول الكاتبة الأردنية سهير التل في كتابها هذا أن تتجاوز العرض المحدود للدراسات المتفرقة التي كتبت للتعريف بتاريخ الحركة النسائية في الأردن والبحوث الأكاديمية أو رسائل الماجستير والدكتوراه. وتدخل موضوعاً جديداً يتخطى ندرة المراجع والأرقام والإحصائيات التي تعيق أي باحث في موضوعه. وتمهد الكاتبة بتحليل يتتبع الخلفية التاريخية للعمل النسائي في الأردن وتطوره إلى أشكال تنظيمية رسمية، وحركة الحصول على مكتسبات حقيقية لها، ثم نظرة مستقبلية في ضوء ما عرضت.

الكتاب : [illegible] من النصوص الكنعانية
ترجمة وتعليق : مفيد عرنوق.
الناشر : منشورات مجلة فكر - بيروت
عدد الصفحات : ١٨٨ من القطع الكبير

يقدم مفيد عرنوق في هذا الكتاب ترجمة وتعليقاً لما جاء على لسان كهنة أوغاريت أهل مملكة كنعانية وصلتها مكتشفات رأس شمرا (أوغاريت) القديمة على الساحل السوري الشمالي في مطلع هذا القرن.
والترجمة التي يضمها الكتاب هي جزء من مؤلف ضخم كتبه الباحث الإيطالي وعالم الآثار الشهير في ... بعنوان «التوراة الكنعانية»، واللغة المترجمة هي الكتابات الموجودة على اللوحات المكتشفة لتلك الكهنة المذكور.
مادة مهمة لا غنى عنها للمتخصص بالحضارات القديمة، المتخصص العلمي يريد الإلمام بشيء من التفاصيل في هذا المجال.

الكتاب : الثلاثة عشر في ظهر الأمة .

المؤلف : مصطفى بكري .
الناشر : دار يافا للنشر - القاهرة .
عدد الصفحات : ٩٦ من القطع المتوسط .

معالجة صحفية لعملية نقل اليهود والفلاشا من السودان إلى الأرض المحتلة ، يرويها الصحفي مصطفى بكري .

في كتيبه هذا يسجل الكاتب قصة واحدة من أكثر عمليات التهجير الصهيوني إثارة منذ إنشاء الكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٨ . ويتضمن الكتاب أيضاً الوجه الآخر للعملية التي تمثل عمق فساد النظام السوداني السابق ، وتغلغل الأجهزة الخارجية فيه ، ومن ضمنها الأجهزة الصهيونية والأمريكية .

الكتاب : الخروج من الكهف - رواية .
المؤلف : عماد الدين عيسى .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع المتوسط .

في هذه الرواية وهي الأولى بعد أربع مجموعات قصصية ، يرسم المؤلف صوراً لمجموعة من الشخصيات ، لا يربط بينها في الظاهر رابط قوي ، لكن هناك رابطاً موضوعياً يجمع بين هذه الشخصيات وأحداثها وخلفياتها الاجتماعية ، ليكتمل البناء الروائي لهذا العمل الأدبي .

الكتاب : يوميات البكائي .
المؤلف : عبد الكريم كاصد
الناشر : مطبعة دار العلم ، دمشق .
عدد الصفحات : ١٠٠ من القطع المتوسط .

في ديوانه الشعري الرابع هذا يخطو عبد الكريم كاصد خطوة أخرى نحو تكثيف الجملة والقصيدة ، وشحن الكلمة الشعرية بالعمق والإيحاء في الوقت نفسه .

ونجد أن كتبه الشعرية الأولى التي ترسم جواً شديد المحلية والخصوصية - يصوغ كاصد في قصائد ديوانه هذا تجربة تمزج عمق التجربة بمرارة الاغتراب في لغة شعرية راقية تميز بها الشاعر الشاب .

الكتاب : البيروقراطية النفطية .
المؤلف : د. أسامة عبد الرحمن .
الناشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت .
عدد الصفحات : ١٩٢ من القطع الكبير .

على غير المألوف اختار مؤلف الكتاب الدكتور أسامة عبد الرحمن أن يكون مدخله إلى موضوعه الذي يتسم بالجدية والجفاف مدخلاً يلين من جفاف اللغة ، ويطغى على جديتها ، فكان - شكل « الصورة » التي تقدم للقارئ « سنين منها ترسم صورة البيروقراطية في بلادنا كما يراها المؤلف .

ورغم تركيز د. عبد الرحمن على البيروقراطية النفطية ، إلا أنه يربطها بصور البيروقراطية الأخرى « التي تتشابه سلبياتها وأوزارها في أقطار الوطن العربي » كما يقول .

الكتاب : أنا أريد البحر - مجموعة قصصية
المؤلفة : ليانة بدر
الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية - سوريا .
عدد الصفحات : ١٠٤ من القطع المتوسط

مجموعة قصصية جديدة للروائية والقاصة الفلسطينية ليانة بدر . ليلة بيروت ، القصف والمراتب والملاجئ ، والكهولة والطفولة المبكرة تشكل خلفية قصص المجموعة التي تتميز منها قصتا الصورة والفراشة اللتان يمكن قراءتهما كقصة واحدة أو قصتين منفصلتين .

□

حوار القراء..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

عزيزي القارئ ،

كل عام وأنت بخير ، وعلاقتك بمجلتك العربي أكثر عمقاً ، وحوارك معها أكثر غنى وثراء ، ودورك في تنميتها وتطويرها أكثر فعالية ، فرسائلك إلينا هي واحدة من أهم المؤشرات على طريقنا للتطوير ، هي مرآة تنقل في صدقها وتلقائيتها .

وربما لا تمكننا المساحة في هذه المساحة المحدودة لباب حوار القراء أن نرد على جميع الرسائل التي تصل إلينا ، ولكن المعيار الذي نحتكم إليه في اختيار هذه الرسائل ، أن تغطي الموضوعات أو الجوانب التي تلمسها أكبر مساحة من اهتمام القارئ ، أو تحقق له أكبر فائدة ممكنة .

ولذا كنا نؤكد هنا ، أننا في حاجة دائماً إلى حوارك الجاد ، وإلى ملاحظاتك الثاقبة ، فنحن أيضاً في حاجة إلى شيء قليل من مشاركتك وصبرك ، وكل عام وأنت بخير .

لا وراثة في الجنوح

● أرسل لكم رداً على موضوع « [illegible] العيوب .. هل تورث » المنشور في العدد ٣١١ لما فيه من خطأ مناف لمفهوم القرآن .

١ - أرادت الكاتبة أن توضح كيف أن العرب المسلمين كانوا من أوائل من فكر « بعلم الوراثة » فاستشهدت بالآية الكريمة (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) سورة نوح .

وهذه الفكرة منافية تماماً لروح الإسلام ، التي تؤكد على استقلالية الإنسان في سلوكه لكل شخص بالغ عاقل ، وهذه الاستقلالية مناط التكليف وأساس العدالة ، ولو كان السلوك وراثياً لحاج الكافر ربه يوم الحساب ، ولحمل أوزاره إلى الجد الأول الذي ورثه هذا السلوك .

وفي القرآن الكريم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وقوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

ومن الشواهد العلمية والتاريخية التي تنفي دور الوراثة في السلوك .

٢ - نوح عليه السلام نبي مرسل وابنه من صلبه كافر .

حوار القراء

٢ - آزر كان والد ابراهيم الخليل عليه السلام غير مرسل .

ولعل الآية التي اختتم الكاتب مقاله بها - فهي لا تعتبر حقيقة قرآنية ، بل هي دعاء نوح عليه السلام على قومه بعد يأسه منهم ، وبعد أن أعلمه الله تعالى : « انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن » .

٣ - وردت في المقال تعابير طبية لم تعد مقبولة وفق المعجم الطبي الموحد لاتحاد الأطباء العرب لعام ١٩٨١ لا بد من تصحيحها :

- استرخاء الجفن صوابه تدلي الجفن (Ptosis) .
- قصر البصر صوابه حسر البصر (Myopia) .
- نمط غالب أو مسيطر صوابه نمط سائد (Dominant) .
- هيموفيليا صوابه الناعور (Hemophelia) .
- البرص صوابه البهق (Vitiligo) .

الدكتور عبد القادر الجاسم

دير الزور - سوريا

العربي :

نشكر للاستاذ الكريم اهتمامه ومتابعته ، ونعتذر عن عدم ذكر تصويبات أخرى وردت في خطابه ، لأنها وردت في تعليقات أخرى لبعض القراء ، نشرت في العدد السابق من العربي .

والنثر القديم أيضاً صفحة . .

● وفي نهاية هذه الرسالة يسعدني ان احيي لكم بانجاح أرجو أن ينال حظه من الدراسة . وهو الا تقتصر المجلة على نشر الشعر القديم ، صفحة شعر ، تتزامل لو تناولها ، صفحة نثر . . ففي الأدب العربي القديم روائع من النثر لا يطلع عليها كثير من المثقفين ، مثل رسائل الامام علي الى الأشتر . وطاهر ابن الحسين الى ابنه عبد الله حين ولاه المأمون الشام ومصر . ومن الرسائل العربية رسالة النفس الزكية محمد بن عبد الله العلوي الى أبي جعفر المنصور العباسي . ومن قبلهما رسالة هشام بن عبد الملك الى واليه خالد بن عبد الله القسري ، ومن هذه الرسائل ما يعد دستوراً من دساتير الاسلام .

السيد حسن ثروت

حدائق القبة - القاهرة

العربي :

نشكر للأخ الكريم اقتراحه الجيد ، ونعده بأن يكون محل دراسة واهتمام من المسؤولين بالمجلة . ولعلنا كنا قد اكتفينا بنشر هذا الجزء من رسالته لأن بقية الرسالة كانت موضع التقدير ، وندعوه الى أن يواصل متابعته الأمينة ، وملاحظاته الواعية ، وكتاباته البناءة .

رسالة من القريه تحتي الى شجرة القات

● لأول مرة اكتب اليك أيتها الشجرة اللعينة ، وغضبي عال من أوراقك الخبيثة . ولطالما كتبت لك والقا تحت تأثير مفعولك ، وكنت أعيش في مملكة الاحلام الجميلة . أما الآن فأنا اعلنك . كم أنت مضرة ومذلة للشعب اليمني ، وكم هي عظيمة حضورك التي تحرق الشرايين بالسم ، فتركه وراءها جهلا ومرضا وفقرا !

اني أكرهك ولا أحبك ، لأنك تقتلين شجرتنا المحبوبة « البن » ، بل تجاوزت الى أن تقتلعي حقول القمح والذرة وأشجار البرتقال والعنب ، وسرقت

الكثير الكثير من مسائل وروابط الشعب اليمني . فهناك شريحة قليلة من الشعب ملزمة بالإسلام الحقيقة والمعقول وعدم المبالاة ، بما يجري في أنحائه المعمورة .

واليوم يحاول أعداء الأمة العربية أن يحيكوا مؤامرة جديدة ضد العرب في المهجر ، وذلك بالسماح لتلك بالدخول إلى أوروبا الغربية . وخصوصاً بريطانيا ، لتدع المهاجرين العرب وخصوصاً اليمنيين منهم إلى دوامة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . ولإبعادهم عن موكب العلم والحضارة والمدنية .

يحق لي أيتها الشجرة الدخيلة (والقات أصله من الحبشة) أن أطلب من أبناء بلدي عندما يملكون دولة اليمن الواحدة ، أن يكون أول قرارات هذه الدولة هو تحريم القات واقتلاع شجيراتها .

يحق لي أيتها الشجرة الخبيثة ، أن أشكر كل الدول العربية بعامة والخليجية بخاصة على أنها تحرم دخولك إلى أراضيها ، وهي بذلك تقتلعك من خارج أسوار اليمن ، وبذلك تساعد اليمنيين على التخلص من هذه العادة القبيحة والمكلفة .

للمرة الثانية أنا أكرهك . وفراقك لن يؤثر على حياتي بذ وربطات الخيال المريض .

علي صالح علي

أبو ظبي . دولة الإمارات المتحدة

العربي

• هذه الرسالة ضمن رسائل من القارىء يحتج فيها على موضوع « المزارع من القات في العاصمة البريطانية » وقد رأينا أن نكتفي بنشرها لأنها تنطوي على خلاصة تعليقه . ولنا فيها من تيرا صادقة وساخرا نأمل أن تصل إلى القارىء . . . . وإن كنا نفهم جيداً (إلا في إطار السخرية) تعليقه طلب اقتلاع الشجرة من أبناء بلده عند قيام دولة اليمن الواحدة !

بلاد تتكلم السريانية

● كانت مجلة العربي ولا تزال تهتم بدقة المعلومات التي تقدمها للقارىء ، وبصفتي من المتابعين لمجلتكم والحريصين على صحة ودقة المعلومات الواردة بها ، يهمني أن أصحح معلومة وردت في العدد ٣٢١ في فقرة « حل مسابقة العدد ٣١٨ » ورقم السؤال (٥) وقد ورد فيه :

اسم البلدة السورية والوحيدة التي ما زالت تتكلم اللغة الآرامية أو السريانية ، وهي بلدة « معلولا » وأريد أن أشير إلى أنه توجد قرى أخرى تتكلم هذه اللغة القديمة منها بلدة « جبعدين » وهي مجاورة « لمعلولا » وأكبر منها مساحة وسكاناً ، وبلدة « صرخة » وهذه القرى الثلاث تتكلم اللغة الآرامية أو السريانية ، وليست معلولا فقط . ولذا أدعوكم لزيارة قرية « جبعدين » والتأكد من صحة هذه المعلومات ، وزيارة ما في القرية من آثار ، وهي تبعد عن العاصمة دمشق ٦٠كم شمالاً .

خالد بكر ـ دمشق / سوريا

تكريم كبار كتاب العربي

● كلنا نعرف أن لمجلة العربي تاريخاً قديماً حافلاً ، جاوز ربع قرن في خدمة المسيرة الثقافية والمسيرة القصصية ، والكل يعرف ما قدمه الأدباء العلماء والمفكرون والأدباء والشعراء الذين واكبوا المجلة في تاريخها الطويل من خدمات للأمة العربية ، في مجالات الثقافة والعلم والأدب .

أقترح عليكم أن تنشر المجلة لمحات من تاريخ كل كاتب من كتابها القدامى ، وعن تطور علاقته بالمجلة ، وعن أهم كتبه ومؤلفاته مثل الدكتور أحمد زكي ، والأستاذ أحمد بهاء الدين ، والأستاذ حسان حتحوت وغيرهم .

أليس في هذا نوع من التكريم لهؤلاء الكتاب يستحقونه بالإضافة إلى ما فيه من فوائد للقراء ؟

ياسر عبد الوهاب جمعة

دير الزور / سوريا

العربي

ـ تشكر القارىء لتكريمه القراء واقتراحه بتعريف الأجيال الجديدة بكتاب العربي الذين واكبوا مسيرتها ، ولعله يرى معنا أن في إصدار سلسلة كتاب العربي ما يحقق ما يهدف إليه اقتراحه □

١
في أي بلدة يوجد هذا المسجد ؟

٢
قل الصورة زمانا ومكانا على وجه التحديد .. قبل تسعين عاما ؟

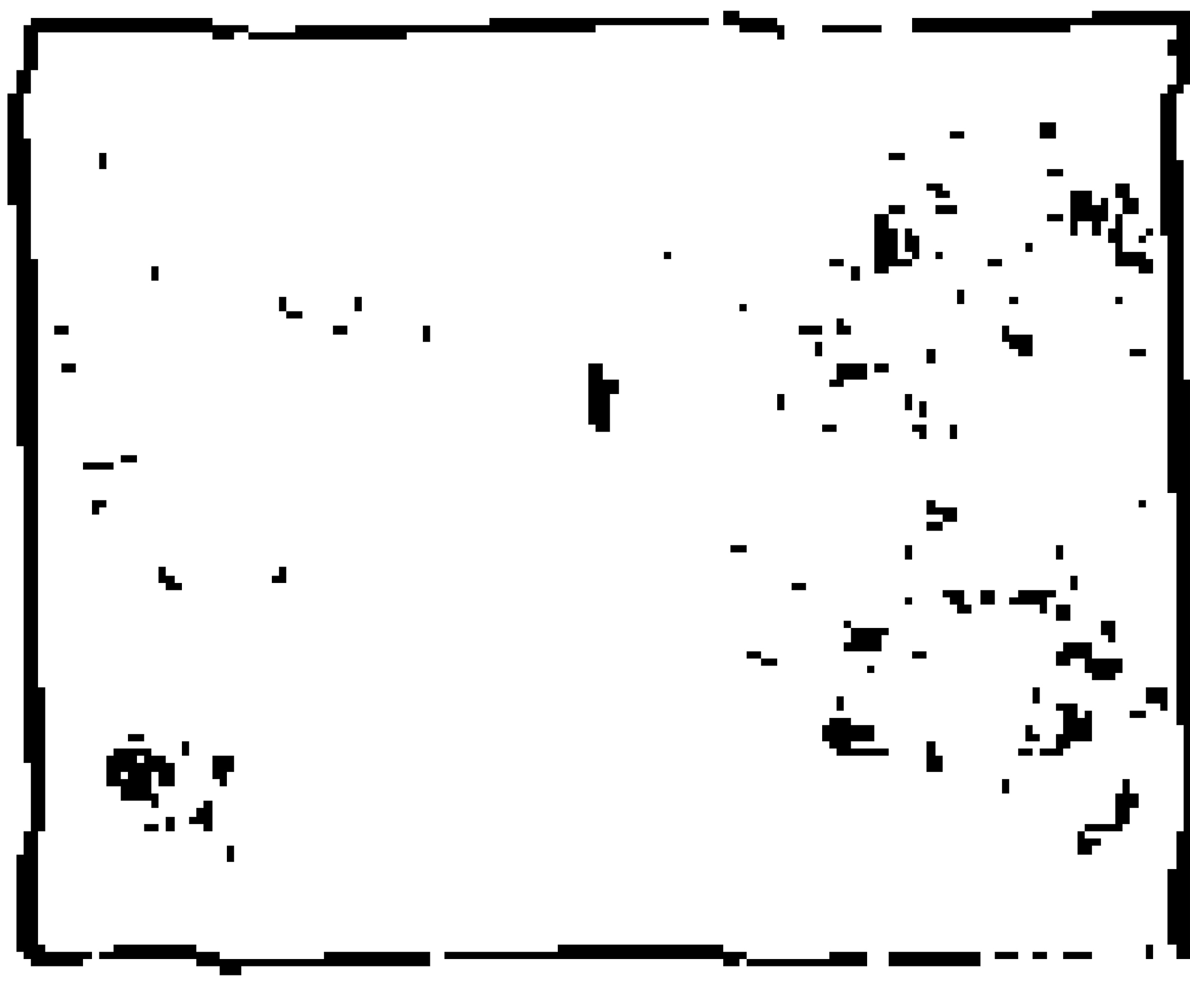

٣
ماذا تصنع هذه الآلة .. وأين ؟

٤
هل هي طائرة حربية أم طائرة قتالية .. ولمن تصنع ؟

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٢٦
يـنـايـر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة . ترسل الإجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ، الكويت - مسابقة العربي الثقافية ، العدد ٣٢٦ ، وآخر موعد لوصول الإجابات إلينا هو مارس ١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٢٦

٥

ي فندق هذا

ن أي البلاد ؟

٦

هذه بقايا وآثار

سد مشهور في

الماضي البعيد

من صخور

وأحجار ..

أي سد هذا ؟

مسجد كبير يقع

في مدينة تاريخية

وهي عاصمة

إحدى جمهوريات

بحر البلطيق

السوفياتية ؟

فأي جمهورية

تلك ؟

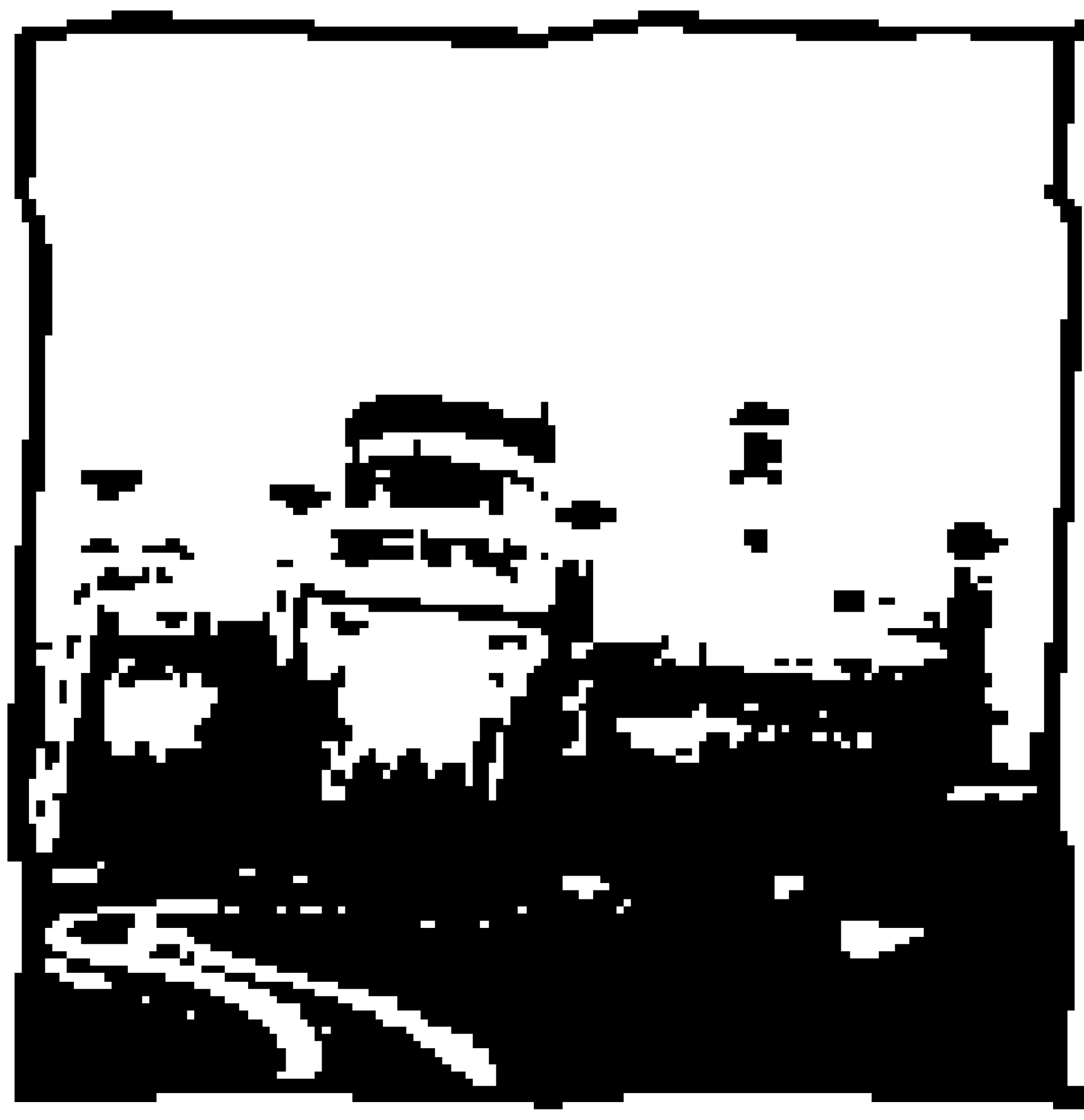

٨

هذا مسجد

السلطان حسن

على سفح المقطم

ترى أين يقع ؟

٩

أين تقع هذه

الشلالات ؟

وما اسمها ؟

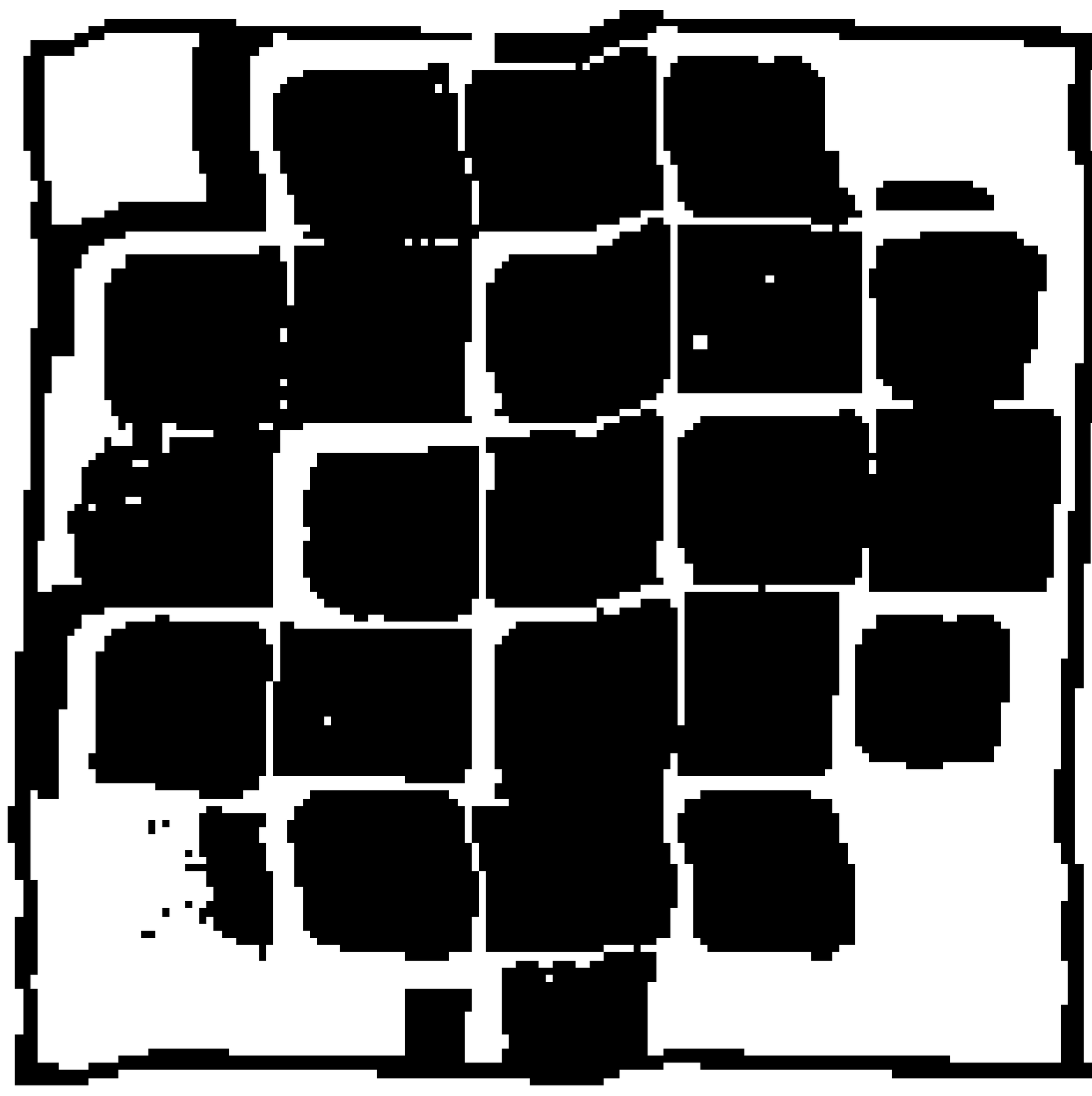

١٠

مقطع من الإزار

الشعبية .. ما

اسم الطراز الشعبي

الذي أخذ منه

المقطع ؟

١١

فلاح عربي

ولاريب ..

ولكن لأي

الدول العربية

ينتمي ؟

١٢

حسناء .. في

السينما العالمية

.. ترى ما هي

جنسيتها ؟

حلول

١ ـ مهاجرة الهجرتين وصاحبة القبلتين .. أنها أسماء بنت عميس (ت ٦٦٠م) وهي صحابية من خثعم ، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها الأول ، وكانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب .. وتزوجها أبو بكر الصديق بعد أن قتل زوجها الأول شهيدا ، ثم تزوجها علي بن أبي طالب لما توفي أبو بكر .

٢ ـ جزر مالفينا هي نفسها جزر فوكلاند .. فأهل الأرجنتين ومواطنهم يسمونها مالفينا .. والإنجليز ومواطنهم يسمونها فوكلاند ..

٣ ـ هنيبال (٢٤٧ ـ ١٨٣ ق . م) احتل أجزاء واسعة من إيطاليا ، وكان يحكم المنتصر لها طوال ١٣ عاما .. إلا أنه تجنب دخول روما بالذات ، ولم يسع إلى احتلالها عن طريق محاصرتها .. لقساوة الحصار .

٤ ـ الشِّيَ جمع ومفرده الشِّيَة من الشيء .. ومعنى شية الشيء ولونه .

٥ ـ إميلين بانكهرست (١٨٥٨ ـ ١٩٢٨) هي زعيمة الحركة النسوية في بريطانيا . تلك الحركة التي طالبت بمنح المرأة الإنكليزية حق التصويت ، وقد بدأت بانكهرست حركتها هذه سنة ١٩٠٦ ، في نفس السنة التي ماتت فيها نظيرتها الأمريكية سوزان أنتوني .

٦ ـ إسبانيا هي موطن خراف المارينو الأصل ، وقد نقلت أستراليا عددا من الخراف منها وعملت على تلقيحها ، حتى انتشرت فيها انتشارا عظيما .. وتجدر الإشارة إلى أن الاسم مارينو مأخوذ من اللغة الإسبانية .. فهو الاسم الذي أطلقه الإسبان على مشرفي مراعي الأغنام عندهم .. ولعل اللفظ المذكور يرتد أصلا لأصوله العربية .. مرعى أو مراعي .

٧ ـ جزيرة فيلة Philae والاسم يوناني .. وهي غير جزيرة فيلة القريبة منها .. والتي لا علاقة لها بأية سفينة ، معابد إيزيس التي نقلت عن جزيرة فيلة سنة ٣٥٠ ق . م ..

٨ ـ اقترن اسم الأسمنت باسم بورتلاند ، نظرا للشبه الكبير من حيث اللون بين الأسمنت بعد جفافه ، وبين حجارة بورتلاند الشهيرة في إنكلترا .. ذلك أن مكتشف الأسمنت هو البناء البريطاني جوزف أسبدين .

٩ ـ الحروف : ع . ق . غ ترمز إلى الأرقام ٧٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٠ على التوالي .

١٠ ـ صناعة السكر تحتاج إلى ٩ أطنان من الماء ، وصناعة سماد النترات الأزوتي تحتاج إلى ٦٠٠ طن من الماء ، وذلك لإنتاج طن واحد من كل منهما .

١١ ـ الأنقورية نسبة إلى أنقرة عاصمة تركيا .

١٢ ـ الفخار هو الآجر طين مشوي بالنار .. بينما الصلصال طين غير مشوي بالنار .. إنه طين يابس يصل من يبسه أن يحدث صوتا .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٣
اكتوبر ١٩٨٥

الجائزة الأولى : محمد مصطفى المصري / الابراهيمية / الاسكندرية مصر .
الجائزة الثانية : يوسف حسين حسن عبد الله / معهد تدريب المعلمين ـ السودان
الجائزة الثالثة : أمل سعيد محمد / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ وليد سليمان السلوم / دمشق / مؤسسة معامل الدفاع ـ سوريا .
٢ ـ زين العابدين الكريم / سوق البسيط / الرباط ـ المغرب .
٣ ـ الهادي بن الطاهر بوبراهيم / الزهور نابل ـ الجمهورية التونسية
٤ ـ نزار محمد عبد الواحد / الشركة السعودية الموحدة للكهرباء في المنطقة الغربية / جدة ـ المملكة العربية السعودية .
٥ ـ عبد القادر حسان البنا / كريتر / عدن اليمن الديمقراطية .
٦ ـ احمد بشير عبدالله بركات / دائرة القضاء الشرعي / ابوظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
٧ ـ يوسف عبد الله الشهابي / المحرق ـ دولة البحرين .
٨ ـ عبد الله السلمي / كوتايل / منكادا / كيرالا ـ الهند .

معركة بلا سلاح

◻ بطولات عربية

أخيراً انتهت مباراة العصر بفوز جاري كاسباروف على بطل العالم السابق أناتولي كاربوف (١٣ - ١١) ليصبح أصغر بطل للعالم في تاريخ اللعبة .

يعتبر الأولمبياد السادس والعشرون للشطرنج العالم في مدينة سالونيك باليونان في الفترة ما بين ١٨ نوفمبر و ٥ ديسمبر من أكبر التجمعات الشطرنجية لعام ١٩٨٤ ، ولقد بلغ عدد الدول المشتركة في هذا المهرجان الشطرنجي الكبير ٨٨ دولة منها عشر دول عربية والتي نذكرها حسب تسلسل ترتيبها في المهرجان : الامارات العربية المتحدة ، المغرب ، مصر ، العراق ، الجزائر ، لبنان ، البحرين ، ليبيا ، الأردن ، وفلسطين .

ومن الأبطال العرب الذين برزوا في هذا التجمع الشطرنجي العالمي اللاعب المصري عصام عبد الرازق ضيفي وهو يحتل المرتبة الثالثة بين اللاعبين المصريين بعد عصام عبد الغني واسطراتي سعد وكلاهما من مدينة طنطا ، غير انه حقق نجاحاً كبيراً في هذا الأولمبياد وهزم جميع أقرانه من أبطال الكتلة ، وحاز على نصف دولي يعتبر ٢٣٠٠ نقطة والذي يؤهله للقب أستاذ الفيدي Fide master (٢٢٥٠ - ٢٣٢٠ نقطة) ، ويجعله مرشحاً للقب أستاذ دولي International Master (٢٣٢٠ - ٢٤٥٠) .

وقد لعب هذا البطل المصري على الرقعة الأولى في الأولمبياد المذكور وكان ترتيب السابع بين ٨٨ بطلاً من مشاهير أبطال الشطرنج في العالم . ومن الأدوار المميزة التي تألق فيها هذا اللاعب المصري النشيط الدور الذي فاز فيه على الأستاذ الدولي الكبير سوتلز من كندا (٢٤٢٥ نقطة) الذي ألف كتاباً يدعو فيه عن دفاع بيرك Pirc ، وما يدعو للاعتزاز بانتصار بطلنا المصري انه هزم اللاعب الكندي في هذه الافتتاحية بالذات والتي قضى سنوات طويلة في دراستها وتحليلها والكتابة عنها

والدور التالي من دفاع بيرك بين البطل المصري عصام عبد الرازق (أبيض) والبطل الكندي سوتلز (أسود) وهو أحد أدوار الجولة الثالثة عشرة

عصام عبدالرازق (مصر)	سوتلز (كندا)
١ . د٤	د٦
٢ . هـ٤	ز٦
٣ . ح - جـ٣	أ٦
٤ . أ٤	ف - ز٧
٥ . ح - و٣	ح و٦
٦ . ف - هـ٢	ب٦
٧ . ت	ف - ب٧
٨ . هـ٥	ح (٦) - د٧
٩ . هـ د٦	جـ × د٦
١٠ . ف - ز٥	جـ٦
١١ . ف - هـ٣	ت
١٢ . و - د٢	م - جـ٧
١٣ . د٥	ح - و٦

الفائزون بحل المسابقة رقم

(٣٤)

أكتوبر ١٩٨٥

الفائزون بالاشتراك سنة كاملة :

١ - إيهاب شاكر - الجيزة / ج.م.ع
٢ - وائل بطرسيان - حلب / سوريا
٣ - رند فرح - حولي / الكويت
٤ - الصادق العربي - الخرطوم / السودان
٥ - نبيل إسماعيل - عمان / الأردن

الفائزون بالاشتراك ستة أشهر :

١ - محمد بوخلفة - الخبر / السعودية
٢ - خالد ألين - أبو ظبي / الإمارات
٣ - إيهاب الصغير - الجيزة / ج.م.ع
٤ - عصام محمد - عدن / اليمن
٥ - الكوريا سليمان - سبها / ليبيا

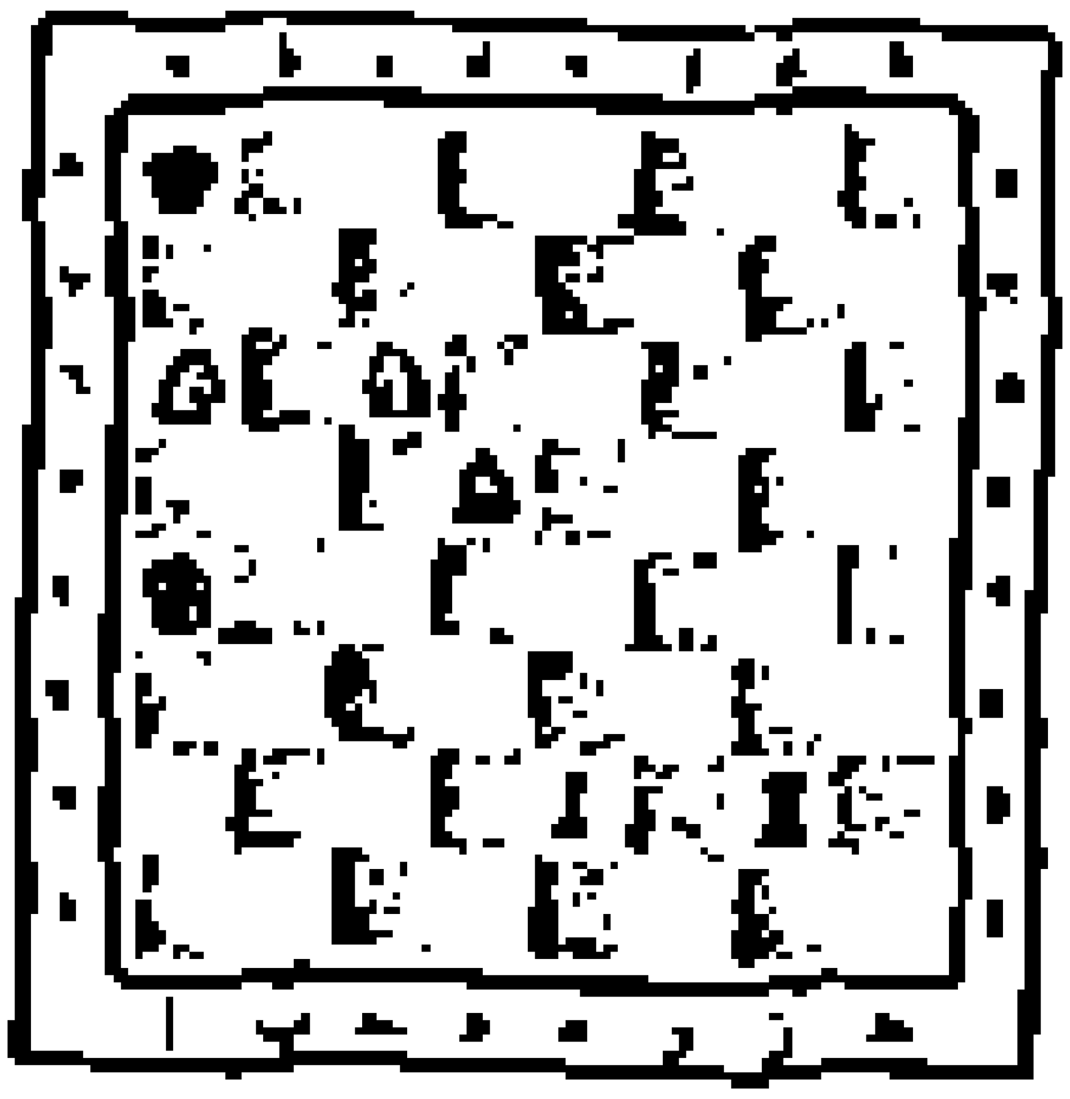

مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٧)

مات ٣
مهداة من القارئ
حسن الرفاعي

١٤ . جـ٣	ح (١) - هـ٧
١٥ . ر (ر) - هـ١	ر - جـ٨
١٦ . ف - و١	ر - جـ٧
١٧ . ز٣	و - أ٨
١٨ . ف - ز١	ر (٨) - جـ٨
١٩ . ر - أ٣	ح × د٥
٢٠ . ح × د٥	ر٨ - جـ٣

الوضع بعد النقلة ٢٠

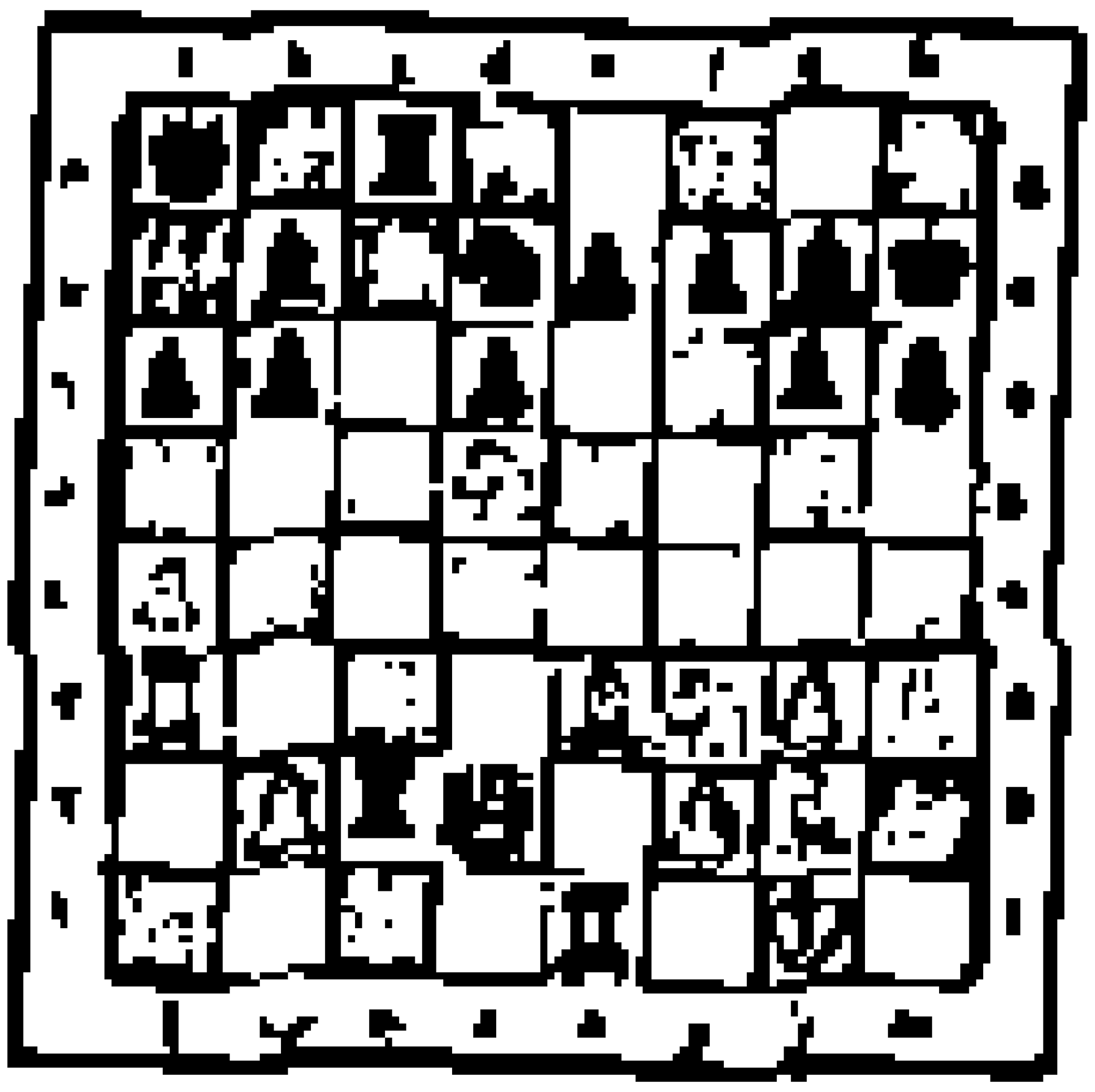

٢١ . و - و١	ف × د٥
٢٢ . ح - ز٥ +	ح × ز٥
٢٣ . ف × د٥	و - ب٨
٢٤ . ف × و٧	ح - هـ٥
٢٥ . ف - د٥	ر × ب٢
٢٦ . ف × ز٥	ر (٨) - جـ٢
٢٧ . ر × هـ٥	د × هـ٥
٢٨ . و - ز١	و - د٨
٢٩ . ر - هـ١ +	يستسلم
(لو ٢٩ . .	ف - هـ٦
٣٠ . و - و٣	و - ز٧

٣١ . ر - و٧ مهدداً الوزير ومن ثم كش مات في النقلة التالية)

حل المسألة رقم (٣٥)

١ . ح - جـ٣	٤ . ح - و١
٢ . ح - هـ٤	٥ . ح - ز٣
٣ . ح - د٢	كش مات

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت

يناير ١٩٨٦م

الغرب والعالم

"القسم الثاني"

تأليف : كافين رايلي

ترجمة : د. عبد الوهاب المسيري

د. هدى حجازي

مراجعة : د. فؤاد زكريا

الكتاب السابع والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير : د. عبد المحسن مرع الدعيج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب.

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ.
- أن يمثل البحث إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه العلمي وألا يكون قد سبق نشره.

توجه المراسلات إلى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص.ب ٢٣٥٧٠ الصفاة - الكويت

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير: عبد الرحمن فايز المصري

☐ منبر بارز للأكاديميين العرب

☐ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

الاشتراكات:

للمؤسسات: ١٢ دينارا في الكويت - ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج

للأفراد: ٣ دنانير للكويت - [illegible] الوطن العربي. ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج

[illegible] مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات إلى : رئيس التحرير مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ص.ب [illegible] الصفاة، الكويت هاتف [illegible]

تصدر عن جامعة الكويت
● فصلية ■ محكمة
تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية
والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبدالله [illegible]

مدير التحرير
آمال بدر [illegible]

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٤١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس : ٢٢٦١٦ [illegible]

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
[illegible]

[illegible]

مجلة علمية محكمة
[illegible]

الاشتراكات
[illegible]

العنوان : جامعة الكويت [illegible]

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

١٩٦ أول يناير ١٩٨٦

من المسرح التركي

وحش طوروس

(٢)

تأليف : عزيز نسين
ترجمة : جوزيف ناشف
مراجعة وتقديم : د. إبراهيم الداقوقي

صباح الخير!
NESCAFE
نسكافه
اشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الطبيعية
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح